

# فیودور دوستویفسکی

## مذکون مہانون

دارِ رادوغا،  
موسکو

РАСПЕЧАТАНО  
В РАДУГА  
1929

РАСПЕЧАТАНО  
В РАДУГА  
1929

РАСПЕЧАТАНО  
В РАДУГА  
1929

РАСПЕЧАТАНО  
В РАДУГА  
1929

## مقدمة

شرح دوستوفسكي في كتابه رواية «مذلون مهانون» في ربيع عام ١٨٦٠ . . . «انني الآن في حالة حمى . والسبب في كل ذلك روائي . اود ان اكتبها جيدا ، وأشعر ان فيها شعرا ، وأعرف ان مستقبلها الادبي كله يتوقف على نجاحها . سيكون علي الآن ان انكب عليها ليل نهار . . .»

ولكن دوستوفسكي فرغ من كتابة الرواية في ٩ يوليو ١٨٦١ وفقا للتاريخ المكتوب في نهاية «الخاتمة» المنشورة في المجلة . وبذلك استغرقت كتابة «مذلون مهانون» لا ثلاثة اشهر بل أكثر من سنة .

لقد ضمّن دوستوفسكي الرواية قدرا من المادة المستقاة من حياته الشخصية لم يسبق له ابدا ان اطلع عليه القراء . فالبطل الرئيسي في «مذلون مهانون» ، «الاديب غير الموفق» ايفان بتروفنش ، يبدو وكأنه يجمع في شخصه مرحلتين من حياة دوستوفسكي نفسه : فالوقائع المذكورة من حياة البطل الادبية ومصائبه ومعاناته في الكتابة مستقاة من ذكريات دوستوفسكي عن صباه الادبي ، اما قصة علاقة ايفان بتروفنش بناتاشا وحبه المتفاني لها فتعكس بهذه الصورة او تلك مشاهد من علاقة دوستوفسكي بزوجه المقبلة ماريا ديمتريفنا . وضع دوستوفسكي في رواية «مذلون مهانون» ذكريات عن شبابه الادبي : عن كتابه لرواية «المساكين» وفوزها باعجاب القراء ، وعن مقالات

ترجمة د . سامي الدروبي

مراجعة د . ابو بكر يوسف

رسوم غروسه

ФЕДОР ДОСТОЕВСКИЙ  
Униженные и оскорбленные  
Роман  
На арабском языке

© حقوق المراجعة والمقدمة والتعليقات والرسوم

محفوظة لدار «رادوغا» ، ١٩٩٠

طبع في الاتحاد السوفيتي

Д 4702010101-370 058-90  
031(01)-90

ISBN 5-05-002853-1



يلينسكي (الناقد «ب») وعن خصومه في الاوساط الأدبية ،  
وعن الناشر كرايفسكي الذي كان يستغل دوستوفسكي ، وعن  
المقالات العاجلة «للمؤلف العديد الاجزاء» (المعجم الموسوعي) . . .  
وتسرد احداث الرواية بلسان الراوي ، وهذا هو الشكل الذي  
كان يفضله دوستوفسكي عن غيره في الاربعينات . وايفان  
بتروفتش يبدو وكأنه شخصية مزدوجة في «مذكراته» فهو شخص  
فاعل فيها وفي الوقت نفسه يسرد ذكرياته عن الاحداث التي  
وقعت في الماضي . فالحدث الذي يتذكره ايفان بتروفتش  
ويرويه للقراء كحدث يقع الآن ، تتداخل فيه شروحاته وتعليقاته  
التي يوردها بناء على مسار الاحداث الذي جرى فيما بعد .  
وايفان بتروفتش ، وهو يعايش احداث الحياة الفعلية ،  
انما ينظر اليها مع ذلك كمادة للاعمال الادبية . وأحيانا يرى  
العكس ، فهو على استعداد لتصوير الاشخاص الاحياء كأبطال  
ادبيين خرجوا من صفحات مؤلفات كتابه المفضلين . وقد  
استغل دوستوفسكي «حرفة الأدب» لدى ايفان بتروفتش في  
ادخال نموذج الرواية السردية باسم المتكلم الذي كان جديدا  
على الأدب الروسي ، كما سهل عليه الربط بين الخطبين  
الحدثيين في الرواية ، خطي نيللي وناشاشا .

ان اهتمامات ايفان بتروفتش الانسانية والادبية تتشابك ،  
ويشكل تدخله في شئون الآخرين ومصائرهم ما يشبه ان يكون  
استمرارا لمشروع نشاطه الخيري ونزعه الانسانية الاجتماعية .  
والمسلك الحياتي لايفان بتروفتش في جميع الاحوال وفي كلا  
الخطبين الروائيين يتميز بالاثرة الخالصة المطردة وبالحب الاخوي  
لكل المهانين والبؤساء ، وبالسعي الطبيعي لدى ايفان بتروفتش

والمتمفق مع طبيعته نحو خدمة الخير لا الشر ، والحب لا العنف  
او الانانية . لقد جسّد دوستوفسكي في شخصية ايفان بتروفتش  
برنامجه الانساني الخاص الذي عرضه في مجلته التي كان  
يصدرها : «الوقت» .

وتتحقق الصلة بين الخطوط الروائية ايضا بفضل توازيها .  
فالامير فالكوفسكي يخدع ابنة سميث ، ام نيللي ، ويهجرها .  
وعلى هذا النحو كان تصرف ابنه أليوشا الذي هجر ناشاشا في  
سبيل كاتيا . والعجوز سميث يلعن ابنته ولا يريد ان يغفر لها .  
واخمينيف يلعن ناشاشا التي هربت من بيت والديها الى أليوشا ،  
ولا يرضي ان يغفر لها الا بعد ان يسمع رواية نيللي عن مصير  
ابنة سميث البائسة ، اى امها . وفي مواجهة الرب البروتستنتي  
القاسي الذي لا يرحم ، الرب التوراتي الذي ينزل بالناس  
العقاب ، يضع دوستوفسكي تفسيره الاخلاقي للمسيحية كدين  
الصمود الخلقي وعدم السكوت على الشر ، وفي الوقت نفسه دين  
الحب والاخوة والغفران الشامل .

ان المشكلة الاخلاقية - الاجتماعية الرئيسية التي يسعى  
ايفان بتروفتش جاهدا الى حلها هي مشكلة الانانية . فهذه  
المشكلة قد صيغت صياغة جديدة مبدئيا للفكر الاجتماعي  
والفلسفي التقدمي في اربعينات القرن الماضي في اوروبا على يد  
الفيلسوف فيورباخ في نظريته الاخلاقية ، اما بالنسبة للأدب  
الروسي والمقالات النقدية فقد عولجت هذه القضية في الاربعينات  
على يد هرتسين وييلينسكي ، وفي النصف الثاني من الخمسينات  
على يد تشيرنيشيفسكي ودوبرولوبوف .

وشغلت قضية الانانية بال دوستوفسكي في نهاية الاربعينات



من القرن الماضي . وفي «مذلولن مهانون» عاد الى موضوع نقد التبرير الفردي للذات وطموحاتها المغرصة ، واضعا في شفتي الامير فالكوفسكي نظرة فلسفية صفيقة متكاملة الى الحياة . وفي مواجهة ذلك في الرواية نجد روح الحب والاخوة لدى «المذليلن المهانين» الذين يمقتون المسيئين اليهم ولكنهم في الوقت نفسه مترعون بالحب المشاطر والغافر لمن هم مثلهم من المذليلن المهانين .

وألبوشا في الرواية يمثل الانانية التلقائية التي لا تجهد نفسها بالتفكير .

اما شخصية الامير فالكوفسكي فهي اول صورة في ابداع دوستوفسكي — وهي جد بعيدة عن الكمال — «للبلط الايديولوجي» ، الذي يعرض على صفحات الرواية «فلسفته في الحياة» التي تبدو في مظهرها مكتملة البناء ومتسقة .

ومما لعب دورا كبيرا في صيرورة المنهج النفسي للكاتب الروائي دوستوفسكي رسمه لشخصيات نبللي وألبوشا والعجوز إخمينيف الذين جمعوا في انفسهم ملامح متناقضة تبدو جدليتها الداخلية واضحة للعيان . فنيللي ، مثلا ، طيبة وشريرة في آن واحد ، تتوق الى المشاطرة الانسانية والعطف بينما قسا قلبها وتحجر من اساءات الناس اليها . وألبوشا طفل ساذج غرير واناني ضعيف الشخصية ، وإخمينيف متيم بحب زوجته وابنته وفي الوقت نفسه ، لا تأخذه بهما رحمة .

لقد كانت الرواية مرحلة جديدة في تطور دوستوفسكي ونضجه كفتان جذبت انتباهه في الاساس التناقضات المأساوية والتصادمات التي لا حل لها موضوعيا في الحياة الاجتماعية

آنذاك . فعلى الرغم من تفاني ايفان بتروفنش ونزاهته وطيبته ، وعلى الرغم من سعي إخمينيف الى اشهار النزعة الانسانية والصمود في العذاب والتي تجمع بين «المذليلن والمهانين» في وجه الانانية واللامبالاة لدى الارستقراطيين والاغنياء والتي تفرق بين الناس وتعزلهم بعضهم عن البعض . . على الرغم من ذلك تنتهي الرواية بانهباء الأمل في تحقق السعادة الشخصية لابطال الرواية الرئيسيين وبوفاة نيللي وايفان بتروفنش . وتبدو قوى الشر الاجتماعي والتفرقة اقوى من «المذليلن المهانين» الذين ، وان كان يسعهم أن ينتصروا عليها اخلاقيا ، الا انهم عاجزون عن زعزعة سلطانها في الحياة الواقعية العملية .

ان اعمق نقد لهذه الرواية في ستينات القرن التاسع عشر قد تجلى في مقالة للناقد دوبرولوبوف بعنوان «المقهورون» . فعلى اثر بيلينسكي يفرد دوبرولوبوف لدوستوفسكي مكانة مرموقة في الاتجاه «الانساني» لادب الاربعينات قاصدا بذلك الافكار الاشتراكية التي كان دوستوفسكي الشاب يؤمن بها . «في الانسان المقهور ، الضائع ، المجرد من شخصيته يبحث ويعرض لنا آمالا وحاجات حية لا يمكن طمسها ابدا للطبيعة البشرية ، ويستخرج احتجاج الشخصية المدفون في اغوار النفس ضد الضغوط الخارجية القهرية ويضعه امامنا لتصدر حكما ونعرب عن تعاطفنا .

وفي مؤلفات السيد دوستوفسكي نجد قسمة مشتركة واحدة تبدو ملحوظة الى هذا الحد او ذلك في كل ما كتبه : انه التألم للانسان الذي يعترف بانه لا يستطيع ، او حتى في خاتمة المطاف ، لا يملك الحق بان يكون انسانا حقيقيا ، كاملا ،



انسانا مستقلا ، منفردا بذاته . على كل انسان ان يكون انسانا  
وينظر الى الاخرين نظرة انسان لانسان» . . هذا هو المثل  
الاعلى الذى استقر فى روح الكاتب .

ومن اهم التعقيبات التى صدرت عن معاصري دوستوفسكي  
فى فترة متأخرة حول الرواية تعقيب تولستوي الذى بعث به فى  
رسالة الى ن . ستراخوف فى فبراير ١٨٨١ وقال فيه : «منذ ايام  
وقبل وفاته ، قرأت «مذلولون مهانون» وتأثرت» .

الناشر

## الجزء الاول

### الفصل الاول

فى الثانى والعشرين من شهر آذار من العام الماضى وقع لى  
حادث من اغرب ما يقع من حوادث . كنت قد قضيت النهار  
كله متجولا فى المدينة ابحث عن شقة استأجرها . فقد كانت  
شقتى القديمة رطبة جدا ، وكنت فى ذلك الوقت قد بدأت  
اسعل سعالا شديدا . كنت منذ الخريف اود ان اترك هذه  
الشقة ، الا اننى سوفت حتى الربيع . انقضى النهار دون ان  
اجد ما يرضينى . فقد كنت اريد اولا ان تكون الشقة ليس  
من الباطن . بل من صاحب البيت ، وثانيا كان يمكن ان  
اكتفى بغرفة ، ولكن لا بد ان تكون الغرفة واسعة (وكان لا بد  
طبعاً ان يكون اجرها زهيدا) ، فقد لاحظت ان الغرفة الصغيرة  
تضيق الحناق على الافكار نفسها ، وكنت احب دائما ، حين  
افكر فيما سأكتب من قصص ، ان اسير فى الغرفة جيئة وذهابا .  
وأذكر فى هذه المناسبة ان التفكير فى مؤلفاتى والتأمل فيما سأعمد  
اليه من اسلوب فى تأليفها كانا دائما احب الى نفسى من  
كتابتها . وصدقونى اذا قلت لكم ان ذلك لا يرجع الى الكسل .  
فلا تم يرجع اذن ؟

ولقد كنت ، منذ الصباح ، اشعر بشيء من الاعياء ، فلما  
جاء الغروب شعرت بأننى مريض ، وانتابني نوع من الحمى .  
ثم انى قد ظللت على قدمي النهار كله ، واخذ منى التعب  
مأخذه . وفى المساء ، قبيل الشفق ، مررت بشارع فوزيسنسكي .

اني احب شمس آذار في بطرسبرج ، واحب الغروب خاصة حين يكون النهار باردا نيرا ، ان الشارع كله يضيء فجأة ، ويفرق في انوار جميلة . اخذت البيوت كلها تتألق ، فاذا ألوانها الرمادية او الصفراء او الخضراء الكاوية تفقد منظرها المتجهم في طرفة عين . شعرت كأن نفسي تشرق ، وشعرت كأن رعشة تسري في جوانحي . نظرة جديدة ، ومعان جديدة ! ما أعجب ما يستطيع ان يفعله في نفس انسان شعاع من شمس ! . . . ولكن شعاع الشمس غاب ، واشتد البرد ، واخذ يتفرق الانوف . . . وتكاثف الظلام ، واخذت مصابيح الغاز تتلألأ . في المخازن والحوانيت . فلما وصلت الى مستوى مقهى ميلر على الطرف الثاني من الشارع ، رأيتني اتسمر في مكاني ، ورأيتني أنظر الى الطرف الآخر ، كأنما اوجست ان أمرا خارقا سيقع لي على الفور . وفي هذه اللحظة تماما رأيت على ذلك الطرف الآخر رجلا عجوزا وراءه كلبه . اني لأتذكر الآن جيدا جدا ان صدري انقبض في تلك اللحظة انقباضا شديدا ، تحت وطأة احساس مزعج لم استطع انا نفسي ان اعرف كنهه . لست ممن يؤمنون بالامور الغيبية ، ولا اكاد اؤمن بمشاعر التنبؤ والعرافة . ومع ذلك فقد وقعت لي في حياتي حوادث كثيرة لا يمكن تعليلها ، كما وقع ذلك لجميع الناس فيما اظن . مثال ذلك هذا العجوز الذي رأيت : لماذا شعرت فورا ، حين رأيت ، ان شيئا غير عادي سيقع لي في ذلك المساء ؟ ثم اني كنت مريضا ، والمشاعر المرضية تكاد تكون دائما خداعة . كان العجوز يقترب من المقهى بخطوات بطيئة متقلقلة ، يقدم رجليه كأنهما عصوان ، لا يكاد يثنيهما ، وقد تقوس



في ذلك المساء . . .



ظهره ، واخذ يضرب بعصاه بلاط الرصيف . لم آر في حياتي شكلا أعجب ولا اغرب من شكل هذا العجوز .

لقد كان يؤلمني منظره دائما حين كنت القاه في مقهى ميللر . ان قامته الطويلة ، وظهره المحدودب ، ووجهه الذى لاح فيه فناء ابن الثمانين ، ومعطفه العتيق المتفتق ، وقبعته المدورة المشوهة التى يرجع عهدها الى عشرين عاما خلت والتى تغطي جمجمة عارية الا من كثة صغيرة من الشعر بقيت على النقرة تماما ، كثة ليست شياء بل بيضاء تميل للصفرة ، وكل حركاته التى تبدو خالية من المعنى حتى لكأنها حركات نابض آلي ، كل ذلك كان يفجأ حتما نظر من يراه لأول مرة . وانه لغريب حقا ان يرى المرء عجوزا فى هذه السن ، وحيدا ، لا يرعاه احد ، لا سيما وانه يبدو كمجنون افلت من قبضة حراسه . وقد فجأ نظري ايضا نحوه الشديد . هذا انسان لا يكاد يكون له جسم ، انه عظم وجلد . وكانت عيناه كبيرتين ، ولكن منطفشتين ، تحف بهما هالة زرقاء قائمة ، وكانتا تنظران الى امام دائما ، لا تنحرفان يمنة ولا يسرة قط ، وبقيني انهما ما كانتا تريان شيئا البتة . تراه ينظر اليك ، ولكنه يسير نحوك كأن امامه فضاء . لقد لاحظت هذه الظاهرة عدة مرات ، لقد ظهر في مقهى ميللر منذ مدة يسيرة ، لم يعرف احد من اين أتى ، وكان يصحبه كلبه دائما . وما ارتأى احد من زبائن المقهى يوما ان يتجه اليه بكلمة ، ولا فكر هو ان يتجه الى احد زبائن المقهى يوما بكلمة .

قلت فى نفسي وقد تسمرت فى مكاني على الطرف الثانى من الشارع ، واخذت اتابعه بنظري متابعة لا حيلة لي فى دفعها :

«لماذا يجر نفسه الى مقهى ميللر ، ماله ولهذا المقهى ؟»  
واخذ يغلي فى نفسي اضطراب شديد ، نتيجة للمرض والتعب . ثم تابعت اسائل نفسي : «بماذا يفكر هذا الرجل ؟ ماذا يدور فى رأسه ؟ ألا يزال قادرا على ان يفكر فى شيء ؟ ان وجهه ميت لا يعبر عن شيء البتة . ثم اين عثر على هذا الكلب الكريه الذى لا يفارقه لحظة ، كأنه جزء منه لا يفصل عنه ، والذي يشبهه هذا الشبه العظيم ؟»

لقد كان الكلب يبدو فى الثمانين من العمر هو الآخر ، نعم ، لا بد انه كان فى الثمانين . . . اولا ، انه يبدو من مظهره اكبر سنا من اى كلب فى العالم ، وثانيا ، لماذا ، حين رأيته اول مرة ، تراءى لي على الفور ان هذا الكلب لا يمكن ان يكون كسائر الكلاب ، انه كلب خارق ، انه ينطوي ولا شك على شيء عجيب سحري ، لا بد ان يكون هو الشيطان . فى هيئة كلب ، ولا بد ان مصيره قد ارتبط بمصير صاحبه بروابط سرية مجهولة . . . انك حين تراه توافق فورا على ان آخر مرة ذاق فيها الطعام ترجع الى عشرين سنة خلت . انه نحيل كهيكل عظمي ، بل قل كصاحبه ، وقد سقط كل شعره تقريبا ، حتى عن ذنبه ، الذى كان يضعه دائما بين ساقيه ، والذي يبس كأنه عصا . وكان رأسه ذو الاذنين الطويلتين يتدلى دائما الى اسفل بشكل حزين . اقسم لم آر فى حياتي كلبا اكبر الى النفس من هذا الكلب ، ولا ادعى الى النقرة . وحين كان الاثنان يسيران فى الشارع ، العجوز من امام والكلب من خلف ، وهو يمس ببوزه حوافي معطف صاحبه كأنه مربوط به ، كانت مشيتهما وكان مظهرهما كله كأنما يصرخ فى كل خطوة قائلا :



«نحن عجوزان ، نعم ، نحن عجوزان .  
 كم شخنا ، يا الهى !»  
 ولا انسى انه تراءى لي ايضا ذات يوم ان العجوز وكلبه  
 قد فرا من صفحة من صفحات كتاب هوفمان . الذى صوره  
 جافارني . ، وانهما يطوفان فى ارجاء العالم اعلانا متجولا عن  
 هذا الكتاب .  
 واجتزت الشارع ، ودخلت الى المقهى وراء العجوز . كان  
 سلوك العجوز فى المقهى غريبا جدا ، حتى ان ميللر الذى يقف  
 فى صدر المقهى وراء الكوتوار ، اخذت تظهر على وجهه ، فى  
 الايام الاخيرة ، علائم السخط من هذا الزائر المزعج . لانه ،  
 اولاً ، لم يكن يطلب ابدا شيئا قط . وكان فى كل مرة يتجه  
 قدما نحو المدفأة ، ويجلس على مقعد الى جانبها . فاذا لم  
 يجد ذلك المقعد خاليا ظل خلال لحظة من الوقت واقفا فى  
 حيرة غبية امام الشخص الذى احتل مكانه ، ثم ابتعد كالمشده  
 الى الطرف الآخر قريبا من النافذة . وهناك يختار احد المقاعد  
 يجلس عليه ببطء ، ويرفع قبعته ، ويضعها على الارض قربه  
 ويضع عصاه قربها ، ثم يلقي بنفسه الى وراء مستندا على ظهر  
 الكرسي ، ويظل ساكنا هكذا خلال ثلاث ساعات او اربع .  
 لم يتناول جريدة فى يوم من الايام ، ولا نطق بكلمة ، ولا  
 سمع احد صوته . كان يكتفى بأن يظل جالسا يبخلق فيما امامه .  
 الا ان نظرتة مشدوهة خالية من الحياة بحيث يصح أن يراهن  
 المرء على انه لا يرى شيئا مما يدور حوله ، ولا يسمع شيئا .  
 اما الكلب فانه بعد ان يدور مرتين او ثلاثا فى مكانه ، يقعو  
 بشكل حزين بين قدمي سيده ، ويدس بوزه بين حذائيه ،

ويرزفر زفرة عميقة ، ثم يتمدد بكامل جسمه على الارض ،  
 ويظل ساكنا هو الآخر خلال السهرة كلها ، كما لو كان يموت  
 اثناء ذلك . ان المرء ليستطيع ان يتصور ان هذين الكائنين  
 كانا يقبعان مبتين فى مكان ما ، خلال النهار كله ، حتى اذا  
 غابت الشمس بُعثا من الموت على حين غرة ، لا لشيء الا  
 ليأتيا الى مقهى ميللر ، فيقومان هكذا بواجب سرى يجعله  
 الجميع . وكان العجوز بعد ان يظل جالسا ثلاث ساعات او  
 اربعا ، ينهض من مكانه ، ويتناول قبعته ويمضي الى بيته ،  
 وكان الكلب ينهض هو الآخر ، ويتبع صاحبه ذاهلا ، بخطى  
 بطيئة كخطاه ، وقد وضع ذنبه بين قائمته ، وخفض رأسه .  
 كان رواد المقهى فى المدة الاخيرة يتحاشون العجوز بشتى الصور ،  
 ويمتنعون حتى عن الجلوس قربه ، كأنهم يشمتزون منه . اما  
 هو فكأنه لا يلاحظ شيئا من ذلك البتة .  
 كان معظم رواد هذا المقهى من الالمان ، يفدون اليه  
 من ارجاء شارع فوزنيسينسكى كله ، وكانوا جميعا من اصحاب  
 الحوانيت : بقالين ، خبازين ، صباغين ، صانعي قبعات ،  
 سراجين ، الخ . . . كلهم من حافظي التقاليد الالمانية القديمة .  
 وفى مقهى ميللر كان يسود نظام تقليدي قديم عموما . وكان  
 صاحب المقهى كثيرا ما ينضم الى حلقاتهم ، يجلس الى  
 موائدهم ، ويشرب معهم . كانوا يشربون كمية لا بأس بها من  
 الخمرة . وكانت كلاب صاحب المقهى واطفاله تأتي كذلك  
 الى الزبائن ، فكان الزبائن يداعبون الكلاب والاطفال جميعا .  
 وكان جميع الزبائن يعرف بعضهم بعضا ، ويقدر بعضهم بعضا .  
 وبينما يستغرق الزبائن فى قراءة الصحف الالمانية ، كنت تسمع



من وراء الباب ، في شقة صاحب المقهى ، اغنية «حبيبي افجوستين» . ، تعزفها على البيانو غير الموزون ، بنغمات رقيقة ، الابنة الكبرى لصاحب المقهى ، وهي ألمانية قصيرة شقراء الضفائر ، ما اشبهها بفأرة بيضاء . كان جميع الناس يرتاحون الى الفالس . وكنت اذهب الى مقهى ميللر في الايام الاولى من كل شهر اقرأ المجلات الروسية ، التي اشترك فيها .

حين دخلت الى المقهى رأيت العجوز قد جلس قريبا من النافذة ، وأيت كلبه ممددا بين رجله على عادته . فجلست في احد اركان المقهى دون ان اقول شيئا ، وطرحت على نفسي هذا السؤال : «لماذا دخلت الى هنا ، مع اني لست في حاجة الى ذلك قط ، ومع اني مريض ، احوج الى الذهاب الى البيت لأحتسي قليلا من الشاي وانام ، أمن المعقول اني دخلت الى هنا لكي امعن النظر في هذا العجوز لا غير ؟» واثابني شعور بالانقباض . قلت في نفسي وانا اتذكر ذلك الاحساس الغريب المرضي الذي شعرت به حين نظرت الى الرجل في الشارع : «مالي ولهذا الرجل ؟ لماذا اهتم بأمره ؟ بل ما لي ولهؤلاء الالمان المملين جميعا ؟ علام هذا القلق السخيف لثرهات لا قيمة لها ؟ هذا القلق الذي ألاحظه على نفسي في الايام الاخيرة ، والذي يمنعني من ان أحيا ، وان القي على الحياة نظرة واضحة ، كما اشار الى ذلك ناقد عميق نافذ البصيرة في نقده المر لقصتي الاخيرة ؟» على اني رغم التردد والحزن ، ظللت في مكاني لم ابرحه ، وكان شعوري بالمرض يتفاقم اثناء ذلك ، حتى بدا لي انه ليس بحسن ان اترك هذا الجو المعتدل اللطيف في المقهى ، فتناولت جريدة

«فرنكفورت» ، فما قرأت منها سطرين حتى اخذني الكرى . ان هؤلاء الالمان لا يزعجونني : انهم يقرأون ويدخنون ، ومن حين الى حين ، في كل نصف ساعة تقريبا ، يفضي بعضهم الى بعض ، في صوت خفيض وبكلمات مقتضبة ، بنأ من انباء فرنكفورت ، او يروي بعضهم لبعض كلمة او نكتة للفكاهي الالمان الشهير «زافير» ، ثم يعودون فيستغرقون في قراءتهم ، وقد ازدادوا بقوميتهم زهوا .

غفوت ما يقرب من نصف ساعة ، ثم استيقظت على رعشة قوية . كان لا بد ان اعود الى بيتي حتما . ولكن ، في هذه اللحظة ، وقع بصري على مشهد صامت في المقهى ، منعي من الخروج مرة اخرى . سبق ان قلت ان العجوز متى جلس على كرسيه كان يوجه نظره الى ناحية من النواحي ثم لا يحوله عن هذه الناحية ابدا خلال السهرة كلها . وقد اتفق غير مرة ان كنت انا هدف هذه النظرة العنيدة السخيفة التي لا ترى شيئا ولا تميز شيئا ، فكنت اشعر بامتعاض شديد لا يحتمل ، وكنت انتقل الى مكان اخر بأقصى سرعة ممكنة . اما في هذه اللحظة فان نظرة العجوز قد وقعت على ضحية اخرى ، هي رجل ألماني قصير بدين ، مفرط العناية بهندامه ، ذو ياقة منشاة قاسية ، ووجه احمر صارخ الحمرة ، كان هذا الرجل زبونا عابرا ، وهو بائع في ريغا ، واسمه آدم ايفانتش شولتس ، كما عرفت ذلك فيما بعد ، وكان صديقا حميما لصاحب المقهى ، الا انه لم يكن يعرف العجوز ولا عددا كبيرا من رواد المقهى . كان يقرأ في جريدة Dorfbarbier<sup>(1)</sup> ويحتسي

<sup>(1)</sup> حلاق القرية (بالألمانية في الأصل) .



كأسه جرعات صغيرة ، حين رفع رأسه فجأة فرأى العجوز يحدق فيه . فشده من ذلك واضطرب . ان آدم ايفانتش رجل حساس سريع الاحتياج ، شأنه في ذلك شأن جميع الالمان «النبلاء» . لقد بدا له غريباً ومهيناً ان يتفرس فيه هذا العجوز بمثل هذا اللحاح والبرود وقلة المبالاة . ولكنه كظم غيظه ، وحول نظره عن هذا الزبون القبح ، ودمدم في لحيته يوضع كلمات ، ثم اختبأ وراء جريدته دون ان يقول شيئاً . غير انه لم يستطع ان يظل على هذه الحال ، فما هي الا دقائق حتى التقى من وراء جريدته نظرة مرتابة ، فلاحظ تلك النظرة العنيدة عينها وذلك التحديق الابله نفسه . وسكت آدم ايفانتش هذه المرة ايضا ، ولكن حين حصل هذا الامر مرة ثالثة انفجر غيظه ورأى ان من واجبه ان يدافع عن نبالته ، وان لا يدع احداً يسيء امام حفل من الناس نبيل الى المدينة الجميلة ، مدينة ريغا ، التي لعله كان يعد نفسه ممثلاً لها ، فاذا هو ، في حركة من عيل صبره ، يرمي بجريدته على المنضدة ، بل يضرب المنضدة بعصا كانت الجريدة مثبتة بها في قوة ، وبلتهب وجهه كبرا وخيلاء ، وقد احمر من الخمرة والشجاعة جميعاً ، وأخذ يسدد ، بدوه ، عينيه الصغيرتين المشتعلتين الى العجوز المثير . من ينظر الى هذين الشخصين ، الالمانى وخصمه ، في تلك اللحظة يخيل اليه ان كلاهما يريد ان يهلك الآخر بما في نظرنه من قوة مغناطيسية ، ويتنظر ان يضعف خصمه فيخفض بصره . وقد اثار صوت العصا ووضع آدم ايفانتش العجيب ، انتباه جميع الحاضرين . فاذا هم يرجئون ما هم فيه من مشاغل ليراقبوا الخصمين باهتمام خطير صامت . واصبح المشهد مضحكاً

للغاية ، الا ان مغناطيسية العينين الصغيرتين المتحديتين ، عيني آدم ايفانتش القرمزى ، لم تؤثر اى تأثير ، فكان العجوز يتابع تحديقته الجرىء في السيد شولتس ، دون ان يتبته الى شىء ، وكان شولتس يستشيط غيظاً حتى ليكاد يجن ، ولم يلاحظ العجوز حتماً انه اصبح هدف نظرات جميع الناس لكأنه في القمر لا في الارض . واخيراً نفذ صبر آدم ايفانتش ، فانفجر . صرخ بالالمانية في صوت خشن حاد ، وهبته مهددة متوعدة :

— لماذا تنظر اليّ هكذا ؟

الا ان خصمه ظل على صمته ، كأنه لم يفهم السؤال ولا سمعه . فقرر آدم ايفانتش ان يتكلم بالروسية :

— اسألك لماذا تنظر اليّ هكذا ؟

قال ذلك وقد زاد سخطه وحنقه ، ثم اردف يقول فجأة :

— انا معروف في البلاط ، بينما انت غير معروف .

ولم تطرف عين العجوز . وركضت بين الالمان ضجة

استياء ، حتى سمع ميللر نفسه الضجة ، فدخل الى حجرة المقهى ، فلما اطعوه على الامر ، تراءى له ان العجوز اصم ، فانحنى على اذنه ، وقال بأعلى صوته ، وهو يتفرس في عيني هذا الزائر العجيب :

— ان السيد شولتس يطلب اليك ان لا تنظر اليه هكذا .

فاذا بالعجوز يلتقي نظرة على ميللر ، بلا شعور ، ثم اذا

بوجهه الذى ظل الى ذلك الحين ساكناً هادئاً يسفر فجأة عن علامات خوف وامارات اضطراب قلقه . واخذ يتحرك ، فانحنى نحو قبعته وهو يشن آتة خافتة ، واسرع فتناولها وتناول عصاه ،



ثم نهض يتهياً لترك القاعة وقد لاحت على فمه ابتسامة حزينة ،  
هي الابتسامة الذليلة على فم الفقير البائس يُطرد من مكان احتله  
خطأ . هذه السرعة الطيبة الذليلة التي ظهرت على العجوز البائس  
المرتعد اثار الشفقة ، واثارت ذلك الشعور الذي يجمد القلب  
في الصدر ، فاذا بالحضور جميعا وعلى رأسهم آدم ايفانتش  
ينظرون الى الامر الآن نظرة اخرى . كان واضحا ان العجوز لا  
يمكن ان يريد الاساءة الى احد ، وانه على العكس يشعر في  
كل لحظة بأن في وسع الآخرين ان يطردوه من كل مكان ،  
طرد المتسولين .

وكان ميللر رجلا طيبا عطوفا ، فقال له وهو يربت على  
كتفه مواسيا :

— لا ، لا ، اجلس ، ان Herr<sup>(1)</sup> شولنس يرجوك  
ان لا تحدد فيه هذا التحديق . انه رجل معروف في البلاط .  
غير ان العجوز البائس لم يزدد فهما للأمر هذه المرة ايضا ،  
بل اشتد اضطرابه ، وانحنى على الارض يتناول منديله ، وهو  
مندبل ازرق قاتم تملؤه الثقوب ، سقط من قبعته . واخذ ينادي  
كلبه المتمدد على الارض بلا حراك ، كأنه غارق في نوم عميق ،  
داسا بوزه بين رجليه . نادى كلبه بصوت هرم يرتجف :

— آزوركا ، آزوركا !

الا ان آزوركا لم يتحرك .

فكرر العجوز نداءه بلهجة خائفة :

— آزوركا ، آزوركا !

<sup>(1)</sup> سيد (بالألمانية في الأصل) .

ثم هز الكلب بعصاه ، ولكن الكلب ظل على وضعه لم  
يتحرك ، وسقطت العصا من بين يدي العجوز فانحنى على  
الارض ، وجثا على ركبتيه ، ، وانهض بيديه رأس آزوركا .  
مسكين آزوركا ! لقد مات : لفظ انفاسه الاخيرة بلا ضوء  
ولا جلبة بين قدمي سيده ، لفظها ! عن شيخوخة او عن جوع ،  
من يدري ؟ ونظر اليه العجوز لحظة في ذهول ، كأنه لم يفهم  
ان آزوركا قد مات . ثم انحنى في رفق نحو هذا الذي كان  
خادمه وصديقه ، فوضع وجهه الشاحب على رأسه الساكن .  
وساد الصمت لحظة من الوقت . ورائت علينا جميعا عاطفة  
التأثر والحزن . . . وانجيرا ، نهض البائس ، وقد هرب الدم من  
جسمه ، وهو يرتعش كمن اتنايته حمى .

فقال ميللر الرؤوف يريد ان يواسي العجوز قليلا :

— يمكن ان نحنته . نعم يمكن ان نحنته جيدا . ان

فيدور كارلوفيتش كروجر يجيد التحنيط .

ثم اضاف مؤكدا ، وهو يتناول العصا من الارض ويمدها  
الى العجوز :

— ان فيدور كارلوفيتش كروجر فنان عظيم .

فقال السيد كروجر يؤيد هذا الكلام في تواضع وهو يتقدم

الى الأمام :

— نعم اني اجيد التحنيط اجادة عظيمة .

والسيد كروجر هذا ، الماني فاضل ، نحيل ، احمر الشعر ،

على افقه المعقوف نظارتان .

واضاف ميللر يقول وقد اخذت نظرتي تلتهب حماسة :

— ان فيدور كارلوفيتش كروجر موهوب في تحنيط جميع



انواع الحيوانات تحنيطا ممتازا .  
فقال السيد كروجر يدعم قول صاحبه :  
— نعم انني موهوب في تحنيط جميع انواع الحيوانات .  
ثم اضاف بقول في وثبة من السخاء العظيم :  
— وسأحنط لك كلبك مجانا .  
فصرخ آدم ايفانتش شولتس بلهجة كاسرة :  
— لا ، سأدفع لك انا اجر تحنيط الكلب !  
قال ذلك وقد تضاعفت حمرة وجهه والنهب هو الآخر  
كرما وسماحة ، وحسب نفسه سبب هذه الكوارث كلها .  
كان واضحا ان العجوز بصغي الى هذا كله دون ان  
يفهم شيئا ، وكان جسمه ما يزال يختلج ويضطرب .  
وهتف ميللر حين رأى الزائر العجيب يريد ان يذهب :  
— انتظر ! اشرب قدحا من الكونياك .  
وقدم له قدح الكونياك فتناول العجوز القدح بلا شعور ،  
الا ان يديه كانتا تضطربان فما وصل القدح الى شفثيه الا وكان  
نصف الشراب قد سفح ، ووضع القدح الى الطبق دون ان  
يدوق قطرة واحدة ، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة لا  
تناسب مع هذا الجو ، وخرج من المقهى بخطى سريعة متقطعة  
تاركا آزوركا . ظل جميع الناس واقفين مشدوهين تنطلق من  
صدورهم صيحات الدهشة والاسف ، ويقول بعضهم لبعض ،  
بالالمانية ، محملا :  
— شفيرنوت ! فاس فور ابنه غيشخنه !  
" قصة عجيبة ! يا لها من مصيبة ! (بالالمانية في الأصل) .

وهرعت في اثر العجوز .  
على بعد خطوات من المقهى ، حين تلتفت الى اليمين ،  
تجد شارعا ضيقا مظلما يعج بيوت ضخمة . الهمنى قلبى ان  
العجوز قد دار سائرا في هذا الشارع الضيق . كان البيت الثاني  
من ناحية اليمين في هذا الشارع بسبيل البناء ، تغطيه السقالات ،  
وكان الحاجز الذى يحف بالبيت يجور على الرصيف ويبلغ وسط  
الشارع الضيق ، وقد الصق بهذا الحاجز رصيف خشبي للمارة .  
في ركن قائم بين هذا الحاجز والبيت وجدت العجوز . كان  
جالسا على حافة الرصيف وقد وضع رأسه فى كفيه واسند ذراعيه  
الى ركبتيه ، فجلست الى جانبه .  
قلت وانا لا اكاد ادري كيف ابدأ :  
— لا تحزن على آزوركا . تعال ، سأوصلك الى بيتك .  
هدئ روعك . سأمضي على الفور ابحت عن عربة . اين  
تسكن ؟  
ولم يجب العجوز ، ولم أدر ماذا أعمل .  
لم يكن فى الشارع من مارة . وفجأة امسك العجوز بيدي ،  
وقال بصوت أجش ، لا يكاد يدرك :  
— انني أختنق ، أختنق !  
فهتفت وانا أنهض ، وأنهضه فى مشقة وعناء :  
— سنمضى الآن الى بيتك ، تحتسي قليلا من الشاي  
وتنام . سأذهب بك الى بيتك فى عربة . هيا حالا . وسأستدعي  
لك طبيبا ، انني أعرف طبيبا .  
ولا أتذكر الآن ما الذى قلته أيضا . واراد ان ينهض ،  
فتحامل على نفسه لحظة ، ولكنه ما لبث ان سقط ، وعاد



يدمد بصوت أجش ذي صفير . فانعطفت لازداد اقترابا منه ،  
واصغيت ، فاذا هو يحشرج :  
— جزيرة فاسيليفسكي ، الشارع السادس . . . الشارع  
السادس . . .  
وصمت .

— أتسكن في جزيرة فاسيليفسكي ؟ ولكنك لم تكن  
ذاهبا الى هناك . والا كان يجب ان تمضي الى الشمال لا الى  
اليمن . سأذهب بك الى هناك حالا .  
ولم يتحرك العجوز ، فتناولت يده ، ولكن اليد سقطت  
كأنها لا حياة فيها ، فنظرت الى وجهه ولمسته ، فعرفت انه  
مات . خيل اليّ ان كل هذه الامور قد وقعت لي في حلم .  
وقد كلفتنى هذه المغامرة كثيرا من المتاعب والمساعي  
وخلالها زالت الحمى عني من تلقاء نفسها . لقد اكتشفت شقة  
العجوز ، وظهر انه لا يقيم في جزيرة فاسيليفسكي ، وانما يقطن  
على بعد خطوتين من المكان الذي مات فيه ، في الطابق الخامس تحت  
السقف من بيت كلوجن ، في شقة مستقلة متألفة من غرفة مدخل  
صغيرة ، وحجرة واسعة ، منخفض سقفها ، ذات فجوات  
ثلاث بمثابة النوافذ . كان يعيش حياة بائسة . كان بيته لا  
يحتوي من الاثاث الا على منضدة ، وكرسیين ، وديوان عتيق  
عتيق ، صلب كأنه من حجر ، مهترئ يخرج القش من جميع  
جوانبه . وحتى هذا «الديوان» كان ملك صاحب البيت . ان  
الداخل الى هذا البيت يدرك انه ما اشتعلت فيه نار منذ امد  
طويل ، ويلاحظ كذلك ان ليس فيه شموع . وانا الآن مقتنع  
بأن العجوز ما كان يذهب الى مقهى ميللر الا ليجلس على ضوء

الشموع ، وليستدفي . ووجدنا على منضدته ابريقا من الآجر  
فارغا ، وقطعة من الخبز يابسة ، ولم نجد في بيته قرشا واحدا ،  
بل اتنا لم نجد لدفنه ملابس داخلية غير التي كان يرتديها ،  
فاضطر احدهم ان يتبرع لجثمانه بقميص . كان واضحا انه لا  
يعيش هكذا في وحدة تامة ، وان ثمة شخصا كان يأتي اليه ،  
ولو من حين الى حين ، وقد وجدنا في درج المنضدة جواز  
سفر . لقد كان المتوفى اجنيا ، الا انه من الرعايا الروس ،  
وكان اسمه إيريميا سميث ، وكان ميكانيكيا ، وله من العمر  
ثمان وسبعون سنة . وقد وجدنا على المنضدة كتابين : الاول موجز  
في الجغرافيا ، والثاني انجيل باللغة الروسية على هامشه اشارات  
كثبت بالقلم الرصاص ، وعلامات بظفر الاصبع . وقد اخذت  
هذين الكتابين وسألنا سكان البيت وصاحب البيت عن الرجل ،  
فتبين انهم لا يعرفون من امره شيئا . وكان البيت يضم عددا  
كبيرا من السكان ، كلهم من أصحاب المهن ومن النساء  
الالمانيات اللواتي يؤجرن شققا مع الطعام والخدم . ولم يستطع  
مدير البيت ، وهو من طبقة النبلاء ، ان يقول كذلك الا القليل  
عن هذا المستأجر القديم . قال انه كان يتقاضى أجر السكن  
سنة روبلات في الشهر ، وان المتوفى قد سكن في الشقة اربعة  
اشهر ، الا انه في الشهرين الاخيرين لم يدفع قرشا واحدا ،  
فكان لا بد من اخراجه من المسكن . وسألناه هل يأتي لزيارته  
زائر ، فلم يستطع ان يجيب على هذا السؤال اجابة شافية .  
ذلك أن البيت كان كبيرا والناس يذهبون ويجيئون بكثرة ، ولا  
يمكن للمرء ان يتذكر جميع من يجيئون ويذهبون . وكان البواب  
في اجازة بيلده وهو يقوم بالخدمة في هذا البيت منذ خمس



## الفصل الثاني

في ذلك الوقت ، أى منذ سنة تماما ، كنت اساهم في تحرير بعض الصحف ، وأكتب مقالات قصيرة ، واعتقد اعتقادا جازما بأننى سأتوصل الى كتابة شىء عظيم جميل . وكنت قد شرعت فى كتابة رواية كبيرة . . . ولكن الامر انتهى بأننى وجدت نفسى الآن فى المستشفى وقد اموت عما قريب . واذا كنت سأموت عما قريب ، فلا معنى ، كما يبدو ، لكتابة يوميات . . .

ولكن هذه السنة الاخيرة الشاقة من حياتي تعود الى ذاكرتي بالرغم منى فى غير انقطاع . واحب الآن ان اسجل كل شىء ، ولو لا اننى اوجدت لنفسى هذا الشاغل ، لمت ضجرا وسامة فيما اعتقد . ان تلك المشاعر الماضية تعلقني الى حد العذاب ، العذاب الكاوي . فاذا جرى بها قلبي على الورق ترتبت ونظامت وأصبحت أقل شيها بالهذيان منها الآن . هكذا اعتقد . وان للكتابة نفسها قيمتها ، فهي تهدئني وتقع بردا وسلاما على قلبي ، وتوقف عاداتي القديمة ، عادات الكاتب ، وتوجه ذكرياتي وأحلامي نحو العمل ، نحو الفعل . أجل ، انها لفكرة حسنة هذه الفكرة . ثم انني استطيع ان اوث هذه الاوراق للخادم : انه على الاقل سيلصقها حول النوافذ حين يضع أطر الشتاء . . هذا ، وقد بدأت قصتي من منتصفها ، لا ادري لماذا . واذا كنت اريد حقا ان اكتب ، فينبغي ان ابدأ من البداية . هيا بنا الى البداية . ان قصة حياتي التي سأرويها لن تكون طويلة على كل حال .

سنين ، ولعله كان يمكن ان يوضح لنا بعض الامور ، الا انه قد سافر الى بلده منذ خمسة عشر يوما ، وترك ابن اخيه ينوب عنه في عمله ، وهو شاب صغير لم يعرف بعد نصف المستأجرين معرفة شخصية . ولا ادري على وجه الدقة كيف انتهى هذا التحقيق ، الا اننا اخيرا دفنا العجوز . وكان مما كلفت به نفسى من اعمال ومساع ان ذهبت اثناء تلك الايام الى جزيرة فاسيليفسكي ، الشارع السادس ، وما ضحكك من نفسي الا حين وصلت الى هناك ! ما عسى ان ارى فى الشارع السادس غير صفوف من البيوت العادية ؟ ولكنني نساءلت : « ترى لماذا ذكر العجوز وهو يموت ، الشارع السادس وجزيرة فاسيليفسكي ؟ ترى أكان يهذى ؟ »

وزرت مسكن سميت خاليا فأعجبني ، فحجزته ، ذلك انه يتوفر فيه شىء هام ، وهو ان الغرفة واسعة ، وان كانت واطنة جدا . كان يتراءى لى فى الايام الاولى ان رأسي سيصطدم بالسقف فى كل لحظة . الا انني سرعان ما تعودت . والحق انه ما كان لي ان اجد مسكنا احسن من هذا المسكن بستة روبلات فى الشهر . كان يسكرني طربا ان اشعر اننى فى بيتي . ولم يبق الا ان اهتم بأمر الخدمة ، ذلك انه كان من المستحيل ان يعيش المرء فى هذا المسكن دون ان يخدمه احد قط ، ووعدني البواب بأن يمر بي مرة كل يوم ، فى المدة الاولى على الاقل . قلت لنفسى : « من يدري ! فلعل أحدا يأتي مستغرا عن العجوز . ومع ذلك انقضى على موته خمسة ايام دون ان يأتي احد . »



لم أولد هنا ، وانما ولدت في مقاطعة ن . . . البعيدة .  
يجب ان نفترض ان اهلي كانوا اناسا محترمين ، الا انهم  
تركوني يتيما منذ الطفولة ، فنشأت في بيت نيقولاي سرجيتش  
إخمينيف ، وهو رجل من صغار الملاكين كفلني بدافع الشفقة ، ولم يكن  
له من الاولاد الا ابنة وحيدة ، هي ناتاشا ، اصغر مني بثلاث سنين .  
فنشأنا معا ، كما ينشأ أخ واخت . آه يا طفولتي العزيزة ! ما  
ابله ان اتحسر عليك وانا في الخامسة والعشرين من العمر ، والا  
احتفظ منك قبيل موتي الا بذكرى تفيض حماسة وحرارة  
واحتراما !

كانت الشمس في تلك الايام مشرقة ملتزمة ، تختاف  
عن شمس بطرسبرج ، وكانت قلوبنا الصغيرة تخفق بكثير من  
الحميا والنشوة والفرح ! وفي تلك الايام كانت تحيط بنا ، من  
حولنا ، حقول وغابات ، لا كتل من احجار مينة كالتى تحيط  
بنا اليوم . ما أجمل حديقة فاسيليفسكويه التى كان نيقولاي  
سرجيتش مديرها . فى تلك الحديقة كنا ننتزه ، أنا وناتاشا ،  
وكانت هناك ، بعد الحديقة ، غابة كبيرة رطبة ، تهنا فيها ذات  
يوم من ايام الطفولة . . . ما أجمل ذلك العهد ! ما أروع !  
كانت الحياة تكشف لنا عن نفسها لأول مرة ، سحرية فائقة ،  
وكانت روحنا تمتلئ نشوة بمعرفتها ! لكأن وراء كل شجرة ،  
وكل دغل ، كائنا سرىا يحيا حياة مجهولة . كان هذا العالم  
الخيالى يختلط فى ذهننا بالعالم الواقعي وحين يتكاثف ضباب  
المساء فى الوديان العميقة ، ويعلق الادغال خصلات بيضاء  
كالسباخ ، ويلتصق بأغوار وادينا الكبير ، كنا ، انا وناتاشا ،  
نلقى على الوهدة نظرات مستطلعة خائفة ، وقد امسك كل منا

بيد الآخر ، ونتوقع ان ينبجس منه أحد على حين غرة ،  
يناديننا من قلب الضباب فى اغوار الوادي ، وكانت حكايات  
خادمنا العجوز تصبح فى نظرنا هى الحقيقة عينها . وفى ذات  
يوم ، بعد مدة طويلة من ذلك ، تذكرت ناتاشا كيف احضروا  
لنا فى احد الايام كتاب «قراءة الطفل» . ، وأنا هربنا فوراً  
الى الحديقة ، من ناحية الغدير ، وجلسنا على مقعدنا  
المفضل الذى كان يقع تحت شجرة كثيفة من اشجار الجميز ،  
وبدأنا هنالك نقرأ اسطورة «الفونس ودالندا» . السحرية . حتى  
الآن لا استطع ان اتذكر تلك الحكاية دون ان تقوم فى نفسي  
ثورة داخلية غريبة . وحين ذكرت ناتاشا ، بعد ذلك بستين ،  
بالسطين الاولين من هذه الحكاية : «ولد الفونس ، بطل  
القصة ، فى البرتغال ، اما أبوه دون رامير . . . الخ ، كدت  
انفجر باكيا . لا شك ان ذلك بدا مضحكا الى ابعد الحدود ،  
ولعل هذا هو الذى جعل ناتاشا تبسم لحماستي تلك ابتسامة  
غريبة جدا . على ان ناتاشا ما لبثت ان عادت الى نفسها  
(اذكر ذلك) واخذت هى نفسها تذكرني بالماضي رجاء ان  
تواسينى ، حتى انها شعرت بالتأثر هى الأخرى . كانت تلك  
الليلة رائعة ! تذكرنا كل شىء : اليوم الذى ارسلت فيه الى  
مدرسة داخلية فى مركز المقاطعة (يا الهى ما أكثر ما بكييت فى  
ذلك اليوم ! ) ثم فراقنا الأخير ، يوم ودعت فاسيليفسكويه  
الوداع الأخير ! كنت قد انهيت دراستي فى المدرسة الداخلية ،  
وكنت ذاهبا الى بطرسبرج لأدخل الجامعة ، كنت يومئذ فى  
السابعة عشرة من عمري ، وكانت هى تناهز الخامسة عشرة .  
تقول ناتاشا كنت يومئذ من الخراقة بحيث لا يسع مَنْ



يراني الا أن يضحك . وفي لحظة الوداع ، مضيت بها الى ركن بعيد ، لافضي اليها بأمر هام الى أقصى حد . الا أن لساني تجمد على حين غرة وخرس ، واعتراضي ارتباك . انها تتذكر أنني كنت في اضطراب عظيم . وواضح أن الحديث لم يبدأ . كنت لا أدري ماذا اقول ، ولعلها ما كان لها ان تفهم ما أقول لو قلت شيئا واخذت أبكي بكاء مرا ، وذهبت دون ان أنبس بكلمة . ولم نلتق مرة اخرى الا بعد ذلك بمدة طويلة ، في بطرسبرج . كان لقاؤنا منذ ستين تقريبا . لقد جاء إخميتيف العجوز الى بطرسبرج لبعض أمره ، وكنت قد سرت في طريق الادب منذ قليل .

### الفصل الثالث

كان نيقولاي سرجيتش إخميتيف سليل عائلة نبيلة ، لكنها فقرت منذ زمن طويل ، بيد انه ورث عن أبويه أرضا واسعة ، ومائة وخمسين نفسا . وفي نحو العشرين من عمره دخل في سلاح الفرسان . كانت حياته تسير على أحسن حال ، الى ان اتفق في ذات مساء تعيس ، بعد ست سنين من الخدمة ، ان فقد في القمار كل ما يملك . فلم يجد سييلا الى النوم ليلته تلك كلها . وفي مساء غد ، ظهر مرة اخرى في قاعة اللعب ، وقامر على حصانه ، وهو آخر شيء بقي له ، فربح ، وما فتئ يراهن مرة بعد مرة حتى استرد ، بعد نصف ساعة ، احدى قراره ، وهي قرية صغيرة تدعى إخميتيفكا ، عدد سكانها خمسون نسمة حسب الاحصاء الاخير ، فتوقف عن اللعب ،

ولما جاء الغد ، طلب احالته الى التقاعد ، وهكذا فقد مائة نفس بلا رجعة . وبعد شهرين احيل الى التقاعد برتبة ملازم اول ، فمضى الى قرينته الصغيرة ، ولم يتحدث منذ ذلك اليوم خلال حياته كلها عن تلك الخسارة التي مني بها في اللعب ، وكان قادرا رغم ما عرف عنه من طيب القلب ان يتشاجر مع كل من تسول له نفسه التحدث عن تلك الخسارة . وفي قرينته انصرف الى ادارة أملاكه في همة ونشاط ، حتى اذا بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، تزوج فتاة نبيلة فقيرة ، هي آندريفنا شوميلوفا التي لم تكن تملك ابة بائنة ، ولكنها تلقت تعليمها في مدرسة نبيلة بمركز المقاطعة ، هي مدرسة مون ريفيش ، وكانت تنبأه طوال حياتها بأنها تربت في تلك المدرسة ، رغم انه ما كان لأحد ان يعرف ماذا كانت تلك التربية على وجه الدقة . وبرهن نيقولاي سرجيتش على انه مدير ممتاز ، فكان المالكون من جيرانه يتعلمون منه كيف تدار الاملاك . وكانت قد انقضت على ذلك سنون عديدة ، حين وصل من بطرسبرج ، فجأة ، الى الارض المجاورة لارضه ، الى قرية فاسيليفسكويه التي يبلغ عدد سكانها تسعمائة نسمة ، صاحبها الامير بيتر الكسندروفتش فالكوفسكي ، فأثار وصوله جلبه كبيرة في جميع الاراضي المجاورة . كان الامير ما يزال شابا وان لم يكن في ريعان الشباب . وكان في رتبة عالية ، وكان على صلوات بالمقامات العليا ، وكان رجلا جميلا ، وغنيا ، وكان بعد هذا كله أرمل ، وهذا امر يهم سيدات المنطقة وفتياتها كثيرا من غير شك . وتناقل الناس حديث الحفاوة البالغة التي استقبله بها حاكم المقاطعة ، وهو يمت اليه ببعض القربى ،



وقالوا «ان سيدات المدينة يُهرن بلطفه ورقته» الخ الخ . وصفوة القول ان الامير كان من ألمع شخصيات المجتمع الراقي في بطرسبرج ، هذه الشخصيات التي قلما تظهر في الاقاليم ، والتي اذا جاءت الى الاقاليم ، أحدث مجيئها جلبه وكثيرا من الاهتمام . على ان الامير لم يكن في الواقع لطيفا رقيق الحاشية ، لا سيما مع اولئك الذين ليس في حاجة اليهم ، والذين يرى انهم دونه ولو بقليل ؛ حتى انه لم يتنازل ان يتعرف الى جيرانه من الملاكين ، وسرعان ما نشأ عن ذلك ان اصبح له أعداء كثيرون . وما اشد ما دهش الناس حين عن له فجأة ان يزور نيقولاي سرجييتش . والواقع ان نيقولاي سرجييتش هو من اقرب جيرانه . استقبل الامير في منزل اسرة إخمينيف استقبالا حافلا ، وافتتن به الزوجان كلاهما ، وخاصة آنا آندريفنا التي تحمست لزيارته كثيرا . وما هي الا مدة يسيرة حتى اصبح الامير من اصدقائهما الحميمين ، فكان يأتي لزيارتهما في كل يوم ، ويدعوهما الى منزله ، ويروي لهما النوادر والملح ، ويغني ويعزف على البيانو السيء الذي يملكانه ، ودهش الزوجان أشد الدهشة : كيف يمكن ان يقال عن رجل مثله رقيق الحاشية لطيف محب انه صلف متعجرف قاس اناني ، كما كان يجمع على ادعاء ذلك كل الجيران ؟ يجب ان نعتقد على كل حال ان الامير قد استلطف نيقولاي سرجييتش فعلا ، هذا الرجل الغر البسيط المستقيم التزيه النبيل . ثم ان كل شيء قد اتضح بعد مدة وجيزة . لقد جاء الامير الى فاسيليفسكويه لكي يطرد وكيله ، وهو رجل الماني مستهتر ، طماع اختصاصي في الزراعة ، ذو شعر ايض جليل محترم ، ونظارتين ، وانف اقنى ، ولكنه رغم

كل هذه المزايا كان يسرق بلا حياء ولا اعتدال ، وكان فوق ذلك قد قتل بالجلد عدة فلاحين . وقد عرف ايفان كارلوفيتش اخيرا على حقيقته وضبط ، فأخذ يبدي استياءه ويتحدث عن الامانة الالمانية ، ومع ذلك لم يسع الأمير الا ان يطرده ، بل لقد طرده شر طردة . وكان الامير في حاجة الى وكيل ، فوقع اختياره على نيقولاي سرجييتش ، وهو مدير ممتاز ، واشرف الناس طرا ، ما في ذلك شك . ولعل الامير كان يتمنى كثيرا ان يتقدم نيقولاي سرجييتش من تلقاء نفسه ، يقترح ان يكون مديرا لأملاك الامير . الا ان هذا لم يقع ، وفي ذات صباح تقدم الامير بهذا العرض ، في كثير من الاحترام والمودة . فرفض إخمينيف في اول الامر ، الا ان ضخامة الراتب قد اغرت آنا آندريفنا ، كما ان الامير قد ضاعف لطفه ورقته وتودده ، فبدد ذلك تردد إخمينيف ، وبلغ الامير هدفه . يجب ان نعتقد ان الامير يعرف الناس خبير معرفة . وقد ادرك حق الادراك ، خلال هذه الفترة القصيرة التي انعقدت فيها الصلات بينه وبين اسرة إخمينيف ، انه ازاء رجل ممتاز ، وفهم ان عليه ان يستميل إخمينيف بمظاهر المودة والصداقة ، وان يشده اليه من القلب ، والا فليس للمال من وزن لدى إخمينيف . ثم ان الامير في حاجة الى وكيل يستطيع ان يثق به ثقة عمياء وان يطمئن اليه اطمئنانا مطلقا الى الابد ، حتى لا يحتاج الى وضع قدميه مرة اخرى فسي فاسيليفسكويه ، فعلى هذا انعقدت نيته . وقد بلغ من افتتان إخمينيف به ان هذا الاخير قد آمن حقا بصداقته . ان نيقولاي سرجييتش واحد من اولئك الرجال الممتازين ، الحالمةين ، السذج ، الذين تعج بهم بلادنا ، روسيا ، اولئك الرجال



## الفصل الرابع

سبق ان قلت انه أرمل . كان قد تزوج في ريعان شبابه ، وكان زواجه قائما على الطمع في المال . لم يكن قد ورث عن ابيه ، اللذين فقدوا كل ثروتهما في موسكو ، أى شيء تقريبا . وكانت فاسيليفسكويه قد رهننت وفك رهنها عدة مرات . وكان الامير مدينا بأموال طائلة . وفي الثانية والعشرين من عمره ، اضطر الى العمل في احدى الوزارات بموسكو ، وكان لا يملك شوى نقير ، فدخل الحياة اشبه «بشحاذ سليل اسرة عريقة» ، الا انه تزوج باينة احد تجار الخمر ، وهي ابنة متقدمة في السن ، فأنقذه زواجه هذا مما كان فيه من فقر وعوز . وقد خدعه حموه في امر البائنة ، ومع ذلك استطاع بفضل مال امرأته ان يسرد ارض اسرته وان يعيدها الى حالها . وكانت ابنة البائع هذه التي كتب عليه ان يتزوجها لا تكاد تعرف الكتابة ، ولا تجيد ان تضم كلمتين احداها الى الاخرى ، وكانت دميمة ، لا تملك الا مزية هامة واحدة ، هي انها طيبة القلب مطواعة . وقد استغل الامير هذه المزية احسن استغلال . وترك الامير زوجته بعد سنة من زواجهما ، وكانت قد انجبت له ولدا ، تركها هي والولد لأبيها بموسكو ، وسافر هو يعمل في مقاطعة من . . . حيث استطاع بفضل وساطة وحماية قريب له شهير بيطرسبرج ، ان يحصل على وظيفة مرموقة . كانت نفسه في ظلماً الى المنزلة العالية والتقدم والحياة الراقية ، واذا أدرك انه لا يستطيع ان يعيش مع امرأته في بيطرسبرج او في موسكو ، قرر ان يبدأ في الاقاليم ، بانظار نحقق ما هو أحسن من ذلك . ويقال انه منذ السنة

الطيبين الذين متى احبوا احدا (يعلم الله لماذا) محضوه الحب خالصا ونذروا انفسهم له ، ومضوا في تعلقهم به احيانا الى حد يعث على الضحك . وانقضت على ذلك سنون . وازدهرت املاك الامير ازدهارا عظيما . وظلت علاقات المالك بوكيله صافية لم يعكرها احد من الطرفين ، ولكنها كانت تقتصر على مراسلات عادية جافة تتعلق بالاعمال . وكان الامير لا يتدخل في امور الادارة التي تولها نيقولاي سرجيتش ، غير انه كان يسدي اليه احيانا ببعض النصائح ، فكانت هذه النصائح تلقى من نيقولاي سرجيتش الدهشة والاعجاب ، لما تشتمل عليه من روح عملية واقعية . كان واضحا ان الامير لا يكره النفقات الكثيرة فحسب ، بل يعرف كذلك كيف يحصل المال ، ومن اين تؤكل الكتف . وبعد خمس سنين أو ست من زيارته فاسيليفسكويه ، ارسل الى نيقولاي سرجيتش وكالة تخوله شراء أرض ممتازة من هذه المنطقة نفسها ، يسكنها اربعمائة نفس . وطار لب نيقولاي سرجيتش فرحا ، لقد كان يتابع نجاح الامير وتقدمه كأنه أخوه . الا ان فرحته بلغت اقصاها حين بعث اليه الامير ذات يوم ببرهان جديد رائع على ثقته به ، واليكم كيف تم ذلك . . . غير انني أرى أنه لا مندوحة لي من ذكر بعض خصائص حياة هذا الامير فالكوفسكي ، الذي هو احدى الشخصيات الرئيسية في قصتي هذه .



الاولى من حياته مع امرأته كاد يقتلها بغلاظته وفضاظته . وكانت هذه الشائعة تثير حتى نيقولاي سرجيتش دائما ، فكان يدافع عن الامير في حرارة وحماسة ، مؤكدا ان الامير لا يمكن ان يقترب امرا شائنا ، وبعد سبع سنين او ثمان ماتت الاميرة ، فما لبث زوجها الذى ظل ارملة ، ان مضى يقيم فى بطرسبرج وحتى فى بطرسبرج كان ظهوره امرا يثير الانتباه . انه ما يزال شابا ، وهو وسيم الطلعة ، ثري ، اوتى مزايا بارعة ، وذكاه لا ينكر ، وذوقا ، ومرحا لا ينضب معينه ، وكان يبدو انه لا ينشد السعادة ولا الحماية ، وانما يطلب الدعة والاستقلال . وتحدث عنه جميع الناس فقالوا ان فيه ما يفتن ويسحر ويسيطر . واعجبت به النساء ايما اعجاب ، انعقدت بينه وبين احدى ربات الجمال فى المجتمع الراقي علاقة افتضح امرها ، فزاده ذلك نجاحا مع السيدات . وكان يبذل المال فى سخاء ، رغم احساسه القوي الفطري بالاقتصاد الذى يبلغ احيانا حد البخل ، وكان يخسر اموالا طائلة على موائد اللعب حين يجب ذلك ، دون ان يتحرك حاجباه بتقطيب يسير . الا انه لم يأت الى بطرسبرج نشدانا للهو ، وانما كان عليه ان يوطد اقدامه ، وان يعزز مركزه . وتوصل الامير الى اهدافه . ان الكونت ناينسكي ، قريبه الشهير ، الذى ما كان ليلتفت اليه لو قد جاء الى بطرسبرج رجلا عاديا ، قد اذهله ما احرز من نجاح فى المجتمع ، فرأى ان من الممكن ومن الضروري ان يلتفت اليه التفاتا خاصا ، حتى لقد رضي ان يأخذ الى بيته ابنه الصغير الذى يبلغ من العمر سبع سنين ، ليتولى تربيته . وفى هذه الفترة انما تقع رحلة الامير الى فاسيلفسكويه ، وصدافته مع اسرة إخمينييف . وحصل

اخيرا بواسطة الكونت على وظيفة هامة فى احدى كبريات سفاراتنا ، فسافر الى الخارج . وبعد ذلك اصبحت الشائعات التى سارت بين الناس بصدده غامضة بعض الغموض ، قيل فيما قيل انه قد وقعت له فى الخارج مغامرة مزعجة ، ولكن لم يستطع احد ان يعرف شيئا عن حقيقة هذه المغامرة . ولم يعرف الناس الا انه استطاع ان يزيد املاكه اربعمائة نفس ، كما اشترت الى ذلك فيما سبق . ثم لم يعد من الخارج الا بعد عدة سنين ، وكانت رتبته قد علت ، وعين فورا لوظيفة هامة فى بطرسبرج . وقال الناس فى إخمينييفكا انه على وشك الزواج الثانى بفتاة من اسرة قديمة غنية شهيرة . وقال نيقولاي سرجيتش وهو يفرك يديه سرورا : «هذا سيد عظيم» . وكنت ايامئذ فى الجامعة ببطرسبرج ، واذكر ان إخمينييف كتب اليّ ذات يوم يطلب مني ان افهم هل لهذه الشائعة ما يبررها ، وكتب الى الامير يسأله ان يشملني بحمايته ورعايته ، الا ان الامير لم يجبه على رسالته ولم استطع الا ان اعلم ان ابن الامير الذى تربى اولا فى منزل الكونت ، ثم فى المدرسة الثانوية ، قد أتى الى بطرسبرج يتم دراسته فى العلوم ، وهو فى التاسعة عشرة من عمره . فكتب الى إخمينييف فى ذلك وذكرت له ان الامير يحب ابنه كثيرا ، ويحيطه بجميع ضروب العناية والتدليل ، ويفكر فى مستقبله منذ الآن . وكنت قد علمت ذلك كله من الطلاب رفاق الامير الشاب . وفى تلك البرهة انما تلقى نيقولاي سرجيتش من الامير ، ذات صباح ، رسالة صعقته من الدهشة . ان الامير الذى اقتصر حتى ذلك الحين فى علاقاته بنيقولاي سرجيتش على مراسلات جافة تتعلق بالاعمال ، كما



اشرت الى ذلك من قبل ، بصف له الآن في رسالته تلك  
حباته العائلية تفصيلا ، بلهجة ودية لا تحفظ فيها ولا كلفة .  
انه يشتكي من ابنه ، ويقول ان سلوكه سبى بحز في نفسه ،  
وان كان لا ينبغي ان نسرف في النظر نظرة الجدل الى  
طيش طفل مثله (كان واضحا انه يحاول ان يبرئه) ، قد قرر  
ان يرسله الى الريف يقضى فترة من الوقت تحت اشراف  
إخمينيف . وقال الامير في رسالته انه يعتمد اعتمادا كاملا على  
صديقه الممتاز النبيل نيقولاي سرجيتش ، وعلى آنا آندريفنا  
بوجه خاص ، فهو يرجوهما ان يقبلا ولده الطائش في بيتهما ،  
وان يردها الى الصواب في الوحدة ، وان يجباه اذا كان هذا  
ممكنا ، وان يصلحا من طبعه العاث على وجه الخصوص ،  
«وان يثا فيه المبادئ السليمة القاسية ، هذه المبادئ التي لا  
غنى عنها في الحياة .» . وبديهي ان إخمينيف العجوز قد قبل  
هذه المهمة بفرح عظيم . وصل الامير الشاب ، فاستقبلته اسرة  
إخمينيف كأنه ابنها . وما هي الا برهة قصيرة حتى احبه نيقولاي  
سرجيتش حبا جامحا شديدا كما كان يحب ابنته ناتاشا .  
وحتى بعد القطيعة النهائية التي وقعت بين الامير واسرة إخمينيف  
ظل العجوز يتحدث احيانا في صفاء ومرح عن أليوشا ، وهو  
الاسم الذي تعود ان ينادي به الامير الصغير ألكسي بتروفش .  
والحق ان الامير الصغير كان فتى رائعا : كان فتى جميلا ،  
ضعيفا ، عصيبا كامرأة ، ولكنه مرح بسيط ، أوفى نفسا كريمة  
قادرة على الاحساس بأنبال المشاعر ، وقلبا محبا مستقيما يعرف  
الجميل . وقد اصبح معبود اسرة إخمينيف ، وكان لا يزال  
طفلا تماما رغم انه في التاسعة عشرة من عمره . كان من الصعب

على المرء ان يتصور الاسباب التي حملت اياه على ابعاده هذا  
الابعاد ، رغم انه يحبه كثيرا فيما يقولون . وقبل فيما قيل ان  
الفتى كان يعيش في بطرسبرج حياة فراغ وطيش ، وانه كان  
لا يحب ان يعمل ، وانه كان لذلك يؤلم والده اشد الالام .  
ولم يتجه نيقولاي سرجيتش الى أليوشا بسؤال ، لأن الامير  
بيوتر الكسندروفش قد اخفى في رسالته السبب الذي حمله على  
ابعاد ولده . وتحدث الناس كذلك عن حماقة لا تغتفر ارتكبتها  
أليوشا ، عن علاقة له بسيدة ، وعن دعوة الى مبارزة . وعن  
خسارة فادحة في القمار . بل لقد المعوا الى اموال اوتمن عليها  
فأنفقها . وسارت كذلك شائعة تقول ان الامير قرر ابعاد ابنه لا  
لخطيئة ارتكبتها الابن ، بل لانانية في نفس الأب . وكان  
نيقولاي سرجيتش يدفع هذه الشائعة في قوة ، ويستاء منها  
اشد الاستياء ، لا سيما وانه لاحظ ان أليوشا يحب اياه حبا لا  
حدود له ، اياه الذي لم يعرفه خلال مدة طفولته وشبابه كلها ،  
ويتحدث عنه في كثير من الحماسة والحميا ، وكان واضحا ان  
الابن خاضع لتأثير ابيه خضوعا تاما . وكان أليوشا يشير في  
بعض الاحيان الى كونتيسة غازلها هو وابوه في آن واحد والى  
انه غلب اياه ، فغضب ابوه غضبا شديدا : كان يروي هذه  
الحادثة دائما في ضحكة مرحة ذات رنين . الا ان نيقولاي  
سرجيتش سرعان ما كان يوقفه عن الكلام . وكان ألكسي يؤيد  
كذلك الشائعة القائلة ان اياه يريد ان يتزوج مرة اخرى .  
انقضى على الابن في منفاه ما يقرب من سنة . وكان  
يعث الى ابيه ، في مواعيد محددة ، برسائل مترنة رصينة ،  
ويبلغ من تألفه اخيرا مع فاسيليفسكويه انه حين أتى ابوه الى



الريف في الصيف (وكان قد اخبر بذلك أسرة إخمينيف مقدما)  
طلب اليه هو نفسه ان يسمح له بالبقاء أطول مدة ممكنة في  
فاسيليفسكويه ، مؤكدا ان الحياة بالريف هي الحياة التي تناسبه .  
كانت قرارات ونزوات ألبوشا تصدر كلها عن فرط حساسيته  
العصبية ، وعن قلبه الحار العنيف ، وعن خفته التي تبلغ أحيانا  
حد المحال ، وعن استعداده النادر للتأثر بأى مؤثر ، وعن  
فقدان الإرادة فقدانا تاما . ونظر الامير الى طلبه هذا نظرة  
ارتياب . . . وعلى العموم ، فان نيقولاي سرجيتش قد انكر  
«صديقه» القديم : لقد تغير الامير بيوتر الكسندروفنش تغيرا  
هائلا . وأصبح ، على حين فجأة ، بشاكس نيقولاي سرجيتش  
وبعائده معاندة شديدة . وحين راجع حساب الارض اظهر  
شراهة كريهة وبخلا شنيعا وريبة لا تفهم . وقد احزن ذلك  
إخمينيف الممتاز الى اعماق نفسه ، وظل مدة طويلة يحاول ان  
لا يصدق عينيه . لقد جرى كل شيء في هذه المرة على خلاف  
ما جرى في المرة الاولى حين زار الامير فاسيليفسكويه منذ أربع  
عشرة سنة . وقد حرص الامير على ان يتعرف الى جميع الجيران ،  
من ذوي المكانة طبعاً . ولكنه أصبح لا يذهب لزيارة نيقولاي  
سرجيتش ، وأصبح يعامله معاملة رئيس لمؤسس ، وفجأة وقع  
حادث لا يفهم : وقعت قطعة عنيفة بين الامير ونيقولاي  
سرجيتش ، ليس لها سبب ظاهر . وصار الناس يسمعون من  
كلا الطرفين شتائم في حق الآخر . واستاء إخمينيف استياء  
شديدا فترك فاسيليفسكويه ، الا ان الامر لم يقف عند هذا  
الحد ، اذا انتشرت في جميع ضواحي المنطقة ، على حين  
غرة ، وشايات مشينة . قالوا فيما قالوا ان نيقولاي سرجيتش ،

وقد عرف طبع الامير الصغير ، حاول ان يستغل جميع عيوبه  
لمصلحته ، وان ابنته ناتاشا (وكانت في السابعة عشرة من عمرها)  
عرفت كيف توقع الفتى في حبال حبها ، وان الاب والام  
يرعبان هذا الحب ، وان تظاهرا بأنهما لا يلاحظان شيئا ،  
وان ناتاشا ، هذه الفتاة الماكرة التي «لا اخلاق لها» قد سحرت  
لب الفتى تماما ، حتى انه بتأثيرها ظل سنة كاملة لا يكاد  
يرى اية فتاة من الفتيات النييلات ، صادقات النبالة ، اللواتي  
تعج بهن البيوت الشريفة في الاراضي المجاورة . وقالوا ان  
العشيقين قد عزموا امرهما على الزواج ، في قرية جريجوريفنو  
الواقعة على بعد خمسة عشر فرسخا من فاسيليفسكويه ، على  
غير علم من أبوى ناتاشا ، في الظاهر ، وعلى علم منهما في  
الواقع ، فهما يعرفان تفاصيل الامر ، وهما اللذان دربا ابنتهما  
وقادا خطواتها الى ذلك . وصفوة القول : ما من كتاب برمته  
يمكن أن يستوعب كل ما لفته الثرثارون من الجنسين في المنطقة  
بهذا الصدد . ولكن الاعجب من هذا كله ان الامير قد صدق  
هذا الكلام ، بل انه قد جاء الى فاسيليفسكويه لهذا الغرض ،  
على اثر وشاية بعث بها صاحبها الى الامير في رسالة لم يذيلها  
بتوقيعه . وبديهي أنه ما كان لاحد يعرف نيقولاي سرجيتش ولو  
قليلا ، ان يصدق كلمة واحدة من هذه الاتهامات التي الصقت  
به ، ومع ذلك فان جميع الناس قد اضطربوا ، وثرثروا ،  
ونقدوا ، وهزوا الرؤوس . . . وادانوه اذانة قاطعة . وكان إخمينيف  
أصلف من ان يبرى ابنته امام المرجفين . ومنع امرأته منعا باتا  
من الدخول مع الجيران في اية مناقشة وتوضيح . اما ناتاشا التي  
قالوا في حقها هذه الاقاويل كلها فانها بعد انقضاء سنة كاملة



الى إخمينيف فى غير حق . الا ان الاهانة التى وجهها كل من الطرفين الى الآخر كانت فادحة جدا ، حتى لم يبق محل للصلح وقد بذل الامير الحائق قصاره ليحول الدعوى فى الوجة التى تنفق ومصالحته ، اى حاول جهده ان يعتصب من وكيله السابق آخر لقمة يسد بها رمقه .

### الفصل الخامس

اذن لقد أتت اسرة إخمينيف الى بطرسبرج تستقر فيها . لن اصف لقائى مع ناتاشا بعد طول البعاد . حسبي ان اذكر انها خلال هذه السنين الاربع لم تبرح مخيلتي قط . صحيح اننى ما كنت افهم على وجه الدقة العاطفة التى كانت تقوم فى نفسي حين كنت افكر فيها ، غير اننى سرعان ما ادركت حين لقيتها ان القدر قد وعدني بها . وفى اول الامر ، فى الايام التى اعقبت وصولهم ، تراءى لى أنها ما نمت خلال هذه السنين ، لكنها ما تغيرت ابدا ، لكنها ما زالت الطفلة الصغيرة التى عرفتها . الا اننى بعد ذلك كنت اكتشف لديها فى كل يوم صفة جديدة اجهلها ، صفة جديدة كأنها خبثت عني على قصد ، وما كان اسعدني بهذا الاكتشاف ! وكان العجوز فى المدة الاولى من اقامته ببطرسبرج عصيبا مضطربا عنيفا . كانت قضيته تسير سيرا سيئا : فكان يتألم ويحتمق ويخرج عن طوره . ولا بنى ينظر فى اوراقه وملفاته ، ولا يتسع وقته للالتفات اليها . اما آنا آندريفنا فكانت كمن طاش صوابه ، وكانت فى اول الامر لا هم لها الا التفكير . وكانت بطرسبرج تخيفها . فكانت

على ذلك لم تعرف من امر هذه الاقاول شيئا ، فقد كسوا عنها هذه القصة فى كثير من الحذر ، فكانت خلال كله مرحلة بريئة كطفلة فى الثانية عشرة من العمر . وفى اثناء ذلك كانت الخصومة تتفاقم . ولم يهدأ روع الساعة . حتى لقد ظهر واشون وشهود استطاعوا ان يقنعوا الامير بأن هذه الادارة الطويلة التى تولاها نيقولاى سرجيتش لم تكن مثال الامانة والتزاهة . بل زعموا اكثر من ذلك . قالوا ان نيقولاى سرجيتش قد أخفى عن الامير ، منذ ثلاث سنين ، اثناء بيع غابة صغيرة ، اثني عشر ألف روبل من القضة ، وانهم يستطيعون ان يثبتوا ذلك اثباتا واضحا شرعيا امام القاضي ، لا سيما وان بيع هذه الغابة قد تم بدون وكالة من الامير ، وان نيقولاى سرجيتش قد تصرف فى هذا الامر على هواه ، وانه لم يقنع الامير بضرورة البيع الا بعد انقضاء مدة على البيع ، وانه دفع للامير ، ثمنا للغابة ، مبلغا اقل بكثير من المبلغ الذى تقاضاه فعلا . وواضح أن هذا كله كان محض افتراء ، وقد ثبت ذلك فيما بعد ، غير ان الامير قد صدق كل شيء ونعت نيقولاى سرجيتش على رؤوس الاشهاد بأنه لص . ولم يحتمل إخمينيف هذه الشتيمة ، فرد عليها بمثلهما . وتبع ذلك شجار فظيع . واقامت الدعوى على الفور . وسرعان ما خسر نيقولاى سرجيتش الدعوى ، اذ اعوزته بعض الوثائق ، ولأنه ما من أحد يحميه ، وما من سابق خبرة له فيما ينبغى القيام به فى مثل هذه الشئون . وحجزت املاكه . جن جنون العجوز ، فترك كل شيء ، وقرر ان يقيم فى بطرسبرج ليلاحق قضيته بنفسه . وترك فى الريف رجلا مجربا يثق به . ولعل الامير قد فهم بسرعة انه قد اساء



تأوه وترتجف وتبكي حسرة على حياتها السابقة ، وعلى  
إخمينيفكا ، وعلى ان ناتاشا في سن الزواج وليس هنالك من  
يفكر فيها ، وكانت تسترسل في الافضاء بأسرارها التي لعدم  
وجود سامع آخر اخلق مني بهذه المسارات الصداقية .

وفي تلك الفترة بالذات ، اي قبل وصولهم بمدة قليلة ،  
كنت قد فرغت من كتابة روايتي الاولى التي استهللت بها حياتي  
الادبية . وكنت في حيرة من أمري لا ادري كيف اصرف الرواية .  
ولم اكن قد تحدثت عنها الى اسرة إخمينيف . وكانوا قد انبوني  
على اني اعيش بغير عمل ، لا ألتحق بخدمة ولا احاول ان  
اجد وظيفة . وكان العجوز يوجه اليّ نقدا مرا لاذعا ، ويفعل  
ذلك طبعاً بدافع ما يحمل لي في نفسه من حب الأب لابنه .  
وكنت من جهتي استحي ان احدثهم عن العمل الذي اقوم به .  
ثم كيف ابلغهم وجها لوجه اني لا انوي ان اجد وظيفة بل  
احب ان اكتب روايات ؟ لهذا كذبت عليهم حتى ذلك الحين ،  
فزعمت اني لم اجد عملاً ، وانني بصدد البحث عن عمل .  
ولم يكن وقت نيقولاي سرجينتش بمتسع للتحقيق في صدق  
هذه المزاعم . واذكر ان ناتاشا التي كانت تستمع الى احاديثنا  
جرتني ذات يوم الى ركن منعزل ، وقد لاح في وجهها معنى  
غريب ، وتضرعت الي باكية ان افكر في مستقبلي ، ثم طرحت  
علي بعض الاسئلة ، محاولة ان تعرف ماذا اعمل على وجه  
الدقة ، وعندما لم افض اليها بشيء ، حملتني على ان اعاهدها  
ان لا اضيع نفسي في حياة الفراغ والكسل . صحيح انه برغم  
انني لم اعترف لها ايضاً بمشاغلي ، ولكنني اذكر انني كنت  
اؤثر على جميع ما قاله النقاد في روايتي من تقريظ عظيم ، وعلى جميع

المديح الذي سمعته فيما بعد ، كنت اؤثر على هذا كله كلمة  
واحدة من التشجيع تخرج من بين شفتي ناتاشا .  
وظهرت روايتي اخيراً . وكانت قد احدثت ضجة في عالم  
الادب من قبل ان تظهر بمدة طويلة . ما كان اشد فرحة  
ب . . . . حين قرأها مخطوطة . . . لقد فرح كطفل . اما انا  
فان سعادتني لم تشرق في تلك الدقائق الاولى المسكرة التي  
ترافق النجاح ، بل حين لم اكن قد قرأت الرواية لاحد ولا  
عرضتها على احد : في تلك الليالي الطويلة التي ملأتها حمياً  
الامل ، وطبوف الاحلام ، والانكفاء الجامح على العمل ، في  
تلك الساعات التي عشت فيها مع خيالي ، مع الشخصيات التي  
خلقتها كائنات حقيقية لا وهمية كأنها من اقربائي . كنت احب  
هذه الشخصيات ، افرح معها واحزن معها ، وكثيراً ما اذرف دموعاً صادقة  
سخية من الحزن على بطلتي الشاحب . لا استطع ان اصف الفرح  
الذي شاع في وجه العجوزين لما احزرت من نجاح . لقد دهشا  
في اول الامر دهشة عظيمة ، وبدا لهما ذلك غريباً الى ابعد  
حدود الغرابة . اما آنا آندريفنا فانها لم تستطع ان تصدق ان  
الكاتب الجديد الذي يحتفل به الجميع ويقرظه الجميع ، هو فانيا  
عينه ، فانيا الذي . . الخ الخ وكانت تهز رأسها استغراباً .  
على ان العجوز ظل مدة طويلة في غير اطمئنان ، بل لقد  
اصبح في رعب ، واخذ يأسف على تضييعي حياة الوظيفة ،  
ويتحدث عن الحياة المضطربة المستهتره التي يحيها الكتاب  
بوجه عام . الا ان استمرار حديث الناس عن روايتي ، وما  
كانت تنشره الصحف من ملاحظات ، وكلمات الاطراء التي  
سمعتها من شخصيات يعتقد بصدقها واخلاصها ، كل ذلك



حمله على تغيير رأيه . وحين رأى أخيراً أنني أصبحت على حين  
غرة أملك مالا ، وحين عرف أي مبلغ من المال يمكن أن  
يربحه المرء من عمل أدبي ، زال تردده نهائياً ، وانتقل من  
الشك إلى إيمان مطلق حار ، وسرّ لسعادتي كما يسر طفل ،  
وسرعان ما استسلم لآمال عريضة مجنونة ، واحلام ساطعة باهرة  
فيما يتعلق بمستقبلي ، فكان في كل يوم يتصور لي مشاريع  
جديدة ، وما كان أكثر مشاريعه ! وأصبح ينظر إليّ بشيء من  
الاعتبار لم اعهدده فيه من قبل . على أنني أذكر أن شكوكه  
كانت تعاوده من حين إلى حين ، ونصيب القلب من احلامه  
وآماله ، وتشيع فيه القلق من جديد .  
« كاتب ، شاعر ، شيء مضحك . . متى استطاع شاعر  
أن يشق طريقه ، وأن يحتل منزلة عالية ؟ كل هؤلاء الناس  
غاوون مغرورون لا يصلحون لشيء » .  
وقد لاحظت أن هذه الشكوك والاسئلة الشائكة كانت  
تتوارد إلى ذهنه في الغالب الأعم حين هبوط الغسق . (أتذكر  
تلك التفاصيل بكل دقتها وذلك الزمن العزيز على قلبي) . كان  
صاحبنا العجوز يصبح عند المساء أكثر عصبية واهتياجاً وارتباباً .  
وكنا ، أنا وناناشا ، نعرف ذلك ، ومنتظرة ضاحكين منه . وأذكر  
أنني كنت أرفه عن العجوز بأن أقص عليه نوادر عن سوماروكوف .  
الذي عين جنرالاً ، وعن درجافين . الذي أهديت إليه علبة  
ملأى بالنقود الذهبية ، وعن الزيارة التي قامت بها الامبراطورة  
للمونوسوف . . . . . وكنت أحدثه عن بوشكين . وجوجل .  
فكان ، ولعله يسمع هذه الاقاصيص لأول مرة ، يرد  
عليّ بقوله :

— اعرف هذا ايها الاخ ، اعرف كل هذا . . هم ! اسمع  
يا فانيا ، يسرني على كل حال ان طيخك ليس من شعر .  
الاشعار ، يا عزيزي ، خزعبلات . لا تناقشني ، ولا تعاندني ،  
صدق هذا العجوز الذي يتحدث اليك . انا لا اريد لك الا  
الخير . الشعر خزعبلات وترهات باطلة وعمل لا يجدي !  
حسن ان ينظم الشعر طلاب المدارس الثانوية ، اما انتم الشباب  
فالشعر يقودكم الى مستشفى المجانين . لنسلم بأن بوشكين كان  
رجلاً عظيماً ، من يجادل ؟ ولكن اعماله اشعار ، لا أكثر ! . .  
اشياء زائلة . . . على أنني لم اقرأ له الا قليلاً . . اما الثر فشيء  
آخر ! في الثر يستطيع الكاتب ان يتقف . ان يتحدث عن  
حب الوطن ، او عن الفضائل بوجه عام . . نعم ! أنا لا احسن  
التعبير عن أفكاري يا عزيزي ، ولكنك تفهم ما أريد أن أقوله :  
وانما أقول لك ذلك لأنني أحبك .  
وفيما هو يقول هذا الكلام أتيت بكتابي وجلسنا جميعاً  
نتناول الشاي حول المائدة المستديرة . فأردف العجوز يقول  
بلهجة من يشعر أنه يرعاني ويحميني :  
— نعم ، نعم ، اقرأ لنا هذا . اقرأ لنا ما كتبت هاهنا .  
ان الناس يتحدثون عنك كثيراً . سنرى ، سنرى .  
فتحت الكتاب ونهيات للقراءة . كانت روايتي قد خرجت  
من المطبعة في ذلك المساء نفسه ، فما ان حصلت على نسخة  
منها حتى هرعت إلى منزل أسرة إخمينيف لأقرأها .  
كان يوسفني جداً أنني لم استطع أن أقرأها لهم قبل ذلك  
في المخطوطة التي كانت بين يدي الناشر ! لقد بكت ناناشا  
ألماً ، وأبنتني وقرعتني على ان غيرها يطلع على آثارني قبل ان



تطلع عليها هي . ولكن ها نحن اولاء جالسون حول المنضدة  
المستديرة . واصطنع العجوز هيئة جادة ناقدة . كان يريد ان  
يصدر حكمه في قسوة ، وان «يكون رأيه بنفسه» . والعجوزة كذلك  
اصطنعت هيئة وقورة جليبة ، حتى لتوشك ان ترتدي قبعتها  
الجديدة احتفالا بهذا الاجتماع الذي تحلقنا فيه للقراءة .  
كانت قد لاحظت منذ زمن طويل أنني انظر الى ابتها الفاتنة  
ناتاشا نظرة حب عميق ، وان فكري يتقد حين أراها ، وان  
نظري يضطرب حين اتوجه اليها بكلام ، وان ناتاشا ، هي  
الاخرى ، أصبحت تلقى علي نظرات احد من نظراتها السابقة .  
نعم ! جاءت أخيرا هذه اللحظة ، جاءت في برهة نجاح  
وآمال واسعة ، وفي قلب السعادة المطلقة . لقد جاء كل شيء  
في آن واحد ، دفعة واحدة . وكانت العجوزة قد لاحظت أيضا  
ان زوجها أخذ بطرني وبثني علي كثيرا ، وينظر الينا أنا وناتاشا  
نظرة خاصة . وفجأة يخامر العجوزة خوف : رغم كل شيء  
لست كونتا ولا أميرا ، حتى ولا مستشارا في الحقوق ، شابا  
ذكيا جميلا ! ان آنا آندريفنا لا تحب انصاف الرغبات .  
كانت تقول لنفسها عني : «ان الناس يغبطونه ، لا  
أدري لماذا . كاتب ، شاعر . . وماذا ان يكون امرؤ كاتباً ؟»

## الفصل السادس

قرأت لهم روايتي في جلسة واحدة . بدأنا بعد احتساء  
الشاي فورا ، وسهرنا حتى الساعة الثانية من الصباح . في أول

الامر كان العجوز يقطب ما بين حاجبيه . كان ينتظر ان يسمع  
شيئا ربيعاً لا يدرك ، شيئاً قد لا يفهمه ولكنه ربيع ، فاذا هو ،  
بدلاً من ذلك ، لا يسمع الا وقائع يومية مبتذلة معروفة هي  
ما يقع حولنا في كل يوم . كان ينبغي ان يكون البطل شخصاً  
عظيماً ، او شخصاً طريفاً ، أو رجلاً من رجال التاريخ ، على  
طرز روسلافيف . أو يوري ميلوسلافسكي . . وها هو ذا يرى ان  
البطل في قصتي موظف صغير هين الشأن . بل غسبي بعض  
الشيء ، وحتى لم يبق على سترته من ازار . وانا أروي قصته  
بأسلوب بسيط ، بسيط جداً ، لا يزيد ولا ينقص عن اللغة  
التي يتخاطب بها الناس كل يوم . . شيء غريب ! . وكانت  
العجوزة تلقى علي نيقولاى سرجييتش نظرات حائرة مستهمة ، بل  
كانت تصرخ خدها كأن شيئاً قد أزعجها . كنت أقرأ في وجهها :  
«هل يستحق هذا الكلام أن يُطبع في كتاب ، وهل تستحق  
هذه السخافات ان تُسمع ، وان يدفع ثمنها مال ؟» أما ناتاشا  
فكانت تصغي اصغاء شديداً ، وتتلقف الكلام في شراهة  
واضحة ، ولا تحول بصرها عني ابداً ، وتنظر الي شفتي كيف  
تلفظان كل كلمة من الكلمات بل كانت شفناها الجميلتان  
تتحركان مع شفتي والآن هل تصدقون ؟ انني قبل ان أنهي  
قراءة نصف الكتاب كانت الدموع تنهمر من اعين جميع  
مستمعي . كانت آنا آندريفنا تبكي بكاء صادقا ، وتشارك  
بطلني آلامه ، وتتمنى مخلصه لو تستطيع ان تعينه في شقائه  
(فهمت ذلك من تأوهاتنا وحركاتها) . اما العجوز فقد ترك  
جميع احلام العظمة والرفعة ، وقال : «يرى المرء في البداية ان  
القصة ليست ذات بال . . الا انها تأبسر اللب . انها تفهم المرء



ما يدور حوله ، وتذكره به ، فيشعر ان كل انسان ، مهما يكن  
خامل الذكر ، فهو انسان ، فهو أخ . وكانت ناتاشا تصفى  
الي القصة ، فتنهمر الدموع من عينيها ، وتشد على يدي من  
تحت المنضدة خلسة ، بقوة ، حتى اذا انتهت القصة ،  
نهضت من مكانها ، وكان خداهما ملتھين كالجمر احمرارا ،  
وكانت تترقق في مآقيها دموع صغيرة . وفجأة أمسكت بيدي ،  
فقبلتها ، وتركت الغرفة راقضة . فتبادل ابوها وامها نظرة صامتة .  
قال العجوز ، وقد شدته حركة ابنته :

— هم . . انها شديدة الحماسة ! لا بأس مع ذلك ،  
لا بأس ، هذه حماسة كريمة نبيلة .  
ثم دمدم وهو يسحب نظرتة نحو امرأته :  
— انها ابنة طيبة . .

كان يريد ان يري ابنته ، ويريد في الوقت نفسه ان  
يبرئني .

ولكن آنا آندريفنا ، على الرغم من انها كانت منفعة نوعا ما  
اثناء القراءة ومتأثرة ، فقد راحت تنظر الآن نظرة من يريد ان  
يقول : «ان ألكسندر المقدوني هو بطل بالطبع ، ولكن لماذا  
تعظم الكراسي ؟» .

وما لبثت ناتاشا ان عادت مرحة سعيدة ، فلما مرت  
بجانبي ، قرصتني دون ان تقول كلمة واحدة . كان العجوز  
يهم ان يبدأ اعلان رأيه «الجددي» في قصتي ، الا انه لفرحه  
لم يستطع ان يكبح جماح نفسه ، فاسترسل في حماسة يقول :  
— قصتك جميلة يا عزيزي فانيا ، قصتك جميلة يا  
صديقي . لقد سررت بها ، سررت بها جدا . لم أكن اتوقع

هذا . صحيح انها لا تتناول موضوعا عظيما ، لا تتناول موضوعا  
رفيعا . . هذا واضح . هناك في مكثبي كتاب «تحرير  
موسكوف» ، ألقوه في موسكو نفسها ، فمتى قرأ المرء السطر  
الاول من تلك القصص شعر انه يحلق في الفضاءات  
العل ، كالنسر ، ان صح التعبير . ولكن الامر في قصتك ،  
يا عزيزي ، أبسط من ذلك ، واقرب الى الافهام . ولهذا  
السبب نفسه انما تعجبني قصتك . ان المرء يفهمها في يسر !  
انها اقرب الى النفس ان صح التعبير . . . كأن كل ما تتحدث  
عنه قد وقع لي أنا نفسي ! ما قيمة تلك الموضوعات النبيلة  
التي لا نفهم منها شيئا ؟ غير انني لو كنت في مكانك ، لعنيت  
بالاسلوب أكثر من ذلك . . . انت ترى انني اطرى قصتك ،  
ولكن مهما يكن من امر فان قصتك تعوزها الرفعة . . . على  
كل حال ، لا بأس ، الآن فات الاوان . . . فالكتاب قد  
طبع وانتهى الامر . . ولكن ربما في الطبعة الثانية ؟ سيطلع  
الكتاب طبعة ثانية ، فيما أظن ؟ وسيدر عليك مالا جديدا ،  
هم ؟

قالت آنا آندريفنا :  
— هل يعقل ان تكون قد ربحت كل هذا المال ؟  
ان المرء لينظر اليك فما يكاد يصدق ! آه يا الهي ، انظروا  
مقابل أي شيء يدفعون نقودا الآن !  
وتابع العجوز كلامه ، وقد ازداد حماسة :

— صحيح ، يا فانيا ، ان عملك هذا ليس وظيفة ،  
الا انه مهنة على كل حال . سيقراً قصتك كثير من كبار  
الشخصيات . ثم لقد ذكرت لي ان جوجول . كان يتقاضى



زاتبا من الحكومة فى كل سنة ، وانهم اوفدوه الى الخارج .  
لبنهم يفعلون هذا لك ايضا ؟ هذا ممكن ، أليس كذلك ؟  
ولكن لعل الاوان لم يحن بعد ! يجب ان تكتب اشياء اخرى  
ايضا ، أليس كذلك ؟ اذن اكتب يا عزيزى ، اكتب بلا  
ابطاء ! لا تنهون فى الكتابة ! يجب ان لا ينام المرء بعد  
احراز النجاح فى العمل ! فلا داعى للكسل !  
قال ذلك فى لهجة المؤمن الذى لا يخامره ريب ، وفى  
نيل لم يسعنى معه ان اوقفه عن الاسترسال فى الاحلام ، وان  
ابرد خياله . واستأنف يقول :  
— ثم ان من الممكن مثلا ان يهدوا اليك علبة ملائى  
بتقود ذهبية . لم لا ؟ ليس للهبات حدود ولا قواعد . قد  
يجبون ان يشجعوك فى عملك .  
ثم اضاف بصوت منخفض ولهجة رصينة وهو يغمز بعينه  
اليسرى :  
— ومن يدري ، فقد تستقبل فى البلاط ! أم لا ؟ لعل  
الوقت لم يحن بعد ؟  
وقالت آنا أندريفنا فيما يشبه الغضب :  
— أمعقول فى البلاط !  
فأجبت وانا اضحك ملء قلبى :  
— لم يبق الا ان تجعلوني جنرالا .  
واخذ العجوز نفسه يضحك . لقد كان راضيا كل الرضى ،  
مرتاحا كل الارتياح !  
وكانت ناتاشا تهىء لنا العشاء اثناء ذلك ، فهتفت تقول :  
— هلا تفضل صاحب المعالى بالنهوض الى المائدة !

وانفجرت ضاحكة ، وركضت نحو ابيها ، فعانقته بذراعيها  
الملتهيتين عناقا قويا ، وهى تقول :  
— أبت ، أبت العزيز !  
وتأثر العجوز فربت على خد ناتاشا الذى اصبح بلون  
الارجوان ، وكان يحب ان يفعل ذلك لدى اول فرصة تسنح ،  
وقال :  
— ما اكثر حساسيتك . هيا ، هيا . اننى أقول هذا  
بلا تفكير . سواء أكنت جنرالا ام لم تكن ، هيا بنا الآن الى  
العشاء . اسمع يا فانيا : اننى قلت ذلك لأننى احبك ولئن  
لم تكن جنرالا (وهبهات) لأنت على كل حال شخصية شهيرة ،  
أنت مؤلف !  
فاعرضت ناتاشا تقول :  
— يقولون الآن «كاتب» ، يا أبى .  
— ولا يقولون «مؤلف» ؟ لم اكن اعرف ذلك . اذن  
فلنقل «كاتب» . هذا ما أردت ان اقله على كل حال . طبعا  
لن يسموك رئيس البلاط ، لأنك كتبت قصة ، وما ينبغي ان  
تفكر فى هذا ، ولكن فى وسعك ان تشق طريقك : مثلا ، ان  
تصبح «ملحقا» فى احدى السفارات . يمكن ان ترسل الى  
الخارج ، الى ايطاليا لتسترد صحتك ، او الى مكان آخر ،  
لتنهى دراستك . هذا ممكن ، من يدري ! وقد يقدمون لك  
مساعدات مالية . طبعا ينبغي لك ، من جهتك ، ان تسلك  
سلوكا نبلا ، أن يكون هذا مكافأة لك على عملك ، يجب  
ان تنال المال واللقاب جزاء عمل حقيقي تقوم به وليس بفضل  
الوساطة .



فأضافت أنا أندريفنا وهي تضحك :

— ولكن عليك ان لا تكون عندئذ صلفا متكبرا !

وقالت ناتاشا :

— ويجب ، خاصة ، يا أبت ، ان يمنح وساما ،

والا فما قيمة هذا كله ؟

قالت ذلك وقرصتني في ذراعي مرة اخرى .

ونظر العجوز الى ناتاشا في زهو ، وكان خداهما ملتهبين ،

وكانت عيناها الصغيرتان تلمعان في مرح ، كنتجمتين ، وقال :

— انها تسخر مني دائما . . . ربما اكون قد اسرفت في

الخيال كثيرا يا اولادي . ولكن هذا شأنني دائما . كذلك كنت

في حياتي كلها . . . ولكن ، يا فانيا ، حين أنظر اليك أرى

انك بسيط جدا . . .

— اوه ، أبت ، كيف تريد له ان يكون !

— لا . ليس هذا ما اردت ان اقله . مع ذلك ، يا

فانيا . . . ان وجهك ليس وجه شاعر . يقولون عن الشعراء ان

وجوههم شاحبة ، وان شعرهم طويل ، وان في عيونهم شيئا . . .

مثال ذلك جوته وغيره . لقد قرأت هذا في كتاب «آبادونا» . . .

ماذا ؟ هل قلت سخافة جديدة ؟ ما هذه البنت التي تفهقه

على حسابي ؟ انا ، يا اصدقائي ، لست مثقفا ، ولكني

استطيع ان احس وان اشعر . على كل حال دعونا من الوجه ،

ليس هذا بالمصيبة الكبرى . . . انا ارى وجهك جميلا ، انه

يعجبني كثيرا . ليس هذا ما اردت ان اقله . . . ولكن يجب

ان تكون شريفا ، يا فانيا ، يجب ان تكون رجلا شريفا .

هذا هو الشيء الاساسي . يجب ان تعيش حياة شريفة ، وان

لا تصرف في حسن الظن بنفسك . ان الطريق واسعة امامك .

قم بعملك في اخلاص . ذلك ما اردت ان اقله ، ذلك

على وجه الدقة ما اردت ان اقله . . .

يا له من عهد جميل ! كنت اقضي في منزلهم جميع

ساعات فراغي ، جميع سهراتي . وكنت احمل الى العجوز

ابناء العالم الادبي ، وابناء الادباء الذين اخذ على حين غرة—

يعلم الله لماذا— يعني بأمرهم في شغف قوي ، حتى لقد

اخذ بقرأ مقالات النقد التي يكتبها ب . . . كنت قد حدثته

عنه كثيرا ، وكان هو لا يكاد يفهمه ، الا انه كان يطربه في

حماسة ويشكو شكوى مرة من خصومه الذين يكتبون في جريدة

«عسوب الشمال» . . .

وكانت العجوز تراقبنا ، انا وناتاشا ، في بقعة تامة .

الا انها لم تفاجئنا يوما ! كنا قد تبادلنا انا وناتاشا كلمة :

القيت عليها سؤالا ، فخفضت رأسها ودمدمت بصوت منخفض

تقول : نعم . ولكن العجوزين قد عرفا الامر كذلك . لقد

حزنا ، وفكرا ، وظلت أنا أندريفنا مدة طويلة تهز رأسها . كان

ذلك يبدو لها غريبا ، رهيبا . لم تكن تثق بي . فكانت

تقول :

— لقد وقتت الى الآن يا ايفان بتروفتش ، وطار صيتك

بين الناس ، ولكن هب انك لم توفق في المستقبل ، فما

عسى ان يقع حينذاك ؟ أليس من الافضل ان تجد لك وظيفة

ما ؟

وعزم العجوز امره ، بعد ان فكر مدة طويلة ، فقال ذات

يوم :



— اسمع ما سأقوله لك يا فانيا : لقد رأيت ولاحظت ..  
واعترف لك انه يسرني ان تكونا انت وناشاشا . . فلا بأس في  
هذا الامر ابدا . ولكن يا فانيا ما زلتما صغيرين كلاكما ، وأرى  
ان آنا أندريفتنا على حق . يحسن ان نترث . انك تنعم بموهبة  
ممتازة . . ولكن الموهبة شيء والعبقرية شيء آخر . انك لا تنعم  
بعبقرية كما زعموا ذلك من قبل ، وانما تنعم بموهبة ، موهبة  
لا أكثر (بالأمس كنت اقرأ النقد الذي كتبوه عنك في «يعسوب  
الشمال» ، ولقد نعتوك نعوتا سيئة ، ولكن لا قيمة لهذه الجريدة) .  
نعم ، ان الامر على ما ترى : الموهبة ليست بالثروة الطائلة .  
وانما فقيران كلاكما . لنتظر سنة ونصف سنة ، او لنتظر سنة  
على اقل تقدير ، فاذا سارت الاحوال على ما يرام ، ووسخت  
قدماك في هذا الطريق ، كانت ناشاشا لك . اما اذا لم توفق ،  
فانني اترك البت في الامر لك . انت رجل شريف ، فكّر في  
الامر . . .

ووقفت المسألة عند هذا الحد . واليكم ما حدث بعد  
سنة :  
نعم ، كان ذلك بعد سنة على وجه الدقة تقريبا . في  
يوم صباح من ايام ايلول ، دخلت على العجوزين قبل المساء ،  
مريضا ، مرهق الروح ، وتهاالكت على كرسي كمن اغشى عليه ،  
حتى راودهما خوف حين رأيتني على هذه الحال . ولكن لئن  
اخذ رأسي يدور حينذاك ، ولئن كان قلبي من شدة الحزن  
بحيث انني اقتربت من باب البيت عشر مرات ، وعشر مرات  
ارتددت عنه دون ان ادخل ، فما ذلك لانني لم اوفق في  
مهتي ، ولا لانني لم احصل بعد على المجد ولا على المال ؟

ولا لانني لم أعين بعد ملحقا ولا أرسلت الى ايطاليا لاسترد  
صحتي ، بل لان الانسان يمكن ان يعيش عشر سنين في  
سنة ، ولان ناشاشا قد عاشت خلال هذه السنة ، عشر سنين ،  
هي الاخرى . كانت ثمة «اللانهاية» تفصل بيننا الآن .  
ها أناذا جالس امام العجوز ، صامتا ، اعجن حوافي  
قبعتي المشوهة ، بيد ذاهلة . كنت جالسا انتظر ان تدخل  
ناشاشا ، لا ادري لماذا ! كانت ملابسي فقيرة خالقة ، وكنت  
اشعر بأنني مريض . كنت قد نحلت وهزلت وجهها وجسما ،  
أصبحت شاحبا ، ولكن هيهات ان يشبه وجهي في شحوبه وجه  
شاعر ، وفي عيني ما كانت تلتصع تلك الروعة وتلك العظمة التي  
طالما فكر فيهما الطيب نيقولاي سرجينتش . وكانت العجوزة  
تنظر اليّ في شفقة غير متكلفة ، وكأنها تفكر بينها وبين نفسها  
قائلة : «أهذا هو الذي اوشك ان يكون خطيب ناشاشا . . اللهم  
مغفرتك وعونك !» — سألتني في صوت متأوه ما زال يرن في  
اذني الى الآن :

— هل لك بقليل من الشاي يا ايفان بتروفنتش ؟ (وكان  
السماور يغلي فوق المائدة) . كيف حالك يا عزيزي ؟ انك  
تبدو مريضا .

ما زلت اراها كأنها امامي . انها تكلمني وفي عينيها بلوح  
هم آخر ، هو ذلك الهم نفسه الذي جعل نظرة زوجها في هذه  
اللحظة مظلمة قاتمة وهو جالس امام فنجان الشاي الذي يبرد  
غارق في افكاره وتأملاته . كنت اعلم ان قضيتهم مع الامير  
فالكوفسكي لم تسر وفق مصلحتهم ، وانهم في هذه اللحظة  
مهمون بها كثيرا ، وان ثمة مزعجات اخرى قد وقعت لهم



وأفضت بنيقولاي سرجيتش الى حالة المرض . فالأمير الصغير  
الذى هو اصل هذه الدعوى كلها ، قد انتهز الفرصة منذ خمسة  
اشهر او ستة ، فزار اسرة إخمينيف فاستقبله العجوز ، الذى كان  
يحب «عزيزه» أليوشا كأنه ولده ، ويأتي على ذكره فى كل يوم  
تقريبا ، استقبله فى فرح . اما أنا أندريفنا فنذكرت عندئذ  
فاسيليفسكويه فامتلات عينها بالدموع . واخذ أليوشا يتردد اليهم  
وزادت زيارته لهم ، على غير علم من ابيه ، ورفض نيقولاي  
سرجيتش ، فى استياء ، ان يحتاط للأمر ، لانه رجل شريف  
صريح مستقيم ، انه ، لإبائه ونبله ، لم يشأ حتى ان يفكر فيما  
عسى ان يقوله الامير لو عرف ان ابنه يُستقبل من جديد فى بيت  
إخمينيف ، وكان فى دخيلة نفسه يحقر كل هذه الشكوك .  
ولكن العجوز لم يكن يعلم هل له من القوة ما يمكنه من احتمال  
اهانات جديدة . وأصبح الامير الصغير يأتي الى زيارتهم فى كل  
يوم تقريبا ، وكان العجوزان يقضيان معه اوقانا طويلة ممتعة ،  
وكان يبقى فى المنزل سهرات بكاملها ، الى ما بعد منتصف  
الليل فى كثير من الاحيان . وطبيعي ان يحيط الاب علما بكل  
شئ فى آخر الامر . وقد فسح ذلك مجالا لأشنع الاقاويل  
والتخرصات . فأرسل الامير الى نيقولاي سرجيتش رسالة مهينة  
فظيعة تحمل ذلك الاتهام القديم نفسه . وحظر على ابنه حظرا  
قاطعا ان يزور اسرة إخمينيف . وقع هذا قبل زيارتي بأسبوعين .  
كان العجوز قد انحدر الى حزن عميق . كيف ؟ أتفهم ابنته  
الحبيبة ناتاشا ، مرة اخرى ، فى افتراءات حقيرة سافلة كهذه ؟  
ان الرجل الذى قد اهانه من قبل نعت ناتاشا باسم مشين . وهل  
يترك هو هذا كله دون ان يطلب تسوية كريمة ! واصابه المرض

من شدة الالم حتى لزم فراشه فى الايام الاولى من ذلك .  
كنت اعلم هذا كله . فقد وصلتنى القصة جملة وتفصيلا ،  
رغم اننى فى المدة الاخيرة ، منذ ما يقرب من ثلاثة اسابيع ،  
كنت مريضا مرهقا ، فلزمت سريري فى بيتي ولم اجيء الى  
زيارتهم قط . ولكننى كنت اعلم ايضا . . . كلا ، بل كنت  
اقدر ، او اعلم على غير يقين ان هنالك شيئا آخر ، غير هذه  
القصة ، يقلقهم اكثر من اى شئ فى العالم . كنت ألاحظهم  
فى قلق معذب وخوف رهيب . نعم ، كنت خائفا معذبا .  
كنت خائفا من ان احزر الحقيقة ، كنت خائفا من الاعتقاد  
بالامر الواقع ، كنت اتمنى بكل قواي ان أبعد الدقيقة الحاسمة .  
ومع ذلك فأننى ما جئت اليهم الا لهذا الغرض . كنت فى  
ذلك مدفوعا اليهم دفعا لا حيلة لي فى رده .

سألنى العجوز فجأة ، كأنه يسترد صوابه :  
— نعم يا فانيا ، ألم تكن مريضا ؟ لماذا لم تأت الينا  
خلال هذه المدة كلها ؟ اننى مقصر فى حقك : وقد هممت  
غير مرة ان اذهب اليك ازورك ، فكان يحول بيني وبين ذلك  
امر طارئ .

وأخذ العجوز يفكر من جديد . اجبته :

— كنت مريضا .

فكرر بعد خمس دقائق :

— مريض ، ها هى النتيجة ! لقد نصحتك فى ذلك

اليوم ، وحذرتك ، فلم تصغ الى كلامي . هم ! لا يا عزيزي

فانيا ، لقد عاشت الهة الفن دائما ، جائعة ، فى كوخ متداع ،

وستظل كذلك . نعم . . .



لا ! ما كان العجوز خلي البال مشرق المزاج ، ولو لم يكن مجروح القلب لما حدثني عن الهمة الفن الجائعة . ونظرت الى وجهه ، فاذا هو شاحب شديد الشحوب ، وفي عينيه قلق وحيرة وفكرة اتخذت شكل سؤال لا قبل له بحله . كان عنيفا قارصا ، على خلاف عادته . وكانت امرأته تنظر اليه في قلق ، وتهز رأسها من حين الى حين ، حتى اذا حوّل نظره عنا لحظة من اللحظات نظرت الي مشيرة اليه خلسة بحركة من رأسها . سألتُ آنا أندريفنا التي بدا الهمّ جاثما على صدرها خانقا :

— كيف حال ناتاليا نيقولايفنا ؟ أهي في البيت ؟

فأجابت تقول ، وكأنّ سؤالي هذا قد اربكها :

— نعم نعم ، يا عزيزي . ستأتي على الفور لكي تلقي عليك نظرة ، ثلاثة اسابيع لا تراك خلالها ! هل من المعقول هذا ؟ لقد اصبح غريبا امرها . لا يستطيع المرء ان يعرف أهي مريضة ام غير مريضة . الله يحميها ! ونظرت الى زوجها وجلة ، فأجاب نيقولاي سرجينش متكلفا وهو يغص بكلامه :

— ماذا تقولين ؟ ليس بها شيء . ان البنت تكبر ، ولم تعد طفلة صغيرة . هذا كل ما في الامر ومنذا الذي يستطيع ان يفهم احزان الفتيات ونزواتهن ؟ فقالت آنا أندريفنا في لهجة مرة :

— ليتها كانت نزوات !

وسكت العجوز ، واخذ يتقر بأصابه على المنضدة . سألت نفسي وانا اوجس شرا مستطيرا : «رباه ! أليكون

قد وقع بينهما شيء ؟ . واستأنف العجوز يسألني : وكيف الحال عندكم هناك ؟ ألا يزال ب . . يكتب

نقدا ؟

قلت :

— نعم .

قال في غير مبالاة :

— النقد ! هه ! ما قيمة هذه الاشياء كلها ؟ . .

انفتح الباب ودخلت ناتاشا .

## الفصل السابع

كانت تحمل قبعتها بيدها ، فلما دخلت وضعتها على البيانو ، ثم اقتربت مني ومدت اليّ يدها صامتة ، وكانت شفتاها تختلجان اختلاجا خفيفا ، كأنما هي تريد ان تقول بضع كلمات على سبيل الترحيب ، غير انها لم تقل شيئا .

لم أكن رأيتها منذ ثلاثة أسابيع . واخذت انظر اليها الآن في حيرة ووعب . ما اشد ما تغيرت خلال هذه الاسابيع الثلاثة ! وانهد قلبي ألما حين رأيت خديها شاحبين ، غائرين ، وشفتيها يابستين كأن قد جففتهما حمى ، وحين رأيت عينيهما تتقدان تحت اهدابها الطويلة بنار عنيفة وبنوع من العزيمة الوحشية . ولكن ، يا الهى ، ما كان اروع جمالها في تلك اللحظة ! ما رأيتها في حياتي ، لا قبل ذلك اليوم المشؤوم ، ولا بعده ،



في مثل هذا الجمال القاتن ! أهذه هي بعينها ناتاشا ، أهذه هي بعينها تلك البنت الصغيرة التي كانت منذ سنة ، تصغي اليّ وأنا أقرأ قصتي ، لا تحول عني بصرها ، وتحرك شفتيها كأنها تقرأ معي ، وتضحك ذلك الضحك المرح كضحك الاطفال وتمزح في ذلك المساء مع ابيها ومعى اثناء تناول طعام العشاء ؟ أهذه هي بعينها ناتاشا التي قالت لي يومئذ في هذه الغرفة ، وقد انخفض رأسها واصطبغ وجهها بحمرة قانية : نعم ؟ ودوى صوت ناقوس اصم يدعو الى صلاة المساء ، فارتجفت ناتاشا ، ووسمت العجوز اشارة الصليب .

— كنت تنوين الذهاب الى صلاة المساء يا ناتاشا ، وما هو ذا الناقوس يدق . هيا اذهبي يا صغيرتي ، هيا اذهبي يا صغيرتي ، هيا اذهبي الى الصلاة ، الحمد لله على ان الكنيسة غير بعيدة ! وبذهابك الى الصلاة تقومين بنزهة صغيرة ! لماذا تحبين نفسك في البيت ؟ انظري كم انت شاحبة ! لكأنك يا بنيتي قد اصبت بعين .

قالت ناتاشا ببطء وبما يشبه الهمس :

— قد . . لا . . اذهب . . اليوم .

ثم اضافت وقد ازداد شحوب وجهها :

— أشعر بأنني مريضة .

— بل الاحسن ان تخرجي يا ناتاشا . كنت تريدان الخروج منذ هنيهة ، حتى لقد جثت بقبعتك . اذهبي الى الصلاة يا بنيتي ، اذهبي الى الصلاة ، عسى ربك ان يرّد اليك عافيتك . قالت آنا آندريفنا ذلك تشجع ابنتها ، وهي تنظر اليها في وجل كأنما تخشاها .

— نعم نعم . اذهبي الى الصلاة يا ناتاشا وسيكون لك من ذلك نزهة قصيرة . ان امك على حق فيما تقول . . .

وسبّحك فانيا .  
ترأت لي بسمة مرة تطوف في شفتي ناتاشا ، واقتربت ناتاشا من البيانو ، فتناولت قبعتها ، ووضعتها على رأسها ، ويداها ترتجفان . . .

كانت كأنها تتحرك بلا شعور ، كأنها لا تفهم شيئا مما تعمل . وكان ابواها يتابعان حركاتها في انتباه شديد .

قالت بصوت لا يكاد يسمع :

— وداعا !

— علام الوداع يا ملاكي ! انك غير ذاهبة الى بعيد ! على ان هذه النزهة القصيرة ستفيدك كثيرا ، ستنشقين الهواء النقي . انظري كم انت شاحبة . ها ! نسبت (انتي أنسى كل شيء) ، لقد فرغت من صنع حجابك . ووضعت فيه دعاء مكتوبا . لقد علمتني اياه راهبة من كيف في السنة الماضية . دعاء مفيد . احمليه يا ناتاشا ، يا ملاكي . اسأل الله ان يمن عليك بالصحة . ليس لنا غيرك يا بنيتي .

قالت العجوز ذلك واخرجت ، من منضدة شغلها ، الصليب الصغير ، صليب تعميد ناتاشا ، وقد علق في سلكه حجاب خيط منذ قليل .

اضافت العجوز وهي تمد الصليب الى ناتاشا ، وتصلب :  
— احمليه يا بنيتي ، ففيه البركة والعافية . في الماضي ، كنت ارسوم لك اشارة الصليب هكذا كل مساء ، قبل ان تنامي ، وكنت ادعو لك ، وكنت ترددين معي الدعاء . اما الآن فقد



تغيرت يا ناناशा ! ان صلوات امك نفسها لا تخفف عنك !  
وغرقت العجوز بدموعها .

قبلت ناناशा يدها دون ان تقول كلمة ، واتجهت نحو  
الباب . ولكنها تراجعت فجأة ، واقتربت من ايها . كان صدرها  
يرتجف من شدة الانفعال . وقالت بصوت مختنق وهي تنهالك  
على ركبتيها امامه :

— صلب انت ايضا يا أبت .

وظللنا جميعا واقفين ، مضطربين لهذه الحركة المفاجئة . وظل  
ابوها ينظر اليها خلال لحظات ، حائرا لا يفهم ، ثم صاح  
والدموع تنفجر من عينه :

— حبيبتى ناناशा ، بنتى الصغيرة ، عزيزتى ، ماذا بك ؟  
ما الذى يعذبك ؟ لماذا تبكين ليل نهار ؟ اننى ارى كل شيء  
يا بنتى ، وانهض من فراشي كل ليلة ، فأمضى الى باب  
مخدعك استمع الى بكائك . اننى لا انام الليل . قولي لأبيك  
كل شيء يا ناناशा . اسرى الى ابيك بكل شيء يا ناناशा ،  
ونحن . . .

ولم يتم كلامه ، بل انهضها ، وضمها الى صدره ،  
فشدت جسمها اليه بقوة ، واخفت رأسها فى كتفه . واجابت  
وهي تغص بدموع خفية مخنوقة :

— لا شيء . . لا شيء . . كل ما هنالك اننى اشعر  
بأعياء .

قال الأب :

— اسأل الله لك الرضى يا بنتى الغالية . اسأله لك  
طمأنينة الروح وان يحملك من كل سوء . ادعى الله يا حبيبتى ،

عسى أن ترقى اليه دعوات هذا الخاطى ، انا .  
واضافت العجوز :

— وأنا كذلك أسأل الله لك الرضى .

ودمدمت ناناशा تقول :

— وداعا !

وتوقفت قرب الباب لحظة ، والقت على أبويها نظرة  
أخيرة ، وازادت ان تقول شيئا ، ولكنها لم تستطع ، فخرجت  
من الغرفة مسرعة ، وهرعت انا فى اثرها ، أوجس سرا .

## الفصل الثامن

كانت تسير صامتة ، خافضة الرأس ، لا تنظر الي .  
ولكنها حين وصلت الى آخر الشارع ودخلت الرصيف ، توقفت  
فجأة وأمسكت بيدي . . . قالت بصوت منخفض :

— اننى اختنق ! ان كابوسا يحتم على صدري ، اننى  
اختنق .

فصرختُ جزعا أقول :

— عودي يا ناناशा .

فقالت وهي تنظر الي فى حزن لا يمكن وصفه :

— ألت ترى يا فانيا اننى مضيت الى الأبد ، واننى

تركتهم الى غير رجعة ؟

شعرت كأن قلبي قد تحطم . كنت أوجس هذا كله

حين مضيت الى زيارتهم . كان كل هذا قد عرض لخيالي



في مثل الضباب ، بل لعله عرض لخيالي قبل ذلك اليوم  
بمدة طويلة ، الا ان كلامها ، في هذه اللحظة ، وقع من  
نفسى موقع الصاعقة .

وسرنا على الرصيف في حزن . كنت لا استطيع الكلام ،  
كنت أتخيل وأتأمل . . . كنت طائش اللب تماما . . . وأخذني  
دوار . . . كان هذا يبدو لى أمرا جنونيا ، أمرا مستحيلا !  
قالت أخيرا :

— لا شك انك تعدني مجرمة يا فانيا !

فأجبت دون ان أعي ما أقول :

— لا . ولكن . . . ولكني لا أصدق . . . هذا غير ممكن !

— بل هذا ممكن يا فانيا ، هذا ما وقع بالفعل ! لقد

تركهم ، ولا ادري ماذا ينتظرهم من مصير ، بل لا ادري  
ماذا ينتظرنى انا من مصير .

— أنت ذاهبة اليه يا ناتاشا ؟ نعم ؟

— نعم .

فصرخت في حماسة :

— ولكن هذا مستحيل يا عزيزتي المسكينة ناتاشا ! هذا

جنون ! ستقتلينهم قتلا . . . ستقتلين نفسك . هل تعلمين هذا  
يا ناتاشا ؟

— اعلمه . ولكن ماذا أستطيع ان أفعل ؟ أصبحت لا

املك من أمري شيئا .

قالت ذلك وفي كلامها يأس هائل كأنها ذاهبة الى

المشقة . فقلت متوسلا :

— عودي يا ناتاشا ، عودي قبل ان يفوت الاوان .

وكنت كلما ازددت حماسة والحاحا فى التوسل اليها ،  
ازددت شعورا بأن توسلاتي فى هذه اللحظة ذاهبة ادراج الرياح ،  
وأنها عبث لا طائل تحته .

— أفاهمة أنت يا ناتاشا ماذا تصنعين بأبيك ؟ هل فكرت  
فى هذا ؟ انت تعلمين ان اياه عدو ابيك ! انت تعلمين ان  
الامير قد اهان اباك ، وانه اتهمه بالاختلاس ، واسماه لصا . . .  
وانت تعلمين ان بينهما الآن دعوى . . . ثم ، يا ناتاشا ، هذا  
كله بسيط اذا قيس بغيره . هل تعلمين يا ناتاشا (رباه ! انك

تعلمين هذا كله) ان الامير قد اتهم ابويك بأنهما هما اللذان  
حاولا ، عمدا ، ان يربطوا بينك وبين ألبوشا ، حين كان

يعيش ألبوشا عندكم فى الريف ؟ فكري فى الامر يا ناتاشا ،  
وحسبك ان تصوري مدى الآلام التى عاناها ابوك حين طرقت

سمعه هذه القرية . لقد غدا شعره كله ابيض فى هاتين السنتين  
الاخيرتين . انظري اليه . لا سيما . . . ولكنك تعلمين هذا

كله يا ناتاشا ! آه ، يا الهى ، يا رب السموات . لست اتكلم  
عن الكارثة التى تحل بهما اذا هما فقداك الى الابد . انت

ثروتهما ، انت كل ما بقي لهما فى شيخوختهما ! لا اريد ان  
اتكلم عن هذا ، فينبغى ان تعرفيه انت نفسك . ولكن تذكرى

ان اباك يرى ان هؤلاء الناس المتعجرفين قد افترؤا عليك ظلما  
وعدوانا ، وانهم اهانوك ، وان عليه ان ينتقم لك . والآن ،

الآن خاصة ، يستيقظ هذا كله ، وتتبعث هذه العداوة كلها ،  
لانكم استقبلتم ألبوشا . وقد اهان الامير اباك مرة اخرى ،

وما زال العجز يغلي حقا من هذه الاهانة الجديدة ، فاذا بكل  
هذه الاتهامات تبدو فجأة صادقة ! ان جميع الذين يعرفون



القضية سيقولون ان الامير كان على حق ، وسيتهمونك واباك !  
وما عسى ان يصبح ابوك من هذا كله ؟ سيقتله العار والشنار !  
ومن تأتبه هذه الصدمة الفظيعة ؟ منك انت ، انت ابنة  
الوحيدة ، طفلة الغالية ! وامك ؟ لن تعيش بعد زوجها المعجز  
لحظة واحدة . . . نانا ، نانا ، ماذا تفعلين ؟ عودي يا  
نانا ، كوني عاقلة !

كانت صامتة . واخيرا الفت علي نظرة كأنها تحمل معنى  
اللوم . وكان في هذه النظرة من الالم الحاد ، والعذاب الشديد ،  
ما افهمني ان قلبها في هذه اللحظة ينزف . فهمت مدى ما  
كلفها قرارها هذا من ألم ، وفهمت انني بما اقول من كلام  
اعذبها وامزقها دون طائل ، فهمت هذا كله ، ومع ذلك لم  
استطع ان ألجم نفسي عن الكلام وتابعت أقول :

— ثم لقد قلت ، منذ لحظة ، لآنا آندريفنا انك قد  
لا تخرجين الى الصلاة . معنى هذا انك كنت تريدان البقاء . .  
وانك لم تعزمني امرك عزما قاطعا ، فما الذي جد اذن ؟  
لم تجب نانا على هذا كله الا ببسمة مرة ولماذا سألتها  
عن هذا كله ؟ كان في وسعي ان افهم انها قد عزمت امرها ،  
وانها لن تعدل عن قرارها . ولكنني كنت انا نفسي خارجا عن  
طوري .

— هل يعقل ان تحببه الى هذا الحد ؟  
قلت ذلك وانا انظر اليها منقبض الصدر ، ولا اكاد افهم  
ما اقول . فأجابت وعلى شفثتها البسمة المرة نفسها :  
— بم تريد ان أجيبك يا فانيا ؟ انك ترى : لقد أمرني  
ان آتي ، وهأنذا انتظره .

فعدت أتوسل اليها ، كالغريق الذي يتعلق بقشة !  
— ولكن اسمعيني يا نانا ، اسمعيني . مازلنا نستطيع  
ان نتدبر الامر ، وان نخرج منه على نحو آخر ، ولن يكون  
عليك الا ان تلزمني بيتك لا تبارحينه وسأقول لك كل ما يجب  
عليك ان تفعله يا صغبرتي العزيزة يانانا . سأتولى تدبير الامور ،  
المواعيد . . . وكل شيء . . . كل ما أطلبه  
اليك هو ان لا تخرجي من البيت بعد الآن ! سأتي اليك  
برسائله ، لم لا ؟ هذا افضل مما يقع الآن . سأعرف كيف  
أفعل ذلك . سأخدمكما كليكما . سترين . . . ولن تضيعي  
نفسك كما تفعلين الآن ، يا عزيزتي الصغيرة نانا . انك  
تضيعين نفسك تماما يا نانا ، تماما تماما . . . اقبلي رجائي :  
سببر كل شيء على ما تريدان ، ستحيينه وسيحبك ماشاء لكما  
الحب . . . ومتى انتهى ابواكما من التخاصم (وسيتهيان من  
التخاصم حتما) ، فعندئذ . . .

قلت وهي تضغط يدي بقوة ، وتبتسم من خلال الدموع :  
— حسبك يا فانيا ، أسكت يا فانيا ، يا فانيا الطيب  
النبيل . انك رجل شهيم شريف . أما من كلمة سيئة تقولها  
لي ؟ لقد بدأت انا بهجرتك ، وانت ذا تغفر لي كل شيء ولا  
تفكر الا في سعادتي ! تريد ان تنقل رسالتنا !  
وانفجرت باكية .  
— اعرف كم احببتي ، يا فانيا ، وكم تحبني الآن .  
مع ذلك لم توجه اليّ كلمة لائمة او كلمة مرة خلال هذه  
المدة كلها ! وانا ، انا ، كم انا مجرمة في حقك يا فانيا !  
أتذكر الوقت الذي قضيناه معا ؟ اواه ! كان الافضل ان لا



اعرفه ، ان لا القاه ابدا ! كان ينبغي ان اعيش معك ، يا فانيا ، يا صديقي العزيز ! لا ، انني لا استحقك ! انك ترى كيف انا : في لحظة كهذه احداثك عن سعادتنا الماضية ، مع انك تتألم بدون ان احداثك عن ذلك ! ها قد انقضت اسابيع ثلاثة لم نزرنا خلالها : اقسم لك ، يا فانيا ، انه لم يخطر على بالي مرة واحدة انك نقت عليّ أو كرهنتي . انا اعلم لماذا ذهبت : لقد اردت ان لا ترعجننا ، ان لا تكون بيننا لوما حيا . ما كان اشق عليك ان ترانا ! لطالما انتظرتك ، يا فانيا ، لطالما انتظرتك ! اسمع يا فانيا ، لئن كنت احب أليوشا كالمجنونة ، كمن فقدت صوابها ، فلعلني احبك انت اكثر مما احبه هو . احبك كصديقي . بل انني لأشعر واعرف انني لا استطيع ان اعيش بدونك . لا غنى لي عنك . انا في حاجة الى روحك ، الى قلبك الذهبي . أسفاً يا فانيا ، ما امرّ وما اقسى هذا الوقت الذي نعيشه !

اغرقتها الدموع . نعم ، انها شقية ! وتابعت كلامها ، بعد ان خنقت دموعها :

— آه يا فانيا ، ما كان اشد شوقي الى رؤيتك : لقد نحلت كثيرا يا فانيا ، وفي وجهك تبدو علامات المرض ، انك شاحب جدا . هل كنت مريضا حقا يا فانيا ؟ اه ، ما أسوأني ، لم افطن الى هذا ولا خطر لي على بال . وها انا اذا اتكلم عن نفسي طوال الوقت . ماذا يكتب الصحفيون الآن ؟ وروايتك الجديدة ، هل قطعت في كتابتها أسواطاً جديدة ؟

— ما لنا وللروايات ، ولأموري الخاصة الآن يا ناتاشا ؟ دعينا منها الآن ، ولتذهب الى الشيطان ! قول لي ياناتاشا :

أهو الذي اصر على ان تأتي اليه ؟  
— لا . لم يطلب ذلك وحده ، والاصح انني انا الذي طلبت ذلك . صحيح انه قاله ، ولكنني انا ايضا . اسمع يا صديقي ، سأقصر عليك كل شيء . لقد وجدوا له فتاة غنية ، ذات مكانة مرموقة ، ومن اسرة عظيمة . وبصر ابوه اصرارا قاطعا على ان يزوجه اياها ، وانت تعلم ان اباه رجل ماهر ، خراج ولاج ! لقد دبر الامر تدييرا محكما ، وفي رأيه ان مثل هذه الفرصة لن تعرض خلال عشر سنين : علاقات ، مال ، الخ . ثم ان الفتاة جميلة جدا على ما يقال ، وهي مثقفة ، وواقفة ، انها حسنة من جميع الوجوه . حتى ان أليوشا نفسه مفتون بها . واكثر من هذا ان اباه يريد ان يتخلص منه بأقصى سرعة ، ليستطيع ان يتزوج هو ايضا ، لذلك اخذ على نفسه ان يقطع صلاتنا على اى وجه ! انه يخاف مني ، ومن تأثيري في أليوشا .

فقاطعتها دهشا :

— ولكن هل يعرف الامير جبكما ؟ اظن انه كان يشبهه

اشتهاها ، بل لست واثقا من انه كان يشبهه !

— بل هو يعرف كل شيء ، كل شيء .

— من انبأه به ؟

— أليوشا هو الذي قص عليه كل شيء في المدة الاخيرة ،

وقد قال لي هو نفسه انه قص على ابيه كل شيء .

— يا الهى ! ولكن ما هذه الحكاية ! يروى لايه كل

شيء ، في مثل هذه اللحظة !

فقاطعتني ناتاشا تقول :



— لا تؤاخذه ، يا فانيا ، ولا تسخر منه ! يجب ان لا تحكم عليه حكمك على غيره من الناس ، كن عادلا . انه ليس مثلك ولا مثلي ، انه طفل ، لم يربوه كما يجب ان يربى ، انه لا يفهم ما يفعل . فى وسع اول تأثر جديد ان ينتزعه من كل ما عاهد عليه نفسه منذ لحظة ، ليس له ارادة ، قد يقطع لك عهدا ، ثم اذا هو فى اليوم نفسه ، يقطع عهدا آخر ، وهو فى كلا المهدين صادق وسيجيء اليك هو مبادرا لكى يحدثك عن هذا . انه قادر على اقرار اى عمل سيئ ، ولكن ما ينبغي ان تؤاخذه على انه اقرت عملا سيئا ، وانما ينبغي ان ترمى لحاله ! وهو قادر كذلك على التضحية ، اية تضحية ! ولكن ذلك يستمر حتى اول انطباع جديد ، ثم ينسى كل شيء ! انه قادر على ان ينساني انا ، اذا لم اكن الى جانبه دائما . هذا هو ألبوشا .

— ولكن يا ناتاشا ، لعل هذا كله اقاويل واشاعات . هل يستطيع ألبوشا ان يتزوج ؟ انه طفل !  
— قلت لك ان لأبيه خطة معينة !  
— وكيف عرفت ان خطيبته جميلة ، وانه مفتون بها .  
— قال لى ذلك هو نفسه .  
— كيف ؟ يقول لك هو نفسه انه قادر على ان يحب امرأة غيرك ، ثم يطلب اليك . مثل هذه التضحية ؟  
— لا ، يا فانيا ، لا ، انك لا تعرفه . انك لم تره الا قليلا . ولا بد ان تعرفه معرفة اوثق حتى تستطيع ان تنقطع فيه برأى . ليس فى الدنيا قلب انبل ولا اتقى من قلبه ! وهل كان الافضل ان يكذب عليّ ؟ اما عن انسياقه واستسلامه فيكفى

ان ابتعد عنه اسبوعا واحدا حتى ينساني ويحب امرأة غيري . ولكنه متى عاد فلقيني اترعى على قدمي مرة اخرى . ومن حسن الحظ انني اعرف انه لم يكتف عني شيئا ، ولولا ذلك لقتلتني الشكوك . نعم يا فانيا ، لقد عزمت امرى : اذا لم اكن الى جانبه دائما ، فى كل لحظة ، انتهي حبه ، فسينى ، وهجرنى . هكذا خلق . تستطيع اية امرأة اخرى ان تجذبه وان تقوده . وما عساني فاعلة يومئذ ؟ سأموت من غير شك . . وما الموت ؟ ليني اموت الآن . . اما ان اعيش بدونه فهذا ما لا اطيقه : ان ذلك لاسوأ من الموت ، واقسى من كل انواع العذاب ! آه ، يا فانيا ، يا فانيا ، هين علي اني هجرت ابي وامي فى سبيله ! دعك من المواعظ والاخلاق ! لقد قررت كل شيء . يجب ان اكون الى جانبه فى كل ساعة ، فى كل لحظة . ليس فى وسعي ان اعود . اعرف انني اضيع نفسي ، وانني اضيع معي آخرين . .

قالت ذلك ثم صرخت فجأة وهى ترتعد من اخمص قدميها الى قمة رأسها :  
— آه ، يا فانيا . . ماذا يكون من أمرى اذا صح انه لا يحبني ، اذا صدق ما قلته لى منذ لحظة (الواقع اننى لم اقل ذلك) ، اذا كان يغشني ، اذا كان ظاهره الاستقامة والصدق ، وباطنه الخبث والغرور ! اننى ادافع عنه الآن امامك ، وربما كان هو فى هذه اللحظة يضحك من اعماق نفسه مع امرأة اخرى ، وانا ، انا المخلوقة المرذولة ، اترك كل شيء ، واسعى فى الشوارع ابحث عنه ! آه ، فانيا ! . .  
وانطلقت من صدرها آهة أليمة انفرط لها قلبي هلعاً .



وفهمت ان ناتاشا قد فقدت آخر رفق من سيطرتها على نفسها .  
وانه ما كان لغير غير جنونية بالغة اوجها ان تسوقها الى قرار  
احمق هذا الحمق . وتأججت في نفسى كذلك غير طافحة ،  
ولم استطع ان اصمد أكثر مما صمدت ، وطفنى عليّ شعور  
سبى ، فقلت :

— ناتاشا ، شيء واحد لا افهمه : كيف تستطيعين ان  
تحبيه بعد الذى قلته عنه ؟ انك لا تحترمينه ، بل انك لا  
تقنين بحبه ، ومع ذلك تمضين اليه بلا رجعة ، وتفقدينا جميعا  
من اجله ! ما معنى هذا ؟ سيعذبك طوال حياتك ، وستعذيبه  
ايضا . انك تحبينه أكثر مما يستحق يا ناتاشا ، نعم تحبينه  
أكثر مما يجدر بك ان تحبيه . اننى لا افهم مثل هذا الحب .  
فأجابت وقد امتنع لونها كأنما بتأثير ألم جسمي :

— نعم ، احبه كمجنونة . ولم احبك يوما مثل هذا  
الحب ، يا فانيا . انا اعرف اننى فقدت صوابي ، واننى لا  
احبه كما ينبغي ان يكون الحب . اسمع يا فانيا : هل تعلم  
اننى ، حتى قبل هذا الوقت ، وفى اسعد لحظاتي ، كنت اشعر  
انه لن يأتيني بغير العذاب ؟ نعم ، كنت اشعر بذلك ، ولكن  
ما عساني افعل ، والعذاب الذى يسببه لى هو عينه سعادة !  
هل ترانى ابحت عن الفرح اذ امضي اليه ؟ ألت اعلم منذ  
الآن ما ينتظرنى معه ، وما سأحتمله منه ؟ اسمع ، لقد اقسم  
انه يحبني ، وقطع لى جميع انواع العهود ، وانا لا اصدق  
من وعوده شيئا ، ولا اقيم لها وزنا ، وما اقامت لها وزنا قط ،  
ومع ذلك كنت اعلم انه لا يكذبني ، وانه لا يستطيع ان  
يكذبني . وقد قلت له ، انا نفسى ، اننى لا اريد ان اربطه

بشيء ، وهذا افضل ، فما من احد يحب ان يُربط ، وانا  
فى طبيعة من لا يحبون ذلك ، على اننى سعيدة بأن احتمل  
كل شيء ، كل شيء . ولست اطمع الا فى ان يكون معي ،  
فى ان انظر اليه ! فى وسعه ان يحب غيري ، واني لا قبل  
ذلك ، شريطة ان اكون اىضا الى جانبه . . . أهذه حقارة  
يا فانيا ؟

سألتنى هذا السؤال فجأة وهى ترفع اليّ نظرة ملتبهة .  
وابقنت ، لحظة ، انها تهذي . واردفت تقول :

— انها حقارة ان اتمنى مثل هذه الامور ، أليس كذلك ؟  
نعم ! اننى اعترف انا نفسى بأن هذا حقارة ! واذا هجرني  
فسأجري وراءه الى آخر الدنيا ، ولو ردّني ، ولو طردني شر طردة .  
اسمع ! انك تعظني الآن بالعودة الى المنزل ، ولكن ما عسى  
ان تكون نتيجة ذلك ؟ ان عدت الى المنزل ، فسأخرج منه  
فى الغد . يكفى ان يصدر اليّ أمره بالخروج حتى أخرج .  
يكفى ان يناديني بصفرة ، يكفى ان يناديني كما ينادي كلب  
صغير حتى اجري وراءه . . . لا تحدثني عن العذاب . اننى لا  
أخشى عذابا هو مصدره . سأعرف ان عذابي هو مصدره وحسبي  
ذلك حتى اكون سعيدة . . . ولكن ، يا فانيا ، ليس فى وسعي  
ان اتحدث عن هذا !

سألت نفسى : «أبوها ، وأمها ؟» وبدا لى أنها نسيتهما  
نسيانا تاما !  
قلت :

— وعلى هذا لن يتزوجك يا ناتاشا !  
— بلى ، لقد وعدني بكل شيء ، وعدني بكل شيء .



الهي ، انني مجنونة . ألم يقل لي في المرة الماضية انني  
أضجره ؟ ماذا انتظر اذن ؟  
— هذا هو !

ذلك ما هتفتُ به ، اذ لمحتهُ على الرصيف من بعيد .  
وارتجفتُ ناتاشا ، واطلقت من صدرها صرخة ، وثبتت نظرتها  
على أليوشا الذي كان يقترب ، وفجأة تركت يدي ، وهرعت  
نحوه . وحث خطاه هو ايضا ، وما هي الا دقيقة واحدة حتى  
كانت في ذراعيه .

لم يكن في الشارع احد سوانا . تعانق الحبيبان واخذوا  
يتباوسان ويضحكان . كانت ناتاشا تضحك وتبكي في آن واحد ،  
كأنهما التقيا بعد فراق طويل . كان الدم قد صعد الى خديها  
الشاحبين ، كأنها اصبحت في طور آخر .  
... ولمحني أليوشا ، فما لبث ان اتجه نحوي .

## الفصل التاسع

نظرت اليه نظرة فاحصة ، رغم انني رأيتهُ كثيرا قبل هذه  
اللحظة ، وحدقت في عينيه ، كأن نظرتهُ تستطيع ان تحل  
جميع شكوكي ، وان تفهمني كيف استطاع هذا الطفل ان يسحر  
ناتاشا ، وان يبعث في قلبها حبا كهذا الحب المجنون ، الذي  
ينسبها حتى واجبها الاول ، ويحملها على التضحية الجنونية بما  
كان الى الآن اقدس شيء عندها . وتناول الامير يدي كلتيهما ،  
وضغظهما بقوة ، واخترقت نظرتهُ الرقيقة الصافية قلبي .

ومن اجل هذا استدعيني الآن ، من اجل ان نتزوج خفية في  
الريف . ولكنه لا يدري ماذا يفعل ولعله لا يعرف كيف يتم  
الزواج . أهذا زوج ؟ حقا ان الامر لمضحك . واذا تزوج فسيكون  
شقيا ، وسيأخذ يصب عليّ ضروب اللوم ، وانا لا اريد ان يلومني  
يوما . سأترك له اذن حرية التصرف ولن اطالبه بشيء . واذا  
شقي بعد الزواج ؟ لماذا اجعله شقيا ؟

— ناتاشا ! اتحلمين ؟ انت اذن ماضية اليه الآن رأسا ؟  
— لا ، لقد وعدني بأن يجيء الي هنا ليأخذني ،  
اتفقنا .

ونظرتُ الي بعيد في لهفة ، ولكنها لم ترَ أحدا . هتفتُ  
في استياء :

— ولكنه لم يجيء بعد ، أتصلين انت قبله ؟  
وكان ناتاشا ترنحت من هول الضربة وتصعر وجهها ألما .  
قالت في ضحكة ضعيفة مرة :

— وقد لا يأتي أبدا . اول امس كتب اليّ يقول : ان  
لم اعد به بالمجيء ، فسيكون مضطرا الى ارجاء عزمه الى السفر  
معي والزواج بي . وسيمضي به ابوه الى خطيبته . كتب اليّ  
ذلك ببساطة كأن ليس في هذا شيء ذو بال . . . وماذا اذا  
ذهب اليها يا فانيا ؟

لم اجب . وضغظت يدي بقوة ، واخذت عينها تلتمعان .  
قالت بصوت لا يكاد يسمع :

— انه عندها . كان يأمل ان لا آتي ، حتى يذهب  
اليها ، وحتى يقول بعد ذلك انه كان على حق ، وانه انذرتي فلم  
آت ، وقد اعذر من انذر . انه يملني ويهجرني ، آه ، يا



شعرت اننى ربما اكون مخطئا فى حكمى عليه ، لانه  
غريمى . والحق اننى لم اكن احبه ، ولعلنى الشخص الوحيد  
الذى ما احبه يوما ، من بين جميع الذين عرفوه . كثير من  
الامور كانت تنفرنى منه حتما ، حتى ملبسه الانيق ، ولعل  
ملبسه كان ينفرنى لانه أنيق مسرف فى الاناقة وقد ادركت ،  
فيما بعد ، اننى كنت حتى فى هذه الناحية متحيزا غير منصف  
فى الحكم عليه . كان فارغ القامة ، حسن البنية ، رقيقا ناعما .  
وكان وجهه البياضى دائم الشحوب . وكان شعره اشقر ذهبيا ،  
وعيناه زرقاوين واسعتين ، رقيقتين سادرتين ، يلتمع فيهما على  
حين غرة ، فى بعض الاحيان ، مرع كمرح الطفولة برىء ،  
وكانت شفتاه رقيقتين بلون الياقوت ، رُسمتا أروع رسم ، واطبقنا  
على معنى الجد فى دائم الاحوال تقريبا ، وذلك يجعل ابتسامته  
البريئة الساذجة ، حين يتسم فجأة ، أمرا غير متوقع ، ويزيد  
فى سحرها ، فاذا انت حين تراها لا تلبث مهما تكن حالتك  
النفسية ، ان تشعر فوراً بالحاجة الى أن تردّ عليها بابتسامة مثلها  
تماما . كان لباسه انيقا ، ولكن على غير تكلف . كان واضحا ان  
هذه الاناقة فى ادق التفاصيل لا تكلفه اى جهد ، كأنه قد  
فطر عليها . صحيح ان له بعض العادات السيئة التى يؤسف  
لها ، كالحفة ، والغرور ، والاستهانة . الا انه ساذج مسرف  
فى السذاجة ، بريء الى اقصى حدود البراءة ، فاذا ارتكب  
بعض الاخطاء كان اول من يعترف بها وهو يضحك . واعتقد ان  
هذا الطفل ما كان له ان يكذب يوما ولو على سبيل المزاح ،  
وانه اذا كذب ، كذب دون ان يرى فى كذبه اى شيء سيئ .  
حتى انانيته جذابة ، لا لشيء الا لأنها صريحة لا تستر ولا

تتخفى . لم يكن فيه شيء مخفى . كان ضعيفا ، خجولا ،  
يثق بالناس ، وليس له من ارادة البتة . ان الاساءة اليه ومخادعته  
لا تفلان سوا عن الاساءة الى طفل ومخادعته . انه برىء اكثر  
مما ينبغي لمثل سنه من براءة ، وهو لا يكاد يفهم من الحياة  
الواقعية شيئا ، وسيظل كذلك حتى حين يبلغ من عمره الاربعين  
عاما : كأن مثل هؤلاء الاشخاص قد قضى عليهم ان يظلوا  
قُصرا الى الابد . واعتقد أنه ما من أحد كان يستطيع ان لا  
يحبه . انه يداعبك كالطفل . وصدقت ناناشا : قد يرتكب  
عملا سيئا ، اذا سبق الى ارتكابه سوا ، ولكننى أعتقد أنه  
متى ادرك النتائج المترتبة على هذا العمل ، مات ندامة . ولقد  
كانت ناناشا تدرك غريزيا أنها ستهمن عليه ، وانه سيكون  
ضحيتها ، وكانت تتذوق منذ الآن لذة الحب الجنونى ولذة  
تعذيب المحبوب ولعلها من أجل هذا انما سارعت فسبقته الى  
التضحية بنفسها فى سبيله . ولكنه كان يحبها هو ايضا حبا  
عنيفا ، كان هذا ظاهرا فى نظراته الملتهية . لقد كان يتأملها  
فى وجد ونشوة عظيمة . والقت عليّ ناناشا نظرة انتصار . كانت  
فى هذه اللحظة قد نسبت كل شيء : أهلها ، والوداع ،  
والسواوس . . . كانت سعيدة . وهتفت تقول :  
— فانيا ، لقد أذنبت فى حقّه ، ولست جدبيرة به .  
اعتقدت يا ألبوشا انك لن تأتى . انس هواجسي السيئة هذه  
يا فانيا . سامحو هذه الهواجس السيئة .  
قالت ذلك وهى تنظر اليه فى حب لا نهاية له . وابتسم  
ألبوشا ، وقبل يدها ، وقال وهو يلتفت السّيّ دون ان  
يلدغ تلك اليد :



— وانت ، لا تتهمني كذلك . لطالما وددت ان اقبلك  
كأخ . لقد حدثتني عنك كثيرا . حتى الآن لم نكد نتعارف ،  
وكنا على غير تفاهم تام .  
ثم اضاف بصوت منخفض ، وقد احمر وجهه قليلا ،  
وطافت في شفثيه ابتسامة جميلة لم يسعني الا ان استجيب  
لها بابتسامة مثلها ، قال :  
— سنكون صديقين ، و . . سامحنا .  
وايدته ناناشا بقولها :

— نعم نعم يا أليوشا ، انه منا ، انه اخونا ، ولقد  
سامحنا ، وبدونه لن نكون سعيدين . سبق ان قلت لك ذلك .  
آه يا أليوشا ، انا طفلان قاسيان ! ولكننا سنعيش نحن الثلاثة  
معا . . .

وتابعت كلامها متجهة اليّ ، وقد اخذت شفثاها ترتجفان :  
— ستعود الآن اليهم ، الى البيت . انك انسان نبيل ،  
واذا لم يغفروا لي ، فلعلهم يلينون بعض اللين ، حين يرون انك  
قد سامحتني . حدثهم عن كل شيء بكلماتك أنت التي تخرج  
من قلبك . ستجد الكلمات المناسبة . . دافع عني ، انقذني .  
اشرح لهم جميع الدواعي ، أفهمهم كل ما فهمته انت . هل  
تعلم يا فانيا انني ربما ما كنت لأعزم امرى على هذا لولا انك  
كنت اليوم معي . لقد كان مجيئك مجيء السلام الى قلبي ،  
فما ان رأيتك حتى أملت ان تعرف كيف تنقل اليهم النبأ ،  
او على الاقل ان تلتطف وقع الصدمة على قلوبهم في اول الامر .  
آه يا رب ، يا رب . قل لهم يا فانيا ، على لساني ، انني  
اعرف انه يستحيل ان يغفروا لي الآن ، وان غفروا لي ، فلن

يغفر الله لي . ولكن قل لهم ايضا انني سأظل اباركهما وادعو  
لهما الله طوال حياتي ، ولو لعناني . ان قلبي كله معهما !  
آه ، يا رب ! لماذا لا نكون جميعا سعداء ! لماذا ، لماذا ؟  
ثم هتفت فجأة ، كأنها تعود الى نفسها ، وهي ترتجف  
من الخوف ، وتغطي وجهها يديها :

— يا الهى ، ماذا فعلت ؟  
وأمسك أليوشا بذراعيها ، وشدها اليه دون ان يقول شيئا .  
وانقضت بضع دقائق فى صمت .  
قلت وانا انظر اليه نظرة عتب :

— كيف أمكنت ان تطلب اليها مثل هذه التضحية !  
— لا تتهمني ، ثق ان هذه الآلام جميعها ، على  
قسوتها ، لن تدوم طويلا . اني لعلى قناعة بهذا مطلقة . وانما  
نحن فى حاجة الى القدرة على احتمال هذه الدقيقة . وقد  
قالت لي هى هذا الشيء نفسه . انت تعلم ان سبب كل شيء  
هو هذا الصلف العائلي ، هذه الخصومات السخيفة ، ولا سيما  
هذه الدعاوى ! ولكن (كن واثقا انني فكرت فى هذا طويلا)  
لا بد لهذه الامور كلها ان تنتهى ذات يوم . سيلتئم شملنا من  
جديد ، وسنكون عندئذ سعداء كل السعادة ، سيتصالح اهلنا  
منى رأوا سعادتنا . ومن يدري ، فلعل زواجنا ان يكون هو اساس  
الصلح . أعتقد ان الامر لا يمكن ان يكون على غير هذا النحو ،  
ما رأيتك انت ؟

فسألته وانا القى نظرة على ناناشا :  
— انك تتحدث عن الزواج ، فمتى تتزوجان ؟  
— غدا او بعد غد . بعد غد على أبعد تقدير ، هذا



مؤكد . الحق انني لا أدري بعد ، واذا شئت الصدق قلت  
انني لم اتخذ بعد اي اجراءات لتدبير ذلك . كنت اظن ان  
ناتاشا قد لن تأتي . وكان ابي يريد جازما ان يذهب بي الى  
خطيبي (لعلك تعلم انه يريد ان يزوجني باحدى الفتيات ،  
لقد حدثك ناتاشا عن هذا ، أليس كذلك ؟ ولكنني انا لا  
اريد) . لهذا لم استطع بعد ان اعزم أمري على قرار حاسم .  
ولكننا ستتزوج بعد غد حتما ، رغم كل شيء . او هذا على  
الاقبل ما يتراءى لي الآن ، لأن الأمر لا يمكن ان يكون على  
غير هذا النحو . سنسافر الغد على طريق بسكوف . لي هنالك  
صديق من رفاق المدرسة ، شاب شهم ، يسكن غير بعيد من  
هنا ، في الريف . قد اقدمه اليك فتعرفه . وفي القرية كاهن ،  
بل لا أدري هل في هذه القرية كاهن او لا . كان ينبغي ان  
نستعلم عن هذا قبل الآن ، ولكن الوقت لم يتسع على كل  
حال ، هذه الامور كلها سخافات في الواقع ، مادام الشيء  
الاساسي مقررا . نستطيع ان ندعو كاهنا من قرية مجاورة ، ما  
رأيك ؟ هناك قرى كثيرة حول هذه القرية ! والشيء الوحيد الذي  
يؤسف له ان وقتي لم يتسع لكتابة كلمة الى صديقي ، كان  
ينبغي ان انبثه بقدمي ، فقد لا يكون في قرينته الآن . . على  
كل حال ليس هذا اهم شيء . فمتى عزم المرء ، تهبأت  
الامور من تلقاء نفسها ، أليس كذلك ؟ والى ان تهبأت الامور ،  
أي الى غد او الى بعد غد اذا اقتضى الامر ، ستبقى ناتاشا هنا  
في بيتي . لقد استأجرت شقة مستقلة نستطيع ان نقيم فيها  
متى عدنا . لا انوي بعد الآن ان اعيش في منزل ابي ، أليس  
كذلك ؟ وستأتي انت لزيارتنا . شقة جميلة لطيفة . وسأتي

اصدقائي ، اصدقاء المدرسة ، لزيارتي . وستقيم حفلات  
ساهرة . . .  
نظرت اليه في دهشة واضطراب . وكانت ناتاشا تنظر الي  
نظرة من يتوسل ان لا اقسو في الحكم عليه وان اكون متسامحا .  
كانت تصغي الى كلامه ، وعلى شفيتها ابتسامة حزينة ، كأنها  
في الوقت نفسه تعجب به ، تماما كما يعجب المرء بطفل  
لطيف مرح ، حين يسمع ثرثرته فارغة ولكن لطيفة . فألقيت  
عليها نظرة عتب ، واخذت اشعر بانزعاج لا يحتمل .  
سأته :

— وابوك ؟ أنت واثق انه سيغفر لك ؟  
— حتما . وماذا يستطيع ان يفعل ؟ طبعا سيستاء في  
اول الامر ، وسيلعني ، هذا لا أشك فيه . هكذا طبعه ،  
انه قاس جدا معي ، وقد يشكوني ايضا الى آخر . سيستعمل  
سلطته الابوية على وجه الاجمال . ولكن ليس لهذا كله كبير  
شأن ، انه يحبني حبا جامحا . سيغضب ، ولكنه سيغفر لي  
في آخر الامر . ويومئذ يتصالح الجميع ونصبح جميعا سعداء ،  
وابوها كذلك .

— واذا لم يغفر لك ؟ هل فكرت في هذا ؟  
— سيغفر لي حتما ، ولكن قد لا يغفر لي بسرعة .  
على كل حال ، سأبرهن على انني ذو ارادة قوية . انه يشاجرني  
دائما لانني ضعيف الارادة ، خفيف . سيرى الآن هل انا خفيف  
او لا . . سأتحمل الآن تبعه اسرة ، وليس هذا بالامر الهين ،  
لن اكون بعد الآن طفلا ، سأكون كغيري من الناس ، كأولئك  
الذين ينهضون باعباء اسرة . سأعيش من عملي . وناتاشا تقول



ان هذا خير ألف مرة من ان يعيش المرء عائلة على غيره ،  
كما تفعل جميعا الآن . ليتك تعرف كل ما قالته من كلام  
جميل رائع ، ما كان لي ان اتخيله انا نفسي . لم أترعرع بين  
مثل هذه الافكار ، لم يربوني هذا النوع من التربية ! انا نفسي  
اعرف انني خفيف ، وانني لا أكاد اصلح لشيء ، ولكن هل  
تعلم ؟ لقد راودتني اول امس فكرة مدهشة . سأقولها لك ، وان  
لم يكن هذا اوانها ، اذ يجب ان تعرفها نانا ، وان تسدى  
الينا انت بنصيحتك .

اليك الفكرة : اريد ان اكتب اقاويص ابيعها للجرائد ،  
مثلك . ستساعدني لدى الصحفيين ، أليس كذلك ؟ اني اعتمد  
عليك ، وقد قضيت الليلة البارحة كلها اتخيل رواية ، هكذا ،  
على سبيل التجربة ، ومن الممكن ان يخرج من ذلك شيء  
جميل جدا ، هل تعلم ؟ لقد اقتبست الموضوع من ملهارة  
سكريب . . . ولكن دعنا من هذا الآن ، سأقص عليك ذلك  
فيما فعد . المهم هو ان يدفعوا ثمن الرواية مالا وافرا . أليسوا  
يدفعون لك بالفعل !

لم استطع ان احبس ضحكة صغيرة ارتسمت على شفتي .

فقال مبتسما هو الآخر :

— انك تضحك .

ثم اضاف في سداجة لا يمكن تصورها :

— لا . اسمع . لا تحكم عليّ من الظواهر . اني املك  
كثيرا من روح الملاحظة حقا . ستري ذلك انت نفسك . لماذا  
لا احاول ؟ قد يخرج من ذلك شيء . . . على انك قد تكون  
على حق . . . انني لا أعرف شيئا من الحياة الواقعية . وهذا ما

تقوله لي نانا ، بل هذا ما يقوله لي جميع الناس .  
فأى كاتب يمكن ان يكون ؟ اضحك ، اضحك ، صحح  
آرائي . انك من اجلها انما تفعل ذلك ، لأنك تحبها .  
سأقول لك الحقيقة : انني لا استحقها . انا اشعر بذلك .  
وهذا فاس عليّ جدا ، ولست ادري كيف تستطيع نانا ان  
تحبني كل هذا الحب . واعتقد انني قادر على التضحية بحياتي  
في سبيلها ! الحق انني لم اكن اخشى شيئا حتى هذه اللحظة ،  
ولكنني الآن خائف . لست ادري في اي طريق نقذف بأنفسنا !  
رباه ، كيف يصح لانسان مخلص لواجبه ان تعوزه القدرة والقوة  
على تحقيق هذا الواجب ، ساعدنا انت على الاقل يا صديقنا !  
انت الصديق الوحيد الذي بقي لنا ! لا تؤاخذني اذا انا اعتمدت  
عليك هذا الاعتماد كله . انني اعتبرك رجلا نبلا الى اقصى  
حدود النيل ، أفضل مني ألف مرة . ولكنني سأصلح من امري ،  
كن على ثقة من هذا ، وسأكون جديرا بكما .

وضغط يدي مرة اخرى ، وفي عينيه اشرفت عاطفة طيبة  
كريمة . كان يمد اليّ يده في كثير من الثقة ، ويعتقد اعتقادا  
راسخا بأنني صديقه !

وتابع كلامه يقول :

— وستساعدني هي على اصلاح امري . ثم انه لا ينبغي  
ان يكون رأيك فينا شيئا جدا ، ولا تسرف في الحزن علينا .  
فان أملي كبير رغم كل شيء ، حياتنا ستكون مضمونة ماديا .  
مثلا ، اذا لم تنجح روايتي (ولا اكتمك انه خطر على بالي ان  
هذه الرواية سخيفة ، وانما حدثتك عنها الآن لاعرف رأيك لا  
أكثر أقول اذا لم تنجح روايتي فاني استطيع ، ان اقتضى



الامر ، ان اعطى دروسا فى الموسيقى . أنت لا تعلم اننى قدير فى الموسيقى ، فاعلم الآن ذلك . ولن أستحي ان اعيش من هذا العمل ، ان آرائى بهذا الصدد «عصرية» جدا . اصف الى هذا اننى املك كثيرا من التحف الثمينة وادوات الزينة ، وهى لا تفيدنى فى شىء فسأبيعها ، وسنستطيع ان نعيش بشئها مدة طويلة . ثم اننى فى اسوأ الاحتمالات ، أستطيع ان أعين لوظيفة فى الدولة ، وسيسر أبى لهذا سرورا عظيما ، فهو يحضنى دائما على الانتماء الى وظيفة من الوظائف ، وانا أرفض بدعوى ان حالتى الصحية لا تساعدنى على ذلك (لقد سجل اسمى فى قائمة ما من قوائم الوظائف) . فاذا رأى ان الزواج قد أفادنى ، وجعلنى عاقلا رصينا ، وادخلنى الوظيفة ، سره ذلك ، فففر لى .

— ولكن ، بألكسى بتروفنش ، هل فكرت فى القضية القائمة الآن بين ابيك وايبها ؟ ثم هل فكرت فيما سيجري هذا المساء فى بيت اهلها ؟

قلت ذلك وانا اومئ الى ناتاشا التى امتقع لونها عند سماع هذا الكلام حتى لكأنها ميتة . كنت بلا شفقة ولا رحمة .

— نعم نعم ، انك على حق . الامر فظيع . لقد فكرت فى هذا قبل الآن ، وتألمت كثيرا ، وعذبني ضميري . ولكن ما العمل ؟ انك على حق ، لبت أبويها ، على الاقل ، يفران لنا ! أه ، لو تعلم كم احبهما ! انهما لى بمثابة الاهل ، وانظر كيف أكافئهما ! أه من هذه الدعاوى ، وهذه القضايا ! لا تستطيع ان تتصور قسوة هذه الامور علينا الآن ! ولماذا يتخاصمون ! اننا متحابون جميعا ، ومع ذلك نتخاصم !

بنبغى ان نتصالح ، وان لا نعود الى ذكر هذا الموضوع ابدا ! هذا ما كنت افعله لو كنت فى مكانهم . ان ما تقوله يخيفنى . ناتاشا ، انها فظيعة هذه المؤامرة التى تدبرها ، وقد قلت لك ذلك من قبل ، وانت التى تلحين وتصريين : ولكن اسمع ، يا ايفان بتروفنش ، لعل هذه الامور جميعها ان تنحل على خير ما نحب . مارأيك ؟ سوف يتصالحون اخيرا ! ونحن الذين سنعمل لذلك . هذا ما سيحصل حتما ! لن يقاوموا طويلا ازاء حبنا . قد يلعنوننا الآن ، ولكننا ، نحن ، سنظل نحبهم ، ولن يقاوموا بعد ذلك طويلا . ان ابي ذو قلب طيب فى بعض الاحيان ، لا تستطيع ان تتصور الى اي حد ! وهو فى بعض الظروف يقدر الامور قدرها ، رغم مظهره القاسي . لبتك رأيتك اليوم وهو يخاطبني ويسدي اليّ بنصائحه ، اذن لعرفت مدى رفته ونعمته . وهأنا ذا فى هذا اليوم نفسه اعصى ارادته ! لشدما يؤلمني هذا ! وما السبب فى هذا كله ؟ افكار خاطئة استقرت فى ذهنه . جنون . لو قد نظر الى ناتاشا مرة واحدة ، وجالسها نصف ساعة ، اذن لوافق على زواجنا موافقة تامة . قال ألبوشا ذلك وهو يلقي على ناتاشا نظرة حب رقيق ملتهب .

وتابع يقول :

— طالما تخيلت ، فى لذة ونشوة ، انه متى رآها احبها ، وانها ستفتنهم جميعا بلا استثناء . ما من احد منهم رأى فتاة مثلها فى حياته ، ان ابي يظن انها بنت ماهرة متلاعبة . . عليّ انا ان ارد اليها اعتبارها ، وسأفعل ذلك ! أه ، يا ناتاشا ، ان كل الناس يحبونك ، كل الناس ، وليس



ألبوشا ، فلما استقرت ناتاشا في العربة ، تناولت يدي كالمجنونة  
وسقطت على اصابعي من عينيها دموع محرقة . وتحركت العربة .  
ظللت في مكاني مدة طويلة اتابع العربة حتى غابت عن نظري .  
في هذه اللحظة ماتت سعادتي كلها ، وتحطمت حياتي .  
شعرت بذلك في ألم حاد . . وعدت ادراجي ببطء ، الى  
العجوزين . كنت لا اعلم ماذا سأقول لهما ، ولا كيف ادخل  
عليهما . كان فكري مخدرا ، وكانت ساقاي تترنحان تحتي .  
تلکم هي قصة سعادتي كلها . هكذا انتهى حبي .  
وسأعود الآن اكمل قصتي التي قطعتها .

## الفصل العاشر

بعد موت سميت بأربعة ايام او خمسة ، ذهبت الى  
غرفته اسكنها . كنت قد شعرت ، خلال ذلك النهار كله ، بحزن لا  
يطاق . كان الجو سيئا ، باردا . وكان يهطل ثلج رطب يمازجه مطر .  
وفي المساء فحسب ، ظهرت الشمس في طرفه عين وانسل  
شعاع ضال من اشعتها الى غرفتي لا بد أنه بدافع حب  
الاستطلاع . وبدأت اندم على انني انتقلت الى هنا . كانت  
الغرفة مع ذلك واسعة ، ولكنها واطئة ، مدخنة ، تفوح فيها  
رائحة الهواء الفاسد ، وكانت فارغة فراغا مزعجا ، رغم وجود  
بعض الاثاث . منذ تلك اللحظة شعرت انني سأفقد في هذه  
الشقة حتما ما بقي لي من عافية . وقد تحقق ذلك .  
قضيت الصباح كله مشغولا بأوراق اصنفها وأرتبها .

هناك احد يستطيع ان لا يحبك . . أحييني انت ، يا ناتاشا ،  
رغم انني لا أستحقك ، وانت تعرفين من انا على كل حال .  
ناتاشا ، ليس بيننا وبين السعادة الا القليل . لا ، لا ، اعتقد  
ان هذا المساء سيجلب ، لنا جميعا ، السعادة والسلام والوثام !  
بورك هذا المساء ! أليس كذلك يا ناتاشا ؟ ولكن ماذا دهالك  
يا ناتاشا ؟ رباه ، ما بك يا ناتاشا ؟

كانت شاحبة شحوب الاموات . كانت تحديق في ألبوشا  
طوال الوقت ، وهو يتحدث ويطنب في الحديث ، كانت  
نظرتها تزداد قلقا وسكونا وكان وجهها يزداد شحوبا واصفرارا .  
حتى لقد تراءى لي انها اصبحت في آخر الامر لا تصغي الى  
الحديث ، كأنها في غيبوبة . فلما صاح بها ألبوشا كانت كمن  
يصحو من غيبوبة على حين فجأة ، فاذا هي تعود الى نفسها ،  
وتنظر حولها ، ثم تهرع نحوي بغتة ، وتخرج من جيها رسالة  
تمدها اليّ ، كأنها تحاول ان تخفي ذلك عن ألبوشا . كانت  
الرسالة بعنوان اهلها ، مؤرخة بتاريخ الامس وقد نظرت اليّ ،  
وهي تناولني الرسالة ، نظرة ملحاحه ، كأنها تحاول بهذه النظرة  
ان تتعلق بي : كان في وجهها بأس هائل ، لن أنسى في  
حياتي هذه النظرة القظيمة . واستبد بي الخوف انا أيضا ،  
ورأيت انها في هذه اللحظة انما تشعر بهول ما أقدمت عليه .  
وحاولت ان تقول لي شيئا ، بل لقد بدأت بالكلام ، ولكنها  
اغشى عليها فجأة ، واستطعت ان امسك بها قبل ان تقع ،  
وامتقع لون ألبوشا رعبا ، واخذ يحك صدغيها ، ويقبل يديها  
وشفتيها . وبعد دقيقتين او ثلاث دقائق عادت الى شعورها .  
كانت العربة التي جاء بها ألبوشا تقف غير بعيد منا ، فنادها



وكنت قد نقلتها في كيس الوسادة لأنني لا املك حقيبة ،  
فتكومت واختلطت . حتى اذا انتهيت من ترتيبها جلست للكتابة .  
كنت في ذلك الوقت ما أزال أكتب روايتي الكبيرة . الا انني  
لم أجد في نفسي ميلا الى العمل . كان ثمة هموم اخرى تتزاحم  
في فكري . . .

رويت القلم ، وجلست قريبا من النافذة . كان المساء  
يهبط ، وازداد شعوري بالحزن . وهاجمتني أفكار سود شتى .  
لقد تراءى لي دائما أنني سأنتهي في بطرسبرج الى الفناء .  
وكان الربيع يقترب ، فبدأ لي أنني سأنتعش وأحيا من جديد  
منى خرجت من هذه القوقعة الى الهواء الطلق وتنشق رائحة  
الحقول والغابات المنعشة . انني لم أر الحقول والغابات منذ مدة  
طويلة ! وخطر على بالي ، فيما خطر ، ان من الافضل لو  
استطيع بفعل السحر او بمعجزة ما ان أنسى نسيانا تاما كل  
ما كان ، وكل ما عشته في هذه السنين الاخيرة . أن أنسى  
كل شيء ، أن أجدد روحي ، وأستأنف حياتي بقوى جديدة .  
كنت أحلم بهذا ، وانتظر أن أبعث بعثا جديدا . قلت في نفسي :  
« ليتني اذهب الى مستشفى من مستشفيات المجانين حتى يتحرك  
كل شيء في الدماغ ويعود الى مكانه ، ثم أشفى » . كان بي  
ظمأ الى الحياة ، وكنت أومن بالحياة . ولكنني أتذكر الآن  
أنني ما كدت افكر في هذا حتى اخذت اضحك ، وسألت  
نفسي : وبعد خروجي من مستشفى المجانين ، ما عساني  
فاعلا ؟ هل أعود حقا الى كتابة روايات ، من جديد . . .  
هكذا كنت أحلم وأنالم ، وكان الوقت اثناء ذلك ينقضي .  
وكان الليل يهبط . وفي ذلك المساء كنت على موعد مع ناتاشا .





لقد ارسلت اليّ الليلة البارحة بطاقة تدعوني فيها الى المجيء اليها . فلما تذكرت ذلك قفزت من مكاني ، واخذت امي نفسي . كان بسي على كل حال رغبة ملحة في ان انتزع نفسي من هذه الشقة بأقصى سرعة ممكنة ، ولو لاذهب الى اى مكان ، تحت المطر ، فى الثلج الموحل .

وكنت كلما ازدادت الظلمة أشعر ان غرفتي تزداد اتساعا . وتخيلت اني ، فى كل ليلة ، فى هذا الركن ، سأرى سميت : انه سيكون جالسا يحدق فيّ كما كان يحدق فى آدم ايفانوفتش ، فى المقهى ، وآزوركا بين قدميه . وفى هذه اللحظة تماما ، وقع حادث هزني هزا قويا .

ينبغي ان أكون صريحا على كل حال : لعل هذا ان يكون راجعا الى احتياج اعصابي ، الى هذه الاحساسات الجديدة فى المسكن الجديد ، الى هذه الكتابة الاخيرة ، المهم على كل حال انني اخذت تدريجيا أعاني متى اقترب المساء هذه الحالة النفسية التى تغشاني كثيرا فى الليل ، فى ايام مرضي هذه ، هذه الحالة التى اسميها ذعرا غيبيا . انها اضنى انواع الخوف وأكثرها تعذيبا للنفس ، هو خوف من خطر لا يستطيع احده انا نفسي ، من هلاك لا يمكن تصوره ، ولا وجود له فى طبيعة الاشياء ، ولكنه قد يتحقق الآن ، فى هذه اللحظة ، نفسها ، مستهترا بجميع حجج العقل ، متجسدا كواقع لا يمكن دفعه ، مخيف ، جهنمي ، فظيع . هذا الخوف يشند ويقوى فى العادة شيئا بعد شيء رغم جميع ما يخلص اليه العقل من نتائج ، حتى ان الفكر ينتهي اخيرا ، رغم انه فى مثل هذه اللحظات قد يكتسب مزيدا من الصفاء والوضوح ،

الى ان يفقد كل قدرة على معارضة الاحساسات ومقاومتها . فاذا المرء لا يصغي اليه واذا الفكر عاجز . وهذا الازدواج يزيد ما يشعر به المرء من كآبة التوقع المرعبة . يبدو لي ان هذه الاحوال هى بعض ما يشعر به اولئك الذين يخشون الموتى . الا ان غموض الخطر كان يقوى عذابى وانا فيما انا فيه من كآبة .

اذكر انني كنت ادير ظهري للحائط واتناول قبعتي من على المنضدة ، حين خطر على بالي ، فجأة ، فى تلك اللحظة تماما ، انني متى التفت الى الورا فسأرى سميت حتما ، انه سيفتح الباب اولاً فى رفق ، وسيظل فى العتبة يجيل النظر فى الغرفة ، وأنه سيدخل بعد ذلك صامتا فى هدوء ، خافض الرأس ، وسيقف امامي يتفرسني بعينه القلقتين ، ثم يأخذ يضحك مني ، على حين بغتة ، ضحكة صامتة طويلة ، مكشرا عن لثة ليس فيها اسنان ، وان جسمه سيهتز من هذه الضحكة اهتزازا يستمر مدة طويلة .

وارسم هذا المشهد فى خيالي ، على حين فجأة ، فى صورة واضحة دقيقة الى اقصى حدود الوضوح والدقة ، وفى الوقت نفسه رسخ فى نفسي اعتقاد لا يتزعزع ، اعتقاد جازم مطلق ، بأن هذا كله سينتقق حتما ، وانه واقع لا محالة ، بل انه قد حصل فعلا ، ولكني لا اراه لان ظهري للحائط ، وربما كان الباب يفتح الآن . والتفت بسرعة : فاذا الباب يفتح فعلا ، فى رفق وهدوء ، تماما كما تصورت قبل لحظة . وصرخت . ومضت مدة طويلة دون ان يظهر احد ، كأن الباب قد فتح من تلقاء نفسه . وفجأة ظهر فى العتبة مخلوق غريب : بدا لي فى هذه العتمة ان عينيه تحدقان فيّ بالحاح ولجاجة ، فسرت



في جسمي كله قشعريرة باردة . وفيما انا في هذا الذعر الهائل رأيت ان الزائر طفلة صغيرة ، ولو كان الزائر سميت نفسه فلربما ما ذعرت كل هذا الذعر الذي انتابني لدى ظهور هذه الطفلة هذا الظهور الغريب في غرفتي ، في هذه الساعة ، في مثل هذه اللحظة .

قلت انها فتحت الباب بهدوء كبير ، وببطء كبير ، كأنها تخاف ان تدخل . وبعد ان دخلت وقفت في العتبة ، وتفرستني طويلا كأنها مصعوقة من فرط الدهشة ، واخيرا خطت نحوى خطوتين ، ووقفت امامي ، دون ان تنبس بكلمة . وتأملتتها عن كثب . انها طفلة في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرها قصيرة القامة ، نحيلة شاحبة كأنها ناهضة من مرض خطير ، وعيناها تلتصعان ببريق قوي . كانت تشد الى صدرها ، بيدها اليسرى ، شالا مهترئا مثقبا يغطي صدرها ، وهي ترتعد من برد المساء . كانت ملابسها مما يمكن ان يوصف حقا بأنه اسمال خلقة . وكان شعرها الاسود الكثيف المنفوش يتهدل على كتفها خصلا . وبقينا هكذا متمسرين ، دقيقتين او ثلاث دقائق ، يتفرس كل منا في الآخر .

سألنتي بصوت اجش لا يكاد يسمع ، كأن صدرها او حلقها يؤلمها :

— اين جدي ؟

وتبدد ، لدى هذا السؤال ، كل الذعر الغيبي الذي كنت اشعر به . انها تسأل عن سميت . ها هي اذن آثاره تظهر .

— جدك ؟ مات منذ مدة !

قلت ذلك دون تبصر ، وسرعان ما ندمت على هذا

الجواب . وظلت واقفة في وضعها نفسه مدة دقيقة على وجه التقريب ، ثم اذا هي ، فجأة ، تأخذ ترتعد من قمة رأسها الى اخصص قدميها ارتعادا قويا عنيفا كأنها على ابواب نوبة عصبية . فأمسكتها لامنعها من السقوط . وبعد بضعة دقائق تحسنت حالها ، ورأيت انها تبذل جهدا فوق طاقة البشر لتخفي عني اضطرابها . قلت :

— سامحيني ، سامحيني ، يا بنيتي لقد ابغثتك الخبر بقسوة . . . وقد لا يكون هذا الخبر صحيحا يا بنيتي المسكينة ! . . . عن تبشين ؟ عن العجوز الذي كان يسكن في هذا المنزل ؟

فقدمت تقول في جهد ، وهي تنظر اليّ قلقة :

— ن . . . عم .

— هل كان اسمه سميت ؟ نعم ؟

— نعم .

— اذن هو . . . هو الذي مات . . . ولكن لا تحزني يا صغيرتي . لماذا لم تجيني قبل هذا الوقت ؟ ومن اين تجيشين الآن ؟ لقد دفنوه امس . . . لقد مات فجأة ، بغتة . . . انت اذن حفيدته ؟

لم تجب البنت على اسئلتي هذه المضطربة السريعة ، بل دارت دون ان تنبس بكلمة ، وخرجت من الغرفة بهدوء . كنت من فرط الاضطراب بحيث لم امنعها من الخروج ، ولم اطرح عليها اسئلة اخرى . وتوقفت مرة اخيرة في العتبة ، والتفتت نحوى نصف التفاتة لتقول :

— وآزوركا ايضا مات ؟



— نعم ، آزوركا ايضا مات .

وبدا لي سؤالها عجيبا ، لكأنها مقتنعة بان آزوركا لا بد ان يموت هو والعجوز في وقت واحد . وبعد ان سمعت جوابي ، خرجت من الغرفة دون ضجة ، واغلقت وراءها الباب في كثير من الهدوء .

وبعد دقيقة ، هرعت وراءها ، وانا الوم نفسي على انني تركتها تمضي ، كانت قد خرجت في سكون تام ، حتى انني لم اسمع فتح الباب الثاني المطل على الدرج ، فقدرت انها لم تخرج بعد من البيت ، فوقفت عند المدخل اصيح بسمعي . ولكن كل شيء كان هادئا ، وما من صوت يسمع ؛ الا صرير باب يغلط في الدور الاسفل ، ثم يعود كل شيء الى الصمت . وهبطت على السلم بسرعة . كان السلم بين الدور الخامس حيث كانت غرفتي والدور الرابع حلزونيا ، وبعد ذلك يمضي مستقيما . وكان مظلما قدرا ، أسود ، كسائر السلالم التي نراها في هذه العمارات من العاصمة ، هذه العمارات المقسمة الى منازل صغيرة . وكان في هذه اللحظة مظلما تماما ، وحين وصلت الى الدور الرابع وانا اتلمس طريقي تلمسا ، توقفت كأنما اعتقدت فجأة ان هاهنا ، عند المدخل ، شخصا يخبئني عني ، فاخذت أتقراه بيدي . كانت البنت هنالك فعلا ، في الركن تماما ، مسندة وجهها الى الحائط ، تبكي في صمت .

— اسمعي ، ما الذي يخيفك ؟ هل اخفتك الى هذا الحد ؟ انها غلطتي . لقد تكلم عنك جدك وهو يموت . . . آخر كلماته عنك . ثم لقد بقيت كئيبه عندي . انها لك

طبعاً . ما اسمك يا بنيتي ؟ اين تسكنين ؟ قال لي في الشارع السادس . . .  
ولكني لم اتم كلامي ، فقد انطلقت من صدرها صرخة مدعورة ، كأنها خافت ان اعرف اين تسكن ، ودفعتني بيدها الصغيرة النحيلة المعروقة ، وأسرعت تهبط السلم . وتبعتها . كنت لا ازال اسمع وقع اقدامها تحت . . . وفجأة لم اعد اسمع وقع اقدام . وحين قفزت الى الشارع ، لم تكن هنالك . وبعد ان ركضت بسرعة حتى شارع فوزنيسنكي ادركت ان البحث عنها عبث : لقد اختفت . قلت في نفسي لعلها اختبأت في مكان ما وهي تهبط السلم .

## الفصل الحادى عشر

ولكنني ما ان وضعت قدمي على رصيف الشارع القذر الرطب حتى اصطدمت فجأة برجل مستغرق في تفكير عميق ، يسير مطرق الرأس بخطى سريعة . فما كان اشد دهشتي حين نظرت اليه فاذا هو العجوز إخمينيف . كان هذا المساء مساء المصادفات العجيبة . كنت اعرف ان العجوز كان قبل ذلك بثلاثة ايام يعاني مرضا ، وها أنا ذا القاه فجأة في الشارع ، في مثل هذا الجو الرطب ! ثم انه لا يكاد يخرج ابدا في المساء ، ومنذ ذهبت ناثاشا ، اى منذ ستة اشهر تقريبا ، اصبح حبيس البيت لا يبرحه ابدا . وسرّ للقائي أكثر مما عهدت فيه من سرور حين يلقاني ، سرّ سرور من يعثر اخيرا على صديق يستطيع ان يشاركه



افكاره . وتناول يدي ، وضغطها بقوة ، وجرتني في اتجاهه دون ان يسألني الى اين انا ذاهب . كان ثمة شيء يشغل باله ، وكان مستعجلا قلعا . قلت لنفسي : ترى اين يذهب ؟ وكان من الخطل ان اطرح عليه هذا السؤال . فلقد اصبح شكاككا الى ابعد حدود الشك ، حتى لقد برى في ابسط سؤال او ملاحظة غمزا مهينا او اساءة خطيرة .

ونظرت اليه بطرف العين : كان وجهه وجه مريض . لقد نحل في المدة الاخيرة نحولا شديدا . ولاحظت انه لم يحلق ذقنه منذ ما يقرب من اسبوع . وكان شعره الذي ابيض تماما ، يخرج من تحت قبعته المشوهة في فوضى ، ويتدلى خصلا طويلة على ياقة معطفه العتيق الخلق . وكنت قد لاحظت ان له لحظات غيبوبة : كان مثلا ينسى في بعض الاحيان انه ليس وحده في الغرفة ، فيأخذ يكلم نفسه ، ويحرك يديه ببعض الاشارات كان منظره اذ ذلك مؤلما .

— قل لي يا فانيا . ماذا وراءك ؟ الى اين كنت ذاهبا ؟  
اما انا فقد خرجت لبعض الاعمال . كيف حالك ؟  
— وانت كيف حالك ؟ كيف تخرج وقد كنت مريضا منذ زمن قصير ؟  
لم يجب العجوز على سؤالي ، وبدا لي انه لم يسمعي .  
— كيف حال آنا آندريفنا ؟

— بخير ، بخير . ثم انها مريضة هي ايضا . لا ادري ماذا بها . . . لقد اصبحت حزينة . وهي تذكرك وتتحدث عنك كثيرا . لماذا لا تأتي الينا يا فانيا ؟ لعلك كنت آتيا الينا الآن ؟

ولكنه سألني فجأة وهو يلقي علي نظرة شك وحذر :  
— ربما ازعجك الآن وأصرفك عن بعض شئونك ؟  
كان العجوز قد بلغ من فرط الحساسية وسرعة التهيج انه لو اجبته بأنني غير ذاهب اليهم الآن ، لعد جوابي اهانة وتركني في جفاء حتما . فأسرعت أقول انني ذاهب اليهم حقا ، لأنني آنا آندريفنا (كنت اعلم مع ذلك انني متأخر ، وان وقتي قد لا يتسع للذهاب الى ناتاشا) .

— هذا حسن . . . حسن جدا .  
قال العجوز ذلك مطمئنا لجوابي . وفجأة سكت وأخذ يفكر ، كأنه لم يتم ما اراد قوله .  
وبعد ذلك بأربع او خمس دقائق كثر .  
— نعم هذا حسن .

قال ذلك على نحو آلي ، كمن يستيقظ من حلم عميق .  
ثم اردف :

— هل تعلم يا فانيا ؟ لقد كنت لنا دائما بمثابة ابن .  
لم يرزقنا الله ابنا ، انا وآنا آندريفنا ، لذلك ارسلك الينا . هذا ما خطر على بالي دائما . . . نعم . ولقد كان سلوكك معنا دائما سلوك الابن البار الذي يحترم ابويه ويحبهما . رضى الله عنك يا فانيا كما نرضى عنك نحن الاثنين ونحبك . . . نعم !  
واخذ صوته يرتجف ، وانتظر ما يقرب من دقيقة .

— نعم . هل كنت مريضا يا فانيا ؟ لماذا لم تأت الينا هذه المدة الطويلة كلها ؟

فقصصت عليه قصة سميت ، وقلت ، على سبيل الاعتذار ، ان هذه المسألة هي التي شغلتنني ، وانني عدا ذلك



كنت على وشك ان أمرض ، وان هذه المتاعب كلها هي التي  
حالت بيني وبين قطع هذه المسافة البعيدة الى جزيرة فاسيليفسكى  
لزيارتهم (انما كانوا يسكنون في ذلك الوقت في جزيرة  
فاسيليفسكي) . وكاد يفلت من لساني أنني قد اتيح لي مع  
ذلك ان أزور ناتاشا ، ولكنني انبتهت الى نفسي فتوقفت .

وقد اهتم العجز كثيرا بقصة سميت ، واصغى اليها باهتمام  
شديد . ولما علم ان مسكني الجديد أرطب وربما أسوأ من  
مسكني القديم ، وان اجرتة ستة روبلات ، غضب غضبا  
شديدا . لقد اصبح على وجه العموم سريع الغضب نافذ الصبر .  
وكانت آنا أندريفنا هي الوحيدة التي تستطيع ان تهدىء من  
روعه ، وليس دائما . . صرخ فيما يشبه الكره :

— هم . . كل هذا من الادب ، يا فانيا . لقد أوصلك  
ادبك الى هذا المسكن الحفير ، وسيوصلك الى المقبرة . . قلت  
لك هذا منذ زمان ، تنبأت به منذ مدة طويلة ! وماذا جرى  
لصاحبك ب . . أما يزال يكتب نقدا ؟

— لقد مات مصدورا . . تعرف ذلك . أظن أنني ذكرت  
لك هذا الامر .

— مات . . مات . . مات . . هذا طبيعي . . هل ترك  
شيئا لامراته واولاده ؟ لقد ذكرت لي انه متزوج . . لماذا يتزوج  
مثل هؤلاء الناس ؟

— كلا ، لم يترك شيئا .  
فهتف في حنق كأن الامر يتصل به اتصالا وثيقا ، كأن  
المتوفى ب . . اخوه :

— طبيعي . . لم يترك شيئا ، لم يترك شيئا ابدا . هل

تعلم يا فانيا اني ادركت منذ زمان ، منذ الوقت الذي كنت لا  
تكل فيه عن كليل الثناء له ، انه سينتهي الى هذا المصير ؟  
هل تتذكر ؟ لم يترك شيئا البتة ! الكلام سهل ! هم . . لقد  
نال المجد ، ولعله نال مجدا خالدا ، ولكن المجد لا  
يطعم خبزا يابني . منذ ذلك الوقت تنبأت بكل هذا لك انت  
ايضا يا عزيزي . كنت اهتلك على نجاحك في الادب ،  
ولكنني بيني وبين نفسي كنت أوجس شرا . اذن لقد  
مات ب . . ؟ وكيف لا يموت ؟ ان الحياة جميلة ، وهذا  
المكان جميل . . انظر !

قال ذلك و اشار بحركة من يده سريعة غير ارادية ، الى  
فضاء الشارع يملؤه الضباب وتثيره اشعة القناديل ضعيفة مهتزة ،  
والى البيوت القذرة ، والى بلاط الارصفة يلتمع من الرطوبة ،  
والى المارة الغاضبين والمبللين المتقلصة وجوههم من الهم ، الى  
كل هذه اللوحة التي تلفها سماء بطرسبرج كقبة قائمة ملطخة بحبر  
اسود . وشارفنا الميدان . امامنا ، في الظلام ، يتصب تمثال  
نيقولاي الاول ، تضئبه من الاسفل مصابيح الغاز ، ووراءه تقوم  
كاتدرائية القديس ايساكي . كتلة كبيرة قائمة تخترق السماء  
المظلمة .

— قلت لي يا فانيا ان هذا الرجل كان رجلا طيبا ،  
نظيفا ، شريفا ، ذا قلب نبيل . هم . . انهم جميعا هكذا ،  
هؤلاء الناس ذوى القلوب الثبيلة ، لا يجيدون غير زيادة عدد  
اليتامى ! وينخيل اليّ انه كان فرحا بالموت . هه هه ليته ذهب  
الى اى مكان بعيد ، ولو الى سيبيريا ! ماذا تريد ان ابنيها  
الصغيرة ؟



قال هذه العبارة الاخيرة فجأة اذ بصر على الرصيف بطفلة  
تطلب صدقة .

هي طفلة صغيرة نحيلة ، في السابعة من عمرها ، او في  
الثامنة على اكثر تقدير ترتدي اسمالا قدرة . كانت قدمها عاريتين  
في حذاء مثقب ، وكانت تحاول ان تغطي جسمها الصغير  
المرتعش من البرد بما يشبه معظفا صغيرا مهترنا اصبح منذ مدة  
طويلة قصيرا عليها . وكان وجهها النحيل ، المريض ، الشاحب  
ملتفتا نحونا . كانت تنظر الينا في خجل ، دون ان نقول شيئا ،  
وتمد الينا يدها المرتعشة بنوع من الخوف والتردد . وحين رآها  
العجوز اخذ يرتعش من قمة رأسه الى اخمص قدميه ، واستدار  
نحوها بسرعة شديدة ، حتى انها من سرعته خافت ، فارتعدت ،  
وابتعدت عنه .

— ماذا تريدين يا صغيرتي ؟ ماذا تريدين ؟ تريدين  
احسانا ؟ خذي ! خذي ، هذا لك .

قال ذلك واخذ يبحث في جيبه ، وهو يرتعد من شدة  
الانفعال ، فأخرج منه قطعتين او ثلاث قطع من النقود ، الا  
انه رأى ذلك قليلا ، فأخرج محفظته وسحب منها ورقة روبل (هي  
كل ما وجده) ووضع الورقة والنقود جميعا في يد السائلة الصغيرة .

— المسيح بحميك يا صغيرتي ، يا بنتي !  
ورسم اشارة الصليب عدة مرات على الطفلة البائسة بيد  
مرتعشة . ولكنه انتبه الى وجودى فجأة ، ولاحظ أننى أنظر  
اليه ، فقطب حاجبيه ، وسار بخطى سريعة .

واستأنف يقول بعد فترة طويلة من صمت غاضب :  
— اننى لا استطيع يا فانيا ان احتمل منظر هذه المخلوقات

الصغيرة البريئة ترتجف من البرد فى الشارع ، بسبب ابائهم  
الملاعبين . ولكن اية ام ترضى لطفلتها مثل هذه الفظاعة ان  
لم تكن بائسة هي نفسها ! لا شك ان هنالك ، فى الركن ،  
بنامى آخرون ، ولعل هذه الطفلة ان تكون كبراهم ، والأم مريضة  
هي نفسها . . هم ليس هؤلاء الاطفال ابناء امير . . . هنالك ،  
فى الارض ، كثير من الاطفال يا فانيا ، ليسوا ابناء امراء !  
هم !

وصمت دقيقة ، كأنما اوقفه عن الكلام امر ما . ثم  
استأنف يقول مرتبكا بعض الارتباك :

اسمع يا فانيا ، لقد وعدت آنا آندريفنا . . اعني اننا  
اتفقنا كالانا على أن نبنى يتيمة . . . اى يتيمة ، ولكن يجب  
ان تكون فقيرة طبعا ، وان تكون صغيرة ايضا ، نبتناها ،  
وتكون لنا تماما . . هل فهمت ؟ وبدون ذلك يقتلنا الضجر . . .  
عجوزان يعيشان وحيدين . . هم . ولكن اسمع : لقد اصبحت  
آنا آندريفنا تعارض قليلا فى هذا لسبب ما . كلمها انت اذن  
فى الموضوع ، لا على لسانى طبعا ، بل كأن الاقتراح يأتي  
منك على غير سابق علم لك بالامر . . برهن لها على ضرورة  
هذا . هل تفهم ؟ كنت اريد ان ارجوك فى هذا الامر منذ مدة  
طويلة ، حتى تقنعها ، لانه يوهلمني ان اطلب اليها ذلك  
بنفسى ولكن حسبي سخافات ! مالى ولهذا كله ؟ ما شأنى  
وشأن ابنة صغيرة ! ما انا فى حاجة الى هذا وانما قصدت من  
ذلك الى التسلي ، الى ان اسمع صوت طفل . ثم أنتي ،  
والحق يقال ، انما اريد ذلك من اجل عجوزتي . فلان يكون  
معنا طفلة صغيرة فذلك ادعى الى مرحها من ان تعيش معي



وحدى وتلك كلها تفاهات على كل حال . اسمع يا فانيا ،  
لن نصل ابدا اذا نحن سرنا سيرنا هذا . لناخذ عربة ، طريقنا  
طويل وأنا آندريفنا تنتظرنا .  
وحين وصلنا الى آنا آندريفنا كانت الساعة قد بلغت  
السابعة والنصف .

## الفصل الثاني عشر

كان الزوجان العجوزان يحب كل منهما الآخر حبا عظيما .  
لقد ربط الحب والتعود الطويل بينهما برباط لا ينقسم . على  
ان نيقولاي سرجيتش ، في هذه المدة الاخيرة ، بل قبل  
ذلك ، في اسعد ايامه ، كان لا يظهر لآنا آندريفنا عاطفته  
كثيرا ، حتى لقد كان يعاملها احيانا في خشونة ، ولا سيما  
امام الآخرين . ان في اصحاب النفوس الحساسة ، المرهفة ،  
الرفيقة ، نوعا من العناد في بعض الاحيان ، فترى احدهم  
ياأبى ان يعبر للشخص الذى يحبه عن حبه ، لا بين الناس  
فحسب ، بل وفي الخلوة أكثر مما بين الناس . ويندر ان تغلت  
منه ملاطفة ، ولكنها ان افلئت تكون عيفة قوية عارمة ، على  
قدر انجاسها مدة طويلة من الزمان . هكذا كان سلوك العجوز  
اخمينيف مع عزيزته آنا آندريفنا منذ ايام الصبا . كان يحترمها  
ويحبها الى غير حد ، وكانت هي امرأة نبيلة القلب تفيض  
شهادة ولا تعرف شيئا غير ان تحب ، وكان يغضبه منها في  
بعض الاحيان انها تسرف في التعبير له عن حبتها . ولكن بعد  
ذهاب ناتاشا اصبح العجوزان كليهما ارق مما كانا من قبل .

كانا بشعران ، والألم يحز في نفسيهما ، انهما اصبحا وحيدين  
في هذا العالم . ومع ان نيقولاي سرجيتش اصبح في بعض  
الاحيان مظلم النفس الى ابعد حد ، فانهما كانا لا يستطيعان  
ان يفترقا ، ولو ساعتين ، دون ان يشعرا بقلق وألم . وقد اتفقا ،  
ضمنا ، على ان لا يتحدثا عن ناتاشا ابدا ، كأنها لم تكن  
حتى لقد كانت آنا آندريفنا لا تجرؤ ان تذكر ناتاشا امام  
زوجها بكلمة ، رغم ان ذلك كان يؤلمها . انها في اعماق  
قلبها قد غفرت لناتاشا منذ مدة طويلة . وكان بيني وبينها نوع  
من الاتفاق : كنت كلما زرتها انقل اليها اخبار ابنتها الغالية .  
وكانت العجوز تمرض حين تنقطع عنها اخبار ناتاشا مدة  
طويلة ، حتى اذا جثها ببعض الاخبار ، اهتمت بادق  
التفاصيل ، واخذت تمطرني بوابل من الاسئلة ، بحب استطلاع  
متشج ، وكانت صحتها تتعثر حينئذ وتحسن : وفي ذات  
مرة كادت تموت رعبا حين علمت ان ناتاشا مريضة ، واوشكت  
ان تذهب لعيادتها . الا ان ذلك كان حدثا استثنائيا . كانت  
في اول الامر ، حتى امامي ، تأبى ان تعبر عن رغبتها في  
رؤية ابنتها ، وكانت دائما ، بعد احاديثنا عن ناتاشا ، وبعد  
ان تحصل منى على جميع الانباء التى تريد معرفتها ، لا تنسى  
ان تحاول ضبط عواطفها امامي ، وان تؤكد انها  
رغم اهتمامها بمصير ابنتها ، تعتبر جريمتها جريمة نكراء لا  
يمكن ان تغتفر . ولكن هذا كله كان تصنعا . وكانت في بعض  
الاحيان تبلغ من قلقها حدا كبيرا ، فتأخذ تبكي ، وتغدق على  
ناتاشا امامي احمر العواطف وتطلق عليها ارق الاسماء ، وتشتكي  
من نيقولاي سرجيتش شكوى مرة ، اما في وجوده فتأخذ تغمز



في رفق وأناة ، من كبرياء الناس ، وقسوة قلوبهم ، ومن اننا لا نعرف كيف نغفر الاسباب ، ونقول ان الله لا يغفر لمن لا يغفرون . الا انها لم تكن تذهب الى ابعد من هذا امامه . وفي تلك اللحظات ما يلبث العجز ان يقسو ويظلم وجهه ، ويصمت مقطبا حاجبيه ، أو يأخذ على حين فجأة يتحدث بصوت عال جدا وفي غير لباقة عن اشياء اخرى ، أو يتركنا وحدنا ويذهب الى غرفته ، ويدع بذلك لآنا آندريفنا ان تسكب همها كله أمامي دموعا وتفجعا . وكان كذلك يذهب الى غرفته في كل زيارة من زياراتي ، واحيانا ما أن يحييني ليتيح لي ان انقل الى آنا آندريفنا كل ما احمل من انباء جديدة عن ناتاشا . وهذا ما فعله في ذلك اليوم ، فما ان دخلنا على آنا آندريفنا حتى قال :

— انا ذاهب الى غرفتي يا فانيا ، لانني مبلل ، اريد ان اغير ملابسي . ابق انت هنا يا فانيا . لقد وقع له حادث في منزله ، قصص عليها هذا الحادث . سأعود بعد قليل . . . وخرج مسرعا ، وهو يحاول ان لا ينظر الينا ، كأنما يؤنبه ضميره على انه جمعنا . وفي مثل هذه الحالات ، لا سيما حين يعود الينا ، كان يبدو خشنا معي ومع آنا آندريفنا ، بل فظا مزعجا ، كأنما هو يلوم نفسه ويقرعها على ضعفها ونهاونها .

وقد اصبحت آنا آندريفنا في المدة الاخيرة لا تخفي عني شيئا ولا تتصنع ولا تتكلف ، فلما خرج زوجها قالت : — رأيت ؟ انه دائما هكذا معي . وهو يعلم مع ذلك اننا ندرك كل حيله . لماذا يتكلف امامي ؟ آنا غريبة عنه ؟

ولقد كان كذلك مع ابنته ، انه يستطيع ان يغفر لها ، ومن يدري ! فلعله يريد ان يغفر لها . انه يبكي في الليل . لقد سمعته باذني . الا انه يظل محافظا على مظهر الصلابة والقسوة . لقد افقده الضعف صوابه . . قل لي يا عزيزي ، يا ايفان بتروفنش ، قل لي حالا ؟ : الى اين قصد ؟ — من ؟ نيقولاي سرجيتش ؟ لا ادري : هذا ما كنت اريد ان أسألك عنه .

— لقد ذعرت حين رأيتة يخرج ، مريضا ، في هذا الجو السيئ ، في الليل . قلت لنفسي لا بد انه خارج لامر خطير . وهل ثمة ما هو اخطر من القضية التي تعرفها ؟ قلت ذلك لنفسي ولكنني لم اجرؤ ان أسأله . لقد اصبحت الآن لا اجرؤ على ان أسأله عن شيء . يا الهى ، اصبحت بسببه ، وبسببها ، طائشة اللب . قلت لنفسي : لعله ذاهب اليها ؛ لعله قرر ان يصفح عنها . ذلك انه يعرف كل شيء ؛ انه على علم بكل ما يتعلق بها ، حتى آخر الانباء . انا مقتنعة بانه يعرف جميع انبائها ، رغم انني لا أفهم من اين يأتي بهذه الانباء . كان في مساء امس قلقا جدا ، واليوم ايضا . ولكن لماذا لا تقول شيئا ؟ تكلم يا عزيزي ، ماذا حدث ؟ لقد انتظرتك كالمهدي ، وترقبت حضورك من لحظة الى اخرى . اذن فسبهر هذا الحقيير ناتاشا ؟

قصصت على آنا آندريفنا كل ما اعرفه . لقد كنت صريحا معها دائما . ابلغتها ان ناتاشا وأليوشا سائران فعلا نحو الانفصال ، وان الامر في هذه المرة اخطر من جميع الخلافات التي وقعت بينهما قبل ذلك . وذكرت لها ان ناتاشا ارسلت



اليّ امس رسالة تتوسل اليّ فيها أن آتى اليها هذا المساء ، فى الساعة التاسعة ، وانني لهذا السبب لم افكر فى المحيىء اليهم اليوم ، وان نيقولاى سرجييتش هو الذى قادني على غير ارادة مني . وشرحت لها ، بتفصيل ، ان الموقف الآن حرج ، وان ابا أليوشا ، وقد عاد منذ خمسة عشر يوما تقريبا ، لا يريد ان يسمع شيئا ، وانه تولى أمر أليوشا فى حزم ، وان الاخطر من هذا كله ان أليوشا لا يرفض خطيبته ، بل انه ، فيما يقال ، مفرم بها . واضفت ان ناتاشا ، فيما اقدر ، قد كتبت رسالتها اليّ وهى فى حالة اضطراب شديد . فهى تقول فى رسالتها ان كل شيء سينتقر فى هذا المساء ، والغريب ان تكتب الي امس ترجوني ان احضر اليوم ، فى ساعة معينة : التاسعة . لذلك لا بد لي ، حقا ، من الذهاب بأقصى سرعة .

اخذت العجوز تقول مضطربة :

— اذهب اليها يا عزيزي ، اذهب اليها . ستتناول قليلا من الشاي متى عاد . آه ، اين السماو ؟ ماتريونا ، اين السماو ؟ شيطانة ، لا خادمة . نعم ، سوف تتناول قليلا من الشاي ، ثم تتحل عدرا مقبولا لتذهب . وغدا تعود حتما لتقص عليّ كل شيء . وارحوك ان تبكر . يا الهى ، أتكون هنالك مصيبة جديدة أسوأ من المصائب السابقة ! قلبي يقول لي ان نيقولاى سرجييتش على علم بكل شيء . انا شخصيا اطلع على كثير من الاشياء بواسطة ماتريونا ، وماتريونا بواسطة أجاشا وأجاشا هى قريبة ماريا فاسيلفنا التى تسكن فى بيت الامير . . . ولكنك تعرف كل هذا . وفى هذا اليوم كان نيقولاى فى حالة غضب هائل ، وكاد ينفجر فى وجهي صارخا ، الا انه ندم على فعله ،

وابلغني انه فى ضيق مالي . . . كانما ليزعم انه انما يصرخ لانه فى ضيق مالي . وبعد الغداء ذهب لينام والقيت نظرة من خلال الشق (ان فى باب غرفته شقا لا يعرفه) ، فرأيته راكعا ، يا صديقي ، امام صور القديسين يصلي . حين رأيت ذلك حارت قواى واصطكت ركبتيّ . لم يشرب قدح الشاي الذى اعتاد ان يشربه ، ولا نام بعد الظهيرة على عادته ، بل تناول قبعته وخرج فى الساعة الخامسة . لم اجرؤ ان اطرح عليه اى سؤال ، ولو قد سألته عن شيء لصرخ فى وجهي . لقد اصبح يصرخ كثيرا ويصرخ فى وجه ماتريونا غالبا ، وفى وجهي انا احيانا . ومتى بدأ يصرخ تثل ساقيّ وأشعر كأن شيئا من قلبي يتزعج . اعرف ان هذا تهور منه ولكنه مع ذلك شيء فظيع . وحين خرج ظللت اصلي ، وادعو الله ، ساعة كاملة ، ان يلهمه الصواب . ولكن اين رسالة ناتاشا ، ازينها ؟ أريتها الرسالة . وكنت اعلم ان أملها الخفي المفضل هو ان يرضى أليوشا ، الذى تنعته نارة بالحقير ، ونارة بأنه صبي ارعن غير ذي شعور ، ان يتزوج ناتاشا ، وان يوافق ابوه ، الامير بيوتر الكسندروفنش ، على هذا الزواج . وقد زلت مرة امامي ، فأفصحت عن أملها هذا ، وان عادت عن كلامها بعد ذلك ، وندمت على انها قالت . ولكن ما كان لها ان تجرؤ يوما على اعلان أملها هذا امام نيقولاى سرجييتش ، رغم انها تعلم ان العجوز يشبهه فى ذلك ، حتى لقد لامها عليه ، فى ذات مرة ، لوما غير مباشر . اعتقد انه لو أيقن بأن هذا الزواج ممكن ، للعن ناتاشا نهائيا ، ولانزعجها من قلبه الى الابد .



هذا ما كنا نعتقد به آنذاك جميعا : لقد كان ينتظر ان تعود اليه ابنته ، ويتمنى ذلك من كل قلبه ، ولكنه ينتظر ان تعود وحدها ، نادمة على فعلتها ، نازعة من قلبها حتى ذكرى ألبوشا . كان ذلك هو الشرط الوحيد الذى يشترطه للصفح عنها ، وهو شرط لم يعلن عنه ، ولكنه فى نظره شرط معقول ، ولا بد منه .

— انه ضعيف الارادة ، هذا الصبي ، ضعيف الارادة ، وضعيف الشعور . لقد قلت دائما انهم لم يحسنوا تربيته ، ولد طائش . أيهجرها وهى تحبه هذا الحب العظيم ؟ يا الهى ! ما عسى ان يكون مصير هذه المسكينة ! وماذا احب فى الأخرى ؟ اننى لا أفهم .

— سمعت من يقول انها فتاة فاتنة . ثم ان ناتاليا نيقولايفنا تقول هذا نفسه .

— لا تصدق ، انكم ، أيها الرجال الطائشون ، تفتنون بكل فتاة ، ولئن اطرت ناتاشا جمالها فما ذلك الا كرم منها وسماحة ، انها لا تعرف كيف تحتفظ بألبوشا فتغفر له كل شىء ، ولكنها تتألم ! كم مرة خانها ، هذا اللص ، هذا المجرم ! آه ، يا ايفان بتروفنش ، لقد اطاش الصلف صوابهم جميعا ! ليت عجوزي على الاقل يهدئ من روعه ، ويصفح عن صغيرتي الحبيبة ويردها الى هنا ، فأستطيع ان اقبلها ، ان انظر فى وجهها . هل نحلت ؟

— نعم ، يا آنا آندريفنا .

— آه يا صديقي ! وقد نزلت بي نازلة يا ايفان بتروفنش ! بكيت طوال الليل وطوال النهار . . ولكننى سأقصد عليك ذلك

فيما بعد ! كم مرة اوشكت ان اسأله ان يغفر لها ! ولكننى لا اجرؤ على مكاشفته بذلك صراحة ، فألمعت الماعا خفيا بعيدا ، وخاتنتى الجراة ، وقلت لنفسى لا بد انه سيغضب فيلعنها الى الابد . . انه لم يلعنها الى الان وان كنت اخشى شيئا فهو ان يفعل ذلك . ويا ويلي اذا لعنها . اذا لعن الاب ، فان الله يجازى . وهكذا اعيش كل يوم فى رعب دائم . وانت يا ايفان بتروفنش ، ألا تستحي ؟ نشأت فى بيتنا ، ودللكناك تدليل الابوين ولدهما ، ثم تتوهم انها فتاة فاتنة ! ماذا اصاب عقلك ! فاتنة ! وهذه ماريا فاسيلفنا تشنط أكثر من ذلك . (لقد اخطأت ، فدعوته مرة الى تناول القهوة اثناء غياب زوجي لاعماله طوال الصباح) ، فقصت على جميع خفايا المسألة . ان الامير ، ابا ألبوشا ، على علاقة اثيمة بكوتنيسة . ويقال ان الكوتنيسة تلومه منذ مدة طويلة على انه لم يتزوجها ، اما هو فيؤجل دائما . وهذه الكوتنيسة معروفة بسوء سلوكها ، منذ كان زوجها على قيد الحياة ، وحين مات زوجها سافرت الى الخارج وعاشرت ايطالين وفرنسيين ! ووجدت بعض البارونات ، وهنالك انما اصطادات ايضا الامير بيوتر الكسندروفنش ، وفى اثناء ذلك كانت تكبر ابنة زوجها ، زوجها الاول ، أحد تجار الخمر . وكانت الكوتنيسة تبذر اموالها يمنا ويسرة ، وكانت كاترينا فيدوروفنا يشتد ساعدها اثناء ذلك ، والمليونان اللذان خلفهما لها ابوها كانا يزيدان ، ويقال انها تملك الآن ثلاثة ملايين . قال الامير لنفسه على الفور : «هذه فرصة لتزويج ألبوشا» (انه ثاقب البصر ، ولا يدع الفرصة تفلت منه) . اما قريبا الكونت ، وهو رجل رفيع المنزلة ، يُستقبل فى البلاط ،



فهو كذلك موافق ، ثلاثة ملايين ، ليست مزحة . بقي ان  
توافق الكونتيسة . ومضى الامير الى الكونتيسة يبلغها رغبته .  
فرفضت الكونتيسة وتمنعت . هذه امرأة لا مبادئ لها ، فيما يقولون ،  
وهي وقحة . وقد سمعت ان الناس هنا لا يقبلون زيارتها في  
بيوتهم . هنا شيء ، وفي البلاد الاجنبية شيء آخر . قالت :  
كلا ، يا أمير ، أنت تتزوجني ، اما ابنة زوجي فلن تكون  
امرأة ألبوشا ، ويقال ان الفتاة تحب امرأة أبيها حبا عظيما ،  
انها تعبدها عبادة ، وتطيعها في كل أمر . يظهر أنها لطيفة ،  
انها ملاك ! ويعرف الامير كيف يخاطب الكونتيسة ويؤثر فيها .  
قال لها : اسمعي يا كونتيسة ، لقد أنفقت انت جميع اموالك ،  
وغرقت في الديون ، فاذا تزوجت ابنة زوجك بألبوشا ، وكلاهما  
غر ساذج ، استطعنا ان نسيطر عليهما وان نجعلهما تحت  
وصايتنا ، فتحصلين على المال ، انت ايضا . ما لك وللزواج  
بسي ! انه امرؤ ماهر محتال ! ماسوني ! جرى هذا منذ ستة  
اشهر ، ولم تعزم الكونتيسة أمرها ، ولكن يقال الآن انهما  
سافرا الى فارصوفيا ، وانهما اتفقا هنالك . ذلك ما قبل لي ،  
ان ماريا فاسيليفنا هي التي قصت علي ذلك كله ، من البداية  
الى النهاية . وقد سمعته هي من مصدر موثوق . هذه هي  
المسألة اذن : مسألة مال ، مسألة ملايين ، أما ان تقول ان  
الفتاة فاتنة ، فهذا ما لا أريد ان اسمعه !

ادهشني ما روتته أنا أندريفنا . انه عين ما سمعته من  
ألبوشا نفسه منذ مدة قصيرة . وقد حلف وهو يقص علي هذا  
انه لن يرضى لنفسه ، ما عاش ، ان يتزوج في سبيل مال .  
لكنه قال ان كاترينا فيدوروفنا قد اثرت فيه تأثيرا كبيرا . وقال

ربما تزوج ابوه ايضا ، رغم تكذيبه الاشاعات ، خشية اغضاب  
الكونتيسة . وقد سبق ان قلت ان ألبوشا يحب اباه كثيرا : كان  
يعجب به اشد الاعجاب ، وكان يعتر به أكبر الاعتزاز ، ويؤمن  
به ايمانه بعرف . . .  
وتابعت أنا أندريفنا تقول وقد ازداد استياؤها مما قلت في

حق خطيبة الامير الشاب المقبلة من ثناء :  
— وليست هي من اسرة نبيلة ! ان ناتاشا أليق به منها .  
هي ابنة تاجر خمور ، وناتاشا من سلالة عريقة في حلبة النبل .  
ان عجوزي قد فتح بالامس (نسبت ان اقول لك ذلك) صندوقه  
الصغير وظل طوال السهرة جالسا امامي يقلب الاوراق القديمة  
التي تضم تاريخ اسرتنا العريقة . . كان في وجهه اهتمام وجد .  
وكنت مشغولة بحياكة الجرابات ، لا اجرؤ على النظر اليه ،  
ولاحظ انني صامتة فغضب ، ثم دعاني اليه وظل طوال الليل  
يشرح لي نسب الاسرة ، وقد اتضح اننا ، نحن اسرة اخمينيف ،  
كنا من النبلاء منذ عهد ايفان الرهيب . ، وان أهلي انا ، اسرة  
شوميلوف ، كانوا معروفين منذ ايام الكسي ميخائيلوفتش . والوثائق  
متوفرة لدينا ، ويشير الى ذلك تاريخ كرامزين . ترى من هذا ،  
يا عزيزي ، أننا لا نقل عن غيرنا من هذه الناحية . وحين اخذ  
العجوز يشرح لي ، فهمت على الفور ما يدور في رأسه . هو ايضا  
يجرحه ان يحرقوا ناتاشا . ليس لهم من فضل علينا الا الغنى .  
ليشتهر هذا اللص بيوتر الكسندروفتش ، في سبيل الثروة ماشاء له  
الاستهتار : ان جميع الناس يعرفون انه امرؤ قاس بشع . ويقال  
انه دخل رهبانية اليسوعيين . سرا بفارصوفيا ، هل هذا صحيح ؟  
— سخافات !



قلت ذلك وقد شاقني هذه الاشاعة بالرغم مني ، وشاقني  
اكثر من ذلك ان أعلم ان نيقولاى سرجييتش قد قلب  
اوراق اسرته ، مع انه ما كان يتباهى بمحتده قبل ذلك ابدا .  
وتابعت أنا آندريفنا نقول :

— انهم جميعا حقراء ، ليس لهم قلوب . ولكن قل  
لي عزيزي ، كيف حالها ، هي ، حمامتي ؟ أهى حزينة ؟  
هل تبكى ؟ لقد حان موعد ذهابك اليها ! ماتريونا ، ماتريونا  
هذه شيطانة ، لا خادمة . قل لي يا عزيزي . هل اهانوها ؟  
قل يا فانيا ، تكلم .

هل كان في وسعي ان أقول شيئا ؟ لقد انفجرت العجوز  
باكية متتجة . سألتها ما هي المصيبة الجديدة التي كانت تريد  
ان تقصها علي منذ قليل .

— اه يا عزيزي ، ما كفانا الذى نحن فيه من مصائب ،  
كأننا لم نشرب الكأس حتى الثمالة ! لعلك تذكر ، يا صديقي ،  
او لعلك لا تذكر انه كان عندي نشان ذهبي ، وُضعت فيه  
صورة صغيرة لعزيتي ناتاشا يوم كانت هذه الملاك فى الثامنة من  
عمرها . وقد عهدنا برسم هذه الصورة ، أنا ونيقولاى سرجييتش  
الى رسام مراً بالبلدة عرضا . . أرى انك قد نسيت ! وكان الرسام  
بارعا ، فرسمها بصورة الملاك ، ووضع فيها كل حبه وقلبه .  
كان لناتاشا يومئذ شعر ذهبي كأنه الزبد نعومة . وقد رسمها  
مرتدية غلالة شفافة يرى من ورائها جسمها الصغير : كانت  
جميلة جمالا لا يكمل المرء من النظر اليه . وقد طلبت الى الرسام  
ان يضيف اليها جناحين ، ولكنه أبى . هذا النيشان ، أخرجه  
من صندوقي ، بعد هذه المشاكل الفظيعة التي مرت بنا ، وعلقته

الى عنقي بحبل ، وصرت أحمله مع صليبي ، وأخاف ان يبصر  
به زوجي ، لانه كان قد أمر بأن ترمى او تحرق جميع الاشياء  
التي يمكن ان تذكر بناتاشا . ولكن كان لا بد لي ، أنا ،  
من ان استطيع رؤية صورتها ، فكنت انظر اليها من حين الى  
حين ، فأبكي ، وكان هذا البكاء يسرى عني ، وكنت فى  
بعض الاحيان ، حين اخلو الى نفسى ، التهم الصورة بالقبيل  
التهاما ، كأنما انا اقبل ناتاشا نفسها ، وكنت اناديها بأرق  
الاسماء ، وارسم عليها اشارة الصليب فى كل ليلة . كنت  
اتحدث اليها بصوت عال ، حين اكون وحدى ، واطرح عليها  
سؤالا فأتخيل أنها تجيبني ، فأطرح عليها سؤالا آخر . آه ،  
يا فانيا ، لشد ما يؤسفنى ان أقص عليك باقى الحكاية .  
كان يسعدني انه لا يعرف من امر النيشان شيئا ، ولا يلاحظ  
شيئا . ولكنني ، امس صباحا ، تفقدت النيشان فلم اجده !  
لم يبق الا الحبل معلقا فى عنقي . كان النيشان قد انفصل عن  
الحبل ، ولا شك انه سقط . حزنت لهذا اشد الحزن ، واخذت  
ابحث وابحث ، ولكن دون جدوى . لقد غاب النيشان ولم  
اعثر له على اثر . تساءلت اين عساه اندس ؟ وقلت لنفسي :  
لا شك انه سقط فى سريري ، وغاب بين ثناباه . ونبشت  
السرير وقلبت رأسا على عقب ، فلم اجد شيئا : قلت اذا كان  
قد سقط فى مكان ما ، فلا بد ان يعثر به أحد . ومن عسى  
يعثر به غيره هو ، وغير ماتريونا ؟ أما ماتريونا ، فلا ، لانها  
مخلصة لي كل الاخلاص . . ماتريونا ، هلا اتيت بالسماور ؟  
قلت : واذا كان هو قد وجده ، فما عسى ان يقع ؟ وظللت  
لا اعمل شيئا غير الانتحاب والبكاء ، ولا استطيع ان احبس



دموعي . واصبح نيقولاي سرجييتش اكثر رقة ولطفا في معاملتي ،  
واصبح الحزن يفيض في وجهه حين ينظر الي ، كأنه يعرف  
لماذا أبكي ، فيرتي لحالي . عندئذ قلت لنفسى : كيف يمكنه  
ان يعلم ذلك ؟ لعله اذن قد عثر على النيشان فعلا فرماه من  
النافذة ! انه قادر على هذا . لا شك انه رماه ، وانه الآن  
حزين لندمه على انه رماه . عندئذ ذهبت الى فناء البيت أبحث  
عن النيشان مع ماتريونا ، ولكننا لم نجد شيئا . لقد غاب  
النيشان تماما . وقضيت الليلة كلها ابكى وانتحب . كانت تلك  
هى الليلة الاولى التى لا ارسم فيها على ابنتي اشارة الصليب .  
آه ، يا عزيزي ! ان هذا نذير شؤم . وقد قضيت النهار كله  
ابكي بلا انقطاع . وكنت انتظر وصولك كأنك رسول من السماء ،  
لعلك تواسيني على الاقل . .

واخذت العجوز تبكي بكاء مرا .  
ثم استأنفت فجأة تقول ، وقد أشرفت فى وجهها سعادة :  
— ها . نسيت ان اقول لك : هل حدثك عن البتيمة ؟  
— نعم ، يا آنا آندريفنا . قال لي انكما فكرتما فى  
الامر طويلا ، وانك وافقت على تبني طفلة بتيمة ليس لها  
ابوان . هل هذا صحيح ؟  
— انا لم أفكر فى هذا ابدا يا صديقي ، وانا لا اريد  
اية بتيمة . . لانها ستذكرنا بحظنا العيس ، بشقاتنا . لا اريد  
احدا غير ناتاشا . ليس لى الا ابنة واحدة ، ولن يكون لى  
غير ابنة واحدة . ولكن قل لى يا فانيا ، ترى ما معنى تفكيره  
فى تبني طفلة بتيمة ؟ أتراه فكر فى ذلك ، مواساة لى ، لانه  
يرى دموعي ، ام ليطرذ ذكرى ابنته من خياله طردا تاما ويتعلق

بطفلة اخرى ؟ ماذا قال لك عني ؟ كيف بدا لك ؟ قاتم  
الوجه ، غاضبا ؟ هُسن . ها هو ذا يعود . . ستقول لى فيما  
بعد . لا تنس ان تعود غدا .

### الفصل الثالث عشر

دخل العجوز ، فلفنا بنظرة مستطلعة ، وكأنه كان خجلا  
من امر من الامور ، فقطب حاجبيه واقترب من المائدة .  
— اين السماور ؟ ألم يوت بالسماور ؟  
— بل ها هو ذا ، ها هو ذا .  
لقد جاءت ماتريونا بالسماور منذ رأيت نيقولاي سرجييتش  
يدخل علينا ، كأنها كانت تنتظر دخول سيدها علينا حتى تضع  
السماور على المائدة . انها خادمة عجوز مخلصه ، ولكنها اكثر  
خادمت الارض نزوات وانتقادات وعنادا . كانت تخشى  
نيقولاي سرجييتش فتحبس لسانها امامه ، ولكنها لا تتحرج مع  
آنا آندريفنا ، بل تعاملها معاملة خشنة ، ولا تتورع عن اظهار  
طمعها فى السيطرة على سيدتها ، مع كونها تحمل لها ولناتاشا  
حبا عميقا صادقا وكنت قد تعرفت الى ماتريونا هذه فى  
اخمينيفكا .

دمدم العجوز بصوت خافت :  
— كأنما ليس يكفي ان تكون ثياب المرء مبللة ،  
فيضنون عليه بالشاي .  
وما لبثت آنا آندريفنا ان غمزتني بعينها . كان العجوز لا  
يحتمل غمزات الأعين هذه المختلفة ، ومع انه فى هذه



اللحظة حاول ان لا ينظر الينا ، فقد كان واضحا في وجهه انه ادرك ان آنا آندريفنا قد غمزتني في هذه اللحظة .  
وبدأ فجأة يقول :

— لقد خرجت لبعض الشئون . . . خرجت لمشكلة من هذه المشاكل السخيفة القدرة . . . هل قلت لك انهم حكموا عليّ ؟ ليس لدى أدلة ، فالأوراق اللازمة تعوزني ، وقد جرى التحقيق بغير عدل . . .  
انه يتحدث عن القضية التي بينه وبين الامير . لقد كانت هذه القضية تسير ببطء ، وكانت تتطور الى غير مصلحة نيقولاي سرجيتش . وسكت ، لا أدري بم أجيب . فنظر اليّ العجوز نظرة ارتياب .

واستأنف يقول كأنما أغضبه سكوتنا :

— ثم ماذا ؟ الافضل ان تنتهي هذه القضية بسرعة لن يجعلوني حقيرا ولو حكموا عليّ بالمصاريف . ان ضميري مرتاح ، وليقضوا بعد ذلك بما يشاءون . على الاقل سأكون قد نفقت يدي من هذه القضية . قد يدمروني ولكنهم سيركزوني بعد ذلك وشأني . . . سأدع كل شيء ، واسافر الى سيبيريا .  
لم تستطع آنا آندريفنا ان تحبس لسانها فاسرعت تقول :

— يا إلهي ، ولم السفر ؟ لماذا كل هذا البعد ؟

فأجاب العجوز في غلظة كأنما ساءه جوابها :

— ونحن هنا قريبا من ماذا ؟

فقالت آنا آندريفنا وهي تلتقي عليّ نظرة قلقة :

— على كل حال . . . من الناس . . .

فصرخ وهو يلتقي علي وعلى زوجه نظره الغضبى :

— اي ناس ؟ اللصوص ؟ المتخربين ؟ الخونة ؟ هؤلاء يوجد منهم في كل مكان . لا تخافي . سنجد منهم في سيبيريا ايضا . واذا شئت ان لا تأتي معي ، فسي وسعك ان تبقى هنا . لن أجبرك على شيء .  
فهمت المسكينة آنا آندريفنا :

— نيقولاي سرجيتش ، عزيزي ، من اجل من أبقى هنا بدونك ؟ انت تعلم ان ليس غيرك في هذا العالم أحد . . .  
وارتبتك ، فصمتت ، وادارت نحوي نظرة مدعورة ، كأنما هي تتوسل ان أتدخل ، ان اسعفها ، وكان العجوز مهتاجا يخلج كل عضو من اعضائه . كان يستحيل ان تعارضه .  
قلت :

— هذه فكرة حسنة يا آنا آندريفنا ، ان الحياة في سيبيريا ليست سيئة الى الحد الذي يتصوره الناس . اذا نزلت المصيبة ، وكان لا بد لكم من بيع اخمينيفكا ، فان مشروع نيقولاي سرجيتش يكون مشروعا رائعا ، انه يستطيع ان يجد في سيبيريا عملا ممتازا ، وعندئذ . . .

— انت على الأقل يا ايفان تقول قولا رصينا . لقد فكرت في الامر طويلا . سأترك كل شيء وأسافر .

هنا صرخت آنا آندريفنا وهي تضرب كفا بكف :

— هذا ما لم أكن أتوقعه . أنت تقول مثله ايضا يا فانبا ؟ هذا ما لم أكن اتوقعه منك انت ايضا يا ايفان بروفنش . . . لم تلق منا الا المحبة والآن . . .

— ها ها ها ! وماذا كنت تظنين اذن ؟ مم تظنين اننا

سنعيش ؟ فكري قليلا ! لقد تبدد مالنا ، واوشك ان ينفد



آخر كويك نملكه ! ام لعلك ستطلبين اليّ ان اذهب الى  
الامير بيوتر الكسندروفنش اسأله العفو والصفح ؟

فما ان سمعت العجوز اسم الامير حتى اخذت ترتجف  
ذعرا ، واذا بملعقتها التي كانت بيدها تسقط على صحنها فتحدث  
رنيئا .

وشعر اخمينيف بحماسة ، وبفرح شرير عنيد ، فأخذ  
يقول :

— حقا هذا ما يجب ان أفعله ! أليس كذلك يا فانبا ؟  
ألا يجب عليّ ان اذهب الى الامير ؟ لماذا السفر الى سيبيريا ؟  
بل الاحسن ، منذ الغد ، ان ارتدى أحسن ما عندي من  
ثياب ، وان أصفف شعري ، وان أظهر في أجمل حلة : تهيبني  
لي آنا أندريفنا قميصا جديدا (لا بد من هذا حين يذهب المرء  
الى شخص عظيم كالأمير ! ) واشترى قفازات حتى أكون في  
أحسن مظهر ، وأمضى الى صاحب السمو أقول له : «سيدى  
الامير ، يا صاحب السمو ، يا من أحسنت الي وكنت لي خير  
سند وعضد ، يا أبت الرؤوف ، اغفر لي ، واشفق علي ، وهب  
لي من لدنك كسرة خبز ، لأن لي امرأة وأطفالا صغارا !»  
أليس كذلك يا آنا أندريفنا ؟ أهذا ما تريدينه ؟  
فقلت وقد ازداد ارتجافها من شدة الذعر :

— انا لا أريد شيئا يا عزيزي . وقد قلت ما قلت عن  
حماسة وطيش . عفوك اذا كنت قد أزعجتك . ولكن لا تصرخ .  
يقيني أنه كان حين يرى دموع زوجه المسكينة وذعرها  
يحزن حزنا شديدا ويتأثر أعظم التأثر ، ويقيني أنه كان أكثر  
تألما منها ، الا أنه ما كان يستطيع ان يملك زمام نفسه .





وهذا ما يتفق في بعض الاحيان لاشخاص اوتوا نيل القلب وكرم النفس ، الا انهم عصبيون ، فهم رغم كل ما في قلوبهم من نيل وكرم ينساقون مع حزنهم وغضبهم الى حد التلذذ بالحزن والغضب ، محاولين ان ينفصوا ما في نفوسهم مهما كلف الامر ، ولو بالاساءة الى شخص برىء ، بل انهم ليفضلون ان يكون هذا الشخص أقرب الناس اليهم . فالمرأة مثلا تحتاج أحيانا الى الشعور بأنها شقية مذلة ، ولو لم يكن هنالك شقاء ولا اذلال . وهنالك كثير من الرجال يشبهون النساء في هذا ، ولو لم يكونوا من ضعاف الرجال ، ولا ممن يشبهون المرأة شبا كبيرا . ولقد كان العجوز يشعر بالحاجة الى التشاجر ، وان كان هذا يؤلمه أول من يوهلم .

اذكر ان فكرة خطرت على بالي حينئذ . تساءلت : ترى أليس من الممكن ان يكون منذ قليل قد قام بمحاولة من النوع الذي دار في خلد آنا آندريفنا ؟ من يدري ؟ لعل الله قد اوحى اليه بهذه الخطة ، فكان ذاهبا الى ناتاشا ، ثم عدل عن ذلك في الطريق ، او لعل شيئا قد وقع ، فتزعزع قراره ، فعاد الى بيته غاضبا ، مهانا ، خجلا مما شرع فيه ، ومما خالجه من عواطف ، يبحث عن شخص يصب على رأسه الغضب الذي ايقظه فيه ضعفه هو نفسه ، ويختار لهذا الغرض اولئك الذين يقدر انهم يشعرون بهذه الرغبات عينها ، وبهذه العواطف نفسها . او لعله ، وقد اراد ان يغفر لابنته ، قد تصور ما سيحدث في نفس عجوزته المسكينة من حماسة وفرح ، فلما أخفق في مشروعه كانت عجوزته اول من يتحمل نتائج هذا الاخفاق . وحين رآها حزينة محطمة ، ترتعد أمامه من الخوف ،

تأثر تأثرا شديدا ، وكأنه خجل من ثورته ، فكظم غيظه لحظة من الزمان . وصمتنا جميعا ، وحاولت ان لا أنظر اليه . لم تدم هذه اللحظة طويلا . فلقد كان لا بد له ان يتكلم مهما كلف الامر ، ولو بانفجار ، ولو بلعنات . فقال فجأة :

— اسمع يا فانيا . ان ما سأقوله يؤلمني ، وما كنت احب ان اقوله ، ولكن آن لي ان اقوله ، ينبغي ان أتكلم بصراحة ، بلا لف ولا دوران ، كما يليق بكل رجل شريف مستقيم . هل تفهمني يا فانيا ؟ يسرني ان تكون الآن هنا ، ولهذا اريد ان اتحدث بصراحة ، وذلك حتى يفهم الآخرون ان جميع هذه السخافات ، وهذه الدموع ، وهذه التهنيدات ، وهذه الآلام ، تزعجني اخيرا . ان الشخص الذي انتزعته من قلبي ، ولعلني اذ فعلت ذلك قد آلمت قلبي وأدميته ، لن يعود الى قلبي ابدا . نعم ، سأفعل ما قلته . انني اتحدث الآن عما وقع منذ ستة اشهر ، هل تفهمني يا فانيا ، ولئن كنت اتحدث عن ذلك الآن بمثل هذه الصراحة ، فلكي لاتخطيء التقدير يوما ، ولا تسيء فهم كلامي (قال ذلك وهو يثبت في نظراته الملتهبة ويتحاشى نظرات زوجته المدعورة) . أعود فأقول : لا أريد بعد الآن هذه السخافات . ان الامر الذي يرضيني اكثر من كل شيء ، ويشير أعصابي هو ان الجميع يظنون ان من الممكن ان نخامرني عواطف حقيرة مسكينة الى هذا الحد ، كأنتي امرؤ غيبي ناه . يظنون انني اجن الآن الما . كل هذا سخف . لقد انتزعت عواطفى القديمة ونسبتها الى الأبد . لم يبق لي من ذكريات ، كلا ، ثم كلا ، ثم كلا !



ونهض فجأة ، وضرب يده على المنضدة ، فأخذت  
الاقداح ترن .

— نيقولاي سرجيتش ، ألا ترحم آنا آندريفنا ؟ انظر  
ماذا تفعل بها .

قلت ذلك وقد نفذ صبري ، ونظرت اليه فيما يشبه  
الاستياء . الا اننى ما زدت بهذا على ان اصب فوق النار  
زيتا ، اذ انه ما ان سمع كلامي حتى قال وهو يرتجف ويمتقع  
لونه :

— لا ! لست ارحم احدا ، اذ ليس يرحمني احد .  
لا ارحم احدا ، لانهم فى بيتى يحكيون المؤامرات عليّ ،  
انا الذى تلوث شرفى ، فى سبيل ابنة فاجرة ، خليقة بكل  
انواع العقاب واللعن .

— نيقولاي سرجيتش ، يا عزيزي ، لا تلعنها ! اعمل  
ما تشاء ، ولكن لا تلعنها !

فصرخ العجوز بصوت أقوى :

— بل سألعنها ، لاننى انا الذى أهنت ، وتطلبون منى  
فوق ذلك ان اذهب الى هذه الملعونة اطلب منها العفو والمغفرة !  
نعم ، نعم ، هذا ما يُراد منى . انكم تعذبونني بهذا كل يوم ،  
ليل نهار ، فى عقر بيتي ، بالدموع والاهانات والتلمبجات  
السخيفة ! تريدون أن يرق قلبي . . . اسمع يا فانبا : (قال  
هذا متوجها اليّ وهو يسارع فيسحب من جيبيه ، ييد مرتعشة ،  
اوراقا) هذه خلاصات من الاضبارة . اننى انعت فيها باننى  
لص ، محتال ، باننى سرقت الرجل الذى أحسن اليّ ! لقد  
ثلم شرفى بسببها . خذ . أنظر أنظر ! . . .

وأخذ يسلم من جيب سترته أوراقا شتى يرميها على المنضدة  
واحدة بعد واحدة ، محاولا ان يعثر بينها ، وهو يرتجف ويهتر ، على  
الورقة التى كان يريد ان يطلعنى عليها . غير انه لم يجدها ،  
فنفد صبره ، فانتزع من جيبيه كل ما وجدته فيه يده ، فاذا  
نحن نسمع ، فجأة ، رنين شىء ثقيل يسقط على المنضدة . .  
فانطلقت من صدر آنا آندريفنا صرخة . كان ذلك الشىء هو  
النشان الذى فقدته .

ما كدت أصدق عينيّ . وصعد الدم الى رأس العجوز ،  
فاحمر وجهه حتى صار كالارجوان . وارتعش . فوقفت آنا  
آندريفنا ، مكثفة ذراعها ، وألقت على زوجها نظرة توسل  
وضراعة . كان وجهها يشرق بأمل مشع . هذا الاحمرار الذى  
يصبغ وجه العجوز ، هذا الاضطراب الذى اصابه . . . لا ،

انها لم تخطئ ، لقد فهمت الآن كيف ضاع النشان !  
فهمت ان زوجها هو الذى وجدته ، وأنه سرّ به ، وانه  
لعله ارتعش فرحا ، فاخفاه عن جميع الانظار ، وأنه خلا اليه  
خفية بتأمل وجه ابنته الحبيبة فى حب لا حد له دون ان يرتوى  
من النظر فيه ؛ وأنه لعله فعل ما فعلته الام المسكينة ، فحسب  
نفسه يتحدث مع عزيزته ناتاشا ، ويتخيل أجوبتها ، ويحجب  
عليها ، وانه ، فى الليل ، وقد أمضه القلق ، خنق تنهداته  
فى صدره ، وداعب الصورة المحبوبة واغرقها بالقبل ، ودعا  
بالعفران لتلك التى يأبى ، أمام الجميع ، ان يراها ، ويصر  
على ان يلعنها .

— اذن ما زلت تحبها يا عزيزي !  
بهذا هتفت آنا آندريفنا ، دون ان تستطيع كبح جماحها



امام هذا الاب الصارم الذى كان منذ دقيقة يلعن  
ناتاشا .

ولكنه ما ان سمع صرختها حتى لمع فى عينه غضب  
مجنون . فتناول النيشان ورماه بقوة على الارض ، واخذ يدوسه  
برجليه فى حنى محموم .

قال وهو يلهث لهاث من انقطعت انفاسه :  
— لعنها الله ! لعنها الله لعنة ابدية ، ابدية ، ابدية !  
فهتفت العجوز الطيبة تقول :

— يا الهى . يدوس ناتاشا ، يدوس وجهها الصغير ،  
يدوسه . طاغية ، صلف ، قاسي القلب ، مغرور !

فلما سمع العجوز امرأته ، توقف كالمجنون ، مذعورا مما  
فعله . وفجأة تناول النيشان من الارض ، وهرع يخرج من  
الغرفة . ولكنه ما ان سار بضع خطوات حتى سقط على ركبته ،  
واستند بيده الى اريكة امامه ، ثم اسقط عليها رأسه خائر القوى  
محطما .

كان يتحب كطفل ، كامرأة . وكان النحيب يكاد يشق  
صدره . لقد اصبح العجوز الرهيب ، فى طرفة عين ، أضعف  
من طفل . لقد أصبح الآن عاجزا عن اللعن ، وأصبح لا  
يستحي من أحد ، وها هو ذا ينفجر جبا ، فيغرق بالتقبل ،  
على مرأى منا ، الصورة التى كان يدوسها برجليه منذ دقيقة .  
ان الحب العنيف الذى يحمله لابتته والذى كظلمه طوال هذه  
المدة بنفلت الآن فى قوة لا تقاوم ، ويحطم كيانه كله .  
وهتفت آنا أندريفنا تقول وهى تبكي ، وتنحني على زوجها

وتقبله :

— اغفر لها ، اغفر لها ، ردها الى بيت ابويها يا  
عزيزى . وسيجزيك الله فى يوم الحساب خيرا على تواضعك  
وتسامحك !

فصرخ بصوت أجش مخنق :  
— مستحيل ، مستحيل ! لن يكون هذا ابدا ابدا !  
ابدا !

### الفصل الرابع عشر

وصلت الى ناتاشا متأخرا ، فى الساعة العاشرة . كانت  
تقيم يومئذ فى فونتانكا قرب جسر سيمبونوفسكى ، فى الطابق  
الثالث من عمارة حقيرة يملكها التاجر كولوتوشكين . وكانت فى  
المدة الاولى التى اعقبت ذهابها من بيت ابويها تسكن مع  
أليوشا فى شقة رائعة ، صغيرة ، لكنها جميلة ومريحة ، غير  
ان موارد الامير الصغير ما لبثت ان نضبت ، فانه لم يصبح  
استاذا للموسيقى ، بل اخذ يقترض وأغرق نفسه فى ديون ثقيلة  
باهظة . وانفق المال فى تزيين منزله ، وفى تقديم الهدايا  
لناتاشا ، وكانت ناتاشا تحتج على هذا التبذير ، وتؤنبه ، وتبكي  
احيانا . وكان أليوشا ، العاطفي ، الثاقب القلب ، يقضي فى  
بعض الاحيان اسبوعا برمته يحلم فى الهدية التى سيقدمها لناتاشا  
ويتخيل وقعها فى نفسها . كان يجعل من ذلك عيدا ، وينبثي  
فى حماسة بما سيعمله وبما يحلم به . وكان ازاء تقريع ناتاشا  
وبكائها يغرق فى كآبة تبعث على الشفقة ، وكانا بعد ذلك



يتخذان من هذه الهدايا موضوع ملامات واحزان ومشاجرات .  
ثم انه كان ينفق كثيرا من المال بغير علم ناتاشا ، فقد كان  
رفاق السوء يجرونه الى اماكن مشبوهة يخون فيها ناتاشا مع نساء  
بغايا . غير انه كان ما يزال يحب ناتاشا كثيرا ، بل لقد كان  
يحبها حبا معذبا ، وكثيرا ما كان يأتي اليّ مهتما حزينا يعلن  
انه لا يستحق اصبح ناتاشا الصغير ، وانه فظ شرير ، وانه  
عاجز عن فهمها وغير جدير بحبها . فكان على حق جزئيا .  
لقد كان بين الاثنين تفاوت عظيم . كان هو يشعر امامها بأنه  
طفل ، وكانت هي تعامله دائما على انه طفل . كان يعترف  
لى باكيا متحبا بعلاقته مع هذه او تلك من النساء ، ويتوسل  
الي في الوقت نفسه ان لا ابوح بشيء من هذا لناتاشا : فاذا  
عاد اليها بعد كل هذه الاعترافات ، وجلا مرتجفا (وكان لا بد  
ان يستصحبني في مثل هذه الاحوال ، قائلا انه لا يستطيع ان  
يقع بصره عليها بعد ارتكاب جريمته ، وانني الشخص الوحيد  
الذي يستطيع ان يسنده) فادركت ناتاشا بنظرة واحدة انه عائد  
من جريمة . وكانت ناتاشا غيرة جدا ، غير انها ، لا أدري  
كيف ، كانت تغفر له هذه الحماقات دائما . وكان الامر يتم  
في العادة على النحو التالي : يدخل ألبوشا معي ويتوجه اليها  
بالكلام خجلا ويلقى عليها نظرات وجلة ، فتحزر فوراً انه أثم ،  
ولكنها لا تدع قناعتها تظهر في وجهها ، ولا تبدأ الحديث  
عن ذلك قط ، ولا تطرح على ألبوشا اى سؤال ، بل بالعكس  
تزداد مداعباتها له ، ويزداد لطفها ومرحها ، ولم يكن ذلك  
منها لعبا ولا مكرا ، ان هذه المخلوقة الرائعة لتجد في الصفع  
لذة لا نهاية لها ، فكأنها ترى في العفو نفسه فتنة حادة ما

لها نظير . والحق ان ألبوشا لم يكن له علاقة حتى ذلك الحين  
الا بامرأة تدعى جوزيفين . فاذا رأى لطف ناتاشا وتسامحها لم  
يسعه الا ان يعترف لها بكل شيء من تلقاء نفسه ، ليتخفف  
من ذنبه «وليعود كما كان» ، على حد تعبيره . حتى اذا نال  
منها الصفع والمغفرة ، التهب حماسة ، وأخذ في بعض الاحيان  
يكي فرحا وحبا ، ويضمها بين ذراعيه يغرقها بالقبل ، ثم  
يسطر عليه القرح ، فيطفق يقص ، في براءة الطفل ، تفاصيل  
مغامراته مع جوزيفين ، ويضحك ملء شديقه ، ويكيل المديح  
والاطراء لناتاشا . وكانت السهرة تنتهي هكذا في مرح وسعادة .  
وحين نفذ ماله اخذ يبيع من اشياء البيت ، ويتأثير الحاح ناتاشا  
وجد بيتا صغيرا بأجر اقل ، في فوتتانكا . واستمر على بيع ما  
يملك من تحف ، حتى أن ناتاشا باعت ملابسها ، ووجدت  
عملا ، وحين علم ألبوشا بذلك هوى الى حضيض اليأس ،  
وأخذ يلعن نفسه ، ويصرخ انه يحقر ذاته ، غير انه لم يعمل  
شيئا من شأنه ان يصلح هذه الحال . وقد نضبت الآن هذه  
الموارد الاخيرة ذاتها ، ولم يبق الا عمل ناتاشا ، غير ان الاجر  
الذي كانت تتقاضاه زهيد لا يغني ولا يضمن من جوع .  
وفي اول الامر ، حين كانا ما يزالان يسكنان معا ، قامت  
بين ألبوشا وبين ابيه مشاجرة عنيفة . كانت نية الامير تزويج  
ابنه من كاترينا فيدوروفنا فيليمونوفا ، ابنة زوج الكونتيسة ، ما  
تزال في حيز التفكير ، الا ان الامير كان يحرص على تحقيق  
هذه الفكرة حرصا شديدا ، فكان يأخذ ابنه الى بيت خطيبته  
المقبلة ، ويشجعه على ان يعجب بها ، ويحاول ان يقنعه بقبول  
الفكرة بالقسوة تارة وبالعقل تارة اخرى . الا ان المشروع اخفق



بسبب الكونتيسة ، عندئذ غضب الامير طرفه عن علاقة ابنه بناتاشا ، وتركها للزمن ، وكان يأمل ، لعلمه بخفة ابنه وطيشه ، ان هذا الحب سيزول في القريب . حتى لقد اصبح في الايام الاخيرة لا يخشى ان يتزوج ابنه ناتاشا ، واصبح على مثل الاطمئنان بأنه لن يتزوجها . واما العشيقيان فقد أجلا تحقيق هذه الفكرة الى ان يتم الصلح بينهما وبين ابي ناتاشا ، اى على الجملة الى ان تتغير الظروف تغيرا تاما . وكان واضحا من جهة اخرى ان ناتاشا لا تحب ان يدور الكلام حول هذا الموضوع . وقد زل لسان أليوشا مرة امامى فقال ان اياه مسرور لدرجة ما من هذه العلاقة ، وان الامر الذى يعجبه فى هذا كله هو اذلال اخمينيف وتحقيره . وكان مع ذلك ، محافظة منه على المظاهر ، يستمر على اظهار استيائه من ابنه ، حتى لقد طفف المساعدات التى يتفضل بها عليه ، وهى قليلة قبل ذلك ، (كان الامير بخيلا جدا على ابنه) ، وهدده بأن يمنع عنه حتى هذه المساعدات الطفيفة . ولكن بعد ذلك بقليل ، سافر الامير مع الكونتيسة الى بولونيا ، لاعمال تتعلق بالكونتيسة وهو لا يزال يفكر فى تحقيق فكرته فى زواج أليوشا والحق ان أليوشا كان اصغر من ان يتزوج ، الا ان الخطيبة كانت من الغنى بحيث يستحيل على الامير ان يدع الفرصة تفلت منه . ووصل الامير اخيرا الى هدفه ، وبلغ الى اسماعنا ان مسألة الخطوبة قد سويت ، وفى هذا الوقت الذى اصفه كان الامير قد عاد الى بطرسبرج ، واستقبل ابنه فى حب وحرارة ، الا ان استمرار علاقته بناتاشا قد ادهشه وساءه ، فأخذ يشك ، ويخاف ، وطلب الى ابنه بلهجة قاسية صارمة ان يقطع علاقته

بناتاشا ، ثم ارتأى ان يعمد الى وسيلة افضل من هذه الوسيلة ، فقاد ابنه الى منزل الكونتيسة . كانت ابنة زوج الكونتيسة فتاة جميلة ، وان كانت ما تزال اشبه بطفلة ، وكان لها قلب طيب رقيق ، وروح صافية بريئة ، وكانت مرحة ، خفيفة الظل ، رقيقة الشعور . كان الامير يقدر ان هذه الشهور الستة قد فعلت فعلها فى ابنه ، وان ناتاشا لم يبق لها فى نظر أليوشا ما كان لها من سحر الجدة ، وانه لن ينظر الآن الى خطيبته المقبلة نظره اليها منذ ستة اشهر . وكان تقدير الامير صحيحا بعض الصحة فحسب . لقد افتتن أليوشا حقا . ويجب ان اضيف الى ذلك ان الاب اصبح يتلطف مع ابنه فجأة (مع امتناعه عن اعطائه المال) . وشعر أليوشا ان هذا التحجب يخفى وراءه قرارا حاسما لا يتزعزع ، فكان يشكو من ذلك ، ولكن اقل مما كان يمكن ان يشكو لو انه لا يرى كاترينا فيديوروفنا كل يوم . كنت اعلم ان أليوشا لم يزر ناتاشا منذ اربعة ايام . وحين مضت اليها بعد ان تركت منزل اخمينيف كنت اتساءل قلقا عما عسى ان تنبئني به . ولمحت ، من بعيد ، نورا فى النافذة . كنا قد اتفقنا فيما بيننا على ان تضع شمعة على مسند النافذة حين تكون فى حاجة ملحة الى رؤيتي ، حتى اذا اتفق لي ان مررت قريبا من بيتها (وكان يتفق لى ذلك فى كل مساء تقريبا) ادركت من هذا النور الذى لا تضعه الا فى بعض الاحوال . انها تنتظرنى ، وانها فى حاجة اليّ . وفى هذه الايام الاخيرة كانت تكثر من وضع الشمعة . .



## الفصل الخامس عشر

وجدت ناناها وحدها . كانت تذرغ الغرفة بخطى بطيئة ،  
وقد كتفت ذراعها ، وغرقت في تفكير عميق . وكان على  
المنضدة سماور منطفيء ينتظرنى منذ مدة طويلة . فلما رأتنى  
مدت الي يدها ، مبتسمة ، دون ان تنبس بكلمة . كان  
وجهها شاحباً ، ينضح بمعانى الالم . كان فى ابتسامتها  
عذاب ، ووقه ، واذعان . وقد ازداد ظل عينيها الزرقاوين  
الصفائيتين ظلاماً ، وازداد شعرها كثافة ، نتيجة لنحولها ومرضاها .  
قالت وهى تمد يدها :

— طنتت انك لن تجيء ، حتى لقد بدا لي ان ابعث  
مافرا لتأتيني بأبائك ، وقلت لنفسى لعل المرض قد عاوده  
ثانية .

— ليس الامر كذلك ، وانما حُجزت . سأقص عليك  
كل شيء . ولكن انبيني اولاً بما بك يا ناناها ! ما الذى  
حدث ؟

فقالت مستغربة :

— لا شيء . لماذا هذا السؤال ؟

— ولكنك كتبت الي . كتبت الي امس ان أجيء ،  
حتى لقد حددت لمجيئى ساعة معينة لا أستقدمها ولا استأخرها .  
وهذا جديد لا عهد لي به من قبل .

— ها . . نعم . لقد كنت انتظره امس .

— ولم يجيء بعد ؟

— لم يجيء .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت :  
— قلت لنفسى : ان لم يجيء فلا بد لي من حديث  
معك .

— وهذا المساء ، هل كنت تنتظرينه ؟

— لا . انه فى هذا المساء هناك .

— هل تعتقدين انه لن يأتى بعد الآن ابداً ؟

اجابت وهى تنظر الي نظرة جادة خطيرة :

— ليست هذه هى المسألة . سيعود .

كان واضحاً ان سرعة اسئلتي تزعجها . وصمتنا ، نطوف

فى الغرفة طويلاً وعرضاً . واستأنفت بعد مدة تقول فى ابتسامة :

— انتظرتك مدة طويلة جداً يا فانيا . هل تعلم ماذا

كنت افعل ؟ كنت اذهب وأجيء وانا انشد بعض القصائد .

هل تتذكر : الناقوس الصغير ، الطريق تحت الثلج «السماور يغلي

على المائدة المصنوعة من شجر السنديان .» . لقد قرأنا هذه

القصيدة معا :

«وهدأت العاصفة ، والقمر يضيء السماء .

والليل ينظر الى الارض بالملايين من عيون الكايبه .

ثم :

وفجأة خيل الي اني اسمع صوتاً يجيش بعاطفة حارة ،

ويشدد برنين الناقوس الصغير ، ويقول :

سيأتي يوم يلقي فيه صديقي برأسه على صدري !

الحياة فى منزلي ناعمة رخيّة !

ما يكاد الفجر يداعب جليد نافذتي

حتى يغلي السماور على مائدتي المصنوعة من خشب السنديان ،



وحتى تتراقص النيران في مدفأتي ،  
وترسل أضواءها الحمر الى السرير ، في الركن ،  
تحت الستارة ذات الازهار . . .

— انه لشعر جميل يا فانيا ، شعر يؤثر في القلب تأثيرا  
قويا . يا لها من لوحة واسعة غنية ! ليس في اللوحة الا خطوط  
قليلة ولكنك تستطيع ان تنسج حولها ما تشاء . هناك شيثان  
أساسيان الاحساس القديم والاحساس الاخير : هذا السماور ،  
وهذه الستارة ذات الازهار . هذا كله مألوف ، تراه في البيوت  
البورجوازية من مدينتنا الصغيرة ، حتى لكأنني أرى البيت نفسه :  
بيت جديد ، ما تزال سلالم الخشب تحف به ، لم يُطلَّ  
بعد وهذه لوحة اخرى :

وتم سمعت هذا الصوت نفسه يقول ،  
حزينا كصوت الناقوس الصغير :

ابن صديقي القديم ؟  
اخشى ان يدخل ، وان يغرقني بالقبل والدغدغات !  
ما هذه الحياة التي أحيها .  
مسكني كله حجرة مظلمة حزينة .  
الريح تعوي . . .

وثمة شجرة وجيدة ، شجرة كرز ، امام نافذتي .  
الا ان الجليد يحجبها عن نظري .  
ولعلها ماتت منذ زمان بعيد .  
ما هذه الحياة التي أحيها ؟  
لقد ذبلت ستارتي .

وهأنا ذا أضرب في غرفتي ، مريضة ، لا اعرف أهلي .  
لا احد هنالك يؤنّبني : لا حبيب لي  
لا احد يثرثر الا عجوز . . .

— «أضرب في غرفتي مريضة .» ما اجمل كلمة  
«مريضة» في هذا الموضع ! لا احد هنالك يؤنّبني : ما اكثر  
ما في هذا البيت من عاطفة ، وحنين ! ما اكثر ما فيه من  
ألم ، من ألم الذكرى ، من الآلام التي استدعيتها بنفسك  
وتتلذذ بها . . . يا الهى ! ما اجمل هذا الشعر ، ما اصدق  
هذا الشعر !

وصمت ، كأنما هي تخنق اختناقاً ألمت بحلقها . وقالت  
بعد دقيقة :

— عزيزي فانيا !  
ثم صمتت مرة اخرى ، كأنها نسيت ما كانت تريد ان  
تقوله ، او كأنها قالت ما قالته دون تفكير ، بدافع من تأثر  
سريع .

وكنا اثناء ذلك ما نزال نذرع الغرفة . وامام الايقونة ،  
كان هنالك قنديل يشتعل . كانت ناتاشا ، في المدة الاخيرة ،  
تزداد تقى وتمسكا بالعبادة يوما بعد يوم ، ولا تحب ان تتحدث  
في هذا .

— أهدا عيد ؟ ارى قنديلك مشتعلا .  
— لا . . . ولكن اجلس يا فانيا ، لا بد انك تعبتي . هل

تريد قليلا من الشاي ؟ لم تحتمس شيئا من الشاي بعد ؟  
— لنجلس يا ناتاشا . لقد شربت نصيبي من الشاي ،  
— من اين الآن آت ؟

— من عندهم (هكذا كنا نسمي أوبوها) .  
— من عندهم ؟ كيف اتسع وقتك ؟ أذهبت اليهم من  
تلقاء نفسك ، ام انهم دعوك ؟



وامطرتني بوابل من الاسئلة . وامتنع لونها بتأثير افعالها .  
قصصت عليها بالتفصيل لقائي مع ابيها ، وحديثي مع  
امها ، وحكاية النيشان ، قصصت عليها ذلك كله بدقة ،  
دون ان اخفي عنها شيئا ، وكانت تصغي الي بشراهة ، وتلتهم  
كل كلمة من كلماتي التهاما ، والتمعت في عينيه دموع ، وحين  
قصصت عليها حكاية النيشان اضطربت اضطرابا شديدا ،  
وكانت كثيرا ما تقاطعني قائلة :

— انتظر يا فانيا ، انتظر : فصل اكثر من ذلك ، انك  
تسرف في الاجمال والايجاز ! . . .  
فكنت اكرر الشيء مرتين وثلاثا ، وأجيب على كل سؤال  
من اسئلتها التي لا تنقطع .

— هل تعتقد حقا انه كان آتيا لرؤيتي ؟

— لا أدري يا ناتاشا ، بل انني لا أستطيع ان اتصور  
ذلك . اما انه يتألم لغيابك ، وانه يحبك ، فهذا واضح .  
واما انه كان ذاهبا اليك ، فهذا ، هذا . . .  
وقاطعني سائلة :

— وقد قبل النيشان ، أليس كذلك ؟ وماذا قال وهو  
يقبله ؟

— كلاما كثيرا . . . كان يطلق عليك ارق الاسماء ، وكان  
يناديك .

— ناداني ؟

— نعم .

واخذت تبكي في صمت .

— مساكين !

ثم اضافت بعد لحظة :

— لا استغرب ان يكون على علم بكل شيء . انه  
كذلك على علم بأمر ابي اليوشا .  
قلت لها وجلا :

— ناتاشا ، يجب ان نذهب اليهم . . .

فسألني ، وهي تصفر وتنهض عن مقعدها قليلا :

— متى ؟

كانت تظن انني اقترح عليها ان نذهب اليهم فورا .

ثم استدركت وهي تضع يديها على كتفي وتبتسم ابتسامة

حزينة :

— كلا يا فانيا ، كلا يا صديقي ، انك تعود دائما الي

هذا . الاحسن ان لا تحدثني عن هذا الامر بعد الآن .

فهضت في حزن شديد :

— هذه الخصومة الكريهة ، أليس لها اذن من نهاية

ابدا ؟ ابدا ؟ أنت من الكبرياء والصلف بحيث لا تريد ان

تقومي بالخطوة الاولى ؟ عليك انت ان تضربي مثلا ، وان

تكوني القدوة . لعل اباك لا ينتظر غير هذا ليغفر لك . . . انه

ابوك ، وانت التي اسأت اليه . احترمي كبرياءه : انها مشروعة

طبيعية . يجب عليك ان تذهبي اليه ، وانا واثق انه سيصفح

عنك بلا قيد ولا شرط .

— بلا قيد ولا شرط ! مستحيل ! لا تلمني يا فانيا ،

عشا . لقد فكرت في الامر ، وأني لا فكر فيه ليل نهار . ما

انقطعت عن التفكير فيه ساعة واحدة منذ تركتهما . وكم مرة

تحدثنا فيه معا ! انت نفسك تعلم ان هذا مستحيل !



— كلا يا صديقي ، لا يمكن . اذا حاولت ذلك زدت حنقه علي . ما فات لن يعود . وهل تعرف ما هذا الذي يستحيل ارجاعه ؟ لن استطيع ان احبى تلك الايام السعيدة ، ايام طفولتي التي قضيتها معهما ! وهب ابي غفر لي ، فانه لن يجد فيّ بعد الآن ابته ناتاشا . كان يحب فيّ البنت الصغيرة ، الطفلة الكبيرة كان يتنعم بسذاجتي الطفولية ، وعندما كان يدللني كان يمسح رأسي ، كما كان يفعل ايام كنت في السابعة من عمري اجلس على ركبتيه وانشده اغانيّ الطفولية . ومنذ طفولتي الى آخر يوم ، كان يأتي الى سريري كل مساء يرسم عليّ اشارة الصليب قبل ان انام . وقبل المصيبة بشهر واحد ، اشترى لي قرطا ، دون ان يحدثني عنه قبل ان يشتريه ، (وكنت اعلم كل شيء) ، وكان يفرح فرح الطفل حين يتصور فرحتي بهديته . وقد ثار على الجميع ، وثار عليّ قبل الجميع ، حين عرف ، مني ، انني كنت على علم منذ مدة طويلة بانه اشترى القرط . وقبل خروجي من البيت بثلاثة ايام لاحظت انني حزينة ، فما لبث ان قلق اشد القلق حتى مرض ، بل لقد فكر— هل تصدق ذلك ؟ — لسري عني ، في ان يأخذني الى المسرح . حقا ، كان يريد ان يشفيني بهذه الوسيلة ! اعود فأقول لك ان البنت الصغيرة هي التي كان يعرفها فيّ وحبها ، وما كان يريد ان يتصور انني سأصبح ذات يوم امرأة . . . ما كان هذا يدور في خلده . فاذا عدت الآن انكرني ولم يعرفني ، وان صفح عني ، من هو الشخص الذي يستقبله الآن ؟ لست الآن عين الشخص الذي احبه ، لست الآن طفلة ، لقد عشت كثيرا . واذا

أرضيته ، تنهد رغم ذلك اسفا على السعادة الماضية ، وحزن على انني لست ما كنته في الماضي ، حين كان يحبني طفلة . وما مضى يبدو دائما افضل ! يا له من عذاب ، تذكر الماضي ! وكأنما صعد الدم الى رأسها فصرخت تقطع حديثها بهذا الهتاف الذي يخرج من قبلها :

— آه يا فانيا ، ما اجمل الماضي ! . . .

قلت :

— كل ما تقولينه صحيح يا ناتاشا . وانما ينبغي له الآن اذن ان يتعلم كيف يحبك وكيف يعرفك مرة اخرى ، من جديد ، كيف يعرفك خاصة ، ومتى عرفك احبك ، ما في ذلك ريب . وارجو ان لا يذهب بك الظن الى انه لا يستطيع ان يعرفك وان يفهمك ، هو ، هذا القلب النبيل . . .

— اوه يا فانيا ، لا تكن ظالما . ماذا هنالك من امور كثيرة يجب ان تفهم فيّ ؟ ليس هذا ما اردت ان اقله . هناك شيء آخر ، اسمع يا فانيا : ان حب الأب ، هو ايضا ، حب غيور . ان الذي يجرحه هو ان كل شيء بدأ وانتهى مع ألبوشا بدونه ، بدون ان يرى شيئا ، بدون ان يحزر شيئا . وهو يعرف ان ذلك كله لم يدر في خلده قبل وقوعه ، وهو يرى ان ما انتهى اليه حيننا من نتائج شقية يرجع الى «نفاقي» السفية . لم اذهب اليه منذ بداية حبي ، ولم اعترف له بعد ذلك بكل خلجة من خلجات قلبي ، بالعكس ، أخفيت كل شيء في نفسي ، واختفيت عن ابي ، وأؤكد لك ، يا فانيا ، انه في قرارة نفسه يجد في هذا من الالهانة اكثر مما يجد في نتائج حيننا ، في هربي من منزلنا ، في استسلامي لعشيق . وهبه



استقبلني الآن كأب ، في حرارة وعاطفة رقيقة ، فان بذرة  
العداوة ستبقى . وغدا او بعد غد ، تبدأ الشكوك ويعود التأييب .  
ثم انه لن يغفر لي بلا قيد ولا شرط . لنسلم انني قلت له  
الحقيقة مخلصه من اعماق قلبي ، انني اعترفت له صادقة  
بانني افهم مدى اساءتي اليه واجرامي في حقه . وهبني ، اذا لم  
يشأ ان يفهم ما كلفتنني هذه السعادة مع أليوشا من آلام وما  
احتملت في سبيلها من عذاب . اخربت ألمي من ذلك ،  
واحتملت كل هذا : ان هذا لن يكفيه . لسوف يطلب مني  
تكفيرا مستحيلا : سوف يسألني ان العن ماضي ، ان العن  
أليوشا ، وان اندم على ما محضته من حب . سيطلب  
المستحيل : ان استعرض الماضي ، فأحذف من حياتنا هذه  
الاشهر الستة الاخيرة . ولكنني لن العن احدا ، ولا اريد ان  
اندم . . ما وقع كان لا بد ان يقع . . لا يا فانيا ، هذا الآن  
مستحيل . لم يحن الوقت بعد .

— ومتى يحين ؟

— لا أدري ، لا بد ان نتألم حتى النهاية في سبيل  
سعادتنا المقبلة ، يجب ان نشترها بالآلام جديدة . ان الالم  
يظهر كل شيء . اه يا فانيا ، ما اكثر ما نتألم في هذا الوجود !  
صمت ونظرت اليها مفكرا .

— لماذا تنظر اليّ هكذا يا أليوشا ، بل يا فانيا . (قالت  
ذلك وابتمت لهذا الخطأ .)

— الآن ارى ابتسامتك يا ناتاشا . من أين أتيت بها ؟  
ما كنت تبسمين هكذا من قبل .  
— ماذا بها ، ابتسامتي ؟

— ما تزال بها سداجة الطفولة . . ولكن حين تبسمين  
يشعر المرء ان ثمة شيئا يقبض صدرك . ما اشد ما نحلت  
يا ناتاشا ، ان شعرك يبدو اكثر مما كان . . ما هذا الثوب ؟  
أعندهم كان مصنوعا ؟

قالت وهي تلقى علي نظرة رقيقة تترقق فيها العاطفة :

— انك تحبني كثيرا يا فانيا ! ولكن قل لي ماذا تفعل  
انت الآن ؟ كيف يسير عملك ؟

— لم بتغير شيء . ما زلت اكتب روايتي ، الا ان العمل  
صعب ، لا يتقدم كثيرا . لقد نصب الالهام . ولو تهاونت  
قليلا ، فقد اخرج شيئا شائفا طريفا . ولكنها خسارة ان افسد  
فكرة جيدة دارت في خيالي . انها فكرة احرص عليها اشد  
الحرص . ومن اجل مجلة ، لا بد من انهاء العمل في مواعите  
المحددة ، حتى لقد خطر ببالي ان اترك الرواية ، وان اتخيل  
سرعة ، قصة قصيرة ، شيئا فنيا ، رشيقا ، لا يشتمل على  
اية نزعة مظلمة قاتمة ، شيئا يسلي جميع الناس ويمتعهم ! . .  
— مسكين ايها العامل ! وسميت ؟

— مات .

— ألم يأت لرؤيتك ؟ أكلمك جادة يا فانيا : انت  
مريض ، واعصابك مهدمة ، ولك احلام غريبة . . حين قلت  
لي انك استأجرت هذا المسكن ، لاحظت كل ذلك . ومسكنك  
رطب غير صحي ؟

— نعم ، وقد وقعت لي منذ قليل حادثة . . سأرويها  
لك فيما بعد .

لم تسمعني . كانت مستغرقة في تفكير عميق .



وقالت اخيرا ، وهى تنظر الي نظرة من لا يتنظر جوابا :  
— لا افهم كيف تركتهم ! كنت محمومة !  
بقيني انني لو توجهت اليها بكلام فى هذه اللحظة لما  
سمعتنى .

قالت بصوت لا يكاد يسمع :  
— فانيا ، لقد رجوتك ان تأتي ، لان ثمة امرا خطيرا  
اريد ان افضي به اليك .

— ما هو ؟  
— سأتركه .  
— ستركيه أم انك تركته ؟

— يجب ان انهى هذه الحياة . لقد اومات اليك  
ان تأتي لأقص عليك كل ما تجمع وتراكم فى نفسي ،  
كل ما أخفيته عنك حتى الآن . — كانت تبدأ دائما بمثل  
هذا الكلام حين تريد ان تفضى الي بنواياها الخفية ، وكان  
يتضح دائما تقريبا انني اكون على علم بأسرارها منذ مدة  
طويلة ، باحت بها لي ، هى نفسها .

— ناناشا ، سمعتك تقولين هذا مائة مرة ! صحيح  
انكما لا تستطيعان ان تعيشا معا ، فعلاقتكما شئ غريب ،  
وليس ثمة ما يجمع بينكما . ولكن . . . هل تقولين على  
هذا ؟

— قبل الآن كان ذلك فى مجال النية فحسب ، اما  
الآن فقد قررت نهائيا . انني احبه جدا لانهاية له ، ومع  
ذلك ادرك أنني عدوته الاولى . انني أسىء الى مستقبله .  
فيجب ان ارد له حريته . انه لا يستطيع ان يتزوجني ، لا

يملك القوة على مقاومة ابيه ، ولا اريد ان اربطه ، وانه  
ليسرني ان يحب خطيئته . يجب ان اتركه ! هذا واجبي . . .  
اذا كنت احبه فينبغي ان أضحي بكل شئ فى سبيله ،  
ان أبرهن له على حبي ، هذا واجبي أليس كذلك ؟  
— ولكنك لن تستطيعي اقناعه .

— لن احاول اقناعه ، سأعامله كما كنت من قبل ،  
حتى لو دخل علينا الآن ، ولكن يجب ان ابحت عن وسيلة  
تجعله يتركني بسهولة دون ان يعذبه ضميره . هذا ما يسعدني  
يا فانيا ، ساعدني . بم تنصحنى ؟

قلت :  
— ليس هنالك الا وسيلة وحيدة : ان تكفي عن حبه  
وان تحبي شخصا اخر . ولكنني أشك فى نجاح هذه الوسيلة .  
انك تعرفين طبعه ! ها قد مضى عليه خمسة ايام لم يعد  
فيها اليك واذا فرضنا انه هجرك هجرا نهائيا ، فيكفي ان  
تكتسبي اليه بأنك تهجرينه انت حتى يسارع اليك على الفور .  
— لماذا لا تحبه يا فانيا ؟

— أنا ؟  
— نعم انت انت . انك عدوه ، سرا وعلانية ! لا  
تستطيع ان تتحدث عنه دون شعور بالحقد . لاحظت مائة  
مرة ان اكبر لذة تشعر بها هى فى اهائه وتسويد صفحته !  
نعم تسويد صفحته ، اقول الحقيقة !

— قلت لي ذلك مائة مرة . كفى يا ناناشا ، لنضع  
هذا الحديث .  
قالت بعد صمت :  
—



— اريد ان اترك هذا البيت . ولكن لا تزعل يا فانيا .  
— وبعد ذلك ؟ لا شك أنه سيوافقك في المسكن  
الجديد . أما انا فتقي أنني لم أزعل .

— الحب قوى : يستطيع حب جديد ان يحبه  
عني . ووجه عاد الي ، فلن يعود الا الي حين ، ما رأيك ؟  
— لا أدري يا ناتاشا ، كل شيء فيه لاشأن له بالمنطق .  
انه يريد ان يتزوج الأخرى ، وفي الوقت نفسه يريد ان يستمر  
على حبك . يريد الامرين في آن واحد .

— لو كنت واثقة من أنه يحبها ، لعزمت أمري ،  
وقطعت برأي . فانيا ، لا تخف عني شيئا . هل تعلم شيئا  
لا تريد ان تبوح لي به ؟

وسددت الي نظرة قلقة فاحصة .  
— لا أعلم شيئا يا صديقتي ، أقسم لك بشرفي .  
لقد كنت صريحا معك دائما . على أنه يخطر ببالي شيء :  
قد لا يكون مفتونا بابتة زوج الكونتيسة الي الحد الذي نتصوره .  
قد لا يكون هذا أكثر من حماسة عابرة .

— أنظن هذا يا فانيا ؟ يا الهى ! ليتني كنت واثقة  
من ذلك ! آه ، لشدما أتمنى لو أراه في هذه اللحظة ،  
لا لشيء الا لألقى عليه نظرة واحدة ، فأقرأ في وجهه كل  
شيء ! ولكنه لا يجيء ، لا يجيء !  
— ولكن هل تنتظرين مجيئه يا ناتاشا ؟

— كلا . انه عندها . أعلم ذلك . أرسلت من يأتيني  
بالأنباء . لشد ما أود لو أراها هي ايضا ! . . . اسمع يا  
فانيا ، سأقول لك شيئا سخيفا : هل صحيح ان من المستحيل

علي ان أراها ، ان القاهها أبدا . ما رأيك ؟  
وانتظرت جوابي قلقة :  
— أن تربها ؟ هذا ممكن . ولكنك تعلمين ان رؤيتها

لا تكفي .  
— يكفي ان أراها ، وبعد ذلك احزر . اسمع ،  
هل تعلم أنني أصبحت سخيفة : لا أعمل شيئا غير الطواف  
في الغرفة وحدي ، وازجاء الوقت بالتفكير كأن في رأسي  
زوبعة ، وهذا يتعبني ! وقد خطرت على بالي فكرة يا فانيا :  
ألا تستطيع ان تتعرف اليها ، ما دامت الكونتيسة قد أطرت  
روايتك وقرظتها ؟ (أنت قلت لي ذلك) . انك تذهب أحيانا  
الي سهرات الامير ر . . . وهي تذهب اليها كذلك . حاول  
ان تقدم نفسك اليها ، او لعل ألبوشا نفسه يستطيع ان يقدمك  
اليها . وستفص علي كل شيء .

— ناتاشا ، عزيزتي ، ستحدث في هذا فيما بعد .  
ولكن قولني لي الآن : هل تعتقدين حقا أنك تقوين علي  
تركه ؟ انظري في نفسك ، أنت مطمئنة البال ؟

فقلت بصوت لا يكاد يسمع :  
— نعم ، أقوى علي ذلك . سأعمل كل شيء في  
سيله . سأضحى بحياتي كلها من أجله . ولكن هل تعلم  
يا فانيا ، اني لا أطيق ان يكون في هذه اللحظة عندها :  
لقد نسيتي ، انه الآن الي جانبها ، يحدثها ويضحك ،  
هل تتذكر ، مثلما كان يضحك هنا . انه ينظر في عينيها ،  
هكذا نظرته دائما ، في العينين ، ولا يخطر بباله اني هنا .  
معك .



ولم تكمل كلامها ، وألقت علي نظرة يائسة :  
— ما هذا يا ناتاشا ؟ ألم تقولي منذ لحظة ، منذ  
لحظة . . .

فقاطعتني وهي تلقي علي نظرة ملتبهة :

— سنفصل جميعا ، جميعا انا نفسي اباركه علي  
هذا . ولكن يا فانيا ما أفسى ان يبدأ هو بنسياني . آه ،  
يا فانيا ، ما أشد عذابي . انا نفسي لا أفهم : الفكر  
شيء ، والواقع شيء آخر . رباه ، ماذا سيحدث لي !  
— كفائك يا ناتاشا ، هدثي روعك !

— خمسة ايام ، في كل ساعة ، في كل دقيقة . . .  
أراه في حلمي وفي يقظتي أراه دائما . هيا بنا يا فانيا  
خذني الي هناك .

— هدثي نفسك يا ناتاشا . . .  
— بل خذني اليه . من أجل هذا انما انتظرتك .  
فانيا ، فكرت في هذا الامر ثلاثة ايام . من اجل هذا  
الموضوع انما كتبت اليك . . . يجب ان تقودني اليه ، لا  
تضن علي بهذا . . . انتظرتك . ثلاثة ايام . . . انه في هذا  
المساء هناك ، انه هناك ، هيا بنا !

كانت كأنها تهذي . وسمعت ضجة تقوم في مدخل  
البيت : يبدو ان مافرا كانت تتشاجر مع أحد .

— اسمعي يا ناتاشا ، ما هذا الذي اسمعه !  
فأصاحت بسمعتها وهي تبسم ابتسامة من لا يصدق  
شيئا ، وفجأة امتقع لونها امتقاعا مخيفا رهيبا .  
وقالت بصوت لا يكاد يسمع :

— يا الهي ، من هذا ؟  
وأرادت ان تمسك بي ، غير انني خرجت القى النظر  
الي مافرا عند المدخل . انه هو ، أليوشا . كان يطرح أسئلة  
علي مافرا ، وحاولت مافرا في أول الامر ان تمنعه من الدخول .  
وسمعتها تقول له ، كأنها هي سيدة المنزل :  
— من أين انت قادم هكذا ؟ هه ؟ اين كنت تتشرد ؟  
هيا امض ، امض . بماذا تستطيع ان تجيب ؟  
— لست اخاف احدا ، سوف ادخل .  
قال ذلك في شيء من الخجل .  
— ادخل ، ما أشد الحاحك !  
— نعم سأدخل . ها ، أنت هنا ؟ أنت ايضا ؟ ما  
أحسن ان تكون انت ايضا هنا . ها أنا ذا . أرأيت ؟ كيف  
استطيع ان ادخل ؟

— ولكن ادخل ، بكل بساطة ، ماذا تخشى ؟  
— لست أخشى شيئا ، أؤكد لك ، لانني لست  
مذنبا ، اشهد الله على ذلك ! انت تعتقد ان الخطيئة خطيئتي .  
سوف ترى الآن . سأشرح كل شيء على الفور . ناتاشا ،  
هل استطيع ان ادخل ؟ (قال ذلك في ثقة مصطنعة وهو  
يقف امام الباب) .

ولم يجب احد . فقال وقد ظهر على وجهه القلق والخوف :  
— ماذا ؟  
فاجبت :

— لا شيء ، كانت هناك منذ لحظة . اللهم الا  
ان . . .



فتفتح ألبوشا الباب في حذر ، واجال في الغرفة نظرة  
خجلى . لم يكن في الغرفة احد .  
وفجأة لمحها في ركن من الغرفة ، بين الخزانة والنافذة .  
كانت واقفة هنالك ، كأنها تختبئ ، وهي اقرب الى الموت  
منها الى الحياة . حتى هذا اليوم ، كلما فكرت في ذلك  
المشهد لا أستطيع ان امنع نفسى عن الابتسام . اقرب  
ألبوشا منها بخطى بطيئة حذرة ، وقال في خجل وهو ينظر  
اليها بنوع من الذعر :

— ناناشا ، ما بك ؟ مرحبا .  
فأجابت وهي في حالة انفعال رهيب ، كأنها هي  
المجرمة :  
— ما بي ؟ لا . لا شيء ، هل . . تريد قدحا  
من الشاي ؟

فقال ألبوشا وقد طار صوابه :  
— ناناشا ، اسمعي . لعلك تعتقدين اني مجرم .  
ولكنى لست مجرما . لست مجرما ابدا . سترين ، سأقص  
عليك كل شيء .  
فتمتمت ناناشا تقول :

— علام نقص علي كل شيء ؟ ليس هذا ضروريا .  
ناولني يدك ، ولينته كل شيء ، كما ينتهى دائما .  
وخرجت من ركنها ، وقد تلون خذاها .  
كانت تغض طرفها ، كأنما هي تخشى ان تنظر في  
وجه ألبوشا .  
فهتفت ألبوشا في حماسة :

— يا الهى ، لو كنت مذنبا ، لما جرؤت ان انظر  
اليها .  
والثفت الي يقول :  
— انظر ، انظر . انها تعتقد انني مذنب . كل شيء  
يدبني ، كل الظواهر تلقى التبعة علي ! خمسة أيام لم أعد  
خلالها اليها ، وسمعت من يقول لها انني في بيت خطيبتى ،  
ثم هي تصفح عني . تقول لي : ناولني يدك ولينته كل  
شيء ! ناناشا ، عزيزني ، ملاكي ! لست مذنبا ، اعلمي  
هذا ، لم اقترف اى عمل سيئ ! بالعكس ، بالعكس !  
— ولكن كان عليك ان تذهب الى هنالك . . لقد  
دعوك الى هنالك . كيف أتيت الى هنا ؟ كم الساعة الآن ؟  
— العاشرة والنصف . كنت هنالك . ولكنني قلت  
انني مريض ، وخرجت . هذه هي المرة الاولى التي اكون  
فيها حرا بعد خمسة ايام ، فأستطيع ان افلت منهم وآتي  
اليك ، يا ناناشا . الحقيقة انه كان في وسعي ان آتى قبل  
الآن ، ولكنى آثرت ان لا أجيء . لماذا ؟ ستعرفين السبب  
بعد هنيهة ، سأشرح لك كل شيء : وانما أتيت لاشرح  
لك كل شيء . ولكنني اقسم لك اننى ، في هذه المرة ،  
لست مذنبا في حقك ابدا ، ابدا !  
ورفعت ناناشا رأسها وثبتت نظرها فيه . . غير ان نظرة  
ألبوشا كانت من قوة اشعاعها بالصدق والاخلاص ، والفرح ،  
بحيث يستحيل ان لا يصدق . وخجل الي انهما سيصرخان ،  
ويرنمى كل منهما بين ذراعي الآخر ، كما حدث ذلك  
اكثر من مرة في مثل مناسبات التصالح هذه ، الا ان ناناشا ،



وكانما اخرستها السعادة ، اقلت برأسها على صدرها ، وفجأة  
اخذت تبكي بكاء صامتا . . ولم يستطع ألبوشا ان يتمالك  
نفسه ، فاذا هو يرتمي على قدميها ، ثم يقبل يديها ورجليها . .  
كان كمن طاش صوابه وخرج عن طوره . وتقدمت الى ناتاشا  
بكرسي ، فجلست عليه ، وكانت ركبتيها تصطكان .

## الجزء الثاني

### الفصل الاول

وما هي الا دقيقة حتى كنا نضحك جميعا كالمجانين .  
قال ألبوشا وهو يغطينا جميعا بصوته الرنان :  
— دعاني ، دعاني أنكلم ، انهما يظنان ان كل  
شيء هو الآن كما كان من قبل . . يظنان اني لا اقول الا  
سخفا . . اؤكد لكما ان ما سأقوله هام جدا . . وبعد ؟  
ألن تسكتا ؟  
كان ألبوشا يتحرق شوقا الى قص قصته . كان واضحا  
لمن ينظر في وجهه انه يحمل انباء هامة ، الا ان هيئة  
الجد التي كان يضيفها عليه زهوه الساذج بأنه يحمل هذه  
الانباء ، سرعان ما اضحكت ناتاشا ، واخذت انا اضحك  
رغم أنفي . وكلما ازداد ألبوشا حنقا علينا ازددنا نحن ضحكا .  
ان حنقه ، ثم اسفه الساذج ، أديا بنا اخيرا الى تلك الحالة  
التي يكفي فيها ان يُظهر طرف اصبع حتى تنفجر في قهقهة  
لا تنتهي ، مثل ضابط الصف البحري في كوميديا جوجول .  
وكانت مافرا ، وقد خرجت من المطبخ ، واقفة على باب  
الغرفة تتأملنا في استياء قاتم ، وتأسف على ان ناتاشا لم  
تؤنب ألبوشا تأنيبا عنيفا وهو ما انتظرته بتلذذ خمسة ايام  
طوال ، وبدلا من ذلك نضحك الآن في مثل هذا المرح .  
واخيرا توقفت ناتاشا عن الضحك ، حين رأت ان  
قهقهاتنا تؤلم ألبوشا وسألته :



— ماذا تريد ان تقص علينا ؟

وقالت مافرا ، مقاطعة أليوشا ، دون ان تحفل به  
البتة :

— هل أجيء بالسماور ؟

فأجابها وهو يشيح يديه نحوها ويحاول ان يطردها  
بسرعة :

— اذهبي يا مافرا ، اذهبي . سأقص عليكما كل  
ما وقع ، وكل ما هو واقع ، وكل ما سيقع ، لاننى اعرف  
كل هذا . ارى ، يا صديقي ، انكما تريدان ان تعلمنا  
ابن كنت طوال هذه الايام الخمسة ، وهذا ما أريد ان  
اقصه عليكما ، الا انكما لا تدعان لي فرصة الكلام .  
والآن سوف اتكلم . واقول قبل كل شيء : لقد خدعتك  
طوال هذه المدة يا ناتاشا ، خدعتك منذ مدة طويلة ،  
وهذا اهم شيء .

— خدعتني ؟

— نعم منذ شهر . بدأت بذلك قبل وصول ابي :  
وقد حان ان أكون صريحا كل الصراحة . منذ شهر ، قبل  
ان يصل ابي ، تلقيت منه رسالة طويلة كتبت عنكما امرها .  
فى هذه الرسالة يبلغني ابي ، ببساطة تامة (بلهجة جدية  
خفت منها) ان زوجي قد قرر ، وان خطيبتى فتاة هى الكمال  
بعينه ، واننى — طبعاً — لا أستحقها ، وانما يجب مع  
ذلك ان اتزوجها حقاً ، وان علي ، تهبوا لهذا ، ان اطرد  
من رأسى جميع الحماقات ، الخ . الخ . تعرفين ماذا يقصد  
بالحماقات . وهذه الرسالة قد اخفيتها عنكما .

فقاطعتة ناتاشا تقول :

— لم تخفها عنا ابدا : لا داعي لان تعتر بهذا .  
الواقع انك قصصت علينا كل شيء فى الحال . واذكر انك  
اصبحت على حين غرة ، طيبا جدا ، لطيفا جدا ، لا  
تتركني ابدا ، كأنك قد افترفت ذنبا تريد ان تكفر عنه ،  
وقد رويت لنا الرسالة كلها اجزاء .

— مستحيل . اننى حقا لم ارو لكما الشيء الاساسي  
فى الرسالة . ربما حزتما شيئا . هذا من شأنكما . اما  
انا فلم أقص شيئا . لقد اخفيت عنكما الامر ، وتألمت  
من ذلك كثيرا .

اضفت وانا انظر الى ناتاشا :

— اذكر يا أليوشا انك كنت يومئذ تسألني النصيحة  
فى كل لحظة ، وقد حكيت لى كل شيء ، اجزاء مبعثرة  
بطبيعة الحال ، وفى صورة افتراضات .

— لقد رويت لنا كل شيء ، لا تعتر ، أرجوك .  
أنت تستطيع ان تخفي شيئا ؟ أنت تستطيع المكر ؟ مافرا  
نفسها تعرف كل شيء ، أليس كذلك يا مافرا ؟

فاجابت مافرا ، وهى تمد رأسها من الباب :

— طبعاً . لقد حكيت لنا كل شيء فى الايام الثلاثة  
الاولى . أنت لا تستطيع أن تخبى شيئا .

— الحديث معك مزعج يا ناتاشا . انت تعملين كل  
هذا على سبيل الانتقام ، وانت يا مافرا على خطأ ايضا .  
اذكر أننى كنت يومئذ كالمجنون هل تذكرين يا مافرا ؟  
— كيف لا أذكر . واليوم أيضا أنت كالمجنون !



— ليس هذا قصدي . هل تذكرين أنه لم يكن لدينا يومئذ شيء من المال ، وانك ذهبت ترهنين علبية سجائري الفضية ! ولكن اسمحي يا مافرا ان اقول لك انك تسبني نفسك أمامي ، ولا تتخرجين من قول أي شيء . ناناशा هي التي علمتكم كل هذا . على كل حال ، لنسلم بأنني رويت لكم كل شيء منذ ذلك الوقت ، اجزاء مبعثرة (أتذكر هذا الآن) ، ولكنكم لا تعرفون اللهجة ، لهجة الرسالة ، وانتم تعلمون ان اللهجة في رسالة من الرسائل هي الشيء الاساسي . هذا ما اريد ان أقوله . قالت ناناशा :  
— وكيف كانت لهجة تلك الرسالة ؟

— اسمعي يا ناناशा ، انك تسأليني هذا السؤال وكأنك تمزحين . أرجوك لا تمزحي . اؤكد لك ان الامر خطير جدا . كانت لهجة الرسالة من القسوة بحيث شعرت ان ذراعي تسقطان من كفتي . لم يتفق لأبسي في حياته ان خاطبني بمثل هذه اللهجة . لئن تغوص لشبونة تحت الارض لا قرب الى الوقوع من ان يتحقق الأمر على غير ما يريد .  
ها هي لهجة الرسالة  
— هيا ، هيا حدثنا . ولماذا كان لا بد لك ان تكتم عني امرها ؟

— كي لا أزعجك ، طبعاً . كنت آمل ان أرتب الامور بنفسي . وبعد هذه الرسالة ، منذ وصول ابسي ، بدأت متاعبسي ، وبدأ عذابسي . كنت قد وطلت العزم على ان أجيء بقوة ، بجرأة ، بكلام واضح ، غير ان الفرصة لم تنح . فانه لم يطرح علي اي سؤال : انه ماكر . حتى لقد

كان يتصرف تصرف من يرى أن كل شيء مقرر ، وانه لا يمكن ان يكون بيننا اي نقاش او خلاف . هل تسمعين : كان يتصرف تصرف من يعتبر انه لا يمكن ان يكون بيننا اي نقاش او خلاف ! اي غرور هذا ! وكان معي لطيفاً رقيقاً الى ابعد حدود اللطف والرقه ! ودهشت من هذا . انه رجل ذكي ، لو تعلم ما ادكاه يا ايفان بتروفيتش ! لقد قرأ كل شيء ، وهو يعلم كل شيء . يكفي ان تنظر اليه مرة واحدة ، حتى يعرف افكارك كما يعرف افكاره ، ولا شك انهم لهذا انما قالوا عنه : يسوعي . ان ناناशा لا تحب ان امدحه . لا تزعلي يا ناناशा . هكذا اذن . بالمناسبة كان في اول الامر لا يعطيني مالا ، ولكنه اعطاني بالامس ، يا ناناशा ، يا ملاكي . لقد انتهى بؤسنا . خذي ، انظري . كل ما قد قطعته عني على سبيل العقوبة خلال ستة اشهر ، رده الي بالامس . انظري ، كم اعطاني ، لم أعد المبلغ الى الآن . مافرا ، انظري ما اكثر ما نملك الآن من مال ! لن نحتاج بعد اليوم الى رهن ملاحقنا وازرار الاكمام .

واخرج من جيبه حزمة من الاوراق النقدية ، تقارب قبمتهأ ألفاً وخمسمائة روبلا فضياً ، ووضعها على المنضدة . ونظرت مافرا الى الاوراق النقدية في دهشة ، ومدحت ألكسي . وكانت ناناशा تستحنه على اكمال كلامه . وتابع أليوشا يقول :  
— تساءلت ماذا أفعل ؟ كيف اعترض عليه ؟ احلف لكما أنه لو اساء معاملتي ، ولم يكن رقيقاً الى هذا الحد ، لما فكرت في شيء من هذا ، لأعلنت له بصراحة تامة اني لا اريد ، وانني لست الآن طفلاً ، وان كل شيء قد



انتهى ، ولاصرت على هذا في عناد ، صدقاني . ولكن ما عساي استطيع ان افعل والامر كما تريان ! ولكن ما ينبغي ان تتهماني ، ارى انك ممتعضة يا ناتاشا . لماذا تتغامزان ؟ لا شك انكما تعتقدان انهم خدعوني ، واننى لا املك ذرة من قوة الارادة . انكما تخطئان . اننى املك قوة الارادة . والبرهان على ذلك اننى رغم ظروفى هذه سرعان ما قلت لنفسي : «يجب علي ان اقص على ابنى كل شىء» . ثم بدأت ، وقصصت عليه كل شىء ، واصغى ابنى الى كلامي حتى النهاية .

فسألته ناتاشا بلهجة قلقة :

— ماذا قلت له بالضبط ؟

— قلت له اننى لا اريد خطيبة اخرى ، لان لى خطيبة هى انت . الحق اننى لم اقل له ذلك صراحة بعد ، ولكنى هياته لذلك ، وسأعلمه له غدا . قررت هذا . وقيل كل شىء ، ذكرت له ان من العار والحقارة ان يتزوج المرء من اجل المال ، وان من الغباوة من جهتنا ان نعد انفسنا من الطبقة الارستقراطية (لاننى كنت اخاطبه بحرية تامة كأننى اخاطب اخا لا ابا) ثم قلت له اننى من " tiers-état " وان " tiers-état c'est l'essentiel " واننى اعتر بذلك ، واننى شبيه بكل الناس ، لا اريد ان اتميز على احد . . اى شرحت له ، على الجملة ، كل هذه الافكار

<sup>11</sup> المرتبة الثالثة (بالفرنسية فى الأصل) .

<sup>12</sup> المرتبة الثالثة هى الشىء الاساسى (بالفرنسية فى الأصل) .

السليمة الصحيحة . . . وكنت اتحدث فى حرارة واندفاع . . . حتى لقد استغربت من نفسي . . . وقلت له بصراحة : «ما نحن بالامراء الا اسما ! لقد ولدنا امراء ولكن ليس لنا من صفات الامراء غير هذا . . . نحن اولاً لسنا بالاغنياء والغنى اهم شىء . ان اكبر امير فى عصرنا هو روثيلد . ثم اننا منذ زمان بعيد لم يبق لنا فى المجتمع العالمى من ذكر . آخرنا هو عمى سيمبون فالكوفسكى ، ولم يكن معروفاً الا فى موسكو ، ولم يعرف فيها الا لانه فقد النفوس الثلاثمائة الاخيرة التى كان يملكها . ولو لا ان ابنى قد جنى بنفسه ثروة ، لاصبح احفاده يحرثون الارض ، كما يفعل بعض الامراء . واذن فليس ثمة ما نزهو به .» اى اننى ، على الجملة ، قد اخرجت كل ما كان يغلي فى نفسي ، كل شىء ، فى قوة وعنق ، وبلا لف ولا دوران ، بل لقد زدت على ذلك قليلا . ولم يجب ابنى على كلامي بشىء ، واكتفى بأن اخذ يلومني على اننى تركت منزل الكونت ناينسكى ، ثم قال لى بعد ذلك ان علي ان اتقرب من الاميرة ك . . . اشيبتي ، واننى اذا أحسنت وفادتي لدى الامير ك . . . احسنت وفادتي فى كل مكان وضمن مستقبلي ، وراح يضرب على هذا الوتر . . . وكان طوال الوقت يلمح الى اننى تركتهم جميعاً منذ اصبحت اعيش معك يا ناتاشا ، وان هذا كان بتأثير منك . غير انه حتى الآن لم يحدثني عنك حديثاً مباشراً ، ومن الواضح انه يتحاشى التعرض لهذا الموضوع . اننا نمكر كلانا ، ويتربص كل منا بالآخر ، وثقي انه سيأتي يوم . . .



— كل هذا حسن . ولكن قل لي كيف انتهى الامر ؟  
ما الذى قرره ؟ هذا اهم شيء . ما اكثر ثرثرتك يا أليوشا !  
— الله اعلم ! يستحيل ان يستخرج المرء من كلامه  
ما عزم عليه . وانا لست بثرثار ، وانما اقول كلاما جديا .  
لم يقرر شيئا البتة . وكان ، وهو يسمع حججى لا يزيد على  
انه يتسّم ، كأنه يرئى لحالي . اشعر ان فى هذا احتقارا  
لي ، ولكنني لا اشعر منه بالعار . قال لي : « انني اوافقك  
كل الموافقة على ما قلت ، هيا نذهب الى الكونت ناينسكي ،  
ولكن لا نقل هنالك شيئا مما قلته الآن . انا افهمك ،  
أما هم فلن يفهموك . يظهر انه هو نفسه لا يُستقبل استقبالا  
حسنا جدا فى كل مكان . انهم يأخذون عليه شيئا ما ،  
وانهم على وجه العموم يتجهمون له فى هذه اللحظة . ومنذ  
البداية استقبلني الكونت فى عنجبية وتكبر ، كأنما هو نسي  
نسيانا تاما انني ترعرعت فى بيته ! انه يأخذ علي انني نسبت  
الجميل ، والحق ان المسألة ليست مسألة نسيان جميل من  
جانبي ، ولكن المرء يأخذ الملل والضجر بخناقه فى بيت  
الكونت ، لهذا السبب لم اذهب اليه . ثم انه لا يراعي  
جانب ابي كثيرا ، انه لا يقيم له وزنا كبيرا ، وقد ادهشني  
ذلك ، واثار حنتى . ان ابي المسكين ليكاد ينحني امامه  
حتى يلامس الارض . أعلم انه يفعل ذلك من اجلي انا ،  
ولكنني لست فى حاجة الى شيء من ذلك . واوشكت ان  
اصارح ابي بكل عواطفى ، ولكنني امسكت عن ذلك .  
وعلام اصارحه بعواطفى هذه ! انني ان فعلت لن اغير من  
قناعته شيئا ، ولن ازيد على ان اصاعف حزنه . حبه ما

هو فيه من حزن ! عندئذ قلت لِنفسي : سامكر ، وسأبزههم  
جميعا فى الحيلة والمكر ، وسأضطر الكونت الى احترامى  
اضطرازا . وصدقا انني ادركت هدفي هذا على الفور ، فما  
هو الا يوم واحد حتى تغير كل شيء ، واصبح الامير لا  
يدارى احدا غيرى ، وقد فعلت ذلك كله وحدي ، بحيلتي  
ومكرى ، حتى ادهشت ابي !

هتفت ناتاشا وقد نفذ صبرها :  
— اسمع يا أليوشا ، الافضل ان نقص علينا الحكاية .  
كنت اظن انك ستحدثنا عما يهمنا ، وها أنت ذا تذكر  
لنا كيف ظهرت وتميزت فى منزل الكونت ! مالي انا وللكونت !  
انتي اسخر منه !

— تسخر منه : اسمع يا ايفان بتروفيتش ! تسخر  
منه . ولكن تلك هى النقطة الاساسية . سترين ، سندهشين  
انت نفسك . سيتضح لك كل شيء فى النهاية ، ولكنني  
دعيني اتكلم . واخيرا (نعم ، ولماذا لا اتكلم بصراحة) ،  
قد اكون يا ناتاشا ، يا ايفان بتروفيتش ، قد اكون احمق ،  
بل قد اكون (وهذا واقع) ابله ، ولكن اؤكد لكما انني فى  
هذه المرة قد برهنت على كثير من المكر والحيلة ، نعم .  
بل ومن الذكاء ، وقلت لِنفسي لا شك انكما سيران اذا  
علما انني لست دائما . . . غيبا .

— هوه ، ماذا تقول يا أليوشا ؟ هل لك ان تسكت ؟  
كانت ناتاشا لا تطيق ان ينعت أليوشا بانه غير ذكي .  
كم مرة زعلت ، دون ان تعلن زعلها صراحة ، حين كنت  
اثنين لأليوشا ، فى غير ما تخرج ، انه قد ارتكب حماقة



ما . . . كان هذا وترا حساسا في نفس ناتاشا . كانت لا تطيق ان يهان أليوشا ، لا سيما وانها كانت في اعماق نفسها تعرف ضيق أفعه . . ولكنها لم تصارحه يوما برأيها في هذا الصدد ، خشية ان تجرح كرامته . اما هو فكان في مثل هذه اللحظات نافذ البصيرة جدا ، فكان يحزر مشاعرها الخفية . وكانت ناتاشا ترى ذلك ، وتحزن له حزنا كبيرا ، ثم ما تلبث ان تأخذ بمداعبته وتدليله . لهذا السبب كان لكلام أليوشا في هذه اللحظة صدى في قلبها مؤلم . .  
— اسكت يا أليوشا ، كل ما هنالك انك طائش . .  
هذا كل ما في الامر ، لماذا تحقر نفسك ؟

— طيب . ولكن دعيني اتم كلامي . بعد استقبال الكونت ، كان ابي غاضبا علي . قلت لنفسي : انتظر ، سأوريك . كنا ذاهبين آنذاك الى منزل الاميرة ، وكنت قد سمعت منذ زمن طويل انها خرفت من الشيخوخة وانها فضلا عن هذا صماء ، وانها تحب الكلاب الى حد الجنون ، ولها فضيل كامل منها وهي معجبة بها جدا ورغم هذا ، فان لها في المجتمع الراقي تأثيرا كبيرا ، حتى ان الكونت ناينسكي نفسه <sup>(1)</sup> le superbe كان ينتظرها فسي <sup>(2)</sup> antichambre . وفيما نحن في الطريق اليها ، رسمت خطتي ، هل تعرفان علام اقامت هذه الخطة ؟ اقامتها على اساس ان جميع الكلاب تحبني ، هذه حقيقة

(1) المتعجرف (بالفرنسية في الأصل) .

(2) مدخل البيت (بالفرنسية في الأصل) .

اقولها لكما ! لقد لاحظت ذلك . لا ادري ألان بي قوة مغناطيسية ام لانني انا نفسي احب جميع الحيوانات ؟ المهم ان الكلاب تحبني . وبمناسبة المغناطيسية ، اظن انني لم احدثكما اننا قد استحضرننا الارواح منذ مدة . كنت عند احد الخبيرين باستحضار الارواح ، والغريب ان هذا الموضوع قد شاقني كثيرا يا ايفان بتروفيتش . لقد استحضرت روح يوليوس قيصر .  
— ما حاجتك الى يوليوس قيصر ؟ هذا ما كان يتقصك .  
قالت ناتاشا ذلك وهي تنفجر ضاحكة .

— ولم لا ؟ أنا . . لماذا لا يحق لي ان استحضر روح يوليوس قيصر ؟ فيم يسيء هذا اليه ؟ انهها  
تضحك !

— طبعا . لا يسيء اليه في شيء . آه يا صديقي العزيز ! . . دعنا ! وماذا قال لك يوليوس قيصر ؟  
— لم يقل لي شيئا . كنت ممسكا بقلم ، وكان القلم يتحرك من تلقاء نفسه على الورقة ويكتب . كان يوليوس قيصر هو الذي يكتب ، فيما قالوا لي . ولكنني لا اعتقد بهذا .

— وماذا كتب ؟  
— كتب شيئا يشبه كلمة «تبلبل» . مثلما لدى جوجول . .  
ولكن أما كفاك ضحكا ؟  
— حدثنا الآن عن الاميرة !

— انك تقاطعيني دائما . وصلنا الى بيت الاميرة واخذت الالطف ميمي . وميمي هذه كلبة عجوز فظيعة ، مفرقة جدا ، وهي الى هذا عبيدة ، وتعض ، والاميرة مستطارة



اللب بها ، وهما تبدوان في سن واحدة . بدأت احشو ميمي بالحلوى ، وما هي الا عشر دقائق حتى استطعت ان اعلمها كيف تمد قائمتها ، وهذا امر لم يستطيعوا ان يدربوها عليه طوال حياتها . فلما رأتها الاميرة تفعل ذلك ، طار عقلها فرحا حتى كادت تبكى : « ميمي ، ميمي ، هاتي يدك ! لقد علمها ذلك عزيزي ألبوشا » . ودخل الكونت ناينسكي : « ميمي ، هاتي يدك ! » . ونظرت الي وهي تكاد تبكى من قوة العاطفة . يا لها من عجوز رائعة ! لقد اثارت في قلبي الشفقة . ولم ادع الفرصة تمر ، فلاطفتها ملاطفة ثانية . كان على علبة تبغها نقش يمثل صورتها وهي صبية ، اى منذ ستين عاما خلت . ووقعت علبة تبغها على الارض ، فسارعت الى التقاطها وقلت متجاهلا : Quelle charmante peinture! <sup>(1)</sup> . انه الجمال المثالي . فما سمعت هذا حتى ذابت تماما ، واخذت تتودد الي وتحدثني في كل امر : تسألني اين درست ، واين اسكن ، وتطرينني وتقول ان لى شعرا رائعا ، الخ ، الخ . وقد زدت مرحها بأن قصصت عليها حكاية خليعة . انها تحب هذا . صحيح انها هددتني بأصبعها ، الا انها ضحكت كثيرا . وحين انصرفت ، قبلتني ، ورسمت علي اشارة الصليب ، واصرت على ان اجيء اليها في كل يوم لاسليها ، وصافحتي الكونت بحرارة ، وهو ينظر الي نظرة رقيقة حانية . اما ابي ، فرغم انه احسن من على وجه الارض واشرفهم وانبلهم ،

<sup>(1)</sup> يا له من رسم بديع ! (بالفرنسية في الأصل) .

صدقوني او لا تصدقوني ، كاد يبكي من شدة الفرح ، حين عدنا الى البيت . لقد قبلني وراح يفضي الي بامور عن الحياة ، والعلاقات بالناس ، والمال والزواج : امور عجيبة غاب عنى فهم كثير منها ، وفي تلك اللحظة انما اعطاني المال . وقع ذلك بالامس ، وغدا سأعود الى الاميرة ، غير ان ابي رغم هذا انبل انسان على وجه الارض ، لا تسيثوا الظن به . صحيح انه يبعدني عنك يا ناتاشا ، ولكنه انما يفعل ذلك ، لان حب العمال قد اعماه ، لانه طامع في ملايين كاترينا ، ولانك انت لا تملكين هذه الملايين ، على انه لا يطمع في هذه الملايين الا من اجلى انا ، واذا كان لا ينصفك فلأنه يجهلك ثم اى اب لا يرغب في سعادة ابنه ؟ وليس الذنب ذنبه ان كان قد اعتاد على ان يقدر السعادة بالملايين . انهم جميعا كذلك يجب ان ننظر اليه على هذا الاساس لا على اساس آخر ، حتى اذا فعلنا ذلك ادركنا فوراً انه على حق . ولقد اسرعت الى المجيء اليك يا ناتاشا لأقنعك بهذا ، لانني اعرف انك تنظرين اليه نظرة سيئة ، وطبعي ان الذنب في هذا ليس ذنبك . ولست أؤمك .

— اذن فكل ما حدث لك هو قيامك بتلك الوظيفة لدى الاميرة ! هذا هو مكرك كله !

— ماذا تقولين ؟ ليس هذا الا بداية . لقد حدثتك عن الاميرة ، لانني بواسطتها انما اقبض على زمام ابي ، هل تفهمين ؟ ولكنني لم ابدأ قصتي الاساسية !

— اذن قصها علينا بسرعة !

— في هذا اليوم وقع لي حادث آخر غريب كل الغرابة ،



ادهشني وصعقني . لاحظني انه إن كان أبسي والاميرة قد قررا  
زواجنا رسميا ، فما من شيء قد تم نهائيا الى الآن : نستطيع  
ان نفصل على الفور دون اية فضيحة . ان الكونت ناينسكى  
وحده على علم بالامر ، وهم يعدونه قريبا وحاميا . ورغم اننى  
فى هذين الاسبوعين الاخيرين قد لقيت كاتيا كثيرا ، فاننا  
حتى الليلة البارحة لم نتحدث فى المستقبل ، أى فى الزواج ،  
ولا . . نعم . . فى الحب . ثم انهم قد قرروا فى بادئ الامر  
ان يطلبوا موافقة الاميرة ك . . التى ينتظرون منها حماية عظيمة ،  
وسيلا من الذهب . ان ما ستقوله الاميرة سيقوله المجتمع  
الراقى ، لان لها علاقات هائلة . . وهم يريدون قطعاً ان  
يخرجونى الى المجتمع وان يجعلونى أشق طريقى . الا ان  
الكونتيسة ، زوجة أبسى كاتيا ، هى التى تلح على هذه الترتيبات .  
والواقع ان الاميرة لا تستقبل الكونتيسة فى بيتها حتى الآن ،  
وربما كان ذلك بسبب ما قامت به الكونتيسة من اعمال  
طائشة فى الخارج ، واذا لم تستقبلها الاميرة لم يستقبلها  
الاخرون أيضا . واذن فخطبتي كاتيا فرصة مواتية ، لذلك  
فان الكونتيسة التى كانت فى اول الامر تعارض هذا الزواج  
افرحها اليوم كثيرا فوزي بحظوة الاميرة . غير ان هذا كله  
على الهامش ، واليك الامر الهام : لقد عرفت كاترينا فيدوروفنا  
منذ العام الماضي ، ولكنني كنت حينذاك طفلا ، ولم  
أكن افهم شيئا ، لذلك لم ار فيها يومذاك شيئا . . .  
فقاطعت ناناها :

— كل ما فى الامر انك كنت تحبني اكثر من الآن ،  
فلم تر فيها شيئا ، اما الآن . . .

فهتف أليوشا فى عنف :

— اسكتي يا ناناها ، انت مخطئة كل الخطأ ، وانك  
لتهينتى بهذا الكلام ! ولن اجيبك . اصغى الى بقية  
كلامي ، تفهمي كل شيء . لبتك تعرفين كاتيا ! لبتك  
تعرفين روحها الرقيقة الصافية ! ولكنك ستعرفين ذلك . المهم  
ان نصغى الى كلامي حتى النهاية . منذ خمسة عشر يوما ،  
حين قادني ابسي ، بعد وصوله ، الى كاتيا ، اخذت اراقبها  
بانتهاب ، ولاحظت انها تراقبنى هى الاخرى ، واثار هذا  
فضولي . لست اتحدث الآن عما كنت قد انتويته من تعميق  
معرفتي بها ، منذ وصلتني من ابسي تلك الرسالة التى شدهتني .  
على كل حال سأسكت الآن عن الاشادة بمحاسنها ، وانما  
اكتفى بان اقول ما يلى : هذه انسانة اصيلة ، هذه انسانة  
مستقيمة قوية ، قوية لانها صافية مستقيمة ، وهى من هذا  
كله بحيث اننى اصبحت ازاءها طفلا لا اكثر ، اخا اصغر ،  
رغم انها لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها . وقد لاحظت  
كذلك شيئا آخر : انها حزينة حزنا عميقا ، كأنها تحمل  
فى اعماقها سرا دفيناً . انها غير ثرثارة . وهى فى بيتها صامتة ،  
كل الوقت تقريبا ، كأن بها خوفا . كأنها تفكر فى امر  
ما . ويظهر عليها انها تخشى ابسي . وهى لا تحب زوجة  
ايها ، ادركت ذلك : ان الكونتيسة هى التى تزعم ، لامر  
ما ، ان ابنة زوجها تحبها بل تعبدها . هذا كذب . كل  
ما فى الامر ان كاتيا تطيعها طاعة عمياء ، كأنهما اتفقنا  
على ذلك فيما بينهما . ومنذ أربعة أيام ، بعد كل هذه  
الملاحظات ، قررت أن اضع مشروعى موضع التنفيذ ،



وهذا ما فعلته مساء أمس ، أى أن أقص على كاتيا بكل شيء ، ان اعترف لها بكل شيء ، ان استميلها الى جانبنا ، ثم ان أنهى المسألة دفعة واحدة . . . فسألته ناتاشا بلهجة قلقة :

— تروي لها ماذا ؟ تعترف لها بماذا ؟

— بكل شيء ، بكل شيء . . . واحمد الله على أنه ألهمنى هذه الفكرة . ولكن اسمعي ، اسمعي ! منذ اربعة ايام قررت ان ابتعد عنك ، وان اتولى بنفسى انهاء كل شيء . ولو قد بقيت معك ، اذن لترددت طوال الوقت ، وأصغيت الى كلامك ، ولم اتخذ اى قرار ، فى حين اننى استطعت وحدي ان اضع نفسى فى موضع من يقنع نفسه فى كل لحظة بأن عليه أن يضع حدا لهذه المسألة ، فاستجمعت شجاعتي ، ومضيت الى النهاية ! وقد وعدت نفسى بأن اعود اليك بقرار ، وهأنا ذا اعود اليك بقرار !

— كيف ؟ ماذا حصل ؟ قل ، اسرع !

— المسألة بسيطة ، ذهبت اليها رأسا ، باخلاص وجرأة . ولكن قبل كل شيء يجب ان أروي لك حادثا سبق هذا الحادث ، واثري في تأثيرا قويا . قبل ان نخرج تلقى ابي رسالة . وقد دخلت فى تلك اللحظة الى حجرته ، ووقفت قرب الباب ، دون ان يرانى . كان ابي من شدة تأثره بالرسالة يتكلم بينه وبين نفسه ، ويصرخ صرخات التعجب ، ويذهب ويجيء فى الغرفة ، وقد خرج عن طوره ، واخيرا اخذ يضحك على حين فجأة . وكان يمسك الرسالة بيده . خفت ان ادخل ، فتلبثت قليلا ، ثم جازفت ودخلت ،

وسرّ ابنى كثيرا ، وخاطبني بلهجة غريبة ، وفجأة قطع كلامه ، وامرنى ان استعد للخروج على الفور ، رغم ان الوقت لم يحزن بعد . فى هذا اليوم لم يكن عندهم احد ، كنا وحدنا ، يا ناتاشا ، وقد اخطأت اذ اعتقدت أن هناك سهرة اليوم يا ناتاشا . لقد أخطأ من ابلغك ذلك .

— لا تخرج عن الموضوع يا أليوشا ، ارجوك . قل لى كيف قصصت على كاتيا كل شيء .

— من حسن الحظ اننا بقينا وحدنا ، انا وهى ، مدة ساعتين كاملتين . ابلغتها ، ببساطة ، ان زواجنا مستحيل ، رغم رغبتهم فيه ، واننى ارتاح اليها ، وانها وحدها تستطيع ان تفقدنى وكشفت لها عندئذ عن كل شيء . تصوري أنها كانت لا تعرف شيئا عن قصتنا ، يا ناتاشا . ليتك رأيت مدى تأثرها حين قصصت عليها ذلك . فى اول الامر ظهر عليها ما يشبه الذعر ، فامتقع لونها بشدة . رويت لها قصتنا كلها : انك تركت بيتك من أجلى ، أننا نعيش وحدنا ، أننا نعذب ونضطهد ، اننا خائفان من كل شيء ، واننا نلجأ الآن اليها (كنت اتكلم باسمك ايضا يا ناتاشا) بغية ان تقف هى نفسها الى جانبنا ، فتعلن لزوجة ابيها صراحة انها لا تريد ان تتزوجني ، وان هذا هو السبيل الوحيد الى نجاتنا ، واننا اصبحنا لا نتظر اية معونة من غيرها . وقد استمعت الى كلامي فى كثير من حب الاستطلاع ، ومن العطف ! ما كان أجمل عينها فى تلك اللحظة ! لكأن روحها كلها قد انتقلت الى نظرتها ! ان عينها زرقاوان بلون السماء تماما . وقد شكرت لى أننى لم اشك فيها ، ووعدتني



بأن تساعدنا بكل ما أوتيت من قوة . ثم القت علي بعض الاسئلة عنك ، وقالت انها تود لو تتعرف اليك ، وسألتنى ان اقول لك انها تحبك منذ الآن حب الاخت اختها ، وترجوك ان تحبها أنت أيضا كأنها اخت لك . وحين علمت اننى لم أرك منذ خمسة ايام أرسلتنى اليك على الفور . وظهرت على ناتاشا علائم التأثر .

صرخت وهى تلقى عليه نظرة نفيض بمعانى العتب : — أليوشا ، أليوشا ، هل من المعقول انك تحمل كل هذه الاخبار وتضيع الوقت بأن تقص علينا «شطاراتك» لدى اميرة طرشاء ! أليوشا ! وكاتيا ؟ هل كانت مرحة ، فرحة ، وهى ترسلك اليّ ؟

— نعم ، كانت سعيدة بأن اتحت لها فرصة التقيام بعمل نبيل ، وكانت تبكى . ذلك أنها تحبني ايضا ، هل تعلمين يا ناتاشا ؟ لقد اعترفت لى بأنها كانت قد بدأت تحبني ، وانها لا تلقى الا قليلا من الناس ، واننى اعجبها منذ مدة طويلة . وقد ميزتني عن غيرى خاصة ، لانها لا ترى حولها الا خداعا وكذبا ، ولاننى ظهرت لها صادقا شريفا . نهضت عن مكانها وقالت لى : «سامحك الله الكسى بتروفيتش ، كنت اعتقد . . .» ولم تتم كلامها ، بل انفجرت باكية ، وخرجت من الغرفة . وقد اتفقنا ان نذهب فى الغد الى زوجة ايها تعلن لها انها لا تريد أن تتزوجني ، وان امضى انا الى ابي اقول له كل شيء بقوة وجرأة . وقد لامتنى على اننى لم أكاشفها بالامر من قبل ، قائلة : «ان الرجل الشريف يجب ان لا يخشى شيئا .» ما أنبلها يا ناتاشا !

انها لا تحب أبى أيضا وهى تقول عنه انه مخائل وانه يسعى وراء المال . وقد دافعت عنه ، ولكنها لم تصدقنى . وفى رأيها أننى اذا لم أنجح مع ابي (وهى على يقين من اننى لن انجح) فيجب ان ألجأ الى الاميرة ك اطلب حمايتها ، اذ ما من احد منهم جميعا يجرؤ على معارضتها . وقد تواعدنا على ان نكون اخا واخنا ، لبتك تعلمين ايضا قصتها ، لبتك تعلمين مدى ما تعاني من شقاء ، ومدى ما تشعر به من قرف واشمئزاز من حياتها مع زوجة ايها ، ومن كل هذا التمثيل ! . . انها لم تذكر لى ذلك صراحة ، كأنما هى تخشاني انا ايضا ، ولكنى ادركته من بعض كلامها . ناتاشا ، صدقتى ، ليتها تراك ، اذن لتحبيتك حبا ما بعده حب . لقد خلقتما كأختين ، ويجب ان تحب كل منكما الاخرى . لقد فكرت فى هذا يا ناتاشا ، وهو صحيح : سأجمعكما ، وسأبقى الى جانبكما انا ملكما . لا احب ان ينصرف ذهنك الى غير ما ينبغى يا ناتاشا ، ودعيني اتكلم عنها . اننى فى حاجة الى ان احدثك عنها واتكلم معها عنك ولكنك تعلمين اننى احبك اكثر مما احب اى شخص آخر ، اكثر مما احبها . انت لى كل شيء !

كانت ناتاشا تنظر اليه صامتة ، فى حب يمازجه حزن . لكن كلمات أليوشا كانت تداعبها وتعذبها فى آن واحد . ونابع أليوشا كلامه يقول :

— لقد كونت رأيسى فى كاتيا منذ مدة طويلة ، منذ خمسة عشر يوما . كنت اذهب اليهم فى كل مساء . وكنت حين اعود الى البيت لا ازيد على ان افكر



قال ألبوشا ذلك وهو يلقي علينا نظرة دهشة ، واضاف :  
— سأرى !

في المطبخ كان يقف خادم الامير ، ابيه . ان الامير ،  
وهو في طريق عودته الى بيته ، اوقف عربته امام منزل ناتاشا ،  
وارسل خادمه يسأل هل ألبوشا هنالك . ابلى الخادم رسالته  
هذه ، وانسحب على الفور .

قال ألبوشا مضطربا وهو يلفنا بنظرة سريعة :  
— هذا غريب ! لم يقع قبل ذلك قط . ما معنى  
هذا ؟

ونظرت اليه ناتاشا نظرة قلقة خائفة . وفجأة فتحت  
مافرا الباب مرة اخرى ، وقالت في سرعة بصوت منخفض :  
— الامير آت بنفسه .

واختفت حالا .  
شحب لون ناتاشا ، ونهضت عن مكانها ، واخذت  
عينها تلتصقان على حين فجأة ، واستندت الى المنضدة  
في رفق ، وجعلت تنظر ، مضطربة ، الى الباب الذي سيدخل  
منه هذا الزائر الذي ما كان يتوقع احد حضوره .

ودمدم ألبوشا يقول وهو مضطرب ولكنه مسيطر على نفسه :  
— لا تخافي شيئا يا ناتاشا . انا هنا . ولن اسمح  
له بالاساءة اليك .

وافتح الباب ، وظهر في العتبة شخص الامير فالكوفسكي .

فيكما ، وأوازن بينكما .  
فسأله ناتاشا مبسمة :

— وأينا غلبت الاخرى ؟

— تارة انت ، وتارة هي . ولكن الرجحان كان لك  
دائما . حين اتحدث معها اشعر دائما انني اصبح خيرا  
مما كنت ، أصبح اذكى ، انبل ، ان صح التعبير . ولكن  
غدا ، غدا يتقرر كل شيء !

— ولكنك تقول انها تحبك ، تقول انك لاحظت  
ذلك بنفسك . ألا تشفق اذن عليها ؟

— بلى . . . اشفق عليها . . . ولكننا يحب بعضنا بعضا  
نحن الثلاثة ، واذن .  
— واذن الوداع .

قالت ذلك ناتاشا بصوت لا يكاد يسمع كأنها تقول  
لنفسها ، ونظر ألبوشا اليها نظرة مضطربة .

الا ان هذه المحادثة انقطعت فجأة ، على نحو لم  
يكن في الحسبان ابدا . فمن المطبخ ، الذي كان في نفس  
الوقت مدخل البيت ، سمعنا ضوضاء خفيفة ، كأن شخصا  
قد دخل . وما هي الا دقيقة حتى فتحت مافرا الباب ،  
واشارت بيدها خلسة ، تستدعي ألبوشا ، فالتفتنا جميعا  
اليها ، فقالت بلهجة عجيبة :

— هلا تفضلت فجئت ، ان في الباب من يسأل

عنك .  
— من ذا الذي يمكن ان يسأل عني في مثل هذه

الساعة ؟



لفنا الامير بنظرة سريعة يقظة . وما كان في وسعنا ،  
بعد ، من هذه النظرة ان ندرك هل جاء الينا صديقا او  
عدوا . وأريد ان اصف مظهره تفصيلا . لقد لفت انتباهي  
في ذلك المساء خاصة .  
كنت قد رأيت قبل ذلك . هو رجل في نحو الخامسة  
والاربعين من عمره ما تعداها ، متناسب قسمات الوجه ،  
جميل غاية الجمال ، بتغير وجهه بتغير الظروف ، ولكنه  
يتغير تغيرا تاما ، على حين فجأة ، بسرعة هائلة ، فيستقل  
من المودة الى الاستياء الشديد ، كأنما يضغط على زر . ان  
وجهه البياضوي الضارب الى السمرة ، واسنانه الرائعة ، وشفتيه  
الرقبقتين الجميلتين ، وانفه المستقيم ، المستطيل قليلا ،  
وجبينه العالي الذي لا ترى فيه اثرا من تغضن ، وعينه العسلبتين  
الواسعتين ، ان كل ذلك يجعله رجلا جميلا ، ولكنك  
رغم هذا كله لا ترتاح الى رؤيته . ان هذا الوجه ، ينفرك  
خاصة لان تعبيره كأنه ليس منه ، وانما هو متكلف مدروس  
مستعار ، فما ان تراه حتى تفتنع اقتناعا قويا بأنك لن تقرأ  
فيه معنى صادقا قط . واذا انعمت النظر فيه اخذت تتصور  
وراء هذا القناع الدائم شيئا خبيثا ، شريرا مراوغا ، انانيا  
الى اقصى حد . وان عينيه العسلبتين الواسعتين الجميلتين  
تسترعيان الانتباه بوجه خاص ، كأنهما الشيء الوحيد الذي  
لا يخضع لارادته ، اذ حتى حين يريد ان ينظر اليك نظرة  
رقيقة لطيفة ، فان اشعة نظره تزدوج ان صح التعبير ، فاذا

انت ترى مع الاشعة الرقيقة اللطيفة اشعة اخرى قاسية شرسة  
فاحصة غادرة . . . وهو فارغ القامة ، قوى البنية ، على شيء  
من التحول ، ويبدو اصغر من سنه كثيرا ، فان شعره الاشقر  
الناعم لم يكد يخالطه الشيب بعد . وان اذنيه ويديه واطراف  
قدميه لتشير بجمالها الدهشة : انها ذات جمال ارستقراطي .  
وكان انيقا في ملبسه ، مرهف الذوق ، وكان لبعض سمات  
ملبسه مظهر الشباب ، وكان هذا يناسبه . كان يبدو كأنه  
الاخ الاكبر لأليوشا ، وكان لا يمكن على كل حال ان يُظن  
انه اب لشاب في مثل هذه السن .

تقدم من ناتاشا وقال لها وهو يلقي عليها نظرة واثقة :  
— أعلم أن وصولي الى منزلك في هذه الساعة ،  
دون سابق انذار ، غريب ومخالف لجميع قواعد اللياقة ،  
ولكنني آمل ان تعتقدى على الاقل بأننى شاعر بغرابة مسعاه .  
واني لاعرف كذلك انني ازاء شخص واسع الصدر سمح  
كريم . مُنى علي بعشر دقائق من وقتك ، وانا آمل أنك  
ستفهمينى وستحبذين ما انا بصدده .

قال ذلك كله بلطف وتهذيب ، ولكن بقوة وصلابة .  
قالت ناتاشا ، قبل ان تسترد رباطة جأشها :  
— تفضل واجلس .

فانحنى قليلا ، وجلس . ثم بدأ يقول وهو يشير الى  
ابنه :

— قبل كل شيء ، اسمحي الي ان أقول له كلمتين .  
يا أليوشا ، حين ذهبت دون ان تنتظرنى ، بل دون ان  
تودعنا ، جاء من يقول للكوتيسة ان كاترينا فيدوروفنا في



حال سيئة . وكانت الكونتيسة على وشك ان تهرع اليها حين دخلت كاترينا فيدوروفنا فجأة في حالة من سوء الهمدوم وفرد الاضطراب ، فأعلنت لنا بغير لف ولا دوران انها لا تستطيع ان تكون زوجة لك ، وازافت الى ذلك انها ستدخل الدير راهبة ، وانك سألتها المعونة ، وافضيت اليها بأنك تحب ناتاليا نيقولايفنا . واضح ان هذا الاعتراف العجيب قد بعث عليه ما قصصته عليها من امور عجيبة . كانت في حالة يرثى لها من الاضطراب ، ولعلك تقدر انه قد كان لهذا في نفسى وقع قوى وانه اخافنى فلما مررت الآن في الشارع لمحت النور في نوافذ بيتك (قال ذلك وهو يلتفت الى ناتاشا) . فاستولت علي فكرة لاحقتني منذ زمان بعيد ، فلم استطع مقاومة فتنها واغرائها فدخلت . لماذا ؟ سأقول لك ذلك حالا ، ولكننى ارجوك قبل كل شيء ان لا تعجبي لغرابة ما سأقول . ان هذا كله قد جاءنى على حين فجأة . . .

قالت ناتاشا في تردد :

— أمل ان افهم ما ستقوله وان اقدره حق قدره . فنظر اليها الامير فى الحاح ، كأنما هو يحاول ان ينفذ الى جميع دخائلها فى لحظة واحدة . واستأنف يقول :

— اننى اعتمد ايضا على فطنتك ونفاذ بصيرتك . فلئن سمحت لنفسى ان آتى لرؤيتك هذا المساء ، فلاننى اعرف من اخاطب . اننى اعرفك منذ مدة طويلة ، رغم اننى قد ظلمتك فى السابق ، وتجنيت عليك ، واجرمت فى حقك . اسمعى : انت تعلمين ان بينى وبين ابيك خلافات قديمة ، ولست ابرئ نفسى ، فعلى قد تجنيت

عليه اكثر مما اظن حتى الآن ، ولكن اذا صح هذا فانما يصح لاننى اكون قد اخطأت الظن وضللت ، فاننى امرؤ رياب شكاك ، لا بد من الاعتراف بهذه الحقيقة . اننى افترض الشر قبل الخير ، وتلك صفة سيئة يتصف بها ذوو القلوب القاسية . غير اننى ما اعتدت ان اخفى نقائصي . لقد صدقت جميع تلك الوشايات ، وحين هجرت اهلك خفت على أليوشا . بيد اننى ما كنت قد عرفتك بعد . ثم جاءتني الانباء التى ارسلت فى طلبها ، تطمئنني شيئا فشيئا ، وراقبت ، وانعمت النظر ، وانتهيت الى الاقتناع بأن شكوكي قائمة على غير اساس . عرفت انك قد قطعت صلاتك بأهلك ، وعلمت ان اباك يعارض فى امر زواجك بابنى معارضة عنيفة لا هوادة فيها . ثم انك ، على مالك من تأثير وسلطان على أليوشا ، لم تحاولي حتى الآن ان تستغلي هذا السلطان فتكرهيه على الزواج بك ، وهذا وحده خليق بأن يرفع قدرك فى نظري ، وان يحسن ظني فيك . على اننى اعترف لك بأننى ، رغم ذلك قد قررت يومئذ ان اقوم زواجك بابنى بكل ما اوتيت من قوة . اعرف اننى افصح عن ضميري فى شطط من الصراحة ، ولكن فى هذه اللحظة يجب ان اكون صريحا قبل كل شيء . وستوافقين انت نفسك على هذا بعد ان تصغي الى حديثي حتى نهايته . بعد ان هجرت منزلك بقليل ، سافرت من بطرسبرج ، ولكن مخاوفي بصدد أليوشا كانت قد ذهبت . كنت اعتمد على كبريائك النبيلة . كنت قد فهمت انك ، انت نفسك ، لا ترغيبين فى الزواج بأليوشا قبل ان تنتهي خصوماتنا العائلية .



وانك لا تريدان ان تزعى الخلاف بينى وبين أليوشا ، وانك تعلمين انه لو تزوج بك لما غفرت له هذا ما حيت ، وانك لا تريدان ان يقال عنك انك تركضين وراء عريس من سلالة امراء ، وانك متهالكة على انتماء الى اسرتنا العريقة ، حتى انك ، بالعكس ، قد اظهرت لنا احتقارك ، ولعلك كنت تنتظرين ان آتى بنفسى اليك لأرجوك ان تشرفينا بقبول ابني زوجا لك . ومع ذلك ظلمت عدوا لك لا يتحزج عن عداوته . لا اريد ان ابرئ نفسى ، ولكنتي لا أكتم عنك الاسباب التى دفعتني الى مناصبتك العدا ، وهذه هى الاسباب : انك لا تملكين لا اسما ولا ثروة . لست انكر اننى غنى ، ولكنتي اريد المزيد من الغنى . لقد هبطت اسرتنا ، ونحن فى حاجة الى صلات والى مال . وان ابنة زوج الكونتيسة زينائيدا فيدوروفنا على جانب عظيم من الثراء ، وان لم تكن ذات صلات رفيعة . واذا تأخرنا أقل تأخر ، تقدم غيرنا فخطف الخطبية : وما كان ينبغي ان ندع الفرصة نفلت منا ، لذلك ، ورغم ان أليوشا ما يزال صبيا ، قررت ان ازوجه . تزين اننى لا أخفى عنك شيئا . تستطيعين ان تنظري نظرة احتقار الى هذا الاب الذى تسيره المصلحة والتقاليد البالية ، فيحض ابنه على ارتكاب فعل سيئ . أليس فعلا شيئا ان يترك المرء فتاة نبيلة القلب ضحت فى سبيله بكل شيء ، واساء اليها اسماءات كبيرة ؟ والسبب الثانى الذى دفعني الى التفكير فى تزويج ابني من ابنة زوج الكونتيسة زينائيدا فيدوروفنا هو ان هذه الفتاة جديرة بالحب والاحترام الى اقصى حد . انها جميلة ، مهذبة ، قوية الشخصية . ذكية جدا ،

رغم انها ما تزال طفلة غرة من نواح كثيرة . وأليوشا ضعيف الشخصية طائش ، قليل التبصر الى ابعد الحدود ، وما يزال طفلا رغم انه فى الثانية والعشرين من عمره . انه لا يملك من المزايب الا الكرامة وطيب القلب ، وهما مزيتان خطرتان اذا ضمنا الى نقائصه . وقد لاحظت منذ مدة طويلة ان تأثيري فيه اخذ يقل : فحماسة الشباب واندفاعاته تتغلب فيه حتى على بعض الواجبات . قد اكون مسرفا فى محبته ، ولكنتي مقتنع باننى اصبحت لا أستطيع السيطرة عليه وحدى ، ولا بد مع ذلك من شخص يؤثر فيه تأثيرا مفيدا مستمرا . ان طبيعته خضوعة ، ضعيفة ، يسيطر عليها الحب . انه يفضل ان يحب ويخضع على ان يقود ويخضع . وسيظل على هذه الحال طوال حياته . تستطيعين ان تتصورى مدى فرحى حين التقيت بكاترينا فيدوروفنا ، المثل الاعلى للفتاة التى اتمناها امرأة لابنسى . غير ان الاوان كان قد فات ، فقد كان ابني خاضعا لتأثير فتاة اخرى بلا منازع : هذه الفتاة هى انت . ولقد راقبته مراقبة يقظة حين عدت الى بطرسبرج منذ شهر ، فلاحظت فيه تغيرا حسنا ادهشنى ، لاحظت فيه صبوات نبيلة ترسخ وتشدت ، رغم انه ما يزال طائشا ، وما يزال طفلا . لاحظت انه اخذ يهتم لا بالترهات فحسب ، بل بأمور رفيعة شريفة . ان له أفكارا غريبة ، متقلبة ، واحيانا مستحيلة ، غير ان رغباته ، واندفاعاته ، وقلبه ، خير من ذلك ، وهذا هو اساس كل شيء . لا مشاحة ان جميع هذا التحسن الذى اصابه يرجع الفضل فيه اليك . لقد جددت تربيته . واعترف لك باننى فى تلك



اللحظة انما تراءى لى انك تستطيعين ان تحققى سعادته  
اكثر من اى انسان آخر . ولكنني طردت هذه الفكرة من  
ذهني ، ما كنت ارجب في هذه الافكار . كان يجب عليّ  
ان أصرفه عنك واخذت أعمل ، وخيل الي اننى بلغت  
غايته . ومنذ ساعة فحسب ، كنت لا أزال اعتقد ان الظفر  
حليفي . الا ان الحادث الذى وقع في بيت الكوثية قد  
قلب ظنوني رأسا على عقب ، دفعة واحدة . والامر الذى  
فجأنى بوجه خاص هو هذا الجد العنيد فى ألبوشا ، هذه  
الصلابة فى تعلقه بك ، هذا الاستمرار وهذا العنف فى تلك  
الصلة التى بينك وبينه . أعود فأقول لك انك قد جددت  
تربيته نهائيا . وسرعان ما لاحظت ايضا ان التغير الذى تم  
فيه ابعد مدى مما ظننت . فقد برهن اليوم امامي على ذكاء  
ما كنت اظنه فيه ، وبرهن فى الوقت نفسه على رفاقة فى  
التفكير نادرة ، ونفاذ فى البصيرة عجيبة . لقد اختار اضمن  
الطرق للخروج من الموقف الذى يظنه مأزقا حرجا ، فمس  
فى قلب الانسان ارفع اوتاره ، اعنى روح الغفران والرد  
على الشر بالخير . مضى الى الانسانة التى اساءت اليه ، فطلب  
منها العطف والمعونة ، اعتمد على كبرياء المرأة التى اصبحت  
تحبه ، فاعترف لها بانها يحب غيرها ، وفى الوقت نفسه  
ايقظ فى نفسها العطف نحو غريمتها ، وحصل منها على  
الصفح والمغفرة ، حتى وعدته بصداقة اخوية مخلصمة مبرأة  
من الغرض . ان اعقل الرجال واحكمهم واحذقهم يعجزون  
احيانا عن بسط مثل هذا الامر دون ان يجرحوا او يسبوا ،  
والذين يستطيعون ذلك انما هم ذوو القلوب الغضة النضرة

الصادقة كقلبه . أنا مقتنع بأنك لم تساهمى فى مساعه اليوم  
لا بالكلام ولا بالنصح . ولعلك لم تعلمى بهذا الامر الا  
فى هذه اللحظة . أنا مخطيء ؟

— لست مخطئا !

قالت ناتاشا ذلك وقد احمر وجهها حتى اصبح بلون  
الجمر ، وكانت عينها نلتمعان بيريق عجيب كأنه بيريق  
الالهام . لقد بدأ حديث الامير يحدث فيها تأثيره .  
واضافت تقول :

— لم ار ألبوشا منذ خمسة ايام . هو الذى تخيل  
هذا كله ، ووضعه موضع التنفيذ .

قال الامير مؤيدا :

— الامر هكذا بلا شك . ولكن رغم ذلك ، فان  
هذا القهم النافذ الذى لا عهد له به من قبل ، وهذه العزيمة ،  
وهذا الشعور بالواجب ، وهذه الصلابة النبيلة ، كل هذا انما  
هو نتيجة من نتائج تأثيرك فيه . لقد استقر رأسي بهذا الصدد ،  
وقد فكرت فى هذا الموضوع اثناء عودتي الى بيتي ، وشعرت ،  
بعد تفكير ، اننى قادر على اتخاذ قرار حاسم . ان مشروع  
الزواج الذى اردته له قد تعطل ، وليس فى الامكان استئناف  
الكلام فيه والسعى اليه : وهبى ذلك ممكنا ، فليس ثمة  
ما يبرره ويحض عليه ، ذلك اننى مقتنع ، فى الواقع ،  
بانك الانسانة الوحيدة التى تستطيع ان تحقق سعادة ابني ،  
وانك حقا خير مرشد له ، وانك قد ارسيت منذ الان اساس  
سعادته المقبلة ! ما اخفيت عنك شيئا ، وما اخفى عنك  
الآن شيئا . اننى امرؤ مولع بالترقى فى الوظائف وبالمال والشهرة



والجاء ، واعترف بان في ذلك كثيرا من سيطرة الاراء الخاطئة ،  
ومع ذلك لا اريد ابدا ان اركل هذه الامور بقدمي ولكن هناك  
ظروفا ينبغي للمرء فيها ان يأخذ باعتبارات اخرى ، ظروفا  
لا يستطيع المرء فيها ان يزن الامور بميزان واحد . ثم انني  
احب ولدي حبا عظيما . وصفوة القول انني انتهيت الى  
هذه النتيجة ، وهي ان ألبوشا يجب ان لا يتركك ، لانه  
اذ تركك ضاع لا محالة . وهل تحبين ان اعترف لك بشيء  
آخر ؟ لعلى قد اتخذت هذا القرار منذ شهر ، ولكنني الآن  
انما اعترف لنفسي بأن ذلك القرار كان صائبا . وكان في  
امكاني ، طبعا ، كى اخبرك بهذا كله ، ان آتى اليك  
غدا ، وان لا ازعجك في مثل هذا الوقت وقد انتصف الليل  
او كاد ، ولعل تعجلى هذا ان يبرهن لك على شدة اهتمامي  
بهذا الموضوع ، وعلى مدى صدقي فيه بوجه خاص . لست  
طفلا صغيرا ، ولا استطيع ، في هذه السن ، ان اعزم  
على امر قبل ان انعم فيه النظر والتفكير . حين دخلت الى  
هنا كان كل شيء قد تقرر في ذهني ورسخ . وانني لاعلم  
انه لا بد من الانتظار مدة طويلة حتى اقنعك بصدقتي اقناعا  
تاما . ولكن هيا بنا الى جوهر القضية ، هل تريدان ان  
ابسط لك الآن سبب مجيئي ؟ جئت لأفي ديننا لك عليّ ،  
لأسألك بما احمل لك من احترام عظيم ان تحققى سعادة  
ابني بقبوله زوجا لك ! ولكن ارجوك ان لا تحسبيني ابا رهيبا  
قرر ، على سبيل حل المشاكل ، ان يغفر لولديه ، وان يمن  
عليهما بالموافقة على سعادتهما ! لا ! لا ! انك لتهينيني  
اذا حسبتني كذلك ! لا ولا تحسبي انني كنت موقنا مسبقا

بانك موافقة على هذا الزواج ، استنادا الى ما اسلفت من  
تضحيات في سبيل ولدي . لا ! انا اول من يقول ان ابني  
ليس كفتنا لك . . . (انه مخلص وطيب) . . . وسيقر هو نفسه  
بهذا . ليس هذا كل شيء . ليس هذا الامر وحده هو الذى  
قادنى الى هنا في مثل هذه الساعة . . . لقد أتيت الى هنا . .  
(قال ذلك ونهض من مكانه في احترام يشبه الاجلال)  
لأصبح صديقك ! انا اعلم ان ليس لى في هذا حق . .  
ولكن اسمحي لى ان احاول ان اكون جديرا بهذا الحق !  
اسمحي لى ان اؤمل ذلك ! . . .  
قال هذا وانحنى امام ناتاشا في احترام ، وانتظر جوابها .  
كنت طوال حديثه اراقبه في انتباه يقط ، ولاحظت هو ذلك .  
لقد التفتى خطابه في برود ، وفي شيء من التحذلق ،  
وفي نوع من الاهمال في بعض الفقرات . وكانت لهجته  
لا تناسب ، في جميع مواضع الخطاب ، هذه الاندفاع  
التي القته البنا في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وفي  
ظل مثل هذه العلاقات على وجه الخصوص . كانت بعض  
عباراته تنبئ بأنها مهياة ، وكان في مواضع اخرى من هذا  
الخطاب الطويل ، الغريب في طوله ، يحاول ان يخفي  
تحت الوان النكتة والمرح والمزاح شعورا يحاول ان يعبر عن  
ذاته . على اننى سأحلل هذا كله فيما بعد ، فانما نحن  
الآن في شأن آخر . لقد بلغ في كلماته الاخيرة من التدفق  
والعاطفة وصدق التعبير عن احترامه لناتاشا ما جعله يأسرنا  
ويسيطر علينا جميعا ، حتى لمع بين اهدابه في لحظة من  
اللحظات ، شيء اشبه بدمعة . لقد اسر قلب ناتاشا النبيل ،



فنهضت كما نهض . ومدت اليه يدها دون ان تقول كلمة واحدة ، وهي في حالة الانفعال الشديد والتأثر العميق . فتناول يدها وقبلها في حب ورفق وعاطفة . وكان ألبوشا من فرط حماسه قد خرج عن طوره فهتف :

— ألم أقل لك يا ناتاشا ؟ كنت لا تصدقيني ، كنت لا تصدقين انه انبل رجل على وجه الارض ! هل ترين الآن ؟

وارتمى على ابيه فقبله في حماسة عنيفة ، وردّ عليه أبوه القبلة بمثلها ، ولكنه اسرع فوضع حدا لهذا المشهد العاطفي ، كأنما هو يستحي ان يظهر عواطفه . قال وهو يتناول قبعته :

— كفى هذا . انا ذاهب ، لقد استأذنتكم في عشر دقائق ، وها أناذا قد بقيت ساعة برمتها (قال ذلك وضحك ضحكة صغيرة) . غير انني اترككم ، وانا انتظر لقاءكم مرة اخرى بصبر فارغ ، وشوق محرق ، وارجو ان يكون هذا اللقاء في اقرب فرصة ممكنة . هل تسمحين لي ان آتي لرؤيتكم كلما اتسع وقتي لذلك ؟

قالت ناتاشا :

— نعم ، نعم ، على قدر ما تستطيع !  
واضافت تقول خجلة مضطربة :  
— انني اود ان . . احبك بأقصى سرعة ممكنة !  
قال الامير وهو يتسم لكلامها :

— ما اصدقك ، وما اشرف نفسك ! انك لا تحاولين اخفاء عواطفك حتى في قول كلمة لطيفة . ولكن صدقك

اثمن من كل هذا اللطف الذي يتظاهر به الناس . نعم ! اشعر انه لا بد من مضي وقت طويل ، طويل ، قبل ان استحق صداقتك !

قالت ناتاشا مضطربة :  
— كفى مجاملة ، كفى !

ما كان اجملها في هذه اللحظة !  
فقال الامير ينهي الحديث :

— لك ما تشائين . ولكن اسمحي لي بكلمتين اخيرتين .

هل تستطيعين ان تنصوري مدى تعاستي ؟ لن استطيع ان آتي لرؤيتك غدا ولا بعد غد . لقد وصلتني في هذا المساء رسالة هامة ، هامة جدا ، يُطلب الي فيها ان اساهم بلا ابطاء في قضية من القضايا . لا استطيع ان اتخلص من هذا بوجه من الوجوه . سأترك بطرسبرج في صباح الغد . ارجو ان لا تظني انني اتيت لرؤيتك في هذه الساعة المتأخرة من الليل لانني ما كنت أستطيع ان آتي غدا او بعد غد . انك لا تظنين هذا حتما ، ولكن ها هو نموذج لفكري الشكاك ! لماذا تراءى لي انك ستظنين هذا لا محالة ؟ يا لسوء ظني !

ما اكثر ما عاقني في هذه الحياة ! ولعل اختلافي مع اهلك ان يكون مردّه الى سوء الظن هذا ، الى هذا الطبع السيئ الذي يسبب لي كثيرا من المتاعب ! . . هذا اليوم هو يوم الثلاثاء سأغيب الاربعاء والخميس والجمعة . وآمل ان اعود حتما في يوم السبت ، وسآتي لرؤيتك في ذلك اليوم نفسه .

هل استطيع ان آتي لقضاء السهرة كلها ؟  
— طبعاً طبعاً . سأنتظرك في مساء السبت بفارغ صبر !



— لقيت كثيرا من المعجبين بموهبتك ، واعرف اثنين  
من قارئائك المتحمسات ، يسهما جدا ان تعرفاك شخصيا ،  
وهما الكونتيسة ، خير صديقاتي ، وابنة زوجها كاترينا فيديروفنا  
فيليمونوفا . اسمح لي ان آمل ان لا تضن عليّ بمتعة تقديمك  
الى هاتين السيدتين .

— سيكون ذلك شرفا عظيما لي ، وان تكن علاقاتي  
في هذه الايام قليلة . . .  
— هلا سمحت باعطائي عنوانك ؟ اين تسكن ؟

لسوف يسرني جدا ان . . .  
— انني لا استقبل احدا في بيتي ، ايها الامير ،  
في هذه الايام على الاقل . . .

— ولكنني ، وان كنت لا استحق ان أستثني ، اريد ان . . .  
— لك ما تشاء ايها الامير مادمت تصرّ ، وسيسرني  
هذا جدا . انني اسكن في شارع ن . . . عمارة كلوجن .  
فهتف ، كأنما شدهه هذا :

— بيت كلوجن ؟ كيف ؟ هل . . . تسكن في هذا  
البيت منذ مدة طويلة ؟  
قلت وانا انظر اليه على غير ارادة مني :

— كلا ، لا اسكن فيه منذ مدة طويلة . . . ورقم مسكني  
هو ٤٤ .

— ٤٤ ؟ وتعيش . . . وحدك ؟

— نعم وحدى .

— ها . . . ذلك ان . . . يبدو لي انني اعرف هذا المسكن .  
حسنا ، هذا سهل عليّ . . . سأذهب اليك حتما ، ثمة اشياء

— ما اسعدني بهذا ! سأزاد معرفة بك يوما بعد  
يوم . . . انا ذاهب الآن . ولكنني لا استطيع ان اذهب  
بدون ان اصفحك (قال هذا وهو يلتفت فجأة نحوي) .  
سامحني . انا جميعا في هذه اللحظة ، نتحدث حديثا  
متقطعا . . . لقد سعدت قبل اليوم ، عدة مرات ، بلقائك ،  
حتى لقد قدم كل منا للآخر . لا استطيع ان اذهب دون  
ان اعبر لك عن مدى سروري بتجديد التعارف بيننا .  
اجبت وانا اتناول يده التي مدها اليّ :

— لقد التقينا قبل اليوم ، هذا صحيح ، ولكنني  
لا اذكر ان احدنا قدم للآخر . . .  
— في منزل الامير س . . . السنة الماضية .

— عفوا ، لقد نسيت هذا . واعاهدك على ان لا  
انسى في هذه المرة . ستبقى هذه الامسية ماثلة في ذاكرتي  
لا تبارحها .

— اصبت . وانا كذلك لن انسى هذا اللقاء . انني  
اعرف منذ مدة طويلة انك صديق مخلص حقيقي لناثاليا  
نيقولايينا وابني . . . آمل ان اكون رابعكم . أليس كذلك ؟  
(قال هذا وهو يلتفت الى ناتاشا) .

— نعم انه صديق مخلص ، ويجب ان نجتمع نحن  
الاربعة .

قالت ناتاشا ذلك تلهمها عاطفة عميقة . مسكينة !

لقد اضاء وجهها بفرح عظيم حين رأت ان الامير لم ينس

ان يتقرب اليّ ! ما اعظم ما تحبني ! . . .

واضاف الامير يقول :



كثيرة احب ان اقولها لك ، واننى لأنتظر منك اشياء كثيرة .  
تستطيع ان تتفضل علي في امور كثيرة . أرايت ؟ هأنذا  
ابداً على الفور بتقديم مطالب ! والآن الى اللقاء . هات يدك ،  
مرة اخرى !

وصافحني ، وصافح ألبوشا ، وقبل يد ناتاشا الصغيرة  
مرة اخرى ، وخرج دون ان يرجو ألبوشا ان يلحق به .  
ظللنا نحن الثلاثة مضطربين اشد الاضطراب . لقد  
تم هذا كله فجأة وعلى غير توقع . وشعرنا جميعا ان كل  
شيء قد تغير في طرفه عين ، وأن شيئاً جديداً مجهولاً يبدأ .  
جلس ألبوشا الى جانب ناتاشا دون ان ينبس بكلمة ، وقبل  
يدها في رفق . وكان يلقي عليها من حين الى حين نظرة  
انتظار لما ستقول .

قالت ناتاشا اخيراً :

— ألبوشا ، عزيزى ، اذهب منذ غد الى كاترينا  
فيدوروفنا .

— فكرت في هذا ايضا ، سأذهب حتما .

— ولكن قد يشق عليها ان تراك . . . فما العمل ؟

— لا ادري يا عزيزتي . لقد فكرت في هذا سأرى .

سأخذ قراراً . اسمعى يا ناتاشا ، لقد تغير الآن كل شيء  
(لم يسع ألبوشا ان لا يقول هذا) .

فابتسمت ناتاشا ، وألقت عليه نظرة طويلة نفيض  
عطفاً وجباً .

— ما ألبقه ! لقد رأى مسكنك الفقير ، ولم يقل

شيئاً . . .

— بصدد ماذا ؟

فأجاب وقد احمر وجهه :

— بصدد الانتقال من هذا المسكن . . . او شيء

آخر . . .

— كففاك يا ألبوشا . ما هذا الكلام ؟

— اريد ان اقول انه لبق جداً . لقد اثنى عليك

كثيراً . ألم اقل لك ؟ نعم ، انه يستطيع ان يفهم كل

شيء ، وان يشعر بكل شيء . ولكنه تحدث عني حديثه

عن طفل : انهم جميعاً ينظرون الي نظرتهم الى طفل !

ولم لا ؟ اننى فى الواقع طفل .

— انك طفل يا ألبوشا ، ولكنك انفذ بصيرة منا

جميعاً . انك طيب يا ألبوشا !

— لقد قال ان طيب قلبي يسىء الي . ما معنى

هذا ؟ اننى لا افهم ! ما رأيك يا ناتاشا ؟ أألت احسن

صنعا اذا لحقت به فوراً ؟ سأكون عندك غدا منذ الفجر .

— اذهب اذهب يا عزيزي . انها فكرة حسنة .

اذهب اليه حتما . وغدا تأتي متى استطعت . فى هذه المرة

لن تخفني خمسة أيام (قالت هذا بلهجة متخابثة ، وهى

تنظر اليه نظرة مداعبة) .

لقد كنا جميعاً فى فرح عظيم كامل . وهتف ألبوشا

وهو يترك الغرفة :

— تعال معى يا فانيا .

— بل سيبقى هنا . ثمة امور يجب ان نتحدث فيها

يا فانيا . انتبه يا ألبوشا ، غدا منذ الفجر !



— هو كذلك ، الى اللقاء يا مافرا !

كانت مافرا مضطربة جدا . لقد أصغت وراء الباب الى كل ما قاله الامير ، ولكنها لم تفهم كل شيء . كان بودها لو تنفذ الى السر ، ولو تطرح بعض الاسئلة . على انها في هذه اللحظة كان يبدو عليها الجدة بل والخيلاء ! كانت تشعر كذلك أن ثمة تغيرا كبيرا قد تم .

بقينا وحدنا . وتناولت ناتاشا يدي ، وظلت صامتة بعض الوقت ، كأنها تبحث عما تقوله . وقالت أخيرا بصوت ضعيف :

— اننى تعب . اسمع يا فانيا . ستذهب غدا الى بيت أهلى ، ما رأيك ؟

— سأذهب حتما .

— تحدث الى امي ، ولكن لا تقل له شيئا ، هو .

— تعلمين اننى لا أتحدث اليه عنك أبدا .

— صحيح . سيعلم بالأمر دون أن تتحدث به اليه . ولكن لاحظ ما سيقوله ، لاحظ كيف يستقبل النبأ . رياه ! قل لى يا فانيا هل يُعقل ان لا يلعنني بسبب هذا الزواج ؟ لا ، ليس يُعقل !

اجبت بسرعة :

— على الامير ان يدبر الامر كله . يجب ان يتصالح مع أهلك حتما . ومتى تم هذا ، تذلت العقبات كلها .

قالت بصوت متوسل :

— يا ليت هذا يتم !

— لا تقلقى يا ناتاشا ، سيتم كل شيء على ما تحبين ، لقد انفتح الطريق .

فنظرت اليّ نظرة طويلة ملحة .

— فانيا ، ما رأيك فى الامير ؟

— اذا كان صادقا فيما قال ، فهو فى رأيسى انسان على جانب عظيم من النبيل .

— اذا كان صادقا فيما قال ؟ ما معنى هذا ؟ هل كان من الممكن ان يكون غير صادق ؟

اجبت :

— هذا رأيسى ايضا .

وقلت فى نفسى : اذن فقد خامرها شيء من الريب .

عجيب !

— كنت تنفوس فيه طوال الوقت .

— نعم ، لاح لى غريبا بعض الشيء .

— وكذلك بدا لى انا . انه يتحدث على نحو . . .

اننى متعبة يا صديقى . اسمع يا فانيا : عُد أنت ايضا الى بيتك . وتعال اليّ غدا متى استطعت ، بعد ان تذهب اليهم . اسمع ايضا : ألم اسئ اليه حين قلت له اننى اود ان احبه بأقصى سرعة ممكنة ؟

— ليس فى هذا الكلام ما يسئ !

— أليس فيه شيء من الحماسة ؟ أليس بعني اننى لا أحبه بعد ؟

— ليس على كلامك من مأخذ . كان حديثك ساذجا عذبا . وكنت فى تلك اللحظة فى غاية الجمال ! . . انه



ليكون غيبا اذا لم يقدر كلامك حق قدره !

— كأنك مستاء منه يا فانيا ؟ آه ، ما أكثر شكوكي وغروري ! لا تضحك : انت تعلم اني لا اخفي عنك شيئا . آه ، يا فانيا ، يا صديقي العزيز . اذا عدت شقية بائسة كما كنت ، اذا عاد الي الشقاء والبؤس ، فسكون حتما هنا جانبي ، أعلم ذلك . وقد تكون الوحيد ! كيف ارد لك هذا الجميل كله ! لا تغضب مني يوما يا فانيا ، لا تلعني يوما يا فانيا !

حين عدت الى بيتي ، خلعت ثيابي فورا ، واضطجعت على سريري انشد النوم . كانت الغرفة مظلمة رطبة كأنها كهف . وحاصرته افكار كثيرة ، واحساسات غريبة ، وظللت مدة طويلة لا استطيع النوم .

هناك رجل لا بد انه يضحك منا ملء شذقه في تلك اللحظة ، وهو يرقد على سريره الوثير ، هذا اذا رضى ان يتفضل بالضحك منا ! لعله يرى في ذلك شيئا لا يليق بمقامه الرفيع .

### الفصل الثالث

في الصباح من الغداة ، في نحو الساعة العاشرة ، بينما كنت خارجا من مسكني لأذهب مسرعا الى اسرة اخمينيف في جزيرة فاسيليفسكي ، ثم الى ناتاشا ، اصطدمت عند عتبة الباب بزائرة الليلة البارحة ، حفيدة سميث . كانت آتية الى بيتي . وأذكر أنني سررت برويتها سرورا عظيما ، لا

أدري لماذا . لم يتسع وقتي ، أمس ، للتفرس فيها ، حتى اذا رأيتها اليوم في وضح النهار ، زاد عجبى لها . من الصعب ان يلتقى المرء مخلوقا اعجب واندر من هذه الطفلة ، من حيث مظهرها على أقل تقدير . كانت تستطيع ان تستوقف انتباه اى انسان في الشارع : قاماة قصيرة ، عينان سوداوان براقتان لبس فيهما شيء روسي ، شعر ناعم متبعثر على الرأس خصلا كثيفة ، نظرة عنيدة خرساء كأنها لغز . ان نظرتها هي التي تفجأ الانتباه خاصة : هي نظرة يلتصع فيها ذكاء حاد ، ويشيع فيها الرب والتحدى في الوقت نفسه . اما ثوبها الوسخ المهترئ فقد ظهر لى في وضح النهار اسوأ مما ظهر البارحة . انه أسماخ خلقة بالية . ولاح لى انها مصابة بمرض من الامراض مزمن ، بطيء ، عنيد ، يهدم جسمها شيئا فشيئا لا محالة . كان وجهها النحيل اصفر اسمر في آن واحد ، تنظر اليه فتعرف ان صاحبه مريض . على انها لم تكن دميمة ، رغم جميع التشوه الذى حملة اليها المرض والبؤس : ان حاجبيها جميلان مقوسان في كثير من الدقة والنعومة ، وان جبينها عريض وسيم بصورة خاصة ، وكذلك شفيتها دقيقتان تلوح فيهما امارات الجرأة والكبرياء ، ولكنهما شاحبتان لا تكاد ترى لهما لونا .

هتفت أقول : — ها . هذا أنت ؟ كنت أعرف انك ستأتين . أدخلى أدخلى . اجتازت العتبة ببطء ، وهي تلقى على ما حولها نظرة ارتياب ، كما فعلت بالأمس . واخذت تدقق في هذه الغرفة التى عاش فيها جدها ، كأنها تحاول ان ترى ما أحدثه



الساكن الجديد من تبادل فيها . قلت في نفسي : الحفيدة  
 مثل جدتها ، أتراها مجنونة ؟ وظلت صامئة وظللت انتظر .  
 ودمدمت تقول اخيرا ، وهي تغص طرفها :  
 — جئت آخذ الكتب .  
 — ها . نعم . كتبك . هذه هي . خذها . لقد  
 احتفظت لك بها خصيصا .  
 فرمقتني بنظرة مستطلعة ، وارسم على شفتيها ما يشبه  
 ان يكون ابتسامة ، غير ان مشروع الابتسامة هذا ما لبث  
 ان زال ، وحل محله ، فجأة ، المعنى القديم القاسي الغريب .  
 سألتني وهي تنظر الي من قمة الرأس الى اخمص القدمين  
 نظرة ساخرة : — هل حدثك جدي عنى ؟  
 — لا . . . لم يحدثني عنك ، ولكنه . . .  
 فقاطعتني نسأل :  
 — فكيف عرفت اذن انني سأتي ؟ من قال لك ؟  
 — لانه لاح لى ان جدك كان لا يمكن ان يعيش  
 وحده ، لا يأتي اليه احد . لقد كان هرما ضعيفا ، فلا  
 بد ان احدا كان يأتي اليه . خذى . هذه كتبك . هل  
 تدرسين فيها ؟ — لا .  
 — فيم تفيدك اذن ؟  
 — كان جدي يعطيني دروسا حين آتى اليه .  
 — ثم لم تأت بعدئذ ؟  
 — ثم لم آت ، لانني مرضت .  
 قالت ذلك كأنها تبرر انقطاعها عن المجيء .  
 — هل لك اسرة ؟ أب ، أم ؟





ما إن القيت عليها هذا السؤال حتى قطبت ما بين حاجبيها ، ورشقتني بنظرة مذعورة ، ثم خفضت عينها ، واستدارت دون ان تنطق بكلمة ، وخرجت من الغرفة ببطء ، دون ان تتنازل فتجيبني ، كما فعلت أمس تماما . وتابعتها بعيني مشدوها ، فاذا تتوقف عند عتبة الباب فجأة ، وتلثفت نحوي التفاتا خفيفا ، وتسالني بحركة تشبه حركتها أمس حين نظرت الى الباب وهي خارجة لتسالني عن أخبار آزركا :  
— ممّ مات ؟

فاقتربت منها ، وأخذت أروي لها الحكاية بسرعة . فكانت تصغي اليّ صامتا متببهة ، وقد خفضت رأسها وأدارت لي ظهرها . رويت لها ايضا ان العجوز ذكر الشارع السادس وهو يموت . واضفت اقول : «فافترضت ان شخصا عزيزا على العجوز يسكن في ذلك الشارع ، ولهذا كنت انتظر مجيء احد يسأل عنه . لا شك انه كان يحبك كثيرا ، لذلك تحدثت عنك في لحظاته الاخيرة .» فدمدمت تقول في أسف : — لا ، لم يكن يحبني .

كانت متأثرة اشد التأثر . وقد انحنيت عليها ، وانا اتكلم ، ونظرت في وجهها ، فلاحظت انها كانت تبذل جهودا هائلة لخلق انفعالها امامي ، كبرياء ، واخذ لونها بزاد شحوبا شيئا بعد شيء ، ثم عضت شفتها السفلى عضا قويا . غير ان ضربات قلبها العجيبة هي التي لفتت انتباهي خاصة ، لقد اخذت ضربات قلبها تشتد وتشتد ، حتى اصبح من الممكن ان تُسمع على بعد خطوتين او ثلاث خطوات . وخیل الي انها تنفجر باكية ، كما فعلت بالأمس ، ولكنها

سيطر على نفسها ، وسألتي . — ابن مكان السياج ؟  
— أي سياج ؟  
— السياج الذي مات بالقرب منه .  
— سأريك اياه . . حين نخرج . ولكن اسمعي . ما اسمك ؟  
— ليس ضروريا . .  
— اي شيء هو غير ضروري ؟  
— لا شيء . ليس لي اسم .

قالت ذلك فجأة ، وتحركت نهم ان تذهب ، فأمسكت بها ، وقلت : — انتظري أيتها البنية الغريبة ! اني اريد لك الخير ، وانت تعرفين ذلك . لقد اشفقت عليك ، منذ رأيتك تبكين أمس في ركن من السلم . لا أستطيع ان اتصور ذلك . . ثم ان جدك قد مات بين يدي ، ولا شك انه كان يفكر فيك حين ذكر الشارع السادس ، فكأنه اذن قد عهد بك اليّ انه يظهر لي في الحلم . . وقد احتفظت لك بكتبك ، ولكنك متوحشة ، كأنك تخافين مني . لا شك انك فقيرة ، وربما كنت يتيمة ، تعيشين في كنف آخرين أليس هذا صحيحا ؟ كنت أحاول ان أهدئ روعها في حرارة ، ولا ادري انا نفسي ما الذي كان يجذبني اليها . كان يمازج عاطفتي شيء آخر غير الشفقة ، هل يرجع ذلك الى هذا الجو العجيب الذي احاط لقايتي بها ، ام الى الاثر الذي احدثه في سبب ، ام الى مزاجي الغريب الخاص ؟ لا ادري . ولكنني كنت منجذبا اليها انجذابا لا يقاوم . وبدا لي ان كلماتي قد اثرت فيها . لقد نظرت اليّ نظرة غريبة لم تكن قاسية في هذه المرة ، بل كانت لطيفة وطويلة ، ثم ما



لبث ان خفضت عينها مرة اخرى ، كأنها لم تعزم امرها  
وفجأة دمدمت تقول بصوت منخفض : — ايلينا .

— اسمك ايلينا ؟

— نعم .

— قولي ، هلاً ايت الي من حين الى حين !

فدمدمت تقول ، وكأنها مع نفسها فى صراع :

— لا استطع . . لا اعرف . ساتي .

وفى هذه اللحظة ، سمعنا دقات ساعة . فانتفضت

ايلينا ، وسألتنى وهى تنظر الي فى قلق اليم لا بوصف :

— كم الساعة الآن ؟

— لعلها العاشرة والنصف .

فصرخت من الذعر تقول : — يا الهى !

وهولت على الفور ، ولكننى امسكت بها مرة اخرى

فى غرفة المدخل ، قائلاً : — لن اتركك تذهبين هكذا .

ما الذى يخيفك ؟ هل تأخرت عن الوقت ؟

— نعم نعم . لقد خرجت خلصة . دعنى .

ثم صرخت وهى تحاول الافلات من بين يدي :

— ستضربنى !

— اسمعي قليلاً ، لانهاجى : انت ذاهبة الى جزيرة

فاسيليفسكي ، وانا ايضا ذاهب الى الشارع ١٣ ، لقد تأخرت

عن موعدى ، وانوي استئجار عربة ، فهل تأتين معي ؟

سأقودك الى بيتك ، فتصلين بسرعة .

فهتفت تقول وقد استبد بها ذعر هائل :

— مستحيل . . . يجب ان لا تأتى الى بيتى . . .

وتشوه وجهها تشوها من الذعر . . لمجرد انها تصورت

ان من الممكن ان اذهب الى حيث تسكن .

— ولكننى قلت لك اننى ذاهب الى الشارع ١٣ لقضاء

عمل من الاعمال ، ولست ذاهبا الى بيتك . لن اتبعك ،

وستوصلنا العربة بسرعة . هيا !

وهبطنا على عجل ، واستوقفت اول عربة لقيتها . كان

واضحاً ان ايلينا مستعجلة جداً ، وما دامت قد قبلت ان

تركب العربة الى جانبى . واعجب شىء اننى حتى لم

اجسر على سؤالها عن شىء . حتى اذا سألتها : من الذى

تخافه فى بيتها ، حرّكت ذراعها وهمت ان تقفز من العربة .

فقلت فى نفسى : ما هذا السر ؟

كانت جلستها فى العربة غير مريحة ، فكانت

كلما اهتزت العربة ، تمسك بسترى بيدها اليسرى ، الصغيرة

الوسخة المشققة . وكانت تقبض على كتبها بيدها الاخرى .

ان كل شىء يشير الى ان هذه الكتب عزيزة عليها . وفيما

هى تصلح ثوبها ، انكشف ساقها ، فاذا انا ارى ، على

دهشة ، ان قدميها عاريتان فى حذاء ممزق . ورغم اننى

قررت ان لا اسألها عن شىء ، لم استطع فى هذه المرة

ان امنع نفسى عن السؤال :

— ما هذا ؟ أليس لك جوارب ؟ كيف تستطيعين

ان تخرجي عارية القدمين فى هذه الرطوبة وهذا

البرد ؟

فأجابت بلهجة متقطعة : — ليس لى جوارب .

— رباه ! ولكنك تسكنين عند احد الناس مع ذلك ،



وكان ينبغي ان تطلبى جوارب ، مادمت قد احتجت الى الخروج .

— يعجبني الامر هكذا .  
— ولكن هذا يؤذيك ، ومن الممكن ان نموتى !  
— سيان .

كان واضحا انها تكره الاجابة ، وكانت اسئلتى تغيظها .  
— انظرى . هناك مات .

قلت لها ذلك وانا اشير الى البيت الذى مات العجوز بالقرب منه .

فنظرت الى المكان بانتباه ، ثم تحولت الى فجأة بوجه متوسل تقول : — ارجوك ، لا تتبعى ، ساتى البك ، ساتى متى استطعت .

— حسنا . قلت انى لن اذهب الى بيتك . ولكن من الذى تخافينه ؟ لا شك انك شقية . انه ليؤلمنى ان أراك . . .

فقلت بنوع من الحقق : — لا اخاف احدا .

— ولكنك قلت منذ لحظة «انها ستضربنى» !

فأجابت وقد اخذت عيناها نلتمعان : — لتضربنى ! ثم كررت بلهجة مرة ، وهى ترفع شفتها العليا احتقارا ،

وترتجف : — لتضربنى !

ووصلنا اخيرا الى جزيرة فاسيليفسكي ، فاستوقفت الحوذى

عند مدخل الشارع السادس ، وقفزت من العربة وهى نلقى حولها نظرة قلقة . وكررت تقول وقد اخذ منها الخوف كل مأخذ ، وجعلت تصرع اليّ ان لا اتبعها : — اذهب ، ساتى

الك . اذهب حالا . . . بسرعة . . . بسرعة .  
وتابعت طريقى ، ولكننى ما ان حاذيت رصيف النهر

لحظة ، حتى صرفت الحوذى ، وعدت ادراجى الى الشارع السادس ، وانتقلت الى الرصيف الثانى من الشارع بسرعة ،

فلمحتها ، لم يكن وقتها قد اتسع لابتعادها كثيرا ، رغم انها كانت تسير بخطى سريعة جدا . وكانت تنظر حولها فى كل لحظة ، حتى لقد توقفت برهة ، لتعرف هل انا اتبعها

او لا . ولكننى اختفيت تحت احد الابواب فلم تلمحني ، وظلت تسير ، وظلمت اتبعها ، من الجهة الثانية .

كان حب الاستطلاع قد بلغ منى ذروته . لقد وعدتها ان لا اتبعها ، ولكننى كنت اريد ان اعرف فى اى بيت

ستدخل ، مهما يكلف الامر : لقد استبدت بسى شعور ثقيل غريب يشبه الشعور الذى احده فى جدتها حين مات آزوركا

فى المقهى .

## الفصل الرابع

مشينا طويلا حتى بلغنا «جادة مالي» . كانت تسير

سيرا اشبه بالركض . ودخلت اخيرا احدى الدكاكين فوقفت وانتظرها . قلت لنفسى : انها لا تسكن دكانا على كل حال .

وما هى الا دقيقة حتى خرجت فعلا ، ولكنها لا تحمل

كتبها الآن ، وانما تحمل انا من آجر . وبعد ان اجتازت طريقا قصيرا ، دخلت فى بيت حقير المظهر ، صغير ، هرم ،

مبنى بآجر ، ذي طابقين ، مصبوغ بلون اصفر وسخ . وفى احدى النوافذ الثلاث من الطابق الادنى يرى المرء تابوتا



صغيرا احمر ، اشارة الى ان ههنا ورشة توابيت . كانت نوافذ الطابق العلوى صغيرة جدا ، مربعة تماما ، وزجاجها كاب اخضر متشقق يرى المرء من خلاله ستائر من نسيج قطني وردي اللون .

اجتزت الشارع ، واقتربت من البيت ، فقرأت على لوحة من الحديد موضوعة فوق الباب : «منزل بوبنوا» . وما ان فرغت من قراءة هذا الاسم حتى سمعت من باحة منزل السيدة بوبنوا ، صرخة حادة ، تبعتها شائتم مقدعة . فألقيت من خلال فتحة الباب نظرة الى الداخل ، فرأيت امرأة سمينة واقفة على درج صغير خشبي ، وقد وضعت على رأسها عصا وعلى كتفها شالا اخضر ، واصطبغ وجهها بلون احمر منفر . وكانت عيناها الصغيرتان الممثلتان بالدم تلمعان بالحقد . كان واضحا انها سكرانة ، رغم ان وقت الغداء ما يزال بعيدا . وكانت تصب على المسكينة ايلينا سيلا من الشائتم ، وكانت ايلينا واقفة امامها كالمشدوهة ، وقد امسكت آنيتها بيديها . وفي اسفل الدرج ، وراء ظهر المرأة ذات الوجه القرمزى ، وقفت امرأة شعناء ، اختلط في وجهها الاحمر بالايض ، وقفت تنظر الى المشهد . وبعد لحظة ، فُتح باب السلم المؤدي من القبو الى الطابق الادنى ، وظهرت على الدرجات امرأة متوسطة العمر ، فقيرة الملبس ، حلوة المنظر ، متواضعة الهيئة ، لا شك ان اصوات الصراخ هى التى دفعتها الى الخروج ، ومن خلال الباب المفتوح ظهرت رؤوس اناس آخرين من ساكني الطابق الادنى : شيخ مترنح وفتاة صبية . . . وفي وسط الباحة وقف رجل فارح

القامة قوى البنية لا شك انه البواب ، قد حمل يده مكنسة ، واخذ ينظر الى المشهد كله فى كسل .

— يا ملعونة ، يا علقمة ، يا بقة ! . . .  
كذلك كانت المرأة تعوي ، وتصب على رأس ايلينا كل ما تعرف من شنائتم ، دون نقط او فواصل ، كأنها تحرق . وتضيف قائلة :

— هكذا تكافئيني على ما اتحملة فى العناية بك ، يا وسخة ! ارسلتها لتأيننى بقليل من الخيار ، فتختفي ! لقد حدثني قلبي بأنها ستهرب : مزقتها امس شر ممزق ، وها هى ذى تهرب اليوم مرة اخرى ! ولكن اين تذهبين يا فاجرة ، اين تذهبين ؟ الى من تذهبين يا فاسقة ، يا قملة ، يا سم ، الى من تذهبين ؟ قولى والا خفقتك !  
ثم ارتمت على البنية وقد جنت من الحق . ولكنها وقد رأت سكان الطابق الأدنى ينظرون اليها ، توقفت فجأة ، والتفت اليهم ، واخذت تصرخ صراخا اشدّ وهى تحرك ذراعيها ، كأنما لتشهدهم على الجريمة النكراء التى ارتكبتها ضحيتها المسكينة :

— تعرفون ان أمها قد فطست ، ايها الطيبون . وبقيت هى وحيدة لا تملك ، ما تسد به الرمق . قلت لنفسي : ليس لديكم ، انتم الفقراء ، كسرة خبز تأكلونها . سأتحمل عناء كفالة هذه اليتيمة ، اكراما للقديس نيقولاى . وحضنتها فى بيتى . وها قد مضى شهران وانا اعيلها ، شربت دمي ، أكلت لحمى . يا علقمة ، يا حية ، يا جنية . انها لا تقول شيئا . لا تقول شيئا ، ضربتها ام لم اضربها . . . كأن فى



فمها ماء . تحطم قلبي ولا تقول شيئا ! ماذا تظنين نفسك  
يا حشرة ، يا قردة ! لولاى لمت من الجوع فى الأزقة . . .  
يجب ان تبوسى قدمي يا لصة ! لولاى لكنت فطست  
من زمان .  
فسألته المرأة التى كانت تنجه اليها بالكلام ، سألتها  
باحترام :

— ولكن لماذا تجهدين نفسك هكذا يا آنا تريفونوفنا ؟  
ماذا فعلت اليوم ايضا حتى ازعجتك هذا الازعاج كله ؟  
— ماذا فعلت ؟ اننى لا اريد ان يخرج على ارادتي  
احد . شعاري : لان تعمل ما اريد ولو كان خطأ ، خير من  
ان تعمل ما تريد ولو كان صوابا . هكذا انا . ولكنها اوشكت  
ان تقتلني اليوم ! ارسلتها لشراء قليل من الخيار ، فلم تعد  
الا بعد ثلاث ساعات ! كان قلبي يحدثني بذلك ، حين  
ارسلتها ، الى اين ذهبت ؟ ائى حماة قد وجدت ؟ ألم  
اغرقها بجميلي واحسانى ؟ هل يجب ان اذكر اننى سددت  
عن امها الحقيرة دين اربعة عشر روبلا من الفضة ، واننى  
انفقت على دفنها ، واننى اتولى تربية شيطانها ! تعرفين  
انت نفسك هذا ، يا سيدتي ! أليس من حقى ان اهزها  
قليلا بعد هذا كله ؟ كان يجب ان يكون فى قلبها شيء  
من عاطفة ، ولكنها بدلا من ذلك تعاكسني ! اردت سعادتها ،  
اردت ان ترتدي اثوابا من المسلمين ، واشتريت لها حذاء  
من السوق ، والبستها كما تلبس الاميرات ، فهل تعرفون  
ماذا فعلت ايها السادة ؟ مزقت ثوبها مزقا ، واصبحت كما  
ترون . فعلت ذلك عامدة ، لست اكذب ، رأيتها بعيني . وقالت :

« اريد ثوبا من كتان ، لا اريد المسلمين . » وعندئذ خفت  
عن نفسى ، فظلمت اضربها وادقها دقا حتى اضطرت الى  
استدعاء الطبيب ، ودفع مال له . . . كان يجب ان اذبحك  
يا قملة ، ولكننى بدلا من ذلك اكتفيت بعقوبتها بالحرمان  
من شرب الحليب فقط اسبوعا واحدا ! ولكى اعاقبها ،  
الزمتها بغسل الارض ، وصدقوني انها تغسل ، هذه الجيفة ،  
انها تغسل ! . . . بغسلها هذا توجج قلبي ! قلت لنفسي :  
انها ستهرب ! وما كدت اتصور هذا حتى اخفت فعلا ،  
فى غمضة عين ! لقد سمعتم بانفسكم ، ايها الناس الطيبون ،  
كم ضربتها بالأمس . لقد تحطمت بداي من الضرب .  
لقد نزعت جواربها وحذاءها ، ظنا مني أنها لسن تخرج  
عارية القدمين ، ومع ذلك خرجت ! اين كنت ؟ قولى !  
ذهبت لرؤية من ، يا زؤانة ؟ لمن وشيت بسي ؟ قولى ،  
قولى يا عجيبة !

وارتمت ، وهي فى سورة الغضب هذه ، على الطفلة  
المجنونة من الذعر ، فحملتها من شعرها ، ورمتها على الارض .  
فأقلت الوعاء مع الخيار من يد ايلينا وتحطم . وزاد هذا  
غضب الغولة السكرانة فضربت ضحيتها على الوجه وعلى  
الرأس . ولكن ايلينا ظلت صامئة فى عناد ، لم يفلت من  
فمها صوت ولا صرخة ولا آهة ، رغم الضرب المبرح .  
فأسرعت الى الباحة ، وقد طار صوابسي من الاستياء ، وتقدمت  
من المرأة السكرانة ، وامسكت بذراعها ، صائحا :

— ماذا تعملين ؟ كيف تجرؤين ان تعاملي يتيمة فقيرة  
مثل هذه المعاملة ؟



— نعم ؟ ومن انت ؟ وماذا تصنع في بيتي ؟  
هكذا اخذت تعوي ، وقد تركت ايلينا ووضعت قبضتها  
على خصرها .

فصرختُ :  
— انت امرأة بلا شفقة . كيف تجرؤين ان تعذبي  
طفلة مسكينة هذا العذاب كله ! لست هي ابنتك : سمعتك  
تقولين انك تبنيها تبنيًا ، وانها يتيمة فقيرة . . .  
فأخذت تصرخ مهتاجة :

— يا يسوع المسيح ! من أين جئت أنت ايها الرجل ؟  
لعلك جئت معها ! اذن فانتظر . . . انني ذاهبة فيرا الى  
ضابط الشرطة . . . ان آندرون تيموفيتش نفسه يعدني نبيلة  
من النبيلات ! اذن فهي تذهب اليك ! من انت ؟ وما  
مجيتك الى هنا تزعج الاضطراب في بيوت الناس ؟ النجدة . . .  
النجدة !

وهجمت عليّ بقبضتها . ولكن في تلك اللحظة دوت  
على حين غرة صرخة حادة عجيبة . ونظرت ، فاذا ايلينا ،  
التي كانت واقفة كأنها لا عاطفة لها ، ترتمي فجأة على  
الارض ، صارخة تلك الصرخة المخيفة ، غير العادية ،  
وتضطرب في تشنجات رهيبية . وتجدد وجهها . انها نوبة  
صرع . فاسرعت الفتاة الشعاء والمرأة التي من الطابق الادنى  
تنهضانها وتحملانها في سرعة الى الاعلى .

وصرخت المرأة المهتاجة تقول :  
— ليتها تفتلس ، هذه الملعونة . هي النوبة الثالثة  
في هذا الشهر . . . اخرج ، اخرج ايها المفسد .

وهجمت علي من جديد .  
وتوجهت الى البواب :  
— لماذا انت واقف ؟ تحصل على الراتب على ماذا ؟  
قال لي البواب بصوت منخفض متناقل ، كأنما ليقوم  
بواجبه :

— اخرج . هل تريد ان اضربك ؟ لا تتدخل في  
شئون الآخرين . هيا اذهب .  
ولم يكن بد من الخروج ، فاجتزت البواب ، وانا  
مقتنع بان تدخلتي كان عقيما كل العقم . ولكنني كنت اغلى  
من الاستياء . وظللت على الرصيف قريبا من البواب ، انظر  
من الفتحة . وما ان خرجت ، حتى صعدت المرأة بسرعة  
الى فوق ، وحتى اختفى البواب هو الآخر بعد ان قام بواجبه .  
وبعد لحظة ، نزلت المرأة التي ساعدت في حمل ايلينا ،  
سرعة نحو مسكنها ، فلما لمحتني توقفت ونظرت الي نظرة  
استطلاع . وقد سکن وجهها الهادئ روعى ، فعدت الى  
القناء ، وتقدمت نحوها ، قائلا :

— هل تسمحين لي ان اسألك من هي هذه البنية  
وما تصنع بها هذه المرأة الفظيعة ؟ ارجوك ان لا تظني انني  
اطرح عليك هذا السؤال من قبيل الفضول ، فقد صادفت  
هذه الطفلة ، وانا بسبب بعض الظروف يعينني امرها كثيرا .  
— اذا كان امرها يعينك ، فالافضل ان تأخذها اليك ،  
او ان تجد لها مكانا ، والا ضاعت هنا .  
قالت ذلك كأنما على غير رغبة منها ، وهي تتحرك  
لتبتعد عني .



— ولكن ما الذى استطيع ان افعله اذا لم تعطيني بعض المعلومات ؟ انني لا اعرف من الامر شيئا . لعل هذه المرأة هي مدام بوبنوا نفسها ، صاحبة البيت ؟

— نعم هي هي .

— ولكن كيف وقعت الطفلة بين يديها ؟ هل ماتت امها هنا ؟

— على كل حال ، هي هناك . . . والمسألة لا تهمنا . وازادت مرة اخرى ان تذهب . فقلت :

— من فضلك : ان هذا الامر يعينني كثيرا ، وربما استطعت ان افعل شيئا . من هي هذه الطفلة ؟ ومن كانت امها ؟ هل تعلمين شيئا عن هذا ؟

— يظهر انها أتت من بلد آخر . . . يظهر انها غريبة . وكانت تعيش تحت ، وكانت مريضة جدا ، وماتت مصدوة .

— كانت تسكن القبو ؟ اذن لقد كانت فقيرة جدا .

— نعم ، يا لها من بائسة ! كان منظرها يمزق القلب ألما . ومع اننا اناس فقراء ، فقد اصبحت مدينة لنا بستة روبلات بعد الاشهر الخمسة التي قضتها هنا . ونحن دفناها ، وزوجي هو الذى صنع التابوت .

— فلماذا تزعم بوبنوا اذن انها هي التى دفنتها ؟

— غير صحيح !

— ماذا كان اسمها ؟

— لا استطيع ان أنطق به . انه صعب . لا بد انها كانت المانية .

— سميت ؟

— لا . . . ليس هذا تماما . وقد اخذت آنا تريفونوفنا الصغيرة ، لتربيتها فيما تزعم ، ولكن المسألة ليست نظيفة .

— لا شك انها اخذتها لغاية فى نفسها . . .

— انها تقوم باعمال فاسدة . . .

قالت ذلك فى تردد كأنها لا تريد ان تتكلم . وازافت تقول :

— على كل حال ، هذا لا يعيننا نحن . . .

وعندئذ دوى وءانا صوت رجل يقول :

— والافضل ان نحفظي لسانك .

انه رجل متقدم فى السن بعض الشيء ، يرتدي ثوب المنزل وفوقه قفطان . كان ظاهرا عليه انه من اصحاب الحرف . انه زوج محدثي . قال لى وهو ينظر اليّ شزرا .

— اسمع يا سيد ، ليس لدينا ما نقوله لك ، الأمر لا يعيننا .

والتفت الى امرأته يقول :

— وانت ، اذهبي .

ثم اضاف يقول لى :

— وداعا ايها السيد . نحن صانعو توابيت . فاذا كنت فى حاجة الى شيء يمت الى مهنتنا بصلة ، فعلى الرحب والسعة . . . اما فيما عدا ذلك فلا شأن لك معنا البتة .

وخرجت من هذا البيت المعقد المضطرب . لم يكن فى وسعى أن افعل شيئا ، ولكنني كنت أشعر أنه يشق علي أن أترك كل شيء على هذه الحال . ولقد هزنتي كلمات



قالتها زوجة صانع التوايت : ان في الأمر شيئا قدرا : كنت أوجس ذلك .

وفيما كنت سائرا ، خافض الرأس ، غارقا في تأملاتي ، اذا بصوت خشن يناديني باسم عائلتي ، فجأة . ونظرت ، فاذا أمامي رجل سكران ، يترنح . انه يرتدي ملابس نظيفة بعض النظافة ، ولكنه ملفع بمعطف رديء ، وعلى رأسه قبعة قدرة . انني أعرف وجه هذا الرجل . ووقفت لأتفحص فيه ، فغمزني بعينه ، وابتسم لي ابتسامة ساخرة وهو يقول : — ألم تعرفني ؟

## الفصل الخامس

— ها . . . هذا أنت يا ماسلوبوف ! انه للقاء ! . . . بهذا صحت ، حين عرفت فيه فجأة رفيقا من رفاق المدرسة الثانوية في بلدتي . فأجاب : — نعم ! هذه ست سنين او سبع لم نلتق خلالها . . . بل الاصح أننا التقينا ، ولكن «معاليك» لم تتنازل فتمن علينا بنظرة ، ذلك انك قائد من قادة الأدب . قال ذلك وهو يتسم ابتسامة ساخرة . فقاطعته أقول : — دعك من هذا الهراء ! فالقادة ، حتى قادة الأدب ، لم يخلقوا مثلي . . . واسمح لي ان اقول لك ثانيا انني اتذكر انني لقبيتك في الشارع مرتين او ثلاث مرات ، ولكنك انت الذي هربت مني ، كان ذلك واضحا كل الوضوح . وانا امرؤ لا اقرب انسانا حين ارى انه يتحاشاني . هل تعلم ما

الذي اعتقده الآن ؟ اعتقد انك ما كنت لتناديني لولا انك سكران ، أليس هذا صحيحا ؟ على كل حال ، دعنا من هذا ، وعم صباحا ! انني سعيد جدا ، سعيد جدا بلقائك . — صحيح ؟ ألت أسيء الي سمعتك اذا سرت معك وانا على ما ترى من مظهر . . . غير لائق ؟ ولكن دعنا من هذا ، فليس له من قيمة . انني ما زلت اتذكر الطفل الوديع الذي كنته ، ابها الأخ فانيا . هل تذكر انهم جلدوك يوما بدلا مني ؟ انك لم تقل شيئا ، ولا وشيت بي ، وقد سخرت انا منك طوال اسبوع كامل بدلا من الاعتراف بالجميل . ما أظهر نفسك ! (وتعاقنا) انقضت سنون كثيرة ، وانا اضطرب وحدي ، في الليل والنهار ! والأيام تنقضي ، ولكنني لا انسى الماضي . لا انسى . وانت ، وانت ؟ .

— وانا ايضا اضطرب وحدي . . . ونظر اليّ نظرة طويلة فيها رقة انسان اضعفته الخمرة . لقد كان على كل حال فتى طيبا . وقال اخيرا بلهجة مأساوية : — لا يا فانيا ، انت شيء آخر . لقد قرأت يا فانيا ، لقد قرأت . . . ولكن اسمع : دعنا نتكلم بصراحة ، أنت مستعجل ؟

— مستعجل ، اقول بصراحة ان هناك حادثا هزني هزا قويا . قل لي اين تسكن . هذا افضل . — سأقول لك . ولكن هذا ليس افضل . هل تريد ان اقول لك ما هو الافضل ؟ — ما هو ؟ فاشار الي لافتة محل من المحلات يبعد عشر خطوات



عن المكان الذي كنا فيه وقال :  
— انظر . مقهى ومطعم . والحق انه مطعم فحسب ،  
ولكنه مكان لطيف . واقول لك انه مكان شريف . اما  
الغودكا فحدث عنها ولا حرج . لقد جاءت من كيف .  
لقد شربتها هناك كثيرا ، فأنا اعرفها حق المعرفة . وفي هذا  
المحل لا يجرون على تقديم شيء رديء الي . انهم يعرفون  
فيليب فيليتش . ان اسمي فيليب فيليتش . ماذا ؟ لماذا  
تكثرت ؟ لا . . . دعني اتم كلامي . الساعة الآن هي الحادية  
عشرة والرابع . ففي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة  
والثلاثين تماما سأدعك تذهب . والى ان يحين ذلك الوقت  
ستثر قليلا . هل تستكثر عشرين دقيقة على صديق قديم ،  
هه ؟

— اوافق على عشرين دقيقة ، اما اكثر من ذلك  
فلا ، لأن هناك اعمالا يجب ان اقوم بها ، اقسام لك . .  
— اذا كنت توافق فأنا اوافق . ولكن لي كلمتين  
اقولهما قبل كل شيء : لا يبدو عليك انك مرتاح ، كأن  
احدا قد ازعجك منذ لحظة ، أهذا صحيح ؟  
— نعم صحيح .

— لقد حزرت . ذلك انني ايها الأخ منصور الآن  
الى دراسة الفراسة . . . هذا عمل كثيره من الاعمال ! ولكن  
هيا الآن . ستحدث . وفي خلال عشرين دقيقة سأجهز قبل كل  
شيء على سماور شاي ، ثم ابتلع قدحا من شراب براعم البتولا ،  
ثم قدحا من شراب الاعشاب المعطرة ، ثم قدحا من شراب  
البرتقال ، ثم أقدحا من اشربة اخرى . انني اشرب ايها الاخ . وليس

لي من قبلة الا في ايام الاعياد قبل الصلاة . اما انت ،  
فستطيع ان لا تشرب اذا لم تشأ ان تشرب . ولكنني في  
حاجة اليك . واذا شربت معي كان ذلك دليلا على نبل  
نفسك . هيا . ستثر قليلا ، ثم يذهب كل منا الى سبيله ،  
ولا لقي احدهما الآخر ، خلال عشرة اعوام ، انا لا استحقك  
ايها الاخ فانيا !

— هيا ، كفى هرقا ، لتسرع الخطى ، لا يتسع  
وقتي لأكثر من عشرين دقيقة ، ثم دعني اذهب .  
وكان علينا ، للوصول الى المطعم ، ان نصعد الى  
الطابق الثاني ، متسلقين سلما خشبيا ذا مرحلتين وفجأة ،  
اصطدمنا على السلم برجلين قد اخذ منهما السكر كل مأخذ .  
فلما رأينا تجنبنا مترنجين .

كان احدهما فتى شابا لم تنبت لحيته بعد ، ولم  
يكد ينبت شارياه . وكان منظره يعبر عن غباوة كبيرة . وكانت  
ملابسه انيقة ، ولكنها مضحكة قليلا ، فكأنه مرتد ملابس  
شخص آخر ، وكان يزين اصابعه بخواتم جميلة ، ويرضع  
ربطة عنقه بدبوس ثمين ، وكانت تسريحة شعره غريبة ذات  
ذؤابة . وكان يتسم ويضحك طوال الوقت . اما صاحبه  
فهو في نحو الخمسين من عمره : سمين بطين ، ذو هندام  
مهمل ، وكان هو الآخر يزين ربطة عنقه بدبوس كبير ، وكان  
اصلع ، وكان وجهه ضيلا خرقا ثملا ومجدورا ، وكان يضع  
نظارتين على انفه الذي يشبه في شكله زرا . كان هذا الوجه  
يعبر عن السوء والشهوانية . كأن عينيه الشريبتين الخبيثتين  
الريانتين الغارقتين في الشحم تنظران من خلال شق . كان



يبدو انهما يعرفان كليهما ماسلوبوف ولكن الرجل السمين  
كثُر ، حين رأنا ، تكشيرة الاستياء ، ولكن هذه التكشيرة  
ما لبثت ان اختفت . اما الشاب فقد انطلق وجهه بإبتسامة  
متطفلة خاضعة ، حتى انه رفع قبعته . كان يضع على رأسه  
قبعة . ودمدم يقول ، وهو ينظر الى صاحبي نظـرة  
تلطف :

— اغفر لي يا فيليب فيليتش .

— اغفر لك ماذا ؟

فضرب الشاب عنقه بسبابته وقال :

— لا شيء ، ان متروشكا هناك . هذا كلب . واضح

ذلك .

— ما معنى هذا الكلام ؟

— هكذا . . وهذا صاحبنا (واشار برأسه الى رفيقه)

قد رشوا وجهه ، في الاسبوع الماضي في المكان غير اللائق ،  
بالقشدة . . بسبب متروشكا هذا نفسه . .

وهنا دفعه صاحبه من ذراعه غاضبا .

— ينبغي ان تأتي معنا ، يا فيليب فيليتش ، سنفرغ

الآن ست زجاجات شامبانيا في مطعم دوسو . هل يمكن  
ان تفضل بالمجيء معنا ؟

فأجاب ، ماسلوبوف قائلا :

— لا يا عزيزي ، لا يتسع وقتي الآن ، تنتظري

اعمال .

— هاها ، عندي ايضا قضية تخصك .

ودفعه رفيقه مرة اخرى من كوعه .

— فيما بعد ، فيما بعد !

كان ماسلوبوف يحاول ان لا ينظر اليهما . ولكننا

ما ان دخلنا الحجرة الاولى التي تمتد على طولها منضدة  
مكتظة بانواع من المقبلات واللحوم الباردة وزجاجات الشراب  
المختلفة الالوان ، حتى قادني بسرعة الى ركن من اركانها  
وقال :

— اما القتي فهو ابن سيزوبريوخوف ، تاجر الحبوب

المعروف . لقد ورث عند موت أبيه نصف مليون ، وهو الآن

يتلف ما ورث . ذهب الى باريس ، وبدد كثيرا من المال ،

بل لعله أنفق كل ما يملك . ثم ورث مرة أخرى عمه ،

وعاد من باريس ، وهو يصفى الآن ما بقي له . سيصبح

شحاذا بعد انقضاء سنة واحدة من كل بد . انه أحقق كازوة ،

يختلف الى أرقى المطاعم ، والحانات ، والملاهي ، والممثلات .

وقد تقدم بطلب للاتحاق بالفرسان . وأما الآخر ، المسن ،

فهو أرخبيوف انه تاجر أو ناظر ، أو شيء من ذلك ، يُعنى

بتجارة الخمر ، هذا الحقيير المحتال ، وهو الآن رفيق

سيزوبريوخوف لا يتركه لحظة . انه يهودا وفالستاف . في

آن واحد ، وقد أفلس مرتين ، وهو مخلوق شهواني الى درجة

مقززة . . وصاحب نزوات . اني أعرف له بهذا الصدد امرا

اجراميا ، ولكنه قد خرج منه . ويسعدني جدا ، بمعنى

من المعاني ، انني لقبته هنا . كنت أتوقع ذلك . طبيعي

أن أرخبيوف يختلس مال سيزوبريوخوف ، انه يعرف كل

أنواع الامكنة ، وهو لذلك شيء ثمين بالنسبة الى صبية

من هذا النوع . انني أنقم عليه منذ مدة طويلة . هل ترى



ذلك الرجل القوي الجالس عند النافذة ، الذي يرتدى معطف  
فلاح ، ويشبه رأسه رأس غجري ؟ ان اسمه متروشكا وهو  
يحق عليه ايضا . انه من سماسرة الخيل ، وهو يعرف جميع  
فرسان المدينة . سأقول لك شيئا : انه محتال فظيع ، حتى  
لقد يزيف ورقة نقدية على مرأى منك ، ثم اذا بك تبديلها  
له رغم انك رأيت يزيفها بأمر عينك . وهو يبدو بمعطفه المخملي  
من احباء السلافية . (وفي رأسي ان ذلك يليق به) . ثم  
انك لو البسته لباسا انيقا وذهبت به الى النادي الانجليزي .  
وقلت هنالك انه الكونت المالك بارابانوف ، لاستطاع ان يخدع  
الناس في امره طوال ساعتين ، يلعب الوايست ويتحدث  
كما يتحدث الامراء ، دون ان يلاحظوا شيئا البتة . سيبتهي  
نهاية سبته . المهم ان متروشكا هذا يحقد على الرجل السمين ،  
لأنه الآن مفلس ، وقد اختلس منه السمين صديقه  
سيزوبريوخوف ، قبل ان يتسع وقته لنفسه تماما . واذا كانا  
قد التقيا منذ لحظة في المطعم ، فلا بد ان تكون قد وقعت  
مشكلة ، بل اننى اعرف الموضوع ، فمن متروشكا ، لا  
من غيره ، عرفت ان أرخبيوف وسيزوبريوخوف سيجبئان الى  
هنا ، وأنهما يهومان في هذه النواحي سعيا الى امر حقير .  
اريد ان استفيد مما يضمه متروشكا من بغض لأرخبيوف ،  
وهناك ما يحملنى على ذلك ، ومن اجل هذا جئت الى هنا ،  
ولكننى لا اريد ان يفهم متروشكا هذا ، لا تنظر اليه . وحين  
سنخرج ، سيأتى من تلقاء نفسه يذكر لى ما انا فى حاجة  
الى معرفته . . . والآن فلندخل هذه الغرفة يا فانيا . . .  
ثم تابع يقول متوجها بكلامه الى الخادم :

— هيه ! ستبيان ، هل تعرف ماذا اريد ؟  
— نعم سيدي .  
— وستأتينا به ؟  
— نعم سيدي .  
— هكذا . اجلس يا فانيا . لماذا تنظر الي هكذا ؟  
اننى ارى انك تنظر الي . هل يدهشك هذا ؟ لا داعي  
للدهشة . كل شىء يمكن ان يقع للانسان ، وحتى الامور  
التي كان لا يتصورها فى الحلم . . ولا سيما . عندما كنا  
نقرأ معا كورنيلوس نيوت . . اسمع يا فانيا ، هناك شىء  
يجب ان تصدقه : مهما يكن ماسلوبوف قد ضل ، فان  
قلبه ما يزال كما كان ، ولكن الظروف هى التي تغيرت .  
رغم اننى قد وسخت يدي ، فاننى لست اسوأ من غيري .  
لقد اردت ان اصبح طبيبا ، ثم حضرت شهادة تعليم الادب  
الروسي ، حتى لقد كتبت مقالة عن جوجول ، ثم اردت ان  
اجعل نفسي باحثا عن الذهب ، واوشكت ان اتزوج ، ذلك  
لان الرجل الذى يحب الحياة ، يرغب فى ان يأكل خبزا  
ايضا ، وقيلت ، هى ، رغم ان البيت كان خاليا مما  
يطعم هرة ، وكنت على وشك ان اذهب الى حفلة الزواج ،  
وكنت اريد ان استعير حذاء متينا ، لان حذائي كان قد  
تعب منذ سنة ونصف سنة . ولكننى لم اتزوج . وتزوجت هى  
استاذنا من الاساتذة ، واكتفيت انا بأن اعمل فى احد المكاتب  
ليس فى مكتب تجاري ، بل مكتب عادي . ثم كانت  
اغنية اخرى وانقضت سنون . ورغم اننى لا اعمل الآن ،  
فاننى اكسب مالا كثيرا دون تعب . اتقاضى أجرا على التوسط



للناس ، وادافع عن الحقيقة : اسد امام النعاج ، ونعجة  
امام الاسود . ان لي مبادئ . فأنا اعرف مثلا ان العدد  
الكثير هو الذى يؤلف قوة كبيرة ، و . . . أنصرف الى أعمالى .  
وانا اعمل خاصة فى امور شبه رسمية . . هل فهمت ؟  
— لست مخبرا على كل حال ؟

— لا ، لست مخبرا ، ولكننى اقوم بأعمال بعضها  
رسمي ، وبعضها شخصي . هل ترى يا فانيا ؟ اننى اشرب .  
ولكننى لم اغرق عقلى ابدا فى الخمرة ، وانا لذلك اعرف  
مستقبلى . لقد فات الاوان ، ولكننى سأقول لك شيئا :  
لو قد مات فى الانسان لما اعترضتكَ اليوم . ان ما ذكرته  
منذ لحظة صحيح يا فانيا ، لقد سبق ان رأيتك قبل اليوم ،  
واردت غير مرة ان اعترضك ، ولكننى لم اجرؤ ، وكنت  
ارجىء ذلك دائما . اننى لا استحقك . وقد اصبت حين  
قلت اننى لو لم اكن سكران ، لما اعترضتكَ اليوم . على  
كل حال ، هذا حديث مشوش مضطرب ، ودعنا الآن  
من الكلام عني . ولتحدث عنك . اسمع يا صديقي ،  
لقد قرأت لك ، قرأت كتابك الاول من بدايته الى نهايته .  
وحين فرغت من قراءته اوشكت ان اصبح انسانا شريفا !  
اوشكت ان اصبح ، ولكننى فكرت ، وآثرت ان احتفظ  
بجباتي غير الشريفة ، وهكذا . . .

ظل يحدثنى مدة طويلة ، فكلما ازداد سكره ، ازدادت  
عاطفته ، ففاضت عيناه بالدموع . لقد كان ماسلوبوف  
دائما من خيرة الفتيان ، الا انه كان يقصد مصلحته ،  
وكان نموه فوق نمو من هم فى سنه ، وكان ذا مكر وكيد

وحيث وميل الى المماحكة والمناقرة ، وان لم يكن خاليا  
من العاطفة . كان انسانا ضائعا . ثمة اناس كثيرون من هذا  
النوع بين الروس . وكثيرا ما يكونون موهوبين . ان كل شيء  
مضطرب فى نفوسهم حتى لقد يخالفون ضميرهم واعين  
عامدين ، لضعف فى بعض الامور ، فلا يضيعون أنفسهم  
فحسب ، بل يعرفون حق المعرفة انهم يسعون الى حتفهم  
بظلفهم . ولقد كان ماسلوبوف ، كغيره ، يفرق نفسه  
فى الخمرة .

وتابع يقول :

— كلمة اخيرة يا صديقي . لقد وصلت الي فى اول  
الامر اصداه مجدك ، ثم قرأت بعد ذلك مقالات فى نقدك  
(نعم . لقد قرأت هذه المقالات ، لعلك تعتقد اننى لا  
اقرا) ، وصادفتك بعد ذلك متعلا حذاء خلقا ، تمشي  
فى الوحل بلا كاوتشوك ، وعلى رأسك قبعة متجمدة . . وحزرت  
شيئا ما . أنت تعمل الآن فى الصحافة ، أليس كذلك ؟  
— نعم .

— معنى هذا انك اصبحت حصان عربية .  
— شيئا من ذلك .

— لذلك ايها الأخ قلت لك ان الاقبال على الشراب  
افضل . فأنا مثلا اسكر ، واتمدد على ديواني (عندي ديوان  
ممتاز ذو نوابض) ، وافكر ، فأراني هومبروس . او دانتى .  
او فريدرىك براروسا . ذلك لأن الانسان يستطيع ان يتخيل  
ما يشاء . اما انت فلا تستطيع ان تتخيل أنك دانتى او  
فريدرىك براروسا . اولا لانك ترغب فى ان تكون انت



Je prends لي ان اخذت منها رشوة منذ شهرين<sup>(١)</sup> ومن هذه الناحية وحدها  
 اشبه موليير . ورغم اني ابتزرت منها مائة روبل ، فقد آليت  
 على نفسي ان لا اكفي في المرة القادمة بأقل من خمسمائة  
 روبل . تلك امرأة فظيعة ! . . انها تقوم بتجارة حقيرة !  
 وكان يهون الامر ، لو انها لا تسرف في الانحطاط حقا في  
 بعض الاحيان . ارجو ان لا تظن انني دون كيشوت . .  
 واقع الامر هو انني استطيت الانتفاع ، وقد سرني جدا انني  
 لقيت سيزوبريوخوف منذ نصف ساعة . لا شك انهم جاءوا  
 به الى هنا . . . الرجل الضخم هو الذي جاء به . . . ولما  
 كنت اعرف ما هو العمل الذي يتعاطاه هذا الرجل ، فقد  
 استتجت من ذلك ان . . . ولكنني سأقبض عليه ! . . لقد  
 سرني انك حدثتني عن تلك البنت الصغيرة ، فقد اطلعت  
 الآن على شيء جديد . اعلم يا عزيزي انني اتولى تحقيق  
 انواع كثيرة من المهمات يعهد بها الي ، وليتك ترى الناس  
 الذين اتردد اليهم ! لقد توليت اخيرا القيام بتحريات كلفني  
 بها امير من الامراء ، انها قضية لا يُنتظر مثلها من مثله .  
 ام هل تريد ان اروي لك قصة امرأة متزوجة ؟ زدي في  
 يوم من الايام ، فلدي من الاحاديث ما لا يصدق عقلك !  
 فقاطعته اقول ، وقد اوجست الأمر :

— ما اسم ذلك الأمير ؟

— ما لك ولاسمه ؟ اسمه فالكوفسكي ، اذا كنت  
 تصر على معرفة اسمه .

<sup>(١)</sup> انني اعرف من اين تؤكل الكف (بالفرنسية في الأصل) .

نفسك ، وثانيا لان كل رغبة ممنوعة عنك ، ما دمت حسان  
 عربية . لي انا الخيال ، ولك انت الواقع . اسمع ، قل  
 لي بصراحة ، بلا لف ولا دوران ، كما يقول اخ لأخيه ،  
 (والا كنت تهينني مدة عشر سنين) ، ألت في حاجة الى  
 مال ؟ ان لدي مالا . لا تكشر . خذ هذا المال ، فترتاح  
 من الذين يستخدمونك ، وتنزع اللجام عن عنقك ، وتعيش  
 هادئ البال سنة بكاملها ، وتستطيع عندئذ ان تنصرف الى  
 فكرة عزيزة عليك ، ان تنتج كتابا كبيرا . —  
 رأيك ؟

— اسمع يا ماسلوبوف ! انني اقدر هذا العرض  
 الاخوي ، ولكنني لا استطيت ان اجيبك الآن بشيء ، لماذا ؟  
 هذا امر يطول شرحه . ذلك رهن بالظروف . ثم انني اعدك  
 بأن اقول لك كل شيء فيما بعد كأخ لأخيه . اشكر لك ما  
 عرضته علي . وانا اعدك بأن ازورك ، بأن ازورك كثيرا . ولكن  
 اليك الامر الذي يهمني الآن : ما دمت صريحا معي ،  
 فقد قررت ان استشيرك ، لا سيما وانك استاذ في هذا النوع  
 من الامور !

وقصصت عليه حكاية سميت وحفيدته ، من اولها  
 الى آخرها ، مبتدئا بالمقهي . ولقت نظري شيء عجيب :  
 كان يخيل الي ، وانا اقص الحكاية ، انني اقرأ في عينه  
 انه على علم بها ، فسألته عن ذلك ، فأجاب :

— لا ، لست اعرفها . غير انني سمعت قليلا عن  
 سميت ، وعرفت ان شيئا عجوزا قد مات في ذلك المقهي .  
 اما السيدة بونوفا فاني اعرف عنها بعض الامور حقا . وكان



رشيقه مصطنعة . ولكن كان واضحا في الوقت نفسه انه في تلك اللحظة يتجلد ويحبس ما في نفسه ويريد ان يظهر بمظهر الشخص الهام الجاد ذي الاعمال الكثيرة .

قال لي ماسلوبوف وهو يعود الي :  
— تعال الي يا فانيا في الساعة السابعة . فلربما كان هنالك ما اقوله لك . انني وحدي لا استطيع شيئا . وقد كان لي قبل ذلك مكانة ، اما الآن فما انا الا سكير . وقد انسجت من الاعمال ، ولكن بقيت لي علاقات قديمة استطع ان ألتقط بعض المعلومات من هنا ومن هناك ، استطع ان أتشمم الريح الي جانب اناس مرهفين . تلك هي طريقتي في العمل . صحيح انني في لحظاتي الصافية ، اعني حين لا اسرف في الشراب ، اقوم ايضا ببعض الاعمال ، بعض التحريات بمساعدة معارفي ايضا . . . ولكن ماذا ؟ يكفي هذا . اليك عنواني : في شارع شيستيلافوشنايا . اما الآن فانا سكران تماما . يجب ان أفرغ في جوفي قدحا آخر ، ثم اعود الي بيتي . علي ان انام قليلا . ستأتي الي . وسأقدمك الي الكسندرا سيمينوفنا ، واذا اتسع الوقت ، تحدثنا في الشعر .

— وهل ستحدث في القضية التي تهمني ؟

— ربما ستحدث في هذه القضية ايضا .

— اذن سأجيء ، سأجيء حتما . . .

— بيوتر فالكوفسكي ؟

— نعم . هل تعرفه ؟

— قليلا . وسأسألك عن انباء هذا السيد غير مرة . لقد شاقني حديثك كثيرا .

قلت ذلك ، وانا انهض .

— اسمع ايها الصديق القديم ! انك تستطيع ان تسألني عن كل ما تريد ، وانا امرؤ يجيد رواية الحكايات ، ولكنني لا اطلق للسانى العنان ، بل اظل في نطاق بعض الحدود ، هل فهمت ؟ والا فقدت ثقة الناس في ، وفقدت شرفي ، في الأعمال طبعا ، وهكذا دواليك . . .

— اذن في الحدود التي يسمح لك بها الشرف . . .

وكنت مضطربا ، فلاحظ هو ذلك . قلت :

— ما قولك في القصة التي رويتها لك منذ لحظة ؟

هل انتهيت فيها الي رأى ام لا ؟

— قصتك ؟ انتظر لحظة . سأدفع الحساب .

واقترب من البسطة فاذا هو يجد نفسه ، فيما يشبه

الصدقة ، الي جانب الفتى ذي المعطف الفلاحي ، الذي اسماه في كثير من البساطة والألفة باسم متروشكا . وبدا لي ان ماسلوبوف يعرفه اكثر قليلا مما زعم . كان واضحا على الاقل انهما لا يلتقيان لأول مرة . وكان منظر متروشكا منظرًا فريدا بعض الشيء : فمعطفه الروسي وقميصه الحريري الاحمر والقسمات الحادة وان كانت لطيفة وتوحى الثقة ووجهه الاسمر الفتى ، ونظرته اللامعة الجريئة ، كل ذلك يفضي عليه طابعا يلفت النظر ولا يخلو من ان يكون جذابا . وكانت تبدو حركاته



كانت أنا أندريفا نتظرني منذ مدة طويلة . ان ما قلته لها أمس بصدد بطاقة ناتاشا قد أثار حب الاطلاع لديها اثاره قوية ، وكانت تنتظر ان اوافيها قبل ذلك كثيرا ، في نحو الساعة العاشرة من الصباح . فلما وصلت اليها في الثانية بعد الظهر كان قلتي الانتظار قد استفد قوى العجز المسكينة ، وكانت ، عدا ذلك ، تريد ، بفارغ صبر ، ان تفضى اليّ بالآمال الجديدة التي اشرفت في نفسها منذ أمس ، وان تحدثني عن نيقولاي سرجييتش الذي اصبح مريضا ومكثب المزاج منذ البارحة ، وفي نفس الوقت ، رقيب العاطفة في معاملتها . فلما رأنتني استقبلتني بوجه بارد مستاء ، وما كادت شفتاها تتحركان بالتحية ، ولم تظهر شيئا من حب الاطلاع . كانت كأنها تقول لي : «لماذا جئت ؟ هل ثمة داع يا عزيزي ان تتسكع هنا وهناك» . كانت تحقد علي لانتي تأخرت في المجيء . ولكنني كنت مستعجلا ، فقصصت عليها مشهد الامس كله بلا ابطاء . فلما علمت ان الامير زار ناتاشا ، وانه قدم اقتراحه الرائع ، تبدد تظاهرها بالاستياء ، بمثل لمح البصر . لا استطيع ان اصف فرحها بكلام : لقد اصبحت كمن فقد صوابه ، فاذا هي ترسم اشارة الصليب ، ثم تبكي ، ثم تسجد على الارض امام الأيقونة ، ثم تقبلني ، ثم تريد ان تهرع فورا الى نيقولاي سرجييتش لتشرکه في فرحها .

قالت :

— أرجوك ، يا صديقي . ان تلك الاذلالات وتلك

الاهانات كلها هي التي حطمت اعصابه ، ولكنه متى علم بأن كرامة ناتاشا رُذت اليها كاملة ، فسينسى كل شيء فورا . ولم استطع ان أثنياها عن عزمها الا في كثير من العناء . ان العجز المسكينة ما تزال تجهل زوجها ، رغم انها عاشت معه خمسة وعشرين عاما . وكانت تتحرق كذلك شوقا الى ان تمضي معي الى ناتاشا فورا . فاعترضت علي ذلك بقولي ان نيقولاي سرجييتش لن يؤيد عملها هذا ، حتى ان من الممكن ان يفسد به الامر كله . فعدلت عن فكرتها في كثير من العناء ، ولكنها حبستني عندها نصف ساعة بلا جدوى ، وكانت لا تنفك تقول : «كيف ابقى الآن سجينه جدران اربعة ، وانا فيما انا فيه من فرح ؟» واقنعتها اخيرا بأن تسمح لي بالانصراف ، قائلا لها ان ناتاشا تنتظرني بفارغ صبر . فرست العجز علي اشارة الصليب عدة مرات ، وحمّلتني تحية خاصة لناتاشا واوشكت ان تبكي حين رفضت ان اعدّها بالمجيء اليها في المساء رفضا باتا ، اذا لم يقع لناتاشا امر يستوجب مجيئي . لم ار نيقولاي سرجييتش في هذه المرة : لقد ارق الليل كله ، واصيب بصداع شديد وورعشات متصلة ، وهو الآن نائم في غرفته .

وقد انتظرنتي ناتاشا هي ايضا ، طوال النهار . فحين دخلت ، كانت تذرغ الغرفة جيئة وذهابا علي عاداتها ، وقد شبكت يديها ، واستغرقت في التفكير . ما زلت الى يومى هذا ، حين استحضر ذكراها ، لا أتصورها الا وحيدة دائما ، في غرفة صغيرة بائسة ، مطرقة تفكر ، مهجورة ، منتظرة ، مشبّكة اليدين ، خافضة العينين ، ذاهبة آية بلا هدف .



قالت لي وهي ما تزال تسير جيئة وذهابا : لماذا تأخرت  
هذا التأخر كله ؟ فقصصت عليها مغامراتي كلها في ايجاز ،  
ولكنها كانت لا تكاد تصغي الى حديثي . كان واضحا انها  
مشغولة البال . سألتها :  
هل من جديد ؟

فأجابت بقولها :  
لا شيء .

ولكنني حرزت من هبتها ان ثمة امرا جديدا ، وانها  
انتظرتني لتقص علي هذا الامر ، ولكنها ، على عاداتها ،  
لن تقصه علي فورا ، بل حين اهم ان امضي . هكذا كانت  
تجري الامور بيننا دائما . فتعودت الى ذلك وانتظرت .

بدأنا طبعاً بالحديث عما جرى امس . ومما أدهشني  
خاصة اننا اتفقنا كل الاتفاق في رأينا في الامير . كانت  
تكرهه صراحة ، اكثر مما كرهته بالامس . وبعد ان استعرضنا  
جميع تفاصيل زيارته البارحة ، اذا بناتاشا تقول لي فجأة :  
— اسمع يا فانيا ، هذه قاعدة عامة : اذا كرهت

شخصا في اول الامر ، فتلك اشارة تكاد تكون يقينية الى  
انك ستحبه بعد ذلك . هذا ما يقع لي انا ، على الاقل .

— ان شاء الله ، يا ناتاشا . واليك رأسي القاطع  
بعد ان وزنت جميع الامور حق وزنها : ربما كان الامير  
يعبت ، ولكنه يوافق حقا على زواجكما موافقة جادة .

فتوقفت ناتاشا في وسط الغرفة ، والقت علي نظرة  
قاسية . لقد تبدل تعبير وجهها كله ، حتى لقد ارتعشت  
شفاتها قليلا . قالت :

ولكن كيف يمكنه ان يحتال و . . . ان يكذب  
في ظرف كهذا ؟

قالت ذلك بلهجة مترددة ، تفيض كبرا .  
فأسرعت ازيدها قائلا :

— صحيح ! صحيح !  
— لا شك انه لم يكذب . ويخبل الي ان هذا

يجب ان لا يخطر لنا ببال ، ينبغي ان لا نرى في ذلك  
حيلة من الحيل ! ثم ما عسى ان اكون في نظره حتى يضحك  
علي هكذا ؟ ليس في امكان رجل ان يرتكب وقاحة كهذه !  
فقلت مؤيدا :

— طبعاً ، طبعاً .  
ولكنني قلت بيني وبين نفسي : ومع ذلك لعلك

لا تفكرين الا في هذا ، وانت تذهبين وتجيئين في غرفتك ،  
يا صغيرتي المسكينة ، ولعلك تشكين في الامر اكثر مما  
اشك فيه انا .

قالت :

— آه ، كم اود لو يعود بسرعة . كان يريد ان يقضى  
معي السهرة كلها وأنداك . . . لا شك ان وراءه اعمالا هامة ،  
مادام قد ترك كل شيء ومضى . هل تعرف شيئا عن ذلك  
يا فانيا ؟ هل سمعت شيئا عن ذلك ؟

— لا والله . انه يحاول الحصول على مال . وقد قيل لي  
انه يساهم في مشروع مالي ، هنا ببطرسبرج . نحن يا ناتاشا  
لا نفهم شيئا في شئون الاعمال .

— صحيح . لقد حدثني أليوشا عن رسالة تلقاها امس .



— لا شك انها تحمل اليه اخبارا . هل جاء ألبوشا ؟

— نعم .

— مبكرا ؟

— جاء في الظهر . انت تعلم انه ينام متأخرا . ولكنه

لم يمكث الا لحظة . لقد بعثت به الى كاترينا فيدوروفنا .

كان يستحيل غير ذلك .

— ألم يكن ينوى هو ان يذهب اليها ؟

— بلي ، بلي .

وارادت ان تضيف الى قولها هذا شيئا ، ولكنها صمتت ،

فنظرت اليها وانتظرت . كان وجهها حزينا جدا . وددت

لو اطرح عليها بعض الاسئلة ، ولكنها كانت في بعض اللحظات

تكره الاسئلة .

قالت اخيرا ، وهي تصغر شفيتها قليلا ، وكأنها تحاول

ان لا تنظر الي :

— عجيب امره ، هذا الفتى !

— ماذا ؟ هل حدث شيء ؟

— لا . . . لا شيء . . . هكذا . . . ثم انه كان لطيفا

جدا ، ولكن . . .

قلت :

— الآن انتهت كل احزانه وكل همومه .

فأقلت علي ناتاشا نظرة ملحاحة متفحصة . لعلها ارادت

ان تقول لي هي نفسها ان ألبوشا لم يكن له هموم واحزان

كثيرة في يوم من الايام . ولكنها اعتقدت انها تقرأ هذه الفكرة

نفسها في عيني ، وصمتت مغناظة .

ولكنها سرعان ما عادت لطيفة محببة . كانت في هذه

المرة ناعمة كل النعومة ومكثت عندها اكثر من ساعة . كانت

قلقة . لقد اخافها الامير . ولاحظت من بعض اسئلتها انها

تود كثيرا لو تعرف ما هو الانطباع الذي تركته في نفسه امس .

هل احسنت التصرف ؟ ألم تبالغ في اظهار فرحها امامه ؟

ألم تظهر غاية التسامح ؟ ما عسى ان يكون رأيه فيها ؟

هل يهزأ بها ؟ هل يحتقرها ؟ وحين راودتها هذه الفكرة

التهب وجهها بحمرة شديدة .

قلت لها :

— لماذا تصدعين رأسك بما عسى ان يفكر فيه هذا

الرجل السيئ ؟ هيبه يفكر في ذلك ، فما قيمة هذا كله ؟

فسألني تقول :

— ولماذا تعده سيئا ؟

كانت ناتاشا ربابة ، ولكن لها قلبا صافيا ونفسا مستقيمة .

ان ارتبابها يتدفق من نبع رائق . ان في نفسها لكبرياء ،

كبرياء نبيلة . كانت لا تطيق ان يُعرض للسخرية امام عينيها

ما تعده فوق كل شيء . اذا احتقرها انسان شرير ، فلا شك

انها ترد الاحتقار باحتقار مثله ، ولكنها مع ذلك تتألم في

اعماق قلبها اشد الألم اذا سخر احد بما تعده مقدسا ،

كائنا من كان الساخر . وليس يرجع ذلك الى نقص في

الصلابة . وانما يرجع بعضه الى جهلها بالناس ، والى قلة

اختلاطها ، والى ازواء حياتها . لقد عاشت دائما في زاويتها ،

ولم تخرج منها قط . ثم ان لها تلك الملكة التي تنعم بها

النفوس السمحة الكريمة ، والتي لعلها ورثتها عن ابيها :



اعني الاندفاع في الثناء على شخص ، والاصرار على تقديره  
فوق قدره ، والمبالغة في تصوير محاسنه على تحيز . انه  
ليشق على هؤلاء الناس ان يفقدوا بعد ذلك اوهامهم ، يشق  
عليهم ذلك خاصة لشعورهم بأنهم هم انفسهم مذنبون .  
فلماذا كنت تنتظر ان يعطوك اكثر مما يمكن ان تُعطى ؟ ان الخيبة  
تربص بهؤلاء الناس من لحظة الى لحظة . والافضل ان  
يظلوا في زاويتهم هادئين ، لا يخرجون منها ، حتى لقد  
لاحظت انهم يحبون زاويتهم حقا ، الى ان يعنصموا بها  
تماما . ثم ان ناتاشا قد تحملت كثيرا من انواع الشقاء ،  
وكثيرا من الاساءات . انها انسان مريض . ويجب ان لا  
تتهم ، هذا اذا كان في اقوالى شيء من الاتهام .

كنت مستعجلا ، فنهضت لاذهب ، فشدهت من  
ذلك ، وكادت تنفجر باكية ، رغم انها لم تظهر نحوى  
شيئا من العاطفة الرقيقة طوال المدة التي قضيتها معها ، حتى  
لقد كانت اشد برودة في معاملتى من عهدي بها . ولكنها  
عانقتني عندئذ في كثير من العاطفة ، ونظرت في عيني مدة  
طويلة ، ثم قالت :

— اسمع ، لقد كان ألبوشا غريبا كل الغرابة اليوم ،  
لقد ادهشنى كثيرا . كان لبقا جدا ، وكانت تلوح عليه اثار  
السعادة ، ولكنه كان يتراقص كفراشة ويختال ويمشى مرحا ،  
ولا يني ينظر الى نفسه في المرآة . . كان لا يتحرج اى تحرج . .  
ثم انه لم يمكث مدة طويلة . وتصور انه اتاني بسكاكر .  
— سكاكر ؟ هذا شيء لطيف جدا ، برىء جدا .  
يا لها من فصول هذه التي تقومان بها كلاكما ! ان كلا

منكما الآن يلاحظ صاحبه ، ويتجسس عليه ، ويحاول  
ان يقرأ في وجهه افكاره المستسرة (وانتما لا تعرفان منها  
شيئا) . ان ألبوشا لا يسرف في هذا على كل حال . انه  
مرح ، انه تلميذ ، كما كان في السابق ، اما انت ، انت !  
اتذكر ان ناتاشا كانت كلما بدلت لهجتها اقتربت

منى لتشكو اليّ ألبوشا ، او لتطرح عليّ سؤالا شائكا ، او  
لتقضى اليّ بسر تحب ان افهمه بنصف كلمة ، كانت تنظر  
اليّ مبسمة ، كأنها تتوسل اليّ ان اتخذ القرار الذي يهدئ  
من روعها . ولكنني اتذكر ايضا انني كنت في تلك اللحظات  
اصطنع لهجة قاسية حاسمة ، كأنني اقرع احدا ، وانني  
كنت افعل ذلك دون اية نية مبيتة ، وان ذلك كان ينجح  
دائما . كانت قسوتى ورسائتي تأتبان في محلهما ، فتؤثران  
تأثيرا اشد ، لان الانسان يشعر في بعض الاحيان بحاجة الى  
ان يوعظ . على الاقل ، كانت ناتاشا تنصرف عني بعد  
ذلك في بعض الاحيان مطمئنة تماما .

واستأنفت ناتاشا تقول وقد وضعت احدى يديها على  
كفني ، وشدت بالاخرى على يدي ، وهي تبحث عن عيني  
بنظرة متملقة :

— لا يا فانيا ، اسمع ، لقد بدا لي خفيفا مسرفا  
في الخفة . كان يصطنع هيئة<sup>(1)</sup> mari ، هيئة رجل متزوج  
منذ عشر سنين ، ما يزال لطيفا مع زوجته . ألم يبكر في  
هذا ؟ . . كان يضحك ، ويدور على رجل واحدة ، كأن

<sup>(1)</sup> زيج (بالفرنسية في الأصل) .



## الفصل السابع

وصلت الى منزل ماسلوبوف في الساعة السابعة تماما .  
انه يقطن جناحا من عمارة صغيرة في شارع شيبستيلافوشنايا ،  
ويتألف بيته من ثلاث حجرات ليست على شيء من النظافة ،  
ولكنها حسنة الاثاث ، حتى ان المرء يلاحظ فيها شيئا من  
الثراء ، ويلاحظ في الوقت نفسه اهمالا شديدا . فتحت  
لى الباب فتاة جميلة جدا تناهز العشرين من عمرها ، كانت  
ترتدى ثيابا بسيطة ولكنها انيقة ، وكانت نظيفة كل النظافة ،  
وكان في عينيها مرح .  
حزرت على الفور انها هي نفسها الكسندرا سيمينوفنا ،  
تلك التي اسمعني ماسلوبوف اسمها ودعاني الى زيارته للتعرف  
بها . سألتني من أكون ، فلما عرفت اسمي قالت ان ماسلوبوف  
كان ينتظرنى ، الا انه الآن نائم في غرفته . وقادتني الى  
الغرفة . كان ماسلوبوف راقدا على اريكة جميلة وثيرة ،  
ملتحفا معطفه الوسخ ، وتحت رأسه مخدة جلدية خالقة .  
كان نائما نوما خفيفا جدا ، فما ان دخلنا الغرفة ، حتى  
ناداني باسمي :

— هذا انت ! كنت احلم الآن انك وصلت وانك  
توقفتني . اذن لقد ازف الوقت . هيا بنا .

— الى اين ؟

— الى تلك السيدة .

— اى سيدة ؟ لماذا ؟

— السيدة بوبنوفنا . لكى نفضح امرها .

هذا كله لا يخصني انا الا قليلا ، وكان يتعجل الذهاب  
الى كاترينا فيدوروفنا . كنت اكلمه ، فلا يصغى الي ، لو  
يأخذ بالكلام عن شيء آخر . آه من تلك العادة السيئة  
المألوفة في المجتمع الراقي ، التي حاولنا كلانا ان نخلصه  
منها . الخلاصة ، لقد كان . . . قليل المبالاة . اذا صح  
التعبير . ولكن ماذا اقول ! ها أنا ذا اندفع ! آه ، ما  
اقسى مطالبنا جميعا ، يا فانيا . . . اننا لطفاعة ذوو نزوات !  
انني ادرك ذلك الآن ! اننا لا نغفر مجرد تغير بطراً على  
الوجه . . . ويعلم الله لماذا يكون الوجه قد تغير ! كنت على  
حق حين لمتني منذ قليل ! كل ذلك هو ذنبى انا . اننا  
نخلق لانفسنا احزاننا واشجاننا ، ونظل نشكو ونتوجع . . . شكرا  
يا فانيا ، لقد احسنت الي حقا . يا ليته يجيء اليوم ! ولكن . . .  
لعله استاء مما وقع !

— ماذا ؟ هل تشاجرتما ؟

قلت ذلك مشدوها .

— لا ، ابدأ ، ولكنني كنت حزينة قليلا ، وكان  
هو مرحا ، فاذا هو يسترسل في الوجود على حين فجأة .  
وخيل الي انه ودّعني وداعا جافا . ولكنني سأرسل في طلبه . . .  
تعال انت ايضا يا فانيا .

— سأجيء طبعاً ، الا ان يمنعني عن ذلك شيء .

— اى شيء ؟

— لقد اقحمت نفسي في بعض الامور ! ولكنني  
أمل ان استطع المجيء .



ثم تابع يقول وهو يلتفت نحو الكسندرا سيمينوفنا ،  
ويقبل اطراف اصابعه على ذكر السيدة بوبنوفنا :  
— يا لها من امرأة جميلة رائعة !  
فقالت الكسندرا سيمينوفنا ، وهي تحسب ان من  
واجبها ان تغضب بعض الغضب :  
— هو ذا يذهب . . وما أكثر ما سيتخيل ايضا !  
— انما لا يعرف احدكما الآخر ؟ يا الكسندرا سيمينوفنا ،  
اقدم لك جنرالا من جنرالات الادب الذين لا يراهم المرء  
مجانا الا مرة واحدة في السنة ، اما فيما عدا ذلك فلا  
يد له ان يدفع اجرا .  
— أتظنني غبية الى هذا الحد ؟ لا تستمع الى ما  
يقول ، ارجوك ، انه يسخر مني دائما . عن اى جنرالات  
يتحدث ؟  
— قلت لك انهم جنرالات من نوع خاص . اما انت ،  
صاحب السعادة ، فلا تظننا اغبياء . انا اذكى كثيرا مما  
نظهر من اول وهلة .  
— لا تصغ الى ما يقول . انه يخجلني دائما امام  
الناس المحترمين ، هذا الوقح لبيته ، على الاقل ، يأخذني  
الى المسرح من حين الى حين !  
— الكسندرا سيمينوفنا ، احببى الـ . . هل نسيت ما  
الذى يجب ان تحييه ؟ هل نسيت الكلمة الصغيرة التى  
علمتك اياها ؟  
— طبعا لم انساها . . كلمة سخيفة .  
— ما هى اذن ؟

— اموت خجلا اذا نظقت بها امام ضيف . . فقد  
تعني شيئا . . افضل ان يُقطع لساني على ان اقولها .  
— اذن لقد نسيتها !  
— لا ، لم انساها : انها كلمة ربوع ! احببى الربوع . .  
ما اكثر ما يخترع من الفاظ ! الربوع ! لعلها لم توجد يوما .  
ولماذا يجب على المرء ان يحبها ؟ انه لا يقول الا سخافات . .  
— ولكن عند السيدة بوبنوفنا . .  
— اذهب انت وصاحبك بوبنوفنا !  
قالت الكسندرا سيمينوفنا ذلك ، ثم خرجت راكضة ،  
وقد استبد بها مزيد من الحق .  
— آن الاوان ! هيا بنا ! الى اللقاء ، يا الكسندرا  
سيمينوفنا . — وخرجنا .  
— اولا ، يا فانيا ، سنركب هذه العربة ، وثانيا  
يجب ان اقول انى بعد ان تركتك منذ قليل ، عرفت ايضا  
امرا او امرين ، ليسا من نوع الافتراضات بل هما من الوقائع  
الصحيحة . لقد بقيت فى جزيرة فاسيليفسكي ساعة اخرى .  
ان ذلك الرجل المنفوخ شخص حقير فظيع ، يشير الاشمتراز ،  
صاحب نزوات دنيئة وميول منحطة . وبوبنوفنا عرفت منذ  
مدة طويلة بأعمال ومكائد من هذا النوع . وقد اوشكت ،  
ذات يوم ، ان يقبض عليها مع فتاة تنتمى الى اسرة ذات  
شأن . ان اثواب الموسلين التى البستها للتيمة «كما وصفت  
لى ذلك منذ قليل» لم تغادر بالي لانني سمعت شيئا من  
هذا القبيل من قبل . ولقد حصلت منذ لحظة على بعض  
المعلومات . . . حصلت على هذه المعلومات مصادفة ، والحق



يقال ، ولكنها تبدو لي صحيحة . ما عمر الصبية ؟

— ثلاث عشرة سنة ، فيما يبدو من وجهها .

— واقل من ذلك فيما يبدو من جسمها . هذا ما

يراه المرء فيها . وتستطيع بوبنوبا ان تزعم ان سنها احدى

عشرة سنة او خمس عشرة سنة ، تبعا للحاجات . والصبية

بلا حام يحميها ، بلا اسرة تعولها ، فيمكن . . .

— أهذا ممكن ؟

— ماذا تظن اذن ؟ لعلك تحسب ان السيدة بوبنوبا

قد حضرت الصبية شفقة عليها ورحمة بها ؟ اذا كان المنفوخ

يتردد الى البيت ، فمعنى ذلك ان القضية قد دُبرت . لقد

رأها هذا الصباح . ووعد ذلك الجلف سيزوبريوخوف بامرأة

متزوجة ، هي امرأة موظف برتبة كولونيل ارکان حرب . ان

ابناء التجار الذين يلهون بهمهم هذا الامر : انهم يسألون دائما

عن الرتبة . كما في قواعد اللغة اللاتينية ، هل تتذكر ؟

الدلالة تغلب الاعراب . على كل حال ، اظن اننى ما زلت

سكران تلك هي اذن بوبنوبا . اياها ان تمارس مثل هذه الامور .

انها تريد ان تخدع البوليس . ولكنها لن تنجح ، لانها

تعرف ان لي ذاكرة قوية ويمكنني ان اخوفها . . . هل تفهمنى ؟

اثر في هذا الكلام تأثيرا رهيبا ، واسلمتنى هذه الابناء

لاضطراب شديد . وخشيت ان نصل متأخرين ، فاستعجلت

الحوذى . قال ماسلوبوف :

— لا تقلق : لقد اتخذنا اجراءاتنا . ان متروشكا

هناك سيدفع له سيزوبريوخوف من ماله ، وسيدفع له المنفوخ ،

ذلك الحقيير ، من جسمه . لقد استقر رأينا على هذا منذ

قليل . اما بوبنوبا ، فهي من شأنى انا .

وصلنا ، ووقفنا عند المطعم . ولكن الرجل الذى يطلق

عليه اسم متروشكا لم يكن هنالك . ويعد ان امرنا الحوذى

بان ينتظرنا عند مدخل المطعم ، مضينا الى بيت بوبنوبا .

كان متروشكا ينتظرنا عند الباب . وكانت انوار ساطعة تخرج

من النوافذ ، وكانت ضحكات سيزوبريوخوف المخمورة تُسمع

من البيت .

قال لنا متروشكا :

— انهم جميعا هنا منذ ريع ساعة . الآن اللحظة

القاصلة . قلت :

— ولكن كيف ندخل ؟

فأجاب ماسلوبوف :

— ندخل كمدعوتين . انها تعرفنى . وهى تعرف ايضا

متروشكا . صحيح ان كل شىء مغلق ، ولكنه ليس مغلقا

دوننا نحن .

وطرق طرقا خفيفا فاذا الباب يُفتح حالا . وتبادل البواب

ومتروشكا نظرة خاطفة . ودخلنا بلا ضوضاء . لم يسمعنا

احد . وقادنا البواب الى سلم صغير وطرق بابا ، فنودي من

الداخل ، فأجاب بانه وحده ، ففتح الباب ، ودخلنا جميعا ،

وغاب البواب .

كانت بوبنوبا تقف فى حجرة المدخل الصغيرة ، ثملة

خلبة مكشوفة النحر ، وفى يدها شمعة . فقالت :

— من هناك ؟

فأجاب ماسلوبوف :



— من ؟ كيف هذا ؟ اتكرين ضيوفك الاعزاء يا  
آنا تريفونوفنا ؟ من عسى يكون هناك غيرنا ؟ .. فيليب فيلييتش .  
— ها ، فيليب فيلييتش ! هذا انتم ايها الضيوف  
الاعزاء .. ولكن كيف .. ، انا .. لا شيء .. تعال من  
هنا ، ارجوك .  
لقد اضطربت اشد الاضطراب ، وطاش صوابها تماما .  
— الى اين ؟ هنا عاجز .. لا ، سوف تستقبلينا  
استقبالا احسن من ذلك . سنشرب شامبانيا .. هل ثمة  
بنات جميلات ؟  
فما سمعت هذا الكلام حتى استردت شجاعتها ،  
وقالت :  
— لضيوف اعزاء مثلكم ابحت عن بنات تحت الارض ،  
اجيْ بهن من الصين .  
— سؤال يا انا تريفونوفنا ، هل سيزوبريوخوف هنا ؟  
— ز .. هم .  
— اريد ان اراه . كيف يجرؤ هذا الخبيث على ان  
يلهو دون ان اكون معه ؟  
— لا شك انه ما نسيك . لقد كان ينتظر شخصا  
هو انت حتما !  
دفع ماسلوبوف الباب ، فاذا نحن في حجرة صغيرة  
ذات نافذتين مزريتين بالغرانيون ، وفيها كراس مصفورة وبيانو  
ردىء .. كل ما كان يجب . ولكن متروشكا كان قد اختفى  
من قبل ان ندخل ، اى اثناء التفاوض في حجرة المدخل .  
وعرفت فيما بعد انه لم يدخل ، وانما انتظر على الباب .

كان عليه ان يفتح الباب لقادم . اتضح ان المرأة الشعثاء  
المخضبة التى نظرت فى هذا الصباح من فوق كتف بوبنوبا  
هى اشينة متروشكا .  
كان سيزوبريوخوف جالسا على اريكة ضيقة من خشب  
الكابلى ، امام مائدة مستديرة مفروشة بغطاء . وكان على المائدة  
زجاجتان من الشمبانيا الفاترة ، وزجاجة من ردىء الروم ،  
وصحون فيها سكاكر وفطائر وثلاثة انواع من الجوز . وكانت  
تجلس الى المائدة امام سيزوبريوخوف امرأة دميعة تثير  
الاشمزاز ، مجدورة الوجه ، فى نحو الاربعين من العمر ،  
ترتدي ثوبا من التفننا الاسود ، وتحمل فى معصمها اساور  
من نحاس . انها امرأة الكولونيل اركان حرب ، من قبيل  
التزوير طبعا . وكان سيزوبريوخوف ثملا ، راضيا كل الرضى ،  
ولم يكن رفيقه السمين هناك .  
تبعق ماسلوبوف يقول :  
— هكذا يتصرفون ! ويدعونك ايضا الى دوسو !  
فدعهم سيزوبريوخوف يقول وهو ينهض للقائنا رقيق  
الحاشية :  
— ما اسعدنا بك يا فيليب فيلييتش !  
— أنت تشرب ؟  
— نعم ، معذرة .  
— لا تعتذر . الاولى ان تدعونا . فانما جئنا لنلهو  
معك بعض الوقت . انظر ، لقد جئت بضيف آخر : صديق .  
وسماني ماسلوبوف .  
— سعيد بمعرفتك .. ها !



— أهذه شمبانبا ! انها اشبه بحساء الكرنب الحامض !  
— انت تهيننا !  
— لقد بلغت من الامر انك اصبحت لا تجرؤ على  
الظهور عند دوستو . . . وتدعو الناس ايضا !  
فقالت امرأة الكولونيل :  
— لقد ذكر لي منذ لحظة انه كان يباريس . لا شك  
انه يكذب !  
— فيدوسيا تبتشنا ، لا تجرحينا بكلامك . لقد ذهبنا  
حقا الى باريس ، قمنا برحلة الى باريس .  
— هل من المعقول ان فلاحا كهذا ، يذهب الى  
باريس ؟  
— لقد ذهبنا الى باريس . كنا نملك الوسيلة لذلك .  
وتميزنا هنالك مع كارب فاسيليتش . هل تعرفين كارب  
فاسيليتش ؟  
— لماذا تريد ان اعرف صاحبك كارب فاسيليتش ؟  
— هكذا . . . ان لهذا علاقته بالسياسة . لقد ذهبنا  
معه الى مدام جووير . وكسرنا هنالك مرآة كبيرة .  
— ماذا كسرتم ؟  
— مرآة كبيرة . كانت تغطي الحائط كله ، وترتفع  
حتى السقف ، وكان كارب فاسيليتش قد بلغ من السكر  
انه اخذ يتحدث الى مدام جووير بالروسية ، وكان واقفا الى  
جانب المرأة ، فأتكأ عليها . فصرخت مدام جووير تقول  
له بلغتها : «ان ثمن المرأة سبعمائة فرنك . . . وانت توشك  
ان تكسرها» فأخذ يضحك ، ونظر الي وكنت جالسا امامه

على اريكة ، وكان معي امرأة جميلة رائعة الجمال ، لا امرأة  
سكيرة دميعة كهذه . واخذ يصرخ : «ستيفان تيرنتش ،  
هه . . . ستيفان تيرنتش ! أتشاركتني بالنصف ؟ اتفقنا ؟  
فقلت : «نعم ، اتفقنا» . فضرب المرأة بقبضتيه الكبيرتين . . .  
زننن ! لم يبق منها الا حطام . فأخذت مدام جووير تصرخ ،  
وهجمت عليه ، وامسكت بخناقه : «ايها اللص ، ماذا  
دهاك ، ما جئت تفعل هنا ؟» (قالت ذلك بلغتهم ايضا) .  
فما كان منه الا ان أجابها بقوله : «مدام جووير خذي المال  
الذي تريدن ، ودعيني أتصرف كما يشاء لي هواي» ،  
ونقدها على الفور ستمائة وخمسين فرنكا ، أى حصلنا على  
تخفيض خمسين فرنكا .  
في هذه اللحظة دوى وراء عدة ابواب ، في غرفة  
لا شك ان حجرتين او ثلاث حجرات تفصلها عن غرفتنا ،  
دوى صوت حاد رهيب ، فما ان سمعته حتى ارتعشت ارتعاشا  
قويا ، وصرخت انا ايضا . انه صوت ايلينا وبعد هذه الآهة  
الحزينة ، سمعنا صرخات اخرى ، وشتائم ، وجلبة ، ثم  
سمعنا قرععة صفعات واضحة رنانة . لعله متروشكا يقتصص  
من غريمه . وفتح الباب ، فجأة ، بقوة وعنف ، وظهرت  
ايلينا ممتعة اللون ، مضطربة العينين ، مرتدية ثوبا من  
الموسلين ابيض متجعدا متمزقا ، منقوشة الشعر بعد تصفيف ،  
واسرعت تدخل الغرفة . كنت واقفا امام الباب فارتمت علي ،  
واحاطنتني بذراعيها . فنهض جميع من بالغرفة واقفين وقد  
سمعنا مع دخول ايلينا قرععات وصرخات ، وظهر في إثرها  
متروشكا عند الباب يشد عدوه السمين من شعره ، ويظل



يجره الى ان وصل به العتبة ، ثم رماه فى الغرفة . قال متروشكا بلهجة بشيع فيها كثير من السرور والرضى :

— هذا هو ، خذوه .

فقال لى ماسلوبوف ، وهو يقترب منى بهدوء ، ويربت على كفتي :

— اسمع ، خذ العربة ، وامض بالصغيرة ، وعد الى بيتك . لم يبق لك ما تعمله هنا . وسنصفى باقى الحساب غدا !

لم انتظر ان يكرر كلامه مرة اخرى ، فأمسكت بيد ايلينا ، وخرجت بها من هذه المغارة ، ولم اعرف ما الذى وقع بعد ذلك . ولم يمنعنا احد من الخروج ، فلقد كانت صاحبة البيت مصعوقة من الخوف ، وتمت الامور كلها بسرعة كبيرة ، فلم يبق مجال لان يعترض سبيلنا معترض . وكان الحوذي ينتظرنا ، فما مضت عشرون دقيقة حتى كنا فى بيتي . كانت ايلينا اقرب الى الموت منها الى الحياة ففككت عرى ثوبها ورششتها بالماء ، ومددتها على اريكى . وانابتها الحمى ، واخذت تهذى . ونظرت الى وجهها الصغير الممتنع لونه ، والى شفثيها الداويتين ، والى شعرها الاسود ، والى زيتتها كلها ، الى العقد الصغيرة من الشريط الوردى التى بقيت هنا وهناك على ثوبها ، نظرت الى كل ذلك ففهمت الحكاية الفظيعة كلها . مسكينة ! وكانت حالتها تسوء شيئا فشيئا ، فلم اتركها ، وقررت ان لا اذهب الى ناتاشا فى ذلك المساء . كانت ايلينا ترفع هدييها الطويلين المقوسين ، من حين الى حين ، وتتنظر اليّ طويلا بانتباه ، كأنها تريد

ان تعرف من انا . ثم نامت فى ساعة متأخرة من الليل ، فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . وغفوت انا قريبا منها على الارض .

## الفصل الثامن

نهضت من نومي فى ساعة مبكرة من الصباح . وكنت استيقظ كل نصف ساعة ، فأقترب من المريضة المسكينة ، وأنفوس فيها . كانت محمومة ، وكانت تهذى قليلا . ولكنها نامت عند الصباح نوما عميقا . كنت قد قلت فى نفسي : ان نومها هذا يبشر بخير ، ولكنى ما ان استيقظت حتى قررت ان امضى باحثا عن طبيب ، بينما المسكينة ما تزال نائمة . كنت اعرف احد الاطباء ، وهو عجوز عازب ، ولكنه رجل شهيم ، يعيش فى شارع فلاديميرسكايا منذ زمان سحيق ، مع خادم ألمانية . ذهبت اليه ، فوعد ان يجيء فى الساعة العاشرة ، وكنت قد وصلت اليه فى الثامنة . كانت بسى رغبة جارفة فى ان اصعد اثناء عودتى الى بيت ماسلوبوف ، ولكنى عدلت عن هذه الرغبة : فلا بد ان ماسلوبوف ما يزال نائما بعد سهرة البارحة ، كما ان ايلينا يمكن ان تستيقظ اثناء ذلك ، وربما تشعر بالخوف اذ تجد نفسها وحيدة فى بيتي . وقد تنسى ، وهى فيما هى فيه من مرض ، منى نامت عندى وكيف جاءت الى هنا ؟ واستيقظت ايلينا فى اللحظة التى دخلت فيها الى الغرفة ،



فاقتربت منها ، وسألتها بكثير من الترفق عن حالها ، فلم  
تجب ، بل نظرت اليّ طويلا ، وهي تنفرس في بعينها  
السوداوين المعبرتين . واعتقدت من نظرتها هذه انها تفهم  
كل شيء ، وانها تملك وعيها كاملا ، وانها اذا لم تجبني ،  
فلأن هذه هي عادتها . انها ، امس واول امس ، حين  
جاءت الي ، لم تجب ايضا بحرف واحد على بعض اسئلتني ،  
وانما رشقتني بنظرها هذه الثابتة العنيدة التي تدل على الاضطراب  
والتساؤل والكبرياء في آن واحد ، وقد رأيت الآن في نظرتها  
شيئا من القسوة ونوعا من سوء الظن . فوضعت يدي على  
جبينها لارى أما تزال محمومة ، ولكنها دفعت يدي عنها  
برفق ، دون ان تقول كلمة واحدة ، والتفتت نحو الحائط ،  
فابتعدت حتى لا ازعجها .

كان عندي غلاية للشاي نحاسية كبيرة ، اتخذها  
سماور منذ مدة طويلة ، وأغلى فيها الماء . وكان عندي حطب ،  
فان البواب قد أتاني بحطب يكفى خمسة ايام او ستة .  
فأشعلت المدفأة ، وجثت بماء ، ووضعت الغلاية على النار ،  
ورببت ادوات الشاي على المائدة . وكانت ايلينا قد التفتت  
نحوي واخذت تنظر الى هذا كله متطلعة ، فسألتها هل ترغب  
في شيء ، فاشاحت عني مرة اخرى ولم تجب بكلمة .  
قلت في نفسي : «ترى لِمَ هي غاضبة مني ؟ يا لها  
من بنية غريبة الاطوار !» .

وجاء طبيبي العجوز في الساعة العاشرة ، كما وعد  
بذلك . ففحص المريضة بكل ما أوتي من دقة المانية ،  
ثم طمأنني بقوله انه ما من خطر يُخشى ، رغم الحمى ،

وأضاف الى ذلك ان البنت ربما كانت مصابة بمرض آخر  
مزمن ، لعله خفقان في القلب ، ولكن هذه النقطة في  
حاجة الى مراقبة خاصة في المستقبل ، ولا خطر الآن .  
وأمر لها بشراب وسفوف ، أكثر من قبيل العادة لا الضرورة ،  
ثم لم يلبث ان سألتني من اين لي بهذه البنت ، واخذ في  
الوقت نفسه ينظر في بيتي دهشا . لقد كان الطبيب العجوز  
يحب الثروة كل الحب .

وقد أدهشته ايلينا : سحبت يدها من يده حين كان  
يجس نبضها ، ورفضت ان تزيه لسانها ، ولم تجب على  
اسئله بكلمة واحدة ، واكتفت بأن تتأمل ، طوال الوقت ،  
صليب القديس ستانسلاف الذي كان يتدلى من عنقه .  
قال العجوز :

— لا بد انها عانت صداعا شديدا . ولكن انظر  
كيف تحلق فيّ !  
ورأيت من غير المفيد ان أقص عليه شيئا عن ايلينا ،  
وتخلصت من الموضوع بقولي ان هذه قصة طويلة .  
قال وهو يخرج :

— استدعني اذا اقتضى الامر ، اما الآن فلا خطر .  
وقررت ان أبقى النهار كله مع ايلينا ، وان لا أدعها  
وحدها الا في الضرورة القصوى ، الى ان تبلى من مرضها .  
لكنني ، وانا اعرف أن ناتاشا وأنا أندريفنا يمكن أن نلقا  
اشد القلق اذا انتظرتاني ولم أجيء اليهما ، قررت ان أبلغ  
ناتاشا بالبريد أنني لن أوافيها هذا اليوم . ولم يكن من الممكن  
ان أكتب الى أنا أندريفنا ، فقد طلبت الي مرة ان لا ابعث



عملك . لقد فكرت في ذلك امس ، ونحن ذاهبان الى  
بونوفا . ها أنت ذا ترى ، ايها الاخ ، اننى بطبيعتى وبوضعى  
الاجتماعى من اولئك الناس الذين لا يعملون شيئا مفيدا ،  
ولكنهم يعطون غيرهم . اسمع : ربما اتيت اليك غدا او  
بعد غد . وعليك انت ، على كل حال ، ان توافيننى صباح  
يوم الاحد . والى ان يحين ذلك الوقت تكون قصة الصغيرة  
قد سويت تماما ، فيما ارجو ، وستحدث يومئذ حديثا  
جديدا ، ذلك ان من الضرورى ان تعني بامرك عناية جدية .  
لا يستطيع امرؤ ان يعيش كما تعيش . لقد اكتفيت امس  
باشارات سقتها على سبيل التلميح ، ولكننى ساناقتك بعد  
الآن مناقشة منطقية . قل لى اخيرا : هل تعتقد ان  
من العار عليك ان تقترض منى بعض المال الذى  
حين ؟

قلت اقاطعه :  
— لا تشاجرنى الآن ، بل قل لى كيف انتهى الامر امس ؟  
— على ما نحب ، لقد وصلنا الى هدفنا ، هل نفهمنى ؟  
ولست املك الآن شيئا من الوقت ، وانما جئت اليك لحظة  
لأقول لك ان وقتى لا يتسع الآن للاهتمام بأمرك ، ولأسألك  
هل تريد ان تعهد بالصيبة الى احد ، ام انك تريد الاحتفاظ  
بها فى بيتك . ذلك ان من الضرورى ان تفكر فى هذا الامر ،  
وان تتخذ بصدده قرارا .  
— لا اعرف ذلك بعد . والحق اننى كنت انتظرك  
لاسألك رأيتك . اى عذر يمكن احتج به لاحتفظ بها فى  
مترلى ؟

اليها برسائل أبدا ، منذ كتبت اليها أنبئها بمرض ناتاشا  
لقد قالت لى يومئذ : «ان العجوز سيزداد عنادا اذا رأى  
رسالة منك . سيحترق المسكين شوقا الى معرفة ما تشمل  
عليه الرسالة ، ولكنه لن يستطيع ان يسألنى فى ذلك ،  
لن يجرؤ على هذا . وسيظل مضطربا نهاره كله . أضف الى  
ذلك يا عزيزى انك بالرسالة لا تزيد على ان تثبرنى . هل  
تكفينى عشرة أسطر ؟ اننى اريد ان اطرح عليك اسئلة تتعلق  
بالتفاصيل فما أجدك امامى !» لذلك لم اكتب الا الى  
ناتاشا ، واودعت الرسالة صندوق البريد فى طريقي الى الصيدلية .  
نامت ايلينا اثناء ذلك ، وكانت فى نومها تنأوه نأوها  
رفيقا ، وترتعش من حين الى حين . لقد اصاب الطبيب  
فى تقديره ، فانها تعاني آلاما شديدة فى الرأس . وكانت  
فى بعض الاحيان تطلق صرخات صغيرة ، وتستيقظ من  
نومها وتنظر الى نظرة عداوة ، كأن عناية بها تؤلمها كثيرا .  
وينبغي ان اعترف ان ذلك كان يحز فى نفسى .  
وصل ماسلوبوف فى الساعة الحادية عشرة . كانت  
تبدو عليه امارات الهم والذهول ، ولقد دخل يقول انه لن  
يمكث الا دقيقة واحدة . كان يستعجل الخروج . قال وهو  
ينظر حوله :

— ايها الاخ ، ما كنت انتظر ان يكون منزلك واسع  
الثراء ، ولكننى ما كنت اتوقع ايضا ان اراك تسكن فى  
صندوق . ان مسكنك هذا صندوق وليس بيت . ولنسلم  
على كل حال بان هذا الامر ليس له من قيمة . . . ان الشئ  
الخطير هو ان هذه المشاغل الكثيرة الاضافية تصرفك عن



— الامر سهل . تستطيع ان تحتفظ بها ، كخادمة مثلا . . .

— اخفض صوتك ، ارجوك ، فهي على انها مريضة . تملك وعيها كاملا ، وقد لاحظت انها ارتعشت حين رأتك . وهي تتذكر اذن ما وقع البارحة .

وهنا حدثته عن طبع ايلينا ، وذكرت له كل ما لاحظته فيها ، فكان يهتم بكلامي . واضفت الى ذلك اننى قد اعهد بها الى بيت اعرفه ، وقلت له بضع كلمات عن صاحبي العجوزين ، فما كان اشد دهشتي حين علمت انه يعرف شيئا من قصة ناتاشا ، حتى اذ سألته : «ومن اين عرفت هذا» اجاب بقوله :

— عرضا . . . عرفته منذ مدة طويلة بمناسبة عمل من الاعمال . لقد ذكرت لك اننى اعرف الامير الكوفسكى . انها لفكرة حسنة ان ترسل الصبية الى العجوزين ، والا فان وجودها معك لا بد ان يزعجك . ثم هناك شيء آخر : لا بد للطفلة من اوراق . ولكن لا تحفل بهذا الامر ، فسأتولاه انا . الى اللقاء . تعال الي كثيرا . هل هي نائمة الآن ؟ — اظن .

ولكن ما ان خرج حتى نادتنى ايلينا ، وسألتنى : — من هذا ؟

كان صوتها يرتعش ، ولكنها كانت لا تزال ترشقنى بتلك النظرة العنيدة المتكبرة نفسها . لا استطيع ان استعمل الفاظا اخرى .

ذكرت لها اسم ماسلوبوف ، واضفت الى ذلك اننى

بفضله انما استطعت ان انتزعها من بونوفا ، لان بونوفا تخشى بأسه كثيرا . فاحمر خداهما فجأة ، ولا شك ان ذلك يرجع الى انها تذكرت الماضى . فسألتنى ايلينا وهي تنظر الي نظرة فاحصة :

— الآن لن تعود ابدا الى هنا ؟

فأسرعت اطمنئها ، فصمتت ، وتناولت يدي بأصابعها المحترقة ، ولكنها سرعان ما تركتها كأنها غيرت رأيها . قلت فى نفسى : يستحيل ان تشعر نحوى بمثل هذا النفور ولكن هذه هي طبيقتها فى السلوك . . . او ان . . . او ان المسكينة قد عانت فى حياتها من ألوان الشقاء ما افقدها ثقتها بأى انسان .

وفى الموعد المعين ذهبت الى الصيدلية لآتى بالدواء ، ودخلت فى الوقت نفسه الى مطعم كنت أتعشى فيه احيانا بالدين . وكنت قد حملت معي من البيت انا ، فطلبت من المطعم شيئا من مرق الدجاج . ولكنها رفضت ان تأكل شيئا ، وظل الحساء على المدفأة .

وبعد ان جرعتها دواءها ، اخذت أعمل . كنت اظن انها نائمة ، ولكننى حين نظرت اليها فجأة رأيت انها كانت قد انهضت رأسها وراحت تتابع حركاتي بانتباه ، فتظاهرت باننى لم الاحظها . وحين نامت آخر الامر نوما هادئا ، دون هذيان ودون تأوه ، على دهشتي من ذلك ، شعرت بارتباك كبير : ان ناتاشا التى تجهل سبب غيابى عنها ، يمكن ان تغضب منى اشد الغضب لتخلفى عن المجيء اليها فى هذا اليوم ، بل سوف تشعر حتما بطعنة فى كرامتها من اهمالى



لها في هذه اللحظة التي لعلها اخرج لحظة تحتاج فيها الي .  
وقد تعرض لها هموم جديدة ، وربما كانت تريد ان تعهد  
الي بعمل من الاعمال ، فاذا هي تتلفت حولها فلا تجدني ،  
كانني غبت عنها على عمد !

اما آنا آندريفنا فلم اكن اعرف ابدا كيف اعتذر لها  
في الغد . وفكرت في الامر طويلا ، ثم قررت فجأة ان  
اركض اليهما كليهما ، قائلا في نفسي : قد لا اغيب اكثر  
من ساعتين ، ابلينا نائمة ، ولن تشعر بخروجي . ونهضت  
فجأة ، فدمست معطفي ، وتناولت قبعتي ، حتى اذا هممت  
بالخروج ، سمعت صوتها يناديني فجأة . استغربت ذلك :  
أكانت تتظاهر اذن بأنها نائمة ؟

يجب ان اقول بهذه المناسبة ان ما كانت توجهه الي  
من نداء في كثير من الاحيان ، وما كانت تشعره من حاجة  
الي اطلاعي على حيرتها ، كان يدل على انها تريد ان تكلمني ،  
رغم ان هيتها تشير الي غير ذلك ، وكان هذا يسرني كثيرا .  
سألتي وانا اقترب منها :

— اين تريد ان تضعني ؟

لقد كانت في اكثر الاحيان تطرح اسئلتها على حين  
غرة ، بطريقة ليست في الحبان ، حتى انني في هذه  
المرة لم أفهمها على الفور .

واضافت تقول :

— قلت لصديقك منذ قليل انك تريد ان تضعني في  
بيت من البيوت . لا اريد ان اذهب الي اي مكان .  
انحيت عليها ، فلاحظت ان حرارة محرقة قد عادت

فانتابتها . فأخذت اطمنئتها ، ووعدتها بانني لن ارسلها الي  
احد اذا كانت تريد ان تبقى معي . قلت لها ذلك ، وخلعت  
معطفي وقبعتي ، لانني لم استطع ان اقرر تركها وهي في  
مثل هذه الحالة . فقالت وقد ادركت انني اريد البقاء :  
— بل اذهب . انني اريد ان انام ، وسأنام فورا .

فقلت مترددا :

— لكنك لا تستطيعين ان تبقى وحدك ! على انني  
ان ذهبت فأعود حتما بعد ساعتين . . .  
— اذن فاذهب . أئذا مرضت انا سنة كاملة ، بقيت  
انت في البيت سنة كاملة لا تخرج ؟

وحاولت ان تبسم ووشقنتي بنظرة غريبة ، كأنها تكافح  
عاطفة طيبة تتكلم في قلبها . مسكينة هذه الطفلة ! ان  
قلبا الرقيق الكريم يتكشف على حقيقته رغم ما تشعر به  
نحو الناس من كره ، ورغم ما يبدو عليها من مظاهر القسوة .  
اسرعت اولاً الي آنا آندريفنا . كانت تنتظرنني على احر  
من الجمر ، واستقبلتني باللوم والتفريع . كانت قلقة اشد  
القلق : لقد خرج نيقولاى سرجييتش بعد العشاء فورا ، ولا  
يعرف احد الي اين ذهب . ادركت ان العجوز لم تستطع  
ان تكتم الامر ، فقصت عليه كل شيء ، تلميحاً ، على  
عادتها . بل انها اعترفت لي بذلك تقريبا ، فقالت انها  
لم تحتمل ان لا تشركه في فرحة كبيرة كهذه الفرحة ، ولكن  
نيقولاى سرجييتش اصبح بعد سماع كلامها قائماً كغيوم  
العواصف ، على حد تعبيرها ، ولم ينبس بحرف واحد (لم  
يفتح شفتيه ولا اجاب على اسئلتني) ، وخرج من البيت



فجأة ، بعد الغداء . كانت أنا آندريفنا تقص علي ذلك وهي ترتعش خوفا ، وتوسلت اليّ ان انتظر معها نيقسولاي سرجييتش . فاعتذرت عن ذلك ، وقلت لها ، دون مراعاة ، انني قد لا اجيء اليها في الغد ايضا ، وانني ما جئت اليوم الا لأبلغها ذلك . فكدنا نتشاجر ، وانفجرت باكية ، ووجهت الي لوما حادا مرا ، فلما تجاوزت الباب للخروج ارتمت علي عنقي ، وشدتنى اليها بذراعيها ورجتنى ان لا اغضب منها هي «اليتيمة» ، وان لا يسوءني كلامها .

وذهبت الي ناتاشا فوجدتها وحدها ، علي خلاف ما كنت اتوقع ، والشئ الغريب انني لم الاحظ انها سرت بمقدمي كما سرت به امس ، وكما تسر به عامة في سائر الايام ، حتى لكأن مجيئي ازعجها . وسألتها هل جاءها أليوشا اليوم ، فأجابت بانه جاء ، ولم يمكث الا قليلا ، وازافت الي ذلك ، مترددة ، انه قد يمر بها في المساء .

— والبارحة ؟

— لا . . . لا . . . منعه بعض الظروف من المجيء .

قالت ذلك بسرعة ، ثم أضافت تسألني :

— وانت يا فانيا كيف تجري شئونك ؟

لاحظت انها تريد ان يقف حديثنا عند هذا الحد ، وان تنتقل الي موضوع آخر ، وانعمت النظر فيها ، فرأيت انها في حالة من اليأس . وحين لاحظت هي انني اتفرس فيها ، رشقتني بنظرة سريعة مفاجئة احست كأنها جمره تحرقني . قلت في نفسي : لا شك ان هناك مصيبة جديدة لا تريد ان تتحدث عنها .

واجبتها علي سؤالها ، فقصصت عليها حكاية ايلينا تفصيلا ، فاهتمت بالامر اهتماما شديدا ، وأخذت بالقصة اخذا قويا ، وهتفت تقول :

— وكيف استطعت ان تركها وهي مريضة ؟

فذكرت لها انني لم أكن انوي المجيء اليها ، ولكنني خشيت ان تغضب مني ، وقدرت انها قد تكون في حاجة اليّ . فقالت كأنها تخاطب نفسها وهي تفكر :

— في حاجة اليك ! حقا يا فانيا ، قد اكون في حاجة اليك ، ولكن الافضل ان نرجيء هذا الامر الي مرة اخرى . هل زرتهم ؟

قصصت عليها ما جرى . فقالت :

— نعم . لا ادري كيف يمكن ان يستقبل ابي هذه الانباء . . . ولكن علي كل حال ، ما قيمة هذا كله ! . . .

— كيف تقولين ما قيمة هذا كله ؟ كيف تستخفين هذا الاستخفاف بتبدل كبير كهذا التبدل !

— نعم . . . ولكن اين ذهب هذه المرة ؟ لقد ظننت في المرة الماضية انه جاء اليّ . اسمع يا فانيا ، تعال الي غدا ، ان استطعت . قد تكون هنالك امور يجب ان افضى بها اليك . ولكن يسوءني ان اقلق راحتك . والآن ينبغي لك ان تعود الي مريضتك . لقد تركتها منذ ساعتين .

— طيب . الي اللقاء يا ناتاشا . كيف كان سلوك أليوشا معك اليوم ؟

— أليوشا . . . لا جديد . . . انسي لاستغرب سؤالك .

— الي اللقاء يا صديقتي .



— وداعا .

قالت ذلك ومدت اليّ يدها في اهمال ، وادارت وجهها بعد نظرة الوداع فتركها دهشا بعض الدهشة . ولكنني قلت في نفسي : لا بد ان هناك امرا آخر تفكر فيه . ان المسألة خطيرة . وستقص عليّ غدا كل شيء من تلقاء نفسها . وعدت الى بيتي حزينا ، كان الجو معتما فما كان اشد تأثري حين اجتزت العتبة فرأيت ايلينا جالسة على الاريكة ، وقد انحنت برأسها على صدرها ، كأنها في حلم عميق . لم تنظر اليّ ، حتى لكانها غائبة عن وعيها . فاقتربت منها ، فسمعتها تدمم بكلام . قلت في نفسي : أهي تهذي ؟ وسألتها وانا اجلس الى جانبها واطوق جسمها بلداعي :

— ايلينا ، صغيرتي ، ما بك يا ايلينا ؟

— اريد ان اذهب ، افضل ان اذهب اليها .

قالت ذلك دون ان ترفع رأسها .

فسألتها دهشا :

— أين ؟ الى من ؟

— اليها ، الى بونوفا . تقول انني مدينة لها بمال كثير ، انها دفنت أمي على نفقتها . لا اريد ان تهين أمي . سأعمل عندها سدادا لدين أمي . وبعدئذ اذهب . اما الآن فأريد ان اعود اليها .

— هدني نفسك يا ايلينا . لا تستطيعين ان تذهبي

اليها . ستعذبك ، ستضيعك .

فقالت ايلينا في حرارة :

— فلتضيعني ، فلتعذبني . لست اول بنت تتعذب .

هناك بنات أخريات ، بنات افضل مني ، يتعذبن ايضا . قالت لي ذلك شحاذة في الشارع . انا فقيرة ، واريد ان اكون فقيرة . سأظل فقيرة طوال حياتي . هذا أمرتي به أمي وهي تموت . سأعمل . لا اريد ان ارتدي هذا الثوب . — غدا اشترى لك ثوبا آخر . وسأتيك بكتب . ستعيشين معي . لن اضعك عند احد ، اذا كنت لا تريدين ذلك . هدني نفسك .

— سأشتغل عاملة .

— طيب . طيب . هدني نفسك الآن . تمددي .

نامي .

ولكن الطفلة المسكينة اخذت تبكي ، وشيئا فشيئا صارت دموعها الى نجيب . واحترت ماذا افعل . وجث يماء ، فبللت به صدغيها وجبينها . وارتمت اخيرا على الاريكة ، خائرة القوى ، وعاودتها رعشات الحمى ، فغطيتها بما وجدته امامي ، ونامت ، ولكن نومها كان مضطربا مرتعشا ، فكانت تستبظ في كل لحظة . وكنت أنا اشعر بتعب شديد ، رغم انني لم أمش في ذلك اليوم كثيرا ، وقررت ان اسرع الى النوم . كانت تدوي في رأسي افكار قلقة أليمة . كنت أحس ان هذه البنية ستسبب لي متاعب كثيرة . ولكن ناتاشا هي التي كان يقلقني امرها خاصة . اني لأدرك اليوم انني قلما عانيت حالة نفسه مظلمة كذلك التي عانيتها قبل ان انام في تلك الليلة الشقية .



## الفصل التاسع

استيقظت من نومي متأخرا ، فى نحو العاشرة من الضحى ، فوجدتني مريضا . كان بسي دوار وصداع . ونظرت الى سرير ايلينا فوجدته فارغا . وفى الوقت نفسه سمعت من الغرفة اليمنى صوتا كأنه صوت تنظيف البلاط ، فخرجت ، فاذا ايلينا تكنس الارض ، وقد رفعت باحدى يديها ثوبها الابيق الذى لم تخلعه منذ الليلة البارحة ، ووجدت الحطب مكدسا فى احد اركان الغرفة ، ورأيت المائدة منظفة ، والغلاية ممسوحة . كانت ايلينا تقوم اذن باعمال المنزل .

هتفت بها قائلا :

— اسمعي يا ايلينا ، من قال لك ان تكنسي الارض ؟ لا اريد منك هذا . أنت مريضة . هل جئت اليّ خادمة ! فأجابت بقولها ، وهى تنهض وتنظر اليّ :

— من يكنس اذن ؟ لست الآن مريضة .

— ولكننى ما اخذتك لتعملى . لكأنك تخافين ان ألومك ، كما لامتك بوبنوبا ، على انك تعيشين فى بيتي عائلة عليّ ؟

قلت لها ذلك ثم أضفت وأنا انظر اليها دهشا :

— ومن اين أتيت بهذه الممكنة الفظيعة ؟ لم يكن عندي ممكنة !

— هى لى . . أنا اتيت بها الى هنا . كنت اكس الأرض لجدى . وقد بقيت الممكنة منذ ذلك الوقت هناك ، تحت المدفأة .

وعدت الى غرفتي مطرقا افكر : بدا لى ، وقد آكون على خطأ ، ان ضيافتي لها كانت تثقل عليها ، وانها تريد ان تبرهن لى ، بكل الوسائل ، على انها لا تقيم عندي مجانا . قلت لنفسى : اذا صح هذا فما أغرب هذا الطبع فى شدة تأذيه ! وما انقضى على ذلك دقيقتان او ثلاث دقائق حتى دخلت الغرفة ، وجلست صامتة فى المكان الذى جلست فيه بالامس ، على الاريكة ، وهى تنظر اليّ نظرة فاحصة . كنت اثناء ذلك قد سخنت الماء ، واضفت اليه الشاي ، فصبيت قلحا ، ومددته اليها مع قطعة من الخبز الابيض ، فتناولت الشاي والخبز صامتة دون ان تحتج . لقد انقضى يوم كامل لم تأكل خلاله شيئا البتة .

قلت لها وقد لاحظت أهدودا اسود فى اسفل تنورتها :

— وسخت ثوبك الجميل .

فبحثت عن الموضع الموضع الموضع ، ثم اذا بها ، فجأة ، على دهشة منى ، تدع قدحها جانبا ، وتمسك بكلتا يديها حافة تنورة المسلمين الجميلة ، فى بطء وهدوء ، وتشققها بحركة واحدة من اسفلها الى اعلاها . ثم ترفع اليّ ، دون ان تقول كلمة واحدة ، نظرتها العنيدة اللامعة . انها ممتعة اللون .

هتفت مقتنعا باننى امام مجنونة :

— ما تصنعين يا ايلينا ؟

فقلت وهى تكاد تخنق من شدة الانفعال :

— هذا ثوب حقير . لماذا قلت انه ثوب جميل ؟

وصرخت تقول فجأة وهى تنهض :



— لا احب ان ارتديه . اريد ان امزقه . انا لم اطلب اليها ان تجملني بهذا الثوب . لقد البستيه عنوة . مزقت قبله ثوبا آخر ، وسأمزق هذا أيضا ، سأمزقه ، سأمزقه ! وانقضت على الثوب الشقي في حنق ما بعده حنق ، فما هي الا طرفة عين حتى كان الثوب مزقا . فلما فرغت من ذلك ، كانت قد بلغت من شدة الشحوب انها لا تكاد تستطيع ان تستوى على قدميها . وتأملت هذه الضراوة كلها مشدوها اما هي فكانت تنظر اليّ نظرة الاستفزاز كأنني مذنب انا ايضا في حقها . ولكنني كنت اعرف في هذه المرة ما الذي بقي ان افعله .

قررت دون ابطاء ، ان اشترى لها ثوبا جديدا في هذا الصباح نفسه . ان على المرء ان يعامل هذا المخلوق المتوحش التزق برفق . كان سلوكها كأنها لم تلق في حياتها اناسا ذوي شهامة . اذا كانت قد مزقت ثوبها الاول اربا اربا رغم العقوبة القاسية ، فلا شك انها تنظر في كثير من الحنق الى هذا الثوب الثاني الذي يذكرها بلحظة قريبة العهد فظيعة !

كان في وسع المرء ان يجد لدى بائع الرثا في السوق ثوبا بسيطا جميلا ، بسعر زهيد . وانما المصيبة اني كنت في تلك اللحظة لا أكاد املك شروى نقير . ولكنني كنت قد قررت في الليلة البارحة ، قبل ان انام ، ان امضى اليوم الى مكان آمل ان احصل منه على مال وكان هذا المكان في جهة هذه السوق فتناولت قبعتي ، وكانت ايلينا تلاحظني في كثير من الانتباه ، كأنها تنتظر شيئا ، فلما اخذت المفتاح

لاغلق باب المنزل ورائي ، كما فعلت امس واول امس ، سألتني :

— هل تجبني أيضا ؟  
فقلت لها وانا اعود اليها :  
— لا تغضبى يا بنتى . فانما اغلق الباب خشية ان

يدخل عليك احد . وانت الآن مريضة ، فقد تخافين . ولا يدري الا الله من عسى يحىء . . . قد ترتئى بوبنوقا ان . . . قلت لها ذلك عامدا ، وانما كنت احبها لانني اشك فيها ، ولاننى اقدر ان فكرة الهروب قد تراودها على حين غرة . فقررت ان أحتاط . لزمتم ايلينا الصمت . وجبستها هذه المرة ايضا .

كنت اعرف ناشرا شرع منذ اكثر من سنتين في نشر مؤلف يضم عددا كبيرا من المجلدات ، وقد سبق ان وجدت لديه عملا مرات كثيرة ، وذلك حين اكون في حاجة الى كسب سريع ، وكان دقيقا في معاملته لا يتأخر عن الدفع ، فذهبت اليه ، فاسلفني خمسة وعشرين روبلا عن مقال وعدته بتقديمه في بحر الاسبوع . وكنت آمل ان اختلس بعض الوقت من وقت روايتي ذلك ما كنت افعله كثيرا حين تلح عليّ الحاجة .

فما ان حصلت على المال حتى ذهبت الى سوق الرثا ، فوجدت هنالك بائعة عجوزا اعرفها ، تباع جميع انواع الثياب المستعملة ، فوصفت لها قامة ايلينا ، فما هي الا لحظة حتى اخرجت لي ثوبا قطنيا صغيرا ذا ألوان زاهرة ، متينا ، لم يغسل الا مرة واحدة ، وكان سعره زهيدا



جدا . فاشتريته واشتريت ايضا مندبلا للعتق . وقد تذكرت  
وانا ادفع الثمن ان ايلينا فى حاجة الى فروة او معطف او  
ما يشبه ذلك ، فالجو بارد وليس لها ما يقبها البرد . ولكنى  
أرجأت شراء مثل هذا الى مرة اخرى ، فان ايلينا سريعة  
التأذي شديدة الكبرياء . وليس يعلم الا الله كيف تستقبل  
هذا الثوب ، رغم انى تعمدت ان يكون بسيطا غاية البساطة  
محتشما كل الاحتشام فهو ثوب عادى من اكثر الاثواب رواجاً ،  
واشتريت لها عدا ذلك زوجين من جوارب القطن وزوجا آخر  
من جوارب الصوف ، وقلت انى استطيع ان اقدمها لها  
متذرعاً بأنها مريضة وبأن جو الغرفة بارد شديد البرودة . وكانت  
فى حاجة أيضا الى ملابس داخلية . ولكنى أرجأت شراء  
ذلك الى وقت يزداد فيه تعارفنا . واشتريت فى مقابل هذا  
أغطية قديمة للسرير ، وهى اشياء لا بد منها ، وقد سر  
ايلينا كثيرا .

وعدت الى البيت حاملا اشياى ، فى الساعة الواحدة  
بعد الظهر . وكان قفل البيت يفتح بلا جلبة ، فلم تشعر  
ايلينا بدخولي فورا . فرأيتها واقفة على مقربة من منضدتي  
تقلب كتبى واواقى . فلما سمعنى أسرع فطوت الكتاب  
الذى كانت تقرؤه ، وابتعدت عن المنضدة وقد احمر وجهها .  
فألقيت نظرة سريعة على الكتاب ، انه احدى النسخ الخاصة  
من روايتى الاولى ، عليها اسمى بخط عريض تحت عنوان  
الكتاب .

قالت لى ايلينا كأنها تغىظنى : لماذا اقلت على  
الباب :

— طرق احدهم اثناء غيابك .  
— لعله الطيب . ألم تكلميه يا ايلينا ؟  
— لا .  
ولم أجب ، بل فضضت الرزمة ، وسللت منها الثوب  
الذى اشتريته ، وقلت لها وانا اقترب منها :  
— اسمعى يا صغيرتي ايلينا . لا يمكن ان تستمرى  
على ارتداء اسمال ممزقة ، لذلك اشتريت لك ثوبا مما  
يلبس كل يوم ، ثوبا ، زهيدا الثمن ، فلا تقلقى . انه  
لم يكلفنى الا روبلا واحدا وعشرين كوييكا . البسه ، ارجوك .  
ووضعت الثوب الى جانبها . فاحمر وجهها احمرارا  
شديدا ، وجعلت تحلق فى تحديقاً قويا .

كانت فى دهشة كبيرة ، وبدا لى فى الوقت نفسه  
حجلى . الا ان شيئا رقيقا ناعما قد اشرق فى نظرتها . فلما  
رأيت انها صامتة لا تجيب ، عدت الى قرب المائدة .  
كان واضحا ان عملى قد فجاها . ولكنها جهدت ان تسيطر  
على نفسها ، وخفضت عينها .  
كان بسى دوار وصداع ما ينفكان فى ازدياد ، فان  
الهواء الطلق لم يخفف منهما شيئا . وكان على رغم ذلك  
ان اذهب الى ناتاشا . فان قلقت عليها لم يقل عن البارحة  
بل ازداد . وأحسست فجأة ان ايلينا تنادىنى ، فالتفت نحوها ،  
فقالت لى وهى تنظر الى جانب ، وتلفف طرف الاريكة  
كأنها مستغرقة فى هذا العمل :

— اذا ذهبت فلا تغلق على الباب . لن اهرب .  
— طيب يا ايلينا . انا أقبل . ولكن ما عسالك فاعلة



إذا جاء احد ؟ لا يعلم الا الله ما قد يقع !  
— اذن فاترك لى المفتاح أغلق الباب من الداخل ،  
فاذا طرق طارق قلت له انك لست فى البيت .  
قالت ذلك ورشقتنى بنظرة متخابثة كأنها لتقول : « هذا  
ما يفعل ببساطة ! » . ثم سألتنى فجأة قبل أن أستطيع  
إجابتها :

— من يغسل لك ملابسك ؟

— امرأة ، هنا ، فى البيت .

— أنا اعرف أن اغسل . وأين أكلت امس ؟

— فى المطعم .

— انا اعرف ايضا ان اطبخ . سأهـء لك طعامك .

— ماذا تعرفين أن تهينى يا ايلينا ؟ ما اظنك جادة

فيما تقولين .

فسكنت وغضت طرفها كان واضحا أن ملاحظتى قد

آذتها . وانقضى على ذلك عشر دقائق فى اقل تقدير ، لم

يتبس احد منا خلالها بكلمة . وفجأة ، قالت دون ان

ترفع رأسها :

— استطيع ان أهـء لك حساء .

فسألته دهشا :

— حساء ؟ أى حساء ؟

— اعرف كيف تهـء الحساء . كنت اصنع منها لأمى

حين كانت مريضة . وكنت اذهب الى السوق ايضا .

فقلت لها وانا اقترب منها واجلس الى جانبها على

الاركة :

— اسمعى يا ايلينا . ما هذه الكبرياء ! انتى أعمل  
ما يملبه على قلبى . فأنت ابنة وحيدة ، ليس لك اهل ،  
انت صبية شقية ، وانا أريد ان أساعدك ، وسنساعدتتى  
انت ايضا حين احتاج الى ذلك . ولكنك لا تريدن ان  
تفكرى فى الامر على هذا النحو ، فيعز عليك ان تقبلى  
منى ابنة هدية ، وتريدن ان تردى لى الجميل فورا ، تريدن  
ان ندفعى ثمن معونتى عملا تقومين به ، كأنك تحسبن  
اننى بوبنوا ، وكأننى لمتك على شىء . عيب يا ايلينا ان  
تفكرى هذا التفكير .

فلم تجب ايلينا ، وكانت شفتاها ترتعشان . كان يبدو

انها تريد ان تقول شيئا ، ولكنها حبت لسانها وصمتت .

ونهضت لاذهب الى ناتاشا . وتركت لها المفتاح هذه المرة ،

ورجوتها ان ترد على من قد يطرق الباب ، وان تسأله عن

اسمه . كنت على يقين من ان امرا خطيرا قد وقع لناتاشا ،

وانها تخفى عني هذا الامر ، كما اتفق ان فعلت ذلك

غير مرة . وقد قررت على كل حال ان لا ادخل عليها

الا دقيقة واحدة حتى لا ازعجها بزيارة فى غير

اوانها .

وهذا ما تم . فاستقبلتني ناتاشا بنظرة قاسية ساخطة .

وكان ينبغي ان ارحل فورا ، لكن ساقى ضعفتا عن ذلك .

بدأت قائلا :

— انما جئت اليك للحظة يا ناتاشا ، اريد ان اسألك

النصح : ما عساي فاعلا بهذه البنية ؟

وقصصت عليها كل ما يتصل بايلينا قصا سريعا .



فاصغت الى كلامي حتى النهاية دون ان تقول شيئا ، فلما انتهيت قالت :

— لا ادري بم انصحك . ان كل شيء يدل على ان هذه الصبية مخلوقة غريبة . لعلها تحملت كثيرا من الازى ، فأصبحت شديدة الوجل . دعها تسترد عافيتها . هل تنوى ان ترسلها الى بيتنا ؟

— تقول انها لا تريد ان تترك منزلي . ثم انني لا اعرف كيف يمكن ان يستقبلوها هناك . لذلك تريتني حائرا لا ادري ماذا افعل .

قلت هذا ثم سألتها خجلا :

— ولكن انت ، انت كيف حالك ؟ كان يبدو عليك الالم بالامس !

فأجابت ذاهلة :

— نعم ، والى اليوم ما يزال بسى صداع . هل رأيت احدا من اهلي ؟

— لا . . . ولكنني سأذهب اليهم غدا . . . غدا هو يوم السبت . . .

— ماذا يعني هذا ؟

— الامير سيأتي مساء غد . . .

— نعم ، ما نسيت ذلك .

— صحيح ، ولكنني قلت هذا هكذا .

وتوقفت امامي تماما ، وحدثت في طويلا . كان يلوح في عينيها تصميم عنيد . كان ثمة مـ يحرقها .

— سأقول لك شيئا يا فانيا : ارجوك ان تدعني ،

فانك ترعجنى كثيرا . . . نهضت من مكاني ، ونظرت اليها بدهشة يعجز اللسان عن وصفها . ثم صرخت مدعورا :

— ناناشا ، ما بك يا عزيزتي . ما الذى حدث ؟ لم يحدث شيء ، ستعرف غدا كل شيء ، كل شيء . اما الآن فأريد ان أكون وحدي . اسمع يا فانيا .

اذهب حالا . تؤلمنى رؤيتك الآن ، تؤلمنى جدا !

— ولكن قولني لي ، على الاقل . . .

— غدا تعرف كل شيء . أوه ، لماذا لا تذهب ؟

وتخرجت . كنت مصعوقا حتى لكأنني فقدت الوعي . ووثيت على ماقرأ عند المدخل ، تسألني :

— أهي غاضبة ؟ اننى لا أجرؤ على الاقتراب منها .

— ماذا بها ؟

— الذى بها ان صاحبنا لم يأت الى هنا منذ يومين .

فألتها دهشا :

— كيف ؟ لقد ذكرت انه جاء اليها امس صباحا وانه ينوى ان يعود فى المساء .

— غير صحيح . لم يأت صباح امس . انه غاب منذ اول امس . هل قالت لك انه جاء صباح امس ؟

— نعم .

— معنى ذلك ان الامر يقلقها ، مادامت ترفض حتى ان تعترف لك بأنه لم يجرى . ياله من رجل ذي مروءة حقا !

هتفت اقول :



«يظهر يا ألبوشا انك قد فقدت صوابك . في مساء يوم الثلاثاء ، حين تقدم ابوك نفسه الى ناتاشا يسألها ان تشرفك بقبولك زوجها لها ، كنت انت سعيدا جدا بهذا الطلب ، لقد شهدت ذلك بنفسى فلا بد ان تعترف اذن بأن سلوكك الآن غريب بعض الغرابة . هل تدرك ما تصنعه بناتاشا ؟ مهما يكن من أمر ، فان كلمتي هذه ستذكرك بأن تصرفك مع زوجتك المقبلة تصرف شائن لا يليق بك ، تصرف طائش الى ابعد حدود الطيش . انا اعلم ان ليس لى عليك حق النصح ، ولكن هذا لا يعنيني البتة .»

«حاشية : انها لا تعرف شيئا عن هذه الرسالة ، بل انها لم تحدثني عنك بكلمة واحدة» .  
وغلفت الرسالة وتركتها على المنضدة . وحين سألت الخادم عن ألبوشا اجابني بأن الكسى بترفنش لا يكاد يجيء الى البيت ، وانه لن يعود الا في نحو الصباح .

وقلت راجعا الى بيتي اجرّ قدمي جرا من شدة الاعياء . كان رأسي يدور ، وكانت ساقايّ تصطكان . فلما وصلت ، وجدت الباب مفتوحا ، ووجدت نيقولاى سرجيتش اخمينيف في انتظاري . كان جالسا على مقربة من المنضدة ، ينظر الى ابلينا دهشا دون ان ينبس بكلمة واحدة ، وكانت تنظر اليه هي ايضا بدهشة لا تقل عن دهشته ، صامتة مصرة على الصمت . فقلت في نفسي : «لا بد انها تبدو له غريبة شاذة» .

قال حين رأني :

— انا هنا منذ ساعة .

— ولكن ما معنى هذا ؟

فأجابت مافرا وهي تباعد ما بين ذراعيها :

— معناه انني لا اعرف ماذا اصنع بها . لقد امرتني امس ان اذهب اليه ثم استوقفتني ، ثم امرتني ، ثم استوقفتني . وها هي ذي اليوم تأبى حتى ان تكلمني . ينبغي لك ان تمضي اليه . اما أنا فلا اجرؤ ان ادعها وحدها .

فأسرعت اهبط السلم . وصرخت مافرا سائلة :

— هل تأتي في هذا المساء ؟

فأجبتها دون ان اتوقف :

— سنعرف فيما بعد . وقد آتني لاسألك عما تم في الامر ، اذا بقيت على قيد الحياة .  
لقد احسست حقا ان طعنة قد نفذت في قلبي .

## الفصل العاشر

ذهبت رأسا الى ألبوشا ، وكان يسكن عند أبيه في مالايا مورسكايا . كان للأب شقة كبيرة لحد ما ، رغم انه يعيش وحده ، وكان ألبوشا يحتل في هذه الشقة حجرتين كبيرتين جميلتين . لم يسبق لى ان ذهبت اليه الا مرة واحدة ، فيما اظن ، قبل ذلك اليوم . أما هو فكان يأتي اليّ من حين الى حين وكان يكثر من زيارتي في اول الامر خاصة ، اى في الاوقات الاولى من صلته بناتاشا .  
لم اجد ألبوشا في البيت ، فمضيت الى غرفته رأسا وكتبت له هذه الكلمة :



ثم اضاف يقول ، وهو يلف الغرفة بنظرة سريعة ،  
ويغمز بعينه غمزة خفيفة لا تدرك ، متوجها نحو ايلينا :  
— واعترف اننى لم اكن اتوقع ان اجدك هكذا .  
كانت عيناه تعبران عن الدهشة ، ولكنني حين امعت  
النظر فيه لاحظت انه حزين قلق . لقد كان وجهه اشد شحوبا  
مما عهدته فيه من شحوب .

واستأنف يقول بلهجة قلقة ممزقة :

— اجلس ، اجلس . لقد اسرعت اليك ، لان ثمة  
امرا خطيرا يجب ان ابوح به لك . ولكن ما بك ؟ ليس  
وجهك وجه انسان .

— صحتي سيئة . رأسي يدور منذ الصباح .

— يجب ان تحترس . يجب ان لا تهمل هذا الامر .  
لعل بردا اصابك ؟

— لا . . . هي نوبة عصبية . يقع لي ذلك من حين  
الى حين . وانت كيف حالك ؟

— بخير . حالة قلق هذا كل ما فى الامر . لقد  
وقع شيء ، اجلس .

فقربت كرسيها وجلست الى المنضدة امامه . فقال  
العجوز نحوي ، وأخذ يقول بصوت خفيض :

— اتبه ، لا تنظر اليها ، ولتظاهر بأننا نتحدث  
فى أمر آخر . من هذه الصبية ؟

— سأبسط لك امرها فيما بعد يا نيقولاى سرجيتش .  
انها بنية فقيرة ، يتيمة الابوين . هي حفيدة سميت الذى

كان يسكن هنا ، ومات فى المقهى .

— ها . . . كانت له اذن حفيدة ! يا لها من فتاة  
غريبة . انها تنظر نظرة عجيبة ! أصارحك بأنك لو تأخرت  
خمس دقائق لما بقيت . لم تسمح لى بالدخول الا فى  
كثير من العناء ، ثم لم تفتح فاها . انها مخيفة . لكنها  
ليست بانسان . . . وما الذى جاء بها اليك ؟ ها . . . نعم . .  
فهت ، لا شك انها جاءت لترى جدها وهي لا تعرف  
انه مات .

— نعم . لقد كانت شقية جدا . وقد تحدثت عنها  
العجوز وهو يُحتضر .

— هم . . . ما اشبه الحفيدة بالجد . ستحدثني عن  
هذا كله فيما بعد ، ولعلنا نستطيع ان نساعدنا اذا كانت

شقية ذلك الشقاء كله . . . والآن ألا يمكننا ان نطلب اليها  
الانصراف ؟ اننى اريد ان أكلمك فى أمر هام .

— ولكنها لا تستطيع أن تذهب الى أى مكان .  
انها تسكن هنا .

وشرحت للعجوز ما استطعت ان اشرحه بكلمتين ،  
واضفت الى ذلك أننا نستطيع ان نتحدث امامها ، لانها  
طفلة .

— نعم ، طبعا ، طفلة . ولكننى لم افهم الى الآن  
يا عزيزي . هي تسكن معك ؟ يا الهى ، يا رب ! . . .

ونظر اليها العجوز مرة اخرى دهشا .  
لقد احست ايلينا ان الحديث يدور عليها ، فظلت

جالسة لا تنطق بكلمة ، وقد خفضت رأسها وراحت تنسل  
حاشية الاريكة . كانت قد ارتدت ثوبها الجديد الذى ناسبها



كثيرا ، وعانيت بتصفيف شعرها بعض العناية ، ولعلها فعلت هذا احتفالا بثوبها الجديد ، وتكريما له . فلولا ما فسى نظرتها من غرابة وحشية لكانت على الجملة فتاة حلوة .

واستأنف العجوز يقول :

— سأوجز الامر ، يا عزيزي ، وسأحاول الدقة والوضوح .  
اليك المسألة : انها قصة طويلة ، وقضية خطيرة . . . .  
كان العجوز غاضبا طرفه ، وكان يرين على وجهه الجذ والقلق ، وورغم استعجاله ، وورغم «ابجازه» ، و«دقته» و«وضوحه» ، كان لا يعرف من اين يبدأ . قلت لنفسي :  
«ما عساي سامعا الليلة . . ؟»

— انظر يا فانيا ، لقد جئت اطلب اليك امرا خطيرا .  
ولكن قبل ذلك . . . اظن ان عليّ ان اشرح لك بعض الملابس . . . الدقيقة جدا .

ثم سعل والقي عليّ نظرة مختلطة ، ثم احمرّ وجهه ، ثم غضب من نفسه وحقق على ما يعوزها من حضور البديهة ، غضب وحزم امره :

— ولكن ماذا اشرح لك ! ستفهم الامر من تلقاء نفسك . المسألة كلها هي انني سأطلب الامير للمبارزة ، واريد منك ان تهيم الامر وان تكون شاهدي .

فما سمعت هذا الكلام حتى انقلبت على ظهر الكرسي ، ونظرت اليه وقد اخذ مني الانشاده كل مأخذ .

— لماذا تنظر اليّ هكذا ؟ انا لست مجنوننا .  
— ولكن اسمح لي يا نيقولاي سرجينتش . بأية حجة تطلبه للمبارزة ؟ ولاي غرض ؟ ثم هل يمكن . . .

فصرخ العجوز يقول :

— اي حجة ؟ اي غرض ؟ شيء عظيم ! . . .

— نعم ، نعم انا اعرف ما ستقول ، ولكن فيم

يفيدنا هذا القرار ؟ وما الذي نخرج به من هذه المبارزة ؟  
انا لا افهم ، اعترف لك بذلك .

— لقد قدرت انك لن تفهم شيئا . اسمع . ان قضيتنا

قد انتهت (اي انها ستنتهي في ايام قليلة ، فلم يبق الا الاجراءات الشكلية) . ولقد خسرت القضية . . . يجب ان

ادفع عشرة آلاف روبل تقريبا . هذا ما قرره المحكمة .  
واخمينيفكا هي الضمان . ومعنى ذلك ان هذا الرجل الشرير

واثق من انه سيقبض المبلغ . وانا اذ اتنازل له عن اخمينيفكا ،  
اسدد ديني واصبح غريبا عنه ، فاستطيع ان ارفع رأسي ،

وان اقول له : «ايها الامير المحترم ، لقد ظللت تهينني  
ستين كاملتين ، لوئت اسمي ، ولطخت شرف اسرتي ،

وكان لا بد لي من احتمال ذلك كله ! كنت لا استطيع  
ان ادعوك الى النزال . لانني لو فعلت لاجبتي بقولك دون

ان تنزعج : «يا لك من رجل محتال ، تريد ان تقتلني  
حتى تتخلص من دفع المال الذي سيحكم عليك ، آجلا او

عاجلا ، بأن تدفعه لي . لا ، لا . فلننظر اولا ما ستؤول  
اليه القضية ، ثم تدعوني الى المبارزة .» ، اما الآن ، ايها

الامير النبيل ، فقد فصلت المحكمة في القضية ، وربحت  
انت الدعوى ، ولم يبق ثمة ما يحول دون نزالنا ، فهيا

الحق بسى الى السهل . هذه هي المسألة . أليس من حقي  
في رأيك ان اثار لنفسي من كل شيء ، من كل شيء ؟



كانت عيناه تلتصقان ، ونظرت اليه طويلا في صمت .  
تمنيت ان اصل الى اخفى ما في ضميره ، وقررت اخيرا  
ان انطق بالكلمة الاساسية التي ما كان لنا ان نتفاهم بدونها .  
فقلت له :

— اسمع يا نبقولاى سرجييتش ، هل تستطيع ان  
تصدقنى كل الصدق ؟  
فأجاب جازما :

— نعم .  
— قل لى صراحة : هل عاطفة الثأر هي التي تحملك  
وحدها الى طلب المباراة ، ام ان لك اهدافا اخرى ؟  
— اسمع يا فانيا ، انت تعلم ان هناك امورا لا اسمح  
لأحد بأن يمسه في الحديث . ولكنني سأشدد هذه المرة  
عن القاعدة ، لانك بما لك من بصيرة نافذة قد ادركت  
فورا ان من المستحيل تحاشي هذا الموضوع . نعم ، لي  
هدف آخر ، هو ان انقذ ابنتى التي تسير الى الضياع ،  
وان احوّلها عن هذا الطريق المشؤم الذى القتها اليه الاحداث  
الاخيرة .

— ولكن كيف تنقذها هذه المباراة ؟ ذلك هو السؤال .  
— بافساد ما يدبر هناك . اسمع . لا تظن ان العاطفة  
الابوية او ضروبا من هذا الضعف هي التي تتحدث فيّ الآن .  
هذه كلها حماقات ! انا لا أظهر احدا على قرارة قلبى .  
وانت نفسك لا تعرف هذا . ان ابنتى قد هجرتني ، وتركت  
بيتى الى عشيقها ، فانتزعتها من قلبى الى الابد ، في  
ذلك المساء ، هل تتذكر ؟ واذا كنت قد رأيتني اجهد

في البكاء منكبا على صورتها ، فليس معنى ذلك انني اريد  
ان اغفر لها . حتى في تلك اللحظة ، لم اكن اغفو عنها .  
وانما كنت ابكي سعادتي الزاهية ، وغرور احلامي ، لم  
اكن ابكيها هي ، كما هي الآن . وكثيرا ما ابكي في هذه  
الايام . لست استحي من الاعتراف بأنني احببت ابنتى  
اكثر من اى شيء في هذا العالم . وقد يناقض كل هذا ،  
كما يبدو ، قرارى الحالي وقد تقول لى : اذا كان الامر  
كذلك ، اذا كان لا يعينك مصير هذه الفتاة التي اصبحت  
لا تعتمها ابنتك ، فلماذا تحشر نفسك فيما يدبر هنالك .  
وجوابى ان ذلك يرجع اولا الى اننى لا احب ان يغلبنى  
هذا الرجل الحقير المحتمل ، ويرجع ثانيا الى عاطفة انسانية  
عادية . فالبنت لا اعدّها بنتى ، ولكن ذلك لا ينفى انها  
فتاة مخدوعة ، ضعيفة ، عزلاء ، فتاة ما زالوا يغرون بها ،  
ويزيدون في التغرير بها ، حتى يضيعوها تماما . وانا لا استطيع  
ان اتدخل في هذا الامر تدخلا مباشرا ، ولكننى استطيع  
ان اتدخل فيه تدخلا غير مباشر وذلك بان اطلب الامير  
الى التزال . فاذا قتلنى ، او سفح دمي ، فلن تسير على  
جثتى وتتزوج ابن قاتل ايها ، كابتة ذلك القصير (تتذكر  
ذلك الكتاب الذى كان عندنا ، والذي تعلمت فيه القراءة)  
التي سارت بعربتها على جثة ايها . واذا قتلته فان اميرنا  
نفسه سيعدل عن هذا الزواج . وزبدة الامر اننى لا اريد  
ان يتم هذا الزواج ، وسأبذل كل ما استطيع بذله من جهود  
لأحول دونه . هل تفهمنى الآن ؟

— لا ، لا افهمك . اذا كنت تريد سعادة ناتاشا



فكيف تقرر ان تحول دون هذا الزواج ، وهو الشيء الوحيد الذى يمكن ان يرد اليها اعتبارها ؟ ان امامها حياة طويلة ، وهى فى حاجة الى سمعتها بين الناس .

— رأي الناس ! هذا ما ينبغى ان تفكر فيه !  
يجب ان تشعر ان اكبر فضيحة تصيبها هى هذا الزواج ، هى هذا الارتباط بأناس ادنياء اراذل . ان اتبل جواب ترد به على الناس هى أن تحافظ على كبريائها النبيلة . وقد اقبل يومئذ ان امد اليها يدى ، وسرى من يجرؤ حينذاك على ان يلوث شرفي .

لقد ادهشتنى هذه المثالية البائسة . ولكنني ادركت ان الرجل قد خرج عن طوره ، وان اندفاع الغضب هى التى تملي عليه هذا الكلام . فقلت له :

— هذا افراط فى المثالية ، وافراط فى القسوة .  
انك تطلب منها قوة لعلك لم تهبها لها حين وهبت لها الحياة . هل تظن انها تقبل هذا الزواج لانها تريد ان تصبح اميرة ؟ انها تحب ، وانت تعلم ذلك : انه الهوى ، انه القدر . ثم انك تريد منها ان تحتقر رأي الناس ، مع انك اول من يخضع له . لقد اهانك الامير ، واتهمك على رؤوس الاشهاد بانك تريد بالحيلة ولاسباب دنيئة ان ترتبط بيته ، وها أنت ذا ترى الآن انها اذا رفضت الزواج من تلقاء نفسها بعد ان تقدموا بطلب يدها ، كانت تنفى التهمة القديمة نفيًا واضحًا كاملاً . هذا ما تريد ان تحصل انت عليه ، انت تخضع لرأى الامير نفسه ، وتتأدى به الى الاعتراف . انك تحترق رغبةً فى الهزم به ، والانتقام منه ،

ومن اجل ذلك تضحي بسعادة ابنتك . أليس هذا من الانانية ؟

كان العجوز جالسًا ، قائم الوجه ، مقطب الحاجبين ، وظل مدة طويلة لا يجيب . وقال اخيرا ، والدمع يلتمع فى عينيه :

— انت تظلمني يا فانبا ، اقم انك لتظلمني .  
ولكن دعنا من هذا .  
قال ذلك ونهض واقفا وتناول قبعته ، وأردف يقول :  
— لا استطيع ان اقلب قلبى امامك . وحسبى ان اقول لك ما يلى : لقد تحدثت منذ لحظة عن سعادة ابنتي . فاعلم اذن انني لا أؤمن اطلاقًا بان ابنتي سعيدة ، وانا واثق كل ثقة بان هذا الزواج لن يتحقق ابداً ، حتى ولو لم اتدخل .  
فهتفت اقول دهشا :

— كيف ؟ لماذا تظن هذا ؟ هل تعرف شيئًا ما ؟  
— لا ، لا اعرف شيئًا خاصًا . ولكن ذلك الثعلب الخيث لا يمكن ان يقدم على هذا الامر . ان ذلك كله مكر . انه فخ . انا مقتنع بذلك ، وسأذكرك بهذا الكلام ، وسرى صدق ما اقول . ثم ان هذا الحقيير اذا ارتضى لابنه حقا ان يتزوجها ، فانما يكون ذلك على اساس خطة يبيتها وحساب بخفيه ، فما يعرفه احد ، فيكون هذا الزواج مفيدا له وفق هذا الحساب الذى اجهله كل الجاهل . فاسأل نفسك واحتمك الى قلبك : هل يمكن ان تكون ابنتي سعيدة بمثل هذا الزواج ؟ ستكون حياتها مع هذا الصبى الذى لا تعرف



منذ الآن قيمة ما يشعر به من حب ، سلسلة من المتاعب  
والمذلة . لسوف يحتقرها متى تزوجها ، لسوف يصب عليها  
الوان الازدى والهوان . لسوف يشدد حبها له وتعلقها به كلما  
زادت عاطفته فتورا ، وعندئذ تأتي الغيرة ويأتي العذاب ،  
والجحيم ، ثم تأتي القطيعة ، وربما الجريمة . . . لا ، لا ،  
يا فانيا ، اذا كان هذا ما تهيئونه وانت تساعد في كل هذا ،  
فأنبهك الى ان الله سيسألك عما جنت يداك ، وستندم بعد  
فوات الاوان ! وداعا .  
فأمسكت به ، ومنعته من الخروج :

— اسمع يا نيقولاى سرجييتش . يجب ان ننتظر . وثق  
اننى لا اتابع هذه القضية وحدي . وقد تنحل من تلقاء  
ذاتها على خير وجه ، دون عنف ولا تصنع ، كهذا النزال  
الذى تحدثت عنه . دع الوقت يحل الامر كما لا يحله اى  
انسان واسمح لي بعد ذلك ان اقول لك ان ما تفكر فيه  
لا يمكن تحقيقه . هل تظن ان الامير سيقبل منازلتك ؟  
— ولم لا ؟ ماذا دهاك ؟ هل فقدت صوابك ؟  
— اؤكد لك انه لن يقبل . وثق انه سيجد المهرب  
السليم ، وانه سيدبر الامر كله برصانة واستعلاء ، وانه سيجعلك  
عندئذ موضع الهزة والسخرية .

— ارجوك يا عزيزى ارجوك . ان هذا الكلام ليقطع  
الايدي والأرجل . ولكن كيف يمكن ان لا يقبل النزال .  
لا ، لا يا فانيا ، انت شاعر ، هذا كل ما فى الامر ،  
انت شاعر حقا . اذن ففى رأيك انه سيجد فى منازلتي غضاضة ؟  
ولكننى كفء له . اننى عجوز . اننى اب أهين . وانت

كتاب روسى ، اى شخصية محترمة ، ويمكن ان تكون  
شاهدى . . . و . . . و . . . لست افهم . . . ماذا يجب أكثر  
من هذا . . .  
— سترى . سيعرض من الحجج ما يجعلك اسرع  
منه الى رفض النزال .  
— هم . . . طيب يا عزيزي . ليكن الامر كما تشاء .  
سأنتظر ، ولكن الى حين ، طبعاً . لننظر ما يفعل الوقت .  
ولكن اسمع يا صديقي ، عدني وعد الحر أنك لن تقول  
شيئا عما جرى بيننا من حديث اليوم ، لا هناك ، ولا لآنا  
أندريفنا .

— لك ما تريد .  
— ثم يا فانيا ، ارجوك ان لا تحدثنى فى الامر بعد  
الآن .  
— أعدك بذلك .

— وثمة رجاء اخير : انا اعرف يا صديقي ان مجيئك  
الينا بضابقتك ، ولكننى ارجوك مع ذلك ان تكثر زيارتك  
اذا استطعت . ان المسكينة آنا أندريفنا تحبك كثيرا وتضيق  
اشد الضيق حين لا تأتي اليها . . . هل تفهمني يا فانيا ؟  
قال ذلك وشد على يدي شدا قويا ، فوعده مخلصا  
وعدي .

— والآن ، يا فانيا ، لي سؤال اخير . هل معك مال ؟  
— مال ؟  
كررت هذه الكلمة دهشا . فاحمر وجه العجوز وغض  
طرفه ، وقال :



خمس روبلات للصغيرة . لا تقل لها انها منى . ولكن أنفقها  
عليها وحدها ، اشتر لها حذاء وملابس داخلية . . . لا شك  
ان اشياء كثيرة تعوزها . وداعا يا صديقي .  
شبعته حتى باب العمارة . وكان لا بد ان ارسل البواب  
في شراء شيء من الطعام ، فان ايلينا لم تتناول عشاءها .

### الفصل الحادى عشر

ما ان عدت الى غرفتي حتى اصابني دوار فوقعت في  
وسط الغرفة . لا اذكر الآن الا صرخة ايلينا ، وأنها ضربت  
كعبها احدهما بالآخر ، وهرعت الي لتمسك بي . كانت  
هذه هي اللحظة الاخيرة التي بقيت في ذاكرتي .  
فلما صحوت من غيبوتي ، وجدنتني راقدًا على السرير .  
وقد روت لى ايلينا فيما بعد انها نقلتني الى الاريكه بمساعدة  
البواب الذى جاء يحمل الينا الطعام فى تلك اللحظة . وقد  
استيقظت عدة مرات ، فكنت فى كل مرة انظر الى وجه  
ايلينا الصغير مائلا الي ، وقد فاض بمعاني القلق والرحمة .  
ولكننى أتذكر هذا كله كأنه تم فى حلم ، كأنه ملفع بالضباب ،  
وكان طيف البنية الصغيرة يتراءى لي اثناء غفوتي لطيفا رشيقا ،  
كأنني فى رؤيا ، او كأننى انظر فى لوحة . وكانت تجيئني  
بجرعة ماء ، وترتب اللحاف علي او تظل جالسة قربي ،  
حزينة ، خائفة ، تلاعب شعري . واتذكر انها لامست  
خدي مرة بقبلة . وفى مرة ثانية ، استيقظت فجأة اثناء  
الليل ، فرأيت فى ضوء شمعة ذابلة على منضدة صغيرة

— نعم . . . لقد رأيت بيتك ، ورأيت ظروف معيشتك ،  
فقدت ان نفقاتك كثيرة (وخاصة الآن) ، فخذ هذه المائة  
والخمسين روبلا يا صديقي ، عسى ان تحتاج اليها .  
— تعطيني مائة وخمسين روبلا ، عسى ان احتاج  
اليها . . . بعد ان خسرت انت قضيتك ؟

— فانيا ، يخيل الي انك لا تفهمنى ابدا ! قد  
تحتاج الى نفقات ليست فى الحسبان ، خذ هذا المبلغ .  
المال فى بعض الاحوال يتيح للانسان استقلاله وحرية فى  
الرأى . قد لا تكون الآن فى حاجة الى هذا المال . ولكن  
ألا ينبغي للمرء ان يفكر فى المستقبل ؟ على كل حال ،  
سأترك لك هذا المبلغ ، وهو كل ما استطعت ان أجمعه ،  
فاذا لم تنفقه رددته الي . والآن ، وداعا يا فانيا . ولكن  
ما بك يا فانيا ؟ ما هذا الشحوب الشديد ؟ لا شك انك  
مريض . . .

لم اجب على كلامه ، واخذت المبلغ . لقد اعطاني  
هذا المال لسبب واضح كل الوضوح .  
وأجبت قائلا :

— اننى لا أكاد استطيع الوقوف على قدمي .  
— ولا تهمل نفسك يا فانيا ، لا تهمل نفسك .  
اياك ان تخرج اليوم من البيت . سأقول لآنا آندريفنا انك  
مريض . الا يجب استدعاء طبيب ؟ سأتي اليك غدا ،  
سأحاول ذلك ، فان حملتني ساقاي جثت . ويحسن بك  
الآن ان تنام . الى اللقاء . الى اللقاء ايها الصغيرة . انظر  
كيف تشيح بوجهها عنى . اسمع ، يا صديقي ، هذه ايضا



بجانب السرير ، رأيت ايلينا قد وضعت رأسها على مخدتي واستغرقت في نوم خائف وجل وقد انفرجت شفتاها الشاحبتان ، واستراحت يدها على خدها القاتر . فلما استيقظت بعد ذلك تماما ، كان الصباح قد طلع ، وكانت الشمعة قد انطفأت ، وكانت اشعة الفجر تتراقص على الجدار ساطعة بلون الارجوان . كانت ايلينا قاعدة على كرسى امام المنضدة ، وكان رأسها المتعب مستندا الى ذراعها اليسرى الممتدة على المنضدة ، وهي تغط في نوم عميق . اذكر انني تأملت وجهها ، فرأيت فيه الطفولة وقد رانت عليها حتى في النوم معاني الحزن الذي يعاينه الكبار ، ورأيت فيه جمالا غريبا مريضا . كان هذا الوجه ذو الاهداب الطويلة المعقوفة ، والخدين الغائرين ، محضوفا بشعر اسود كخشب الابنوس ، غزير معقود على اهمال ، متهدل من جانب . وكانت يدها الاخرى تستريح على مخدتي . فقبلت اليد الصغيرة النحيلة في رفق ، فلم تستيقظ الطفلة المسكينة ، ولكن بسمة لطيفة طافت على شفتيها الشاحبتين . فتأملتها لحظة طويلة ، ثم نمت نوما هادئا شافيا . وظللت نائما ، في هذه المرة ، حتى الظهيرة . فلما استيقظت ، كنت احس كأنني ابللت من مرضى فلم يبق منه الا شيء من الضعف وشيء من الثقل في اليدين والذراعين . كنت اصاب قبل ذلك بنوبات عصبية قصيرة فانا اعرف هذه النوبات حق المعرفة . وكان المرض لا يدوم في العادة اكثر من يوم ، ولكن هذا لا ينفى انه قاس عنيف .

كان النهار قد انتصف او كاد . وكان اول شيء وقع عليه بصري هو الستائر التي اشتريتها امس ، وقد شدتها

ايلينا على حبل في ركن ، فهبات لنفسها في الغرفة زاوية خاصة بها . ورأيت ايلينا جالسة امام المدفأة تعد الشاي ، فلما لاحظت انني استيقظت اشرق وجهها بابتسامة فرحة واقبلت عليّ فورا .

قلت لها وانا امسك يدها :

— يا صديقتي الصغيرة ، لقد سهرت عليّ الليل كله . ما كنت اعرف انك طيبة كل هذه الطيبة .

فقلت وهي تنظر اليّ وتبتسم لي ابتسامة لطيفة متخابثة خجلى ، ويحمر وجهها وهي تنطق بكلماتها :

— وكيف تعرف انني سهرت عليك ؟ ما يدريك انني لم انم طوال الوقت !

— لقد استيقظت فرأيت كل شيء . انك لم تنامي الا في مطلع الصباح .

فقاطعتني ، كأن مواصلة هذا الحديث تزعجها ، كما يقع ذلك لجميع الذين يتصفون بالحياء ويتميزون بالشرف والاستقامة حين يوجّه اليهم الثناء ، قاطعتني بقولها :

— هل تريد قليلا من الشاي ؟

— نعم . ولكن هل تغديت امس ؟

— لم اتغد بل تعشيت . لقد جاءني البواب بما كنت في حاجة اليه . ولكن عليك ان لا تتكلم الآن ، وان تظل راقدا يهدوء .

قالت ذلك ثم اضافت وهي تحمل اليّ الشاي وتجلس على سريري :

— انك لم تشف بعد تماما .



— نعم ، سأظل راقدا حتى المساء . ولكن لا بد لي من الخروج بعد ذلك . لا بد لي من الخروج حقا يا ايلينا .

— هل هذا شيء لا بد منه حقا ؟ الى من تذهب ؟ الى زائر الامس ، أليس كذلك ؟

— لا ، ليس اليه .

— من حسن الحظ . انه هو الذي اثارك . اذن ستذهب الى ابنته ؟

— كيف عرفت ان له ابنة ؟

— سمعت كل شيء امس .

قالت ذلك وغضت طرفها ، ثم عادت الى وجهها مسحة الألم ، وقطبت ما بين حاجبيها ، واردفت تقول :

— هذا رجل شرير .

— هل تعرفينه ؟ بالعكس ، انه شهيم جدا .

— لا ، لا ، انه شرير ، لقد سمعت كلامه .

قالت ذلك في حرارة .

— ماذا سمعت ؟

— انه لا يريد ان يغفر لابنته . . .

— ولكنه يحبها ، لقد اساءت اليه ، وهو يعاني كثيرا من العذاب بسببها .

— ولماذا لا يصفح عنها ؟ في رأسي ان على ابنته الآن ان لا تعود اليه ، حتى ولو غفر لها .

— كيف ؟ لماذا ؟

— لأنه لا يستحق ان تحبه ابنته ، فلتهجره الى الابد ،

والافضل ان تطلب الصدقات من الناس ، حتى يراها تتسول ويتعذب .

قالت ذلك بحرارة ، وقد التمعت عينها ، واحمر خداه . فقلت في نفسي : لا بد ان هنالك سببا يدفعها الى هذا الرأي دفعا .

وأردفت بعد فترة من صمت تسألني :

— أفي بيت هذا الرجل تريد ان تضعني ؟

— نعم ، يا ايلينا .

— أفضل ان اعمل خادمة .

— ما هذا الكلام يا صغيرتي ايلينا ؟ ما هذه الحماسة ؟ عند من تريد ان تعملي خادمة ؟

— عند اول فلاح ألقاه .

قالت ذلك ، وقد نفذ صبرها ، وظلت خافضة عينها . كان واضحا انها سريعة الانفعال .

فقلت وانا اضحك ضحكة صغيرة :

— ولكن الفلاح لا يحتاج الى خادمة مثلك .

— اذن اعمل عند سادة من علية القوم !

— أيمكن لفتاة لها مالك من طبع ان تقيم مع سادة من علية القوم ؟ — نعم .

كان غضبها يشتد ، وكانت أجوبتها تزداد عنفا .

— ولكنك لن تحتملي ذلك .

— بل احتمله . سيؤنوني ، فأصمت ، وسيضربونني ، فأظل صامتة ، ومهما يضربوني ، فلن أبكي . وسيزداد غضبهم حين لا أبكي .



— ماذا دهاك يا ايلينا ؟ انك حادة شديدة الحدة ،  
متكبرة شديدة الكبرياء ! لا شك ان ذلك يرجع الى انك  
شقيت كثيرا . . . .  
ونهضت واقتربت من المنضدة الكبيرة ، وظلت ايلينا  
جالسة على الأريكة ، مطرقة الى الارض ، صامتا تشد  
الحاشية بأصابعها .  
نساءلت بيني وبين نفسي : ترى هل أغضبته كلماتي ؟  
وفتحت الكتب التي اخذتها امس لكتابة المقال ،  
فتحتها على غير شعور ، فاذا انا استغرق في القراءة شيئا  
فشيئا . ان هذا الامر ليتفق لي كثيرا : افتح كتابا من الكتب  
وفي نيتي ان ارجع فيه شيئا من الاشياء خلال دقيقة واحدة ،  
فاذا انا استرسل في القراءة ناسيا كل شيء .  
سألته ايلينا بابتسامة خجلى وهي تقترب من المنضدة :  
— ماذا تكتب طوال الوقت ؟  
— اشياء كثيرة يا صغيرتي . انني اتقاضى على الكتابة  
اجرا .  
— هل تكتب عرائض ؟  
— لا ، لا اكتب عرائض .  
وشرحت لها ، ما استطعت الشرح ، أنني اكتب قصصا  
مختلفة عن أناس مختلفين ، وأنني أخرج من ذلك بكتب  
تسمى أقاصيص او روايات . فأصغت الى كلامي بكثير من  
الاهتمام .  
— وهل تقول الحقيقة دائما ؟  
— لا بل اخترع .

— لماذا تكتب أكاذيب اذن ؟  
— خذى هذا الكتاب الذى سبق ان رأيته مرة فاقريه ،  
وستفهمين ، هل تحسنين القراءة ؟  
— نعم .  
— اذن ستفهمين . . . هذا الكتاب انا كتبه .  
— انت ؟ اذن سأقرؤه . . .  
لقد كانت فى حاجة شديدة الى ان تقول لى شيئا  
ما ، ولكن ذلك كان يزعجها ازعاجا واضحا ، فكانت  
مضطربة شديدة الاضطراب . كان ثمة شيء يختفي تحت  
أسفلتها . وسألته اخيرا :  
— هل الاجر الذى يُدفع لك أجر كبير ؟  
— يتوقف ذلك على جودة ما اكتب . فان جاء ما  
اكتبه جيدا نلت عليه أجرا كبيرا ، والا لم ائل شيئا . ان  
هذا العمل صعب جدا يا ايلينا .  
— لست اذن غنيا ؟  
— لا .  
— اذن سأعمل وأساعدك . . .  
قالت ذلك ورشقتنى بنظرة سريعة ، واحمرت احمرارا  
شديدا ، ثم خفضت عينيها . وما هى الا لحظة حتى اقتربت  
منى خطوتين . واحاطتنى بذراعيها فجأة ، وشدت وجهها  
الى صدري شدا عنيفا . نظرت اليها مشدوها . فقالت :  
— انا احبك . . لست متكبرة . قلت لى امس اننى  
متكبرة . لا ، لا ، هذا غير صحيح ، انا احبك . لم  
يحببني احد غيرك .



ولكن الدموع كانت قد خنقت صوتها ، فما هي الا دقيقة ، حتى انفجرت في بكاء غنيف ، كما وقع لها امر اثناء تلك النوبة الشديدة . ثم ركعت على ركبتيها ، واخذت تقبل يدي ، وتقبل قدمي . . . وهي تكرر :

— انت وحدك تحبني ، انت الانسان الوحيد الذي احبني . . . الوحيد . . .

كانت تشد ركبتيّ بذراعيها في تشنج . ان عواطفها التي حبستها مدة طويلة تنفجر الآن انفجارا عنيفا لا سبيل الى كبحه ، وفهمت عندئذ ذلك العناد الكبير في قلبها الذي ظل مغلقا من الخجل الى الآن ، والذي كانت صلابته في الانغلاق على قدر قوة حاجته الى الانفتاح ، والى التعبير عما فيه من عواطف ، الى ان وقع الانفجار الذي لا بد منه حين يستسلم المرء لهذه الحاجة الى الحب ، والامتنان ، والملاطفة ، والدموع . . . استسلاما ينسى معه نفسه . . .

وظلت تبكي الى ان انتهت الى نوبة هسترية . ولم استطع ان اتحلل من ذراعيها اللتين تحيطان بي الا في كثير من العناء فانقضتها وحملتني الى الاربكة . وظلت تبكي مدة طويلة ، وقد دفنت رأسها بين الوسائد ، كأنها تسبحي ان اراها على هذه الحال ، ولكنها كانت تشد يدي بيدها شدا قويا ، وتحتفظ بها فوق على صدرها .

وهدأت شيئا فشيئا ، ولكنها لم ترفع رأسها . واخترت النظر اليّ مرة او مرتين ، فكان في نظرتها كثير من الرقة ، وكان فيها عاطفة وجلة تخفيها من جديد . وأخيرا احمر وجهها وابتسمت . قلت :

— هل تحسنت حالتك ، يا صغيرتي الحساسة ، يا ابنتي المريضة ، يا ايلينا ؟

قدمت تقول وهي تشيح بوجهها عنى مرة اخرى :

— يجب ان لا تخاطبني بهذا الاسم . . .

— بأى اسم اخاطبك اذن ؟

— باسم نللي .

— نللي ؟ لماذا نللي بالذات ؟ لا مانع عندي من ذلك ، فالاسم جميل جدا ، وسأناديك به ، ان شئت .

— بهذا الاسم كانت تناديني امي . . . ولم ينادني به احد غيرها ابدا . . . كنت لا اريد ان يخاطبني احد غيرها بهذا الاسم . اما انت فاريد ان تسميني به . . . سأحبك دائما ، دائما .

قلت في نفسي «يا له من قلب متكبر محب ! لكم احتجت الى وقت حتى اصبحت جديرا ان اتاديك نللي» ولكنني اعرف الآن انها قد محضتني قلبها الى الابد . قلت لها حين هدأت :

— اسمعي يا نللي . لقد قلت منذ برهة ان امك وحدها كانت تحبك ، وان احدا غيرها لم يحبك . فهل كان جدك لا يحبك ؟

— نعم .

— ولكنك بكيت هنا في السلم حين ابلغتكم نبأ موته ، هل تتذكرين ؟

وظلت واجمة تحلم خلال دقيقة من الزمن :

— لا ، لم يكن يحبني . . . كان رجلا شريرا .



قالت ذلك وارتسمت على قسماتها عاطفة أليمة .  
— ولكن ما ينبغي ان يُطلب منه ذلك . لقد كان  
كمن عاد الى الطفولة . ومات كما يموت مجنون . لقد رويت  
لك كيف مات .

— نعم ، ولكنه لم يبدأ بنسيان نفسه تماما الا في  
الشهر الاخير ، فكان يظل جالسا هنا النهار كله ، فاذا لم  
أت اليه ظل كذلك يومين او ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب .  
اما قبل ذلك فكانت حالته احسن كثيرا .

— قبل ذلك ؟ كيف ؟  
— قبل ان تموت امي .  
— اذن ، كنت انت تحملين اليه طعامه يا نللي .  
— نعم .

— ومن اين كنت تأتينه بالطعام ؟ من بيت بوبنوا ؟  
— لا ، لم اكن آخذ من بوبنوا شيئا .  
قالت ذلك بلهجة جازمة ، ولكن بصوت مرتعش .  
— من اين كنت تأتينه اذن بالطعام ؟ انك لا تملكين  
شيئا .

فصمت نللي ، وشحب وجهها شحوبا رهيبا ، ثم  
القت عليّ نظرة طويلة .

— كنت اتسول في الشارع ، حتى اذا جمعت خمسة  
كوبيكات ، اشتريت له بها خبزا وشيئا من نشوق التبغ . . .  
— وكان يقبل ذلك يا نللي ؟ يا نللي ! . . .

— في اول الامر لم اكن اقول له . فلما علم بذلك ،  
ارسلني اتسول من تلقاء نفسه ، فكنت اقف على الجسر

اطلب الصدقة من المارة ، وكان هو يمشي قرب الجسر ينتظر ،  
فاذا رأى انهم اعطوني شيئا ، هجم عليّ واخذني مني ، كأنه  
يظن أنني سأحتفظ به لنفسي ، وكأنه يجهل اننى اتسول من اجله .  
قالت ذلك واتسمت على شفيتها ابتسامة مرة ساخرة .

ثم اردفت تقول :  
— كل ذلك كان بعد موت امي . وصار جدى بعد  
ذلك كالمجنون .

— اذن كان يحب امك كثيرا ، فلماذا كان لا يعيش  
معها ؟  
— لا ، لم يكن يحبها . . . لقد كان شريرا ، وكان  
لا يريد ان يغفر لها . مثله مثل ذلك العجوز الذى جاءك  
امس . . .

قالت ذلك فى رفق ، بصوت يشبه ان يكون همسا ،  
وكان لونها يزداد شحوبا .

ارتعشت . ان عقدة رواية برمتها قد التمعت فى خيالي :  
المرأة المسكينة تُحتضر فى قبو عند صانع توابيت ، ابتها  
البيمة تزور جدّها الذى لعن امها ، العجوز الغريب يفقد  
عقله ويموت فى مقهى بعد موت كلبه !

وقالت نللي فجأة ، وهى تبتسم لذكري من الذكريات :  
— كان آزوركا فى اول الامر لأمي . كان جدى يحب  
امي كثيرا فى الماضي ، فلما تركته بقى آزوركا عنده . لذلك  
كان يحب آزوركا حبا شديدا .

ثم اضافت بصوت قاس ، وقد اختفت الابتسامة  
من وجهها :



— انه لم يغفر لامي ، ولكن حين مات آزر كا مات هو ايضا .

وسألنها بعد لحظة من صمت :

— فمن كان جدك هذا من قبل ، يا نللي ؟

— اعرف انه كان رجلا غنيا ، يملك مصنعا ، فهذا ما قالته لى امي . كانت امي فى اول الامر تعدنى طفلة صغيرة ، فما تفتحنى فى شىء البتة . . كانت تقبلنى وتقول لى : ستعرفين كل شىء ، يا طفلى المسكينة ، يا طفلى الشقية ! كانت تنادىني دائما بالطفلة البائسة الشقية . وفى الليل ، حين كانت تظن اننى نمت ، (وما كنت انام بل اتظاهر بالنوم) كانت تبكى ، وتقبلنى ، قائلة : «ابنها الطفلة البائسة ، ابنتها الطفلة الشقية» .

— مَمَّ ماتت أمك ؟

— من السل ، منذ ستة أسابيع .

— هل تتذكرين الايام التى كان جدك فيها غنيا ؟

— لم أكن ولدت فى ذلك الحين . لقد تركت امي

جددي قبل ان أولد انا .

— مع من ذهبت امك ؟

— لا أعرف ، لقد ذهبت الى بلاد أجنبية وهناك وُلدت انا .

قالت ذلك بصوت منخفض ، وكأنها تحلم .

— ذهبت الى بلاد أجنبية ؟ الى اين ؟

— الى سويسرا . لقد طفت كثيرا من البلاد ، وذهبت

ايضا الى ايطاليا وباريس .

— هل تتذكرين هذا كله يا نللي ؟

قلت ذلك دهشا ، فأجابت بقولها :

— اتذكر أشياء كثيرة .

— وكيف تجيدين الروسية هذه الاجادة ؟

— علمتني امي اللغة الروسية هناك . كانت أمي روسية ،

وكانت أمها روسية ، اما جدي فكان انجليزيا ، ولكنه أشبه

بروسي . فلما عدنا الى هنا ، أنا وأمي ، منذ سنة ونصف

سنة ، أتقنت الكلام بالروسية . وكانت أمي فى ذلك الوقت

قد اصيبت بالمرض منذ مدة . وأصابنا الفقر ، والح علينا ،

فكان يزداد يوما بعد يوم . وكانت أمي لا تنى تبكي ليل

نهار . وقد ظلت فى اول الامر مدة طويلة تبحث عن جدي

هنا بيطرسبرج ، وكانت تقول دائما انها اساءت اليه ، وكانت

تبكى . . . ما اكثر ما كانت تبكى ! وحين علمت ان جدي

أصبح فقيرا ، اشتد بكاءها ، وكانت تكتب اليه فى كثير

من الاحيان ، ولكنه كان لا يرد على رسائلها ابدا .

— لماذا رجعت امك الى هنا ؟ هل كانت رغبته

فى البحث عن ابها هى الدافع الوحيد الذى حملها على

العودة ؟

— لا ادري . كنا هناك على احسن حال .

قالت ذلك واخذت عيناها لتتمعان واردفت تقول :

— كانت امي تعيش وحدها معي . وكان لها صديق

طيب مثلك ، تعرفه من هنا . ولكنه مات . ومن اجل هذا

عادت . . .

— اذن لقد سافرت أمك معه حين تركت

جدك ؟



— بل سافرت مع شخص آخر ، ولكن هذا الشخص الآخر قد هجرها . . .

— من هو ذلك الشخص يا نللي ؟

نظرت اليّ نللي ، ولم تجب بشيء . كان واضحا انها تعرف الرجل الذي سافرت معه أمها ، والذي لعله ابوها . ولكن كان يشق عليها ان تذكر اسمه ، ولو لي أنا . لم أشأ ان ارهقها باسئلتى . لقد كان طبعها طبعاً غريباً ، كان طبعاً عصيباً حاداً ، ولكنه يلجم اندفاعاته ، وكان طبعاً محبباً الى القلب ، ولكنه مغلق على كبرياء لا تليلين . فرغم انها أحببتني حبا يخرج من اعماق القلب ، حبا مضيئاً صافياً لا يضارعه في اضاءته وفي صفائه حب ، حبا يكاد يعدل حبا لامها التي كانت لا تستطيع ان تتحدث عنها دون أن يحز في نفسها الالم ، رغم ذلك فقد ظلت طوال المدة التي ارتبطت خلالها بها ، لا تفضي اليّ بذات نفسها الا قليلاً ، ولا تشعر بالحاجة الى ان تحدثني عن ماضيها الا نادراً ، فيما عدا ذلك اليوم ، حتى لقد كانت تخفى عنى ذلك الماضي بنوع من القسوة . الا انها ، في ذلك اليوم ، قد أطلعتني ، في ساعات ، من خلال الآلام والنحب التي كانت تقاطع قصتها على كل ما كان من ذكرياتها بقض مضجعها وبعذبها أكثر من غيره ، ولن انسى قصتها الفظيعة ما حييت ولكن الامر الاساسي من هذه القصة سيجيء حبه فيما بعد .

انها قصة رهيبية : قصة امرأة هجرها صاحبها وعانت كثيراً من فقدان سعادتها ، قصة امرأة مريضة هدّها الالم ،

والتصرف عنها جميع الناس ، وانكرها الانسان الذي كانت تعتقد عليه آخر رجاء ، أبوها الذي أساءت اليه في الماضي ، وفقد عقله هو الآخر تحت وطأة انواع العذاب والذل التي لا يمكن ان يحتملها بشر ، قصة امرأة استبدت بها البأس ، فأخذت تطوف في شوارع بطرسبرج ، الباردة القذرة ، تطلب الصدقات من الناس ، مع ابتها التي ترى انها ما تزال طفلة صغيرة ، قصة امرأة فويت بعد ذلك خلال شهر في قبو رطب ، ورفض ابوها ان يمن عليها بغفرانه الى آخر لحظة من حياتها ، حتى اذا تاب اليه صوابه ، فهرع اليها ليغفر لها ، لم يجد في مكان ابنته التي احبها أكثر مما أحب اي شيء في حياته ، الا جثة باردة . انها قصة غريبة ، قصة علاقات عجيبة لا يكاد يفهمها المرء ، بين رجل عجوز ارتد الى الطفولة وبين حفيدة له كانت تفهمه ، على صغر سنها ، وكان لها من نفاذ الفكر ما لا يصل اليه كثير من الناس خلال حياتهم الهادئة الرخية . انها قصة مظلمة ، قصة من تلك القصص السوداء الاليمة التي كثيراً ما تجرى احداثها دون ان يلمحها احد ، كأنها اسرار خفية ، تحت سماء بطرسبرج الثقيلة ، في الزوايا المظلمة المستسرة من المدينة الكبيرة ، وسط اصطخاب الحياة ، والانانية الضارية ، والمصالح المتصارعة ، والفجور الكالح ، والجرائم الخبيثة ، في كل هذا الجحيم من الحياة المجنونة الشاذة .

ولكن هذه القصة سيأتي حينها فيما بعد . . .



## الجزء الثالث

### الفصل الاول

جاء الغسق وتلاه المساء منذ مدة طويلة ، ولم اذكر الحاضر الا حين صحوت من هذا الكابوس القائم . قلت لنللي :

— نللي ، انت الآن مريضة مهدودة القوى ، ومع ذلك لا بد لي من أن أتركك وحيدة ، مضطربة ، دامعة . عفوك بابيتي ، واعلمي ان هناك انسانا آخر نحبه ، أبوا ان يغفروا له ، فهو شقي مهان مهجور . انها تنتظرنني . وقد بلغت من الاضطراب بعد القصة التي رويتها لي انني لا احتمل ان لا اذهب اليها لاراها ، فورا ، في هذه اللحظة نفسها . . .

لا ادري هل فهمت نللي ما قلته لها . لقد كنت مضطربا أشد الاضطراب ، بسبب القصة التي روتها لي ، وبسبب النبوة التي اصابتي . ولكنني هرعت الى ناتاشا ، فوصلت اليها ، متأخرا ، في نحو الساعة التاسعة .

وفي الشارع ، بالقرب من باب العمارة التي تسكن فيها ناتاشا ، لمحنت عربية خيبل الي انها عربية الامير . كان مدخل مسكن ناتاشا من ناحية الفناء . وما ان صعدت الدرجات الاولى من السلم حتى سمعت وقع خطوات فوقي ، هي خطوات رجل يصعد السلم تلمسا ، في حذر ، لانه لم يألف هذا المكان . فتخيلت ان هذا الرجل لا بد ان يكون هو الامير ، ولكنني ما لبثت ان اعتقدت انني على خطأ ، فان هذا الرجل المجهول كان ،

وهو ينسلق السلم ، يهمهم متذمرا ويسب ويلعن في اقداع ما ينفك يشتد كلما صعد درجة اخرى . صحيح ان السلم كان ضيقا قدرا وعرا ، ولم يُضأ بنور يوما . ولكنني لم استطع ابدا ان اتصور هذه الشئام صادرة عن الامير . كان الرجل يجدف بكلام بديء ككلام حوذي . وكان في الدور الثالث شيء من النور ، هو نور مصباح يضئ امام باب ناتاشا . وامام باب ناتاشا انما ادركت الرجل المجهول ، فما اشد ما شدهت حين رأيت انه الامير عينه ! كان واضحا انه قد ساءه كثيرا ان يلقاني هذا اللقاء الذي لم يكن في الحسبان . انه لم يعرفني في اللحظة الاولى ، ولكن وجهه ما لبث ان تبدل فجأة ، فاذا نظرته التي كانت تفيض بالكراه والخبث ، تصيح نظرة محببة مرحجة ، دفعة واحدة ، واذا هو يمد اليّ كلتا يديه في كثير ممن الفرح .

— ها . . . هذا انت ! لقد كدت اركع على ركبتي ، وابتهل الى الله ان ينقذني . هل سمعتني اسب وألعن ؟ قال ذلك وانفجر ضاحكا في دماعة ورقة . ولكن وجهه ما لبث ان اكسى طابع الجد والغضب ، وقال وهو بهز رأسه : — كيف يجيز ألبوشا لنفسه ان يسكن ناتاليا نيقولايفنا في بيت كهذا البيت ؟ ان الامور الصغيرة هي التي تميز المرء ، كما يقول المثل . انني اخشى عليه . انه طيب كريم القلب . ولكن انظر ، اليك مثلا : انه يحب حبا جامحا ، ثم يُسكن تلك التي يحبها في جحر كهذا . بل لقد بلغني انهما في بعض الاحيان يعوزهما الخبز (قال ذلك بصوت هامس ، وهو يلمس الباب بحثا عن قبضة الجرس) ان رأسى ليدور حين



افكر في مستقبله ، وخاصة في مستقبل آنا نيقولايفنا حين تصبح زوجة . . .

اخطأ الامير في اسم ناتاشا دون ان يفتن الى ذلك . وكان لا يزال يتلمس الباب باحثا عن الجرس معكّر المزاج . ولكن لم يكن ثمة جرس . فحركت قبضة الباب ، ففتحت لنا مافرا فورا ، واستقبلتنا وقد لاح عليها الانشغال . ورأت من خلال باب المطبخ الذي يفصله عن المدخل الضيق حاجز من خشب ، رأيت ان ثمة اعدادا وتحضيرا ، فكل شيء قد نظف ومسح أكثر مما ينظف ويمسح عادة ، والمدفأة مشتعلة ، وعلى المائدة اطباق جديدة . كان واضحا انهم في انتظارنا . واسرعت مافرا فخلعت معطفينا . سألت مافرا :

— هل ألبوشا هنا ؟

فأجابتنى مدمدمة ، وقد بدا على وجهها معنى غريب :

— لم يجيء بعد .

ودخلنا على ناتاشا ، فلم نر في غرفتها استعدادات خاصة ، بل كان كل شيء هناك على عهدي به . ثم ان غرفتها نظيفة دائما انيقة دائما ، فما تحتاج الى مزيد من ترتيب . استقبلتنا ناتاشا واقفة امام الباب وفوجئت بما يلوح على ناتاشا من هزال المرض ، ومن شحوب في وجهها شديد ، رغم ان الحمرة كانت تصعد في بعض اللحظات الى خديها الداويين . كانت عيناها محمومتين . ومدت يدها بسرعة الى الامير ، دون ان تنبس بكلمة . كان واضحا انها مضطربة شاردة اللب . حتى انها لم تلق على نظرة . فظللت واقفا ، وانتظرت في صمت . قال الامير بلهجة فرحة تشيع فيها روح الصداقة :

— ها أنا ذا اخيرا . اننى لم اعد الا منذ ساعات . وما غبت عن بالى لحظة خلال هذا الوقت كله . قال ذلك وقبل يدها في رقة ولطف ، واردف : — ما أكثر ما فكرت فيك ، ثم اعدت التفكير . . . في ذهنى امور كثيرة يجب ان اقولها لك . . . ولكننا ستحدث على مهل . وقبل كل شيء ، اين ذلك الطائش الذى لم يصل بعد ، فيما ارى ؟

فقاطعت ناتاشا قائلة ، وهي تحمر وتضطرب :

— هل تسمح ايها الامير . . . يجب ان أقول كلمتين لابفان بتروفنش . . . تعال يا فانيا . . .

وامسكت يدي ، وقادتني الى ما وراء الحاجز ، وقالت لي هامة ، بعد ان جرتني الى ابعد ركن مظلم :

— فانيا ، هل غفرت لي ؟

— كفك يا ناتاشا ! ماذا دهاك ؟

— لا ، لا ، يا فانيا ، لقد غفرت لي قبل الآن كثيرا من الامور ، وان للصبر حدودا . اعرف انك ستظل تحبني ، ولكنك ستعدني عاقبة ، فلقد كنت امس ، واول امس ، قاسية اناية عاقبة . . .

وتفجرت دموعها فجأة ، واسندت رأسها الى كتفى ، فاسرعت أقول لها :

— كفى يا ناتاشا . لقد كنت مريضا جدا طوال الليل ، وما زلت الى الآن مهود القوى لا أكاد استطيع الوقوف على قدمي . لذلك لم اجيء اليك لا امس مساء ولا اليوم ، فلا تظني اننى تخلفت عن المجيء غضبا ! هل تحسبين ، يا صديقتي ،



أنتي اجهل ما تعانينه في هذه الايام ؟

فقلت وهي تبسم من خلال الدموع ، وتشد يدي شدا موجعا :

— طيب ، طيب ، اذن فقد غفرت لي مثلما تفعل دائما . هذا يكفيني الآن ، وما عداه يجيء حينه . ثمة اشياء كثيرة يجب ان افضى بها اليك ، يا فانيا . أما الآن فلنعد اليه . . . .

— هلمي يا ناتاشا ، فلقد تركناه فجأة هكذا . . . .  
فقدمت تقول بسرعة :

— سوف ترى ما سيحدث . انتي اعرف الآن كل شيء ، لقد أدركت كل شيء . ان الذنب كله ذنبه هو . ستقرر هذه السهرة كثيرا من الامور . هيا بنا .

لم افهم ما قالته ناتاشا ، ولكن المجال لم يتسع لطرح الاسئلة . وتقدمت ناتاشا نحو الامير ثابتة الخطى رصينة الوجه ، وكان ما يزال واقفا ، ممسكا قبعته بيده ، فاعتذرت له اعتذارا مرحا ، وتناولت منه قبعته ، وقدمت له بنفسها كرسيا ، وجلسنا نحن الثلاثة حول المائدة الصغيرة .

قال الامير :

— بدأت بالكلام عن ابني الطائش . . . . انتي لم اره الا دقيقة واحدة ، حتى لقد كان لقاؤنا في الشارع ، وهو في طريقه الى الكونتيسة زيناييدا فيدوروفنا . كان يستعجل الخطى ، وتصوري انه أبى ان يدخل معي الى البيت ، رغم انني لم اره منذ اربعة ايام . . . . والذنب ذنبي في انه ليس الآن بيننا ، وفي اننا وصلنا قبله . ذلك انتي انتهزت الفرصة فحملته رسالة الاميرة ،

لانتي لا استطيع ان اذهب اليها اليوم بنفسي . ولكنه سيصل بعد لحظة . . . .

فألتة ناتاشا ، وهي تنظر اليه نظرة ساذجة :

— لا شك انه وعدك بالمجيء هذا المساء ؟

فهتف الامير ، وهو يتفرس فيها دهشا :

— كيف تسألين هذا السؤال ؟ هل يمكن ان لا يأتي ؟

على انتي افهم الامر : فانت غاضبة منه حانقة عليه . لا شك ان وصوله آخر من يصل شيء معيب . ولكنني اكرر ما قلته منذ لحظة ، وهو ان الذنب في ذلك ذنبي . فلا تلوميه . صحيح انه ضعيف ، طائش ، لست ادافع عنه ، الا ان ثمة ظروف خاصة توجب ان لا يهمل في هذا الوقت منزل الكونتيسة ولا العلاقات مع بعض الاصدقاء الآخرين ، بل بالعكس تحتم عليه ان يزورها وان يكثر من زيارتها ، وبما انه واغلب الظن اصبح لا يخرج من عندك في هذه الايام ، حتى نسي كل شيء في العالم ، فلا تؤاخذيني اذا انا سلبتك اياه من حين الى حين ، بضع ساعات في اكثر تقدير ، ليقضي لي بعض اعمالى . اعتقد انه لم يذهب الى الاميرة آ . . . . منذ ذلك المساء ، ويؤسفني انني لم اسأله عن هذا الامر حين لقيته منذ قليل .

القيت نظرة على ناتاشا ، فرأيتها تصغى الى كلام الامير ، وقد علت شفيتها ابتسامة خفية تشبه ان تكون ابتسامة السخر . ولكن الامير كان يسوق كلامه صريحا لا كلفة فيه ، حتى ليستحيل على المرء ان يشك في صدق ما يقول .



سألته ناتاشا بصوت ناعم هادئ كأنها تتحدث عن امر  
عادي :

— هل تجهل حقا انه لم يزرني مرة واحدة خلال هذه  
الايام كلها ؟

— ماذا ؟ لم يزرك مرة واحدة ؟ ماذا تقولين ؟

قال الامير ذلك ، وقد بدت عليه اشد آيات الدهشة .  
— لقد جئت اليّ يوم الثلاثاء ، في ساعة متأخرة من  
السهرة . وفي الصباح من اليوم التالي اتاني فمكث نصف ساعة ،  
ثم لم اره بعد ذلك ابدا .

— هذا كلام لا يكاد يصدق !

قال ذلك وقد ازدادت دهشته شدة ، ثم اردف :

— كنت اظن انه لا يتركك ابدا . عفوك ومغفرتك . ان  
هذا لأمر عجيب ، لا يصدق العقل !

— هو مع ذلك صحيح . . . شيء مؤسف . . . كنت  
انتظر مجيئك حتى اعرف منك أين هو !

— آه ، يا رب ! ولكنه سيصل بعد لحظة . . . ان  
ما ذكرته لي الآن قد صفعني صفعة اليمه . . . اعترف لك

انني كنت اتوقع منه كل شيء الا هذا !

— هل ادعشك كلامي كل هذه الدهشة ؟ كنت اظن انه  
لن يفاجئك ، بل كنت اظن انك تعرف ان الامور ستجري

هذا المجري .

— اعرف ؟ اؤكد لك يا ناتاليا نيقولايفنا انني لم اره  
الا لحظة واحدة هذا اليوم ، وانني لم اسأل عنه احدا . وانني

لاستغرب كيف يبدو عليك انك تشكين في صدق ما اقول .

قال ذلك وهو يلفنا كلينا بنظره .

قالت ناتاشا :

— معاذ الله ! انني مقتنعة كل الاقتناع بأنك تقول

الحقيقة .

قالت ذلك وانفجرت ضاحكة امام انفه ، فقطب ما

بين حاجبيه تقطيبا خفيفا . ثم قال مرتبكا :

— اشرحني ما في نفسك .

— ليس هناك ما اشرحه . انني اتكلم وكفى . وانت

تعرف انه طائش نساء . والآن وقد ملك حريته كاملة ، ارحني

لنفسه العنان .

— كيف يرخي لنفسه العنان ! هذا ما لا يجوز ! لا

شك ان وراء هذا الامر ما وراءه ، وسأجبره على ان يعلل سلوكه ،

متى جاء بعد قليل . والشيء الذي يدهشني الى ابعد حدود

الدهشة انك تكادين تحميليني تبعة هذا السلوك ، مع انني

كنت غائبا . ثم انني ارى يا ناتاليا نيقولايفنا انك حانقة عليه

جدا ، وهذا امر افهمه ، ان لك ان تحققي عليه ، و . . .

طبعاً . . . انا المذنب الاول ، لانني وصلت قبله ، أليس

كذلك ؟

قال الامير عبارته الاخيرة ، وهو يلتفت الي ويتسم ابتسامة

تثير الحنق فاحمرت ناتاشا احمرارا شديدا . واردف الأمير يقول

في وقار :

— اسمحي لي يا ناتاليا نيقولايفنا . . . انا اسلم بانني

اذنبت ولكن ذنبي الوحيد هو انني سافرت بعد ان تعارفنا بيوم

واحد ، فاذا انت ، لما يتصف به طبعك من شك ألاحظه ،



تغيرين رأيك في" ، خاصة وان الظروف ساعدت على ذلك .  
فلولا انني سافرت لاستطعت أن تعرفيني معرفة اكمل ، ولما  
استطاع ألبوشا ان يفلت من رقابتي ولما فعل ما فعل . مستمعين  
بأذنيك ما سأقوله له اليوم .

— اى انك ستعمل ما يجب عمله من اجل ان يشعر  
بأننى ثقيلة عليه . من المستحيل ، وانت تملك ما تملك من  
ذكاء ، ان تفكر حقا في مساعدتي بهذه الطريقة .

— هل تعين انني اريد ان اشعره بانك عبء عليه ؟  
انك تهيبنتي يا ناتاليا نقولايفنا .  
فأجاب ناتاشا .

— اننى احاول ان اتحاشى التلميح ، كائنا من كان  
محدثي ؛ واوتر عليه التصريح ، وستقتنع من تلقاء ذاتك بذلك ،  
ربما منذ اليوم . لا اريد ان اهينك ، وليس ثمة اى سبب  
يدعوني الى ان ارغب فى ذلك . ثم انك لن تشعر من كلامي  
باهانة ، مهما يكن هذا الكلام . انا مقتنعة بذلك كل الاقتناع ،  
لأننى افهم علاقاتنا المتبادلة كل الفهم : انك لا تستطيع ان  
تحمل كلامي على محمل الجد ، أليس كذلك ؟ ولكن اذا  
كنت قد آذيتك حقا ، فأنا على اتم الاستعداد للاعتذار اليك ،  
لاقوم نحوك بكل واجبات . . . الضيافة .

لم أر ناتاشا فى حياتي كلها تبلغ هذا المبلغ من الغضب ،  
رغم لهجتها اللينة التى تشبه ان تكون لهجة مزاح ، ورغم  
الابتسامة التى كانت ترسم على شفيتها . عندئذ تصورت الآلام  
التي تجمعت فى قلبها خلال هذه الايام الثلاثة . واخافتنى  
تلك الكلمات الاحجيات التى قالتها لي منذ لحظة ، وهى

انها عرفت كل شىء وادركت كل شىء . كانت هذه الكلمات  
اذن تتناول الامير . لقد غيرت رأيها فيه ، واصبحت تعده  
عدوها . هذا واضح . انها تعزو الى تأثير الامير فى ابنه كل  
ضروب الاخفاق التى عانتها مع ألبوشا ، ولعلها تعرف امورا  
تحملها على ذلك . وخشيت ان يقوم بينهما شجار على حين  
فجأة . ان لهجة السخر التى تلتزمها فى حديثها واضحة لا  
تخفى . وكلامها الاخير عن ان الامير لا يمكن ان ينظر الى  
علاقاتهما نظرة الجد ، وجملتها عن الاعتذار اليه عملا بواجبات  
الضيافة ، والوعد الذى قطعت على نفسها فى صورة وعيد ،  
بأنها ستبرهن له فى هذه الليلة نفسها على انها تتحدث بلا  
مواربة . . . كل هذا كان قارصا ، صريحا ، لا يمكن الا ان  
يفهمه الامير . وقد تغير وجه الامير ، ولكنه كان يعرف كيف يسيطر  
على نفسه . فسرعان ما تظاهر بأنه لم يلاحظ هذه الكلمات  
الاخيرة ، وبأنه لم يفهم معناها الحقيقي ، وتخلص من الموقف  
بمزاح ، فقال وهو يضحك :

— معاذ الله ان اسألك الاعتذار ! اننى اقل الناس رغبة  
فى ان يُعذر الي ، وليس من مبادئى ان اطلب الاعتذار من  
امرأة . وقد تبهتت الى طبعى منذ لقائنا الاول ، لذلك اظن  
انك لن تغضبى اذا انا ابدت هذه الملاحظة ، خاصة وانها  
تصل بجميع النساء . ولعلك ستسلم لي بصدق هذه الملاحظة  
(قال ذلك متوجها الي) : لقد لاحظت فى طبع النساء صفة  
عامة تميزهن ، وهى ان المرأة حين تخطئ ، تؤثر ان تمحو  
خطأها بالمداراة والاسراف فى التدليل فيما بعد ، على ان  
تعترف به حالا وان تعتذر عنه ، رغم انها تكون مقتنعة كل



ناتاشا ، وبدا كأنها تنهياً لامر من الامور . كان الامير يظهر بمظهر الجد ، ويتنظر ما سيقع : كانت عيناه لا تفارقان ناتاشا . وفتح الباب ، ودخل أليوشا كهبوب ربح .

## الفصل الثاني

دخل أليوشا مشرق الوجه ، مرحا فرحا . كان واضحا أنه رائق المزاج ، وأنه قضى هذه الايام الاربعة في متعة جميلة . وكان كأنما كتب على وجهه ان ثمة نبأ يريد ان يطلعنا عليه . صرخ بصوت قوي :

— هأنذا وصلت ، انا الذي كان ينبغي ان اصل أول من يصل . ولكنكم ستعرفون كل شيء ، كل شيء . لم يسع الوقت منذ مدة ، يا ابي ، لان تبادل كلمتين ، وكان هناك اشياء كثيرة أريد ان اقولها لك (قال ذلك ثم قاطع نفسه متجها الي) : هو الذي يسمح لي في لحظاته الرائعة بأن اخاطبه بصيغة المفرد . وأؤكد لك انه في لحظات اخرى يمنعي من ذلك ، وهذه خطته : يأخذ يخاطبني بصيغة الجمع . ولكنني أريد بعد اليوم أن لا يكون ثمة الا لحظات رائعة ، وسأعمل ما يجب عمله لاوفر له ذلك . لقد تبدلت كثيرا خلال هذه الايام الاربعة ، تبدلت تبديلا تاما ، وسأقص عليكم كل شيء . ولكن هذا كله فيما بعد . اما الآن فالشيء الاهم هو هي . ها هي ذي من جديد ! ناتاشا ! حمامتي ! سلاما يا ملاكي !

الاعتناع بأنها اخطأت . لذلك ، اذا سلمنا بأنك اهتني ، فأنا ارفض ان تعتذري الي الآن ، واوثر ان انتفع بهذا فيما بعد ، حين تدركين خطأك من تلقاء نفسك ، فتحاولين ان تزيلي هذا الخطأ وان تكفري عنه . . . . بالمداورة والتدليل . ثم انك من نبل النفس وطهارة القلب والنضارة والبراعة بحيث ان الدقيقة التي مستندمين فيها على خطئك ستكون رائعا حقا . . . . فلا حاجة الي الاعتذار الآن ، بل قل لي كيف استطع ان ابرهن لك اليوم على انني اصدق كثيرا مما تظنين ، وعلى انني اصرح في اعمالى مما يتبادر الي ذهنك .

احمرت ناتاشا . وبدا لي ان في جواب الامير شيئا من الاستخفاف ، نوعا من الدعابة الوقحة . سألته ناتاشا وهي تنظر اليه نظرة تحد :

— تريد ان تبرهن لي الليلة على انك مستقيم صادق ؟  
— نعم .  
— اذن عدني بتحقيق ما سأطلبه منك .  
— اعدك بذلك .

— لا تقلق أليوشا ، لا اليوم ولا غدا ، لا بكلمة عنى ولا باشارة الي . لا تظهر له شيئا من اللوم على انه نسبي . اريد ان استقبله استقبالا لا يشعره بان شيئا قد وقع بيننا ، حتى لا يلاحظ شيئا . انني في حاجة الي هذا . هل تعدني ؟

— بكل سرور . واسمحي لي ان اضيف الي ذلك اعترافي الصادق بأنني لم ألق ، الا نادرا ، آراء عاقلة واضحة في شئون من هذا النوع ، كآرائك . هذا أليوشا قد وصل ، بخيل الي . وسمعنا ، حقا ، اصواتا في حجرة المدخل . فارتعشت



قال ذلك وهو يجلس الى جانبها ، وتابع كلامه يقول وهو يقبل يدها بشراهة :

لشد ما اشتقت اليك خلال هذه الايام ! ولكن ما حيلتي ! لم استطع ، لم استطع أن افعل خيرا مما فعلت . عزيزتي ناتاشا ، كأنك قد نحلت ، انك شاحبة ممتقعة اللون . . .

وأخذ ، وهو في غمرة الحماسة ، يفرق يديها بالقبلات ، ويلتئمها بنظراته التهاما ، كأنه لا يشبع من النظر اليها . والقيت نظرة على ناتاشا ، فادركت من وجهها أننا نفكر تفكيرا واحدا ، هو انه بريء كل البراءة . أى ذنب يمكن ان يقترفه هذا البريء ، ومتى يمكن أن يقترف ذنبا ! ونظرت مرة اخرى الى ناتاشا ، فرأيت حمرة قانية تزدهم في خديها الشاحبين ، كأن كل الدم الذى تجمع في قلبها صعد دفعة واحدة الى رأسها . وأخذت عيناها تلتمعان ، ورأيتها تنظر الى الأمير فى كبرياء . قالت بصوت حبيس متقطع :

— فأين . . . كنت . . . اذن . . . كل هذه الايام ؟ كان تنفسها بطيئا متقطعا . لشد ما تحبه ، يا رب .

— صحيح ، قد يبدو كما لو اننى اذنبت ، ولكن ماذا يعنى كما لو اننى ! طبعاً مذنب ، أعرف ذلك ، وحيث وانا على علم بذلك . لقد قالت لي كاتيا أمس واليوم ان المرأة لا يمكن ان تغفر مثل هذا الالهمال (انها تعرف كل ما حدث هنا يوم الثلاثاء ، قصصته عليها فى غد ذلك اليوم) . لقد ناقشتها ، وبرهنت لها ، وذكرت لها ان هذه المرأة اسمها ناتاشا ، وان ليس فى العالم كله الا امرأة واحدة تشبهها هي

كاتيا . لقد وصلت الى هنا وأنا أعرف اننى لن انهزم فى المشاجرة . هل يمكن لملاك مثلك ان لا يعفو ويصفح ؟ اذا لم يجيء فلا بد أن شيئا من الاشياء قد حال دون مجيئه ، وليس معنى غيابه انه اصبح لا يحبني هذا ما لا بد ان تقوله ناتاشا لنفسها . وكيف يمكن ان انسى حبك ؟ هل هذا ممكن ؟ لقد كان قلبي يحترق شوقا اليك . ولكنتي مع ذلك مذنب ! وحين تطلعين على كل شيء ، ستكونين اول من يبرئني ويغفر لي . سأقص عليكم كل شيء ، حالا . اننى فى حاجة الى ان افضى بما فى قلبي اليكم جميعا . ولهذا جئت . لقد أردت اليوم (حين أتيج لي نصف دقيقة من حرية) ان اطير اليك ، لأقبلك ، ولكنتي اخفقت : فقد بعثت اليّ كاتيا ترحمنى ان أذهب اليها لامر هام . كان ذلك قبيل ان تراني جالسا فى العربة يا أبى . وحين رأيتك كنت آنذاك ذاهبا اليها بدعوة ثانية . هناك سعاة يحملون الرسائل بيننا طوال اليوم . ايفان بتروفنش ، لم اقرأ رسالتك الا امس مساء ، وانت على حق تماما فى كل ما كتبت فيها . ولكن ما حيلتي ؟ كانت الاستحالة استحالة مادية ! لذلك قلت لنفسى : غدا مساء أبرئ نفسي امامهم جميعا ذلك انه كان يستحيل ان لا اجيء اليك هذا المساء يا ناتاشا .

— اية كلمة تعني ؟  
— لقد جاء اليّ ، فلم يجدنني ، طبعاً ، فترك لي رسالة يقرعني فيها تقريبا شديدا على اننى لا آتي اليك . وهو على حق تماما . كان ذلك امس . فنظرت اليّ ناتاشا . وقال الأمير :



— ولكن اذا اتسع وقتك للبقاء من الصباح الى المساء  
عند كاترينا فيديروفنا . . . . .  
فقاطعه أليوشا يقول :

— أعرف ما ستقوله «اذا استطعت ان تذهب الى كاتيا ،  
فقد كان لديك من الاسباب ضعف ذلك لكى تجيء الى هنا» .  
اننى وافق كل الموافقة على ما تقول ، بل اضعيف اليه ان لدى  
من الاسباب للمجيء الى هنا لا الضعف بل ثلاثة اضعاف ،  
بل مليون ضعف ولكن ، أولا ، فى الحياة احداث لا يتوقعها  
المرء ، أحداث غريبة تشوش الامور ، وتقلب كل شىء رأسا  
على عقب . وقد طرأت على أحداث من هذا النوع . وأقول  
لكم : اننى تغيرت كل التغير خلال هذه الايام التى انقضت ،  
تغيرت حتى الاظافر : ذلك ان احداثا خطيرة قد وقعت .  
فهتفت ناتاشا وهى تبسم لحماسة أليوشا قائلة :

— فما الذى وقع اذن ؟ لا تشوقنا كثيرا ، ارجوك !  
الحق ان أليوشا كان يثير الضحك لدرجة ما : كان يسرع  
فى كلامه ، وكانت الكلمات تنطلق من فمه سريعة ، متعجلة ،  
بلا ترتيب ، كأنها صراخ لا معنى له . كان يحترق شوقا الى  
الكلام ، الى ان يقول شيئا ما . وكان ، وهو يتحدث ، يمسك  
بيد ناتاشا ، ويرفعها الى شفثيه فى كل لحظة ، كأنه لا يتعب  
من ثقيلها . واستأنف أليوشا يقول :

— اليكم ما حدث . آه يا اصدقائى ! يا لروعة ما  
رأيت وما عملت ومن لقيت من ناس ! . . . . . اولاً كاتيا يجب  
ان اقول انها الكمال نفسه ! كنت لا أعرفها ، لا أعرفها  
ابدا ، حتى ذلك الحين . فى يوم الثلاثاء ، حين حدثتلك

عنها ، كان فى حديثى كثير من الحماسة ، كما تتذكرين ،  
وبمع ذلك كنت يومئذ لا أكاد أعرفها . لقد اختبأت عنى حتى  
هذه الايام الاخيرة . اما الآن فنحن متعارفان اتم التعارف ،  
حتى اننا نتخاطب بصيغة المفرد . ولكن يجب ان ابدأ من  
البدابة اولاً يا ناتاشا : ليتك سمعت ما قالته عنك ، حين  
قصصت لها ، يوم الاربعاء ، ما جرى بيننا ! . . . وبالمناسبة ،  
اننى اذكرك الآن كيف كنت غيبا حين وصلت اليك فى صباح يوم  
الاربعاء ! لقد استقبلتني انت فى كثير من الحرارة وانت منفعلة  
من الوضع الجديد الذى صرنا اليه . . اردت ان تتحدثى معى  
عن هذه الامور كلها . . كنت حزينة ، ولكنك ظنلت تمازحيتنى . .  
اما انا فقد مثلت دور الرجل الرصين ! ما كان اشد غباوتى ،  
ما كان اشد غباوتى ! اقسم لك اننى اردت ان اصطنع دور  
الرجل الذى سيتزوج عما قريب ، دور الجدة والزناة . وامام من  
اصطنع هذا الدور ؟ امامك انت ! آه . . لا بد انك سخرت  
منى كثيرا ، وكنت انا استحق تلك السخرية .

كان الامير ملتزما الصمت ، وكان يظر الى أليوشا ، ويبتسم  
ابسامة الظفر والسخر . . كأنما يسره ان يظهر ابنه بمظهر سخيف  
طائش يدعو الى الهزء والضحك . لقد راقبته طوال ذلك المساء ،  
وانعمت النظر اليه ، فافتنعت بأنه لا يحب ابنه اطلاقا ، رغم  
ما كانوا يقولون من انه يحبه حبا حارا عتيقا . وتابع أليوشا كلامه  
يقول :

— حين تركتك ، ذهبت الى كاتيا . ذكرتُ منذ هنيهة  
اننا فى ذلك الصباح انما عرف كل منا صاحبه معرفة تامة ،  
وقد حدث ذلك على نحو غريب . . لا اذكرك الآن كيف حدث



ذلك . . . ولكن ، ما هي الا بضع كلمات حارة ، وما هو  
الا التعبير الصادق عن بعض الآراء وبعض العواطف ، اذا بنا  
نتحد الى الابد . يجب ان تعرفيها يا ناتاشا ، يجب ان تعرفيها .  
ما اكثر ما تحدثت عنك ، ما اكثر ما شرحت وضعك : لقد  
افهمتنى اى كتر انت لي ! وشيئا فشيئا ، اوضحت لي جميع  
افكارها ، على طريقتها في فهم الحياة . ان نفسها تفيض جدا  
وحماسة ! حدثتني عن واجبنا ، عن رسالتنا ، عما يجب ان  
نقدمه للانسانية من خدمات . وما هي الا خمس ساعات او  
ست ساعات من الحديث ، اذا نحن نجد انفسنا على اتفاق  
تام في جميع الآراء ، فتعاهدنا على ان نظل صديقين الى الابد  
وان نتعاون في عمل واحد طوال الحياة .

فسأله الأمير دهشا :

— وما هو هذا العمل ؟

— لقد تغيرت كثيرا ، يا أبتاه ، ولا بد ان يدهشك  
مني كل شيء بعد الآن ، بل انني لأتنبأ مسبقا بجميع  
اعتراضاتك .

قال اليوشا ذلك بلهجة رصينة ، ثم اردف :

— انكم جميعا اناس عمليون ، لكم مبادئكم الصارمة ،  
القاسية ، المجربة ، وتنظرون نظرة الشك والعداوة والسخر الى  
ما هو فتى جديد . ولكنني لست الآن ذلك الشاب الذي كنت  
تعرفه منذ بضعة ايام . انا الآن شخص آخر . انا الآن انظر  
الى جميع الاشياء والى جميع الناس في هذا العالم نظرة جريئة .  
اذا عرفت ان قناعتني صادقة ، تابعتها الى آخر نتائجها ؛ واذا  
لم اضل اثناء الطريق كنت رجلا شريفا . . . ولكن حسبي كلاما

عن نفسي . . . لك ان تقول ما تشاء بعد ذلك ، غير انني  
واثق من نفسي .

قال الامير بلهجة ساخرة :

— عظيم ، عظيم ! . . .

كانت ناتاشا تنظر اليها قلقا ، كانت تخاف على اليوشا .  
كانت تعرف انه كثيرا ما يسترسل في الحديث استرسالا يعود  
عليه بالضرر . كانت تخشى ان يظهر امامنا ، وخاصة امام  
ايه ، بمظهر شخص مضحك يشير الاستهزاء به .  
فقالت :

— ماذا تقول يا اليوشا ؟ هذا فلسفة ! هل ادخلوك  
تحت لواء عقيدة جديدة . . . الأولى بك الآن ان تقص علينا  
ما حدث لك .

فهتف اليوشا قائلا :

— هذا ما افعله ! اسمعي يا ناتاشا . ان لكاتيا قريبين  
هما ليف ويوريس ، احدهما طالب ، والثاني شاب فحسب ،  
وكاتيا على صلة بهما ، وهما شابان من طراز فذ ! انهما لا  
يكادان يذهبان الى الكونتيسة ، وذلك عن عقيدة ومبدأ .  
وحين تحدثنا انا وكاتيا عن رسالة الانسان وعن واجباته ، عن  
هذه الامور كلها ، كلمتني عنهما ، وحملتني رسالة اليهما ،  
فمضيت فورا الى لقائهما ، فاذا نحن نتفاهم تفاهما كاملا  
منذ ذلك المساء نفسه . كان هناك اثنا عشر شخصا من انواع  
شتى : طلاب ، ضباط ، فنانون ، وكان هناك كاتب ايضا .  
وهم يعرفونك جميعا ، يا ايفان بتروفيتش ، اعنى انهم قرأوا  
كتبك ، وهم ينتظرون منك اشياء كثيرة في المستقبل . قالوا لي



ذلك هم انفسهم . وذكرت لهم اننى اعرفك ، ووعدتهم بأن اقدمك اليهم ، ليتم التعارف بينك وبينهم وقد استقبلونى جميعا كما يستقبلون اخا ، استقبلونى بكثير من الحرارة . ذكرت لهم اننى على وشك الزواج ، فعاملونى كما يعامل رجل متزوج . انهم يسكنون فى الدور الخامس ، تحت السقف ، ويعقدون اجتماعات كثيرة ، ويؤثرون ان يعقدوا هذه الاجتماعات يوم الاربعاء فى منزل ليف وبوريس . انهم شباب يفيضون نضارة ، ويحبون الانسانية جدا حارا ، وقد دار حديثنا حول الحاضر ، والمستقبل ، والعلوم ، والادب ، وكان حديثا جميلا يمتاز بكثير من الصراحة ، والبساطة . وهناك ايضا طالب من المدارس الثانوية يشترك فى الاجتماعات . ما اعمق هذه الصلة التى تجمعهم ! ما انبل قلوبهم ! لم ار فى حياتي اناسا كهؤلاء ! من هم اولئك الذين كنت اتردد اليهم حتى الآن ؟ ماذا رأيت ؟ ما هو الغذاء الذى اغذيت به ؟ انت وحدك يا ناتاشا كنت تدبرين معى احاديث من هذا النوع . آه يا ناتاشا ! يجب حتما ان ترى هؤلاء الشباب . ان كاتيا تعرفهم ، وهم يتحدثون عنها باحترام يكاد يبلغ حد التقديس ، وقد قالت كاتيا لتقريبها ليف وبوريس انها حين ستملك حق التصرف فى ثروتها ستبادر فوراً الى التبرع بمليون منها على المصلحة العامة .

فسأله الامير قائلا :

— لا شك ان ليف وبوريس وجماعتهما كلهما ، هم الذين سيتصرفون فى هذا المليون ؟  
— غير صريح ! غير صحيح ! عيب ، يا ابت ، عيب ان تقول هذا الكلام . اننى ادرك ما تفكر فيه . لقد تحدثنا فعلا

فى امر هذا المليون ، وتناقشنا طويلا فى وجوه انفاقه . وقرنا اخيرا ان نفقه قبل كل شىء على التعليم العام . . .  
قال الامير ، كمن يتحدث وحده وهو ما يزال يتنسم ابتسامته الساخرة :

— صحيح ، صحيح . لم اكن اعرف كاترينا فيدوروفنا الى الآن . كنت اتوقع منها اشياء كثيرة ، اما هذا . . .  
فقاطعه أليوشا قائلا :

— ما الذى يبدو لك غريبا كل هذه الغرابة ؟ أنها تبعد قليلا عن مبادئك ؟ أن احدا لم يضح حتى الآن بمليون ، وانها تفعل ذلك ؟ هذا ما يدهشك ، أليس كذلك ؟ أنها لا تحب ان تعيش على حساب الاخرين ؟ أليست المعيشة من هذه الملايين معيشة على حساب الاخرين ؟ لقد عرفت الآن هذه الحقيقة . انها تريد ان تنفع وطنها وان تنفع الناس وان تعطى قرشها للمصلحة العامة . لقد حدثونا عن عطاء القرش فى دفاتر الخط ، فهل اذا كان القرش مليوناً انقلب العطاء شرا ؟ وعلى اى اساس تستند تلك الحجة التى كنت اعتقد بها اعتقادا جازما ؟ لماذا تنظر الي هكذا يا ابي ؟ فكأن امامك مهرجا او انسانا ابله ! ولماذا لا أكون ابله ؟ لبتك يا ناتاشا سمعت كاتيا تقول فى هذا الموضوع : « ليس الذكاء هو الشىء الهام بل ما يوجه الذكاء ، اى الطبع ، القلب ، النبيل ، التقدم » . فى هذا الصدد ثمة كلمة عبقرية لبزميجين . انه صديق ليف وبوريس ، ولا أكتمكم انه دماغ جبار ، انه عبقرى من العباقرة . لقد قال امس خلال حديثنا : « يكفى ان يشعر الابله انه ابله حتى لا يكون ابله » ما اصدق هذا



الكلام ! انه في كل لحظة يقول عبارات من هذا النوع . انه  
بيذر الحقائق بذرا .

فقال الامير :

— هذا عيقرى حقا .

— انت ما تزال تسخر . . . الحق اننى لم اسمعك يوما  
تقول كلاما كهذا الكلام ، لا انت ولا اى شخص من يشنا .  
انتم فى مجتمعكم تفعلون عكس ذلك ، تخفون دائما كل  
شئ وتبخسون دائما كل شئ ، وتريدون ان يتطور كل شئ  
ارتفاعا وعرضا حسب معايير معينة كأنما ذلك ممكن . كأن  
ذلك ليس اقرب الى الاستحالة الف مرة مما نقوله نحن ونفكر  
فيه ! ثم نتعوتنا بأننا خياليون ! ليتك سمعت ما قالوه لي  
بالامس . . .

قالت ناتاشا :

— ولكن ماذا تقولون وفيهم تفكرون ؟ حدثنا عن هذا  
أليوشا . فاننى لم افهم هذا تماما بعد .

— نحن نتكلم ، عامة ، عن كل ما يقود الى التقدم  
الى الانسانية ويؤدى الى المحبة . نتناقش به فى هذا كله بصدد  
بعض مشكلات الساعة . نتحدث عن العلنية ، عن  
الاصلاحات ، عن حب الانسانية ، عن الرجال العاملين فى  
عصرنا هذا ، نحللهم ونقرأ ما يكتبونه ولكننا قد تعاهدنا ،  
خاصة ، على ان يصدق بعضنا بعضا ، وعلى ان نتصارع فى  
كل ما يتصل بنا ، دون تردد أو وجل . فالصدق والصراحة هما  
ما يمكن ان يوصلنا الى هدفنا . ويحرص بزميجين على هذا  
حرصا خاصا . وقد تحدثت الى كاتيا عنه ، فرأيت أنها تصر

له مودة كبيرة . لذلك تعاهدنا جميعا ، باشراف بزميجين ، على  
ان نعمل باستقامة وشرف طوال حياتنا كلها ، وعلى ان لا  
يصرفنا عن هدفنا شئ مهما يقول عنا الناس ، ومهما يروا فينا  
من رأي ، وعلى ان لا نستحي مما نطمح الى تحقيقه ، ومما  
يتأجج فى قلوبنا من حماسة ومما قد نقع فيه من اخطاء ، وانما  
نتابع طريقنا قدما . اذا اردت ان تحترم ، فاحترم نفسك أولا ،  
هذا هو الشئ الأساسى . انك لا تستطيع ان تحمل الناس  
على احترامك الا اذا احترمت نفسك . ذلك ما قاله بزميجين .  
وكاتيا توافقته على هذا الرأى كل الموافقة . وعلى كل حال ،  
فقد رسخت عقيدتنا الآن ، وقد عزمنا على ان يعنى كل منا  
بتثيف نفسه ، وعلى ان ينتفع كل منا بثقافة الآخر .  
وعلى ان ينتفع كل منا بثقافة الآخر .

صرخ الأمير فى قلق :

— ما هذا الهذر السخيف ! ومن هو بزميجين هذا ؟  
لا ، لا ، يستحيل ان ندع الأمور تجرى على هذا النحو . . .  
فأجاب أليوشا :

— اى أمور يستحيل ان تدعوها تجرى على هذا النحو ؟  
اسمع يا أبى ، هل تعرف لماذا تحدثت عن هذا كله أمامك ؟  
لأننى أريد وآمل أن أدخلك انت ايضا فى حلقتنا . لقد تعهدت  
لهم بك . أنتضحك ؟ لا بأس . كنت أقدر انك ستضحك !  
ولكن استمع اليّ حتى النهاية . انت رجل طيب القلب نبيل  
النفس : وستفهم ! انك لا تعرف هؤلاء الناس ، لم ترهم  
يوما ، ولا سمعت حديثهم . لنسلم بأنك سمعت عن هذا كله ،  
وأنتك درست هذا كله . ذلك انك على جانب عظيم من



الثقافة ، ولكنك لم ترهم هم انفسهم ، لم تجتمع بهم . فكيف تستطيع ان ترى فيهم رأيا عادة ؟ انت تخيل تخيلا انك تعرفهم . ولكن لا ، تعال اليهم ، واسمع كلامهم ، وأنا كفيل بأنك عندئذ ، ستنضم الينا ، ستكون واحدا منا ! واهم شيء اننى سأستعمل جميع الوسائل لكى انقذك من الهلاك فى مجتمعك الذى تحرص عليه كل الحرص وترتبط به كل الارتباط ، ولأحررك من اعتقاداتك .

أصغى الأمير الى هذا الكلام الاخير حتى النهاية ، دون ان ينبس بحرف . وكانت تعلقو شفثيه ابتسامة مسمومة . كان الشر يُقرأ فى وجهه ، وكانت ناتاشا تنظر اليه باشمزاز لا تحاول ان تخفيه ، وكان ينظر هو اليها ، ولكنه يتظاهر بأنه لا يلمح هذا الاشمزاز حتى اذا انهى أليوشا كلامه ، انفجر الأمير ضاحكا يفهقه ، بل انقلب الى وراء وأسند ظهره الى ظهر المقعد كأنه أصبح من فرط الضحك لا يقوى على الجلوس . ولكن كان واضحا أن يُكره نفسه على الضحك اكرهاها ، وكان جليا انه لا يضحك الا ليهين ابنه وليذله . وقد جرح أليوشا من ذلك حقا ، فكان وجهه يعبر عن حزن شديد ، ولكنه لم يفعل شيئا ، بل انتظر أباه الى ان انتهى من قهقهته ، فاستأنف عندئذ يقول فى حزن :

— لماذا تسخر مني يا أبت ! لقد جئت اليك صريحا ، لألّف ولا أدور فاذا كنت ترى ان كلامي سخيف ، فبرهن لي على ذلك ، بدلا من أن تضحك مني . ومم انت تسخر ؟ مما أراه الآن شيئا نبيلاً مقدسا ؟ قد أكون على ضلال ، قد يكون كل ما قلته خطأ ، قد أكون غيبا كما وصفتنى بذلك غير مرة ،

ولكنني ان ضللت سواء السبيل ، فانما أضل عن صدق واخلاص . اننى ما فقدت نبلي ، وانني اتحمس لافكار سامية . فاذا كانت هذه الافكار خاطئة ، فالأساس الذى تقوم عليه اساس مقدس . قلت لك انك لم تُسمعني فى يوم من الأيام كلاما يوجهني ويقودني ، لا انت ولا ذوك . فأبطل حججى اذا شئت وألثني بخير منها أتبعك ، ولكن لا تسخر مني ، لان هذا يؤلمني أشد الالام .

قال أليوشا ذلك بكثير من النبل والكرامة والوقار . وكانت ناتاشا تنظر اليه نظرة تعاطف ، وكان الامير يصغي الى ابنه دهشا ، ثم لم يلبث ان غير لهجته ، فقال :  
— لم أشأ يا صديقى ان اجرحك ، وانما انا أشفق عليك . انك على أبواب خطوة خطيرة فى حياة الانسان ، فما ينبغى ان تظل طفلا طائشا . هذا ما فكرت فيه . ولئن ضحكت فقد ضحكت على غير ارادة مني ، ولم يكن فى نيتي ان اهينك ابدا .

فاجاب أليوشا بلهجة مرة :  
— فلماذا تصورت انا ذلك اذن ؟ لماذا اشعر منذ مدة طويلة بأنك تراقبني كمن يراقب عدوا ، وتسخر مني ، ولا تنظر الى نظرة أب الى ابنه ؟ لماذا اتخيل أنني لو كنت فى مكانك لما ضحكت من ابني هذا الضحك المهين ؟ اسمع يا أبتى : يجب ان نتصارع حالا ، مرة واحدة ، حتى لا يبقى هنالك شيء من سوء التفاهم . . . سأقول الحقيقة كلها : حين دخلت عليكم لاحظت ان ثمة غمغمة هنا ايضا . لم أكن اتوقع ان أجلكم على هذه الحال معا . فاذا صدق ظني ، ألا يكون



من الخير ان يعبر كل منا عن عواطفه ؟ ما أكثر الشرور التي يمكن ان تنفادها بالصرخة !

قال الامير :

— تكلم يا ألبوشا ، تكلم . ان ما تقترحه علينا ينصف بكثير من الحكمة والذكاء .

ثم التفت الى ناتاشا وتابع يقول :

— ربما كان ينبغي لنا ان نبدأ من هنا .

قال ألبوشا :

— فلا تلمني اذن اذا كنت صريحا كل الصراحة . انت ترغب في هذه الصراحة وانت تحضني عليها . اسمع . لقد وافقت على زواجي بناتاشا . لقد منحتنا هذه السعادة ، ولا شك انك قسوت على نفسك من اجل ذلك . كنت شهما وقد قدرنا لك جميعا هذا العمل النبيل . ولكن لماذا تحاول اذن ان تشعرني في كل لحظة بأنني ما زلت طفلا سخيفا مضحكا ، وبأنني لا اقدر ان اكون زوجا ؟ لماذا تحاول ذلك وتشعر منه بنوع من القرح ؟ لماذا تريد ان تجعلني أضحوكة وان تذلني وأن تبهدلني حتى في نظر ناتاشا ؟ انك تحس بكثير من السرور حين تظهرني بمظهر الانسان السخيف المضحك . لاحظت ذلك ليس اليوم ولكن منذ مدة طويلة لكأنك تحاول ان تبرهن لنا على ان زواجنا خطأ ومستحيل ، وعلى ان احدنا لا يناسب الآخر . لكأنك ، حقا ، لا تؤمن بما تهيئنا له . لكأنك تعد الامر كله مهزلة ، تمثيلية مضحكة ، مسرحية مسلية . لا استتج ذلك من الكلام الذي قلته الآن ، فحسب ، ففي يوم الثلاثاء ، حين عدت الى بيتك من هنا ، سمعت منك تعابير غريبة ،

فاجأتني وجرحتنى . وفي يوم الاربعاء ، حين سافرت ، اشرت ايضا الى وضعنا الراهن والى ناتاشا بكلام لا اقول انه يشتمل على اهانة بل اقول انني كنت انتظر ان اسمع منك غيره . كان كلامك خفيفا مسرفا في الخفة ، كان لا يحتوي على شيء من العاطفة ، ولا يعبر عن شيء من الاحترام . يصعب علي ان اشرح لك ذلك ، ولكن اللهجة كانت واضحة : ان المرء يحس هذه الامور بقلبه . قل لي انني على خطأ ، صحح لي هذا الخطأ ، طمئني ، و... طمئنها هي أيضا ، لانك جرحتها . لقد ادركت ذلك منذ دخلت عليكم .

كان ألبوشا يتحدث بحرارة وحزم ، وكانت ناتاشا تصغي الى كلامه في اجلال ، كانت منفعلة أشد الانفعال ، وكان وجهها يحترق احتراقا ، ودمدمت بينها وبين نفسها مرتين او ثلاث مرات اثناء حديث ألبوشا قائلة : «نعم ، نعم ، صحيح» . وكان الامير مضطربا فأجاب :

— يا صديقي ، لا استطيع طبعاً أن اتذكر كل ما قلته لك . ولكن من الغريب أن تحمل كلامي على هذا المعنى . انني مستعد لأن افعل كل ما في وسعي لأصحح خطأك . لئن ضحكت منذ لحظة ، لقد كان سبب هذا الضحك واضحا . انما اردت بهذا الضحك ان اخفي ما في قلبي من مرارة . اصبحت اشعر الآن ، حين أتخيل أنك على وشك الزواج ، أن هذا الزواج مستحيل ، سخيف ، بل احمق ، اغفر لي هذا الكلام . لقد لعنتي على ضحككي ، فاعلم اذن أن هذا كله كان بسبك ، واني لاعترف بأنني مشول ايضا ، فلعلني لم أحسن مراقبتك في الآونة الاخيرة . انني لم ادرك ما انت قادر



عليه الا في هذا المساء . انني لأرتعش الآن خوفا حين افكر  
في مستقبلك مع ناتاليا نيقولايفنا . لقد تعجلت . اني ادرك  
في هذه اللحظة أنكما لا يناسب احدكما الآخر . ان كل حب  
ينقضى ، ويبقى الاختلاف . لست اتحدث عن مصيرك انت ،  
ولكنني أسألك ان تتصور أنك ، اذا كانت نواياك شريفة ، لا  
تضيق نفسك فحسب ، بل تضيق معك ناتاليا نيقولايفنا ، ولا  
يكون يومئذ سبيل الى اصلاح ما فسد . لقد تحدثت اليها الآن ،  
خلال ساعة برمتها ، عن حب الانسانية ، ونبيل العقائد ، وعن  
أولئك الناس الرائعين الذي انعقدت بينك وبينهم اسباب التعارف . فاسأل  
ايفان بتروفيتش عما قلته له منذ قليل ، حين بلغنا الدور الرابع ،  
على هذا السلم القدر ، فتوقفنا عند الباب نحمد الله على اننا لم  
نُدق اعناقنا ولا انقطعتم أرجلنا ، هل تعرف ما الذي خطر ببالي  
عندئذ على غير ارادة مني ؟ لقد تساءلت دهشا : كيف تطيق ،  
انت الذي تحب ناتاليا نيقولايفنا كل هذا الحب ، أن تسكنها  
شقة كهذه الشقة ؟ كيف لم تشعر ، مادمت لا تملك الموارد ،  
لا تملك الوسائل اللازمة للقيام بواجباتك ، بأنك لا تستحق ان  
تتزوج ، وبأنك لا تستحق ان تتحمل أى تبعه ؟ الحب يبنى  
لا يكفى : يجب ان تبرهن على الحب بأعمال وحين تقول  
لها بينك وبين نفسك : « عيشى معي ، ولو كان عليك ان  
تتعذبي » لا تكون انسانيا ، ولا تكون على شيء من النبل .  
لست أفهم كيف تتحدث عن حب البشر ، وكيف تتحمس  
لقضايا انسانية ، ثم تقترف جرائم في حق الحب ! هذا ما  
لا افهمه ، لا تقاطعيني ، يا ناتاليا نيقولايفنا ، دعيني أكمل  
كلامي . ان هذا الامر ليؤلمنى كثيرا ، ويجب أن أفرغ كل ما

في صدري . قلت لنا يا أليوشا انك في هذه الايام الاخيرة قد  
ادركت كل ما هو نبيل وجميل وشريف ، وانت تنعى على بيتنا  
انها لا تعرف مثل هذه الحماسة ، ولا تعرف الا صقيع العقل  
البارد . فانظر قليلا : كيف تحب ما هو عظيم وجميل ، ثم  
تهمل ، خلال اربعة ايام ، بعد الذي جرى هنا يوم الثلاثاء ،  
تلك التي ينبغي ان تكون أعز عليك من كل شيء في هذا  
العالم ؟ لقد اعترفت انت نفسك بأنك تشاجرت مع كاترينا  
فيدوروفنا حين ذكرت لها ان ناتاليا نيقولايفنا تحبك كل هذا  
الحب ، وانها كريمة كل هذا الكرم ، وانها ستغفر لك خطأك .  
ولكن بأي حق تعتمد على عفوها وتتخذها موضوع رهان ؟ هل  
فكرت مرة واحدة في انواع العذاب ، واللوان المرارة ، وضروب  
الشك التي عرّضت لها ناتاليا نيقولايفنا في هذه الايام الاخيرة ؟  
هل ظننت ان من حقت ان تهمل اول واجب من واجباتك ،  
لانك تحسنت لافكار جديدة ؟ عفوك يا ناتاليا نيقولايفنا ، لقد  
اخلفت وعدى ، ولكن هذا الامر اخطر شأنا عندي من الوعد ،  
ولا شك أنك تفهمين ذلك . هل تعرف يا أليوشا اننى وجدت  
ناتاليا نيقولايفنا فريسة لالوان من العذاب ، ففهمت كيف انك  
احلت هذه الايام الاربعة التي يجب ان تكون من اسعد ايام  
حياتها ، الى جحيم لا يُطاق . هذا انت : أعمال من هذا  
النوع من جهة ، ومن جهة اخرى كلام ، وكلام ، وكلام .  
ألس على حق ؟ وتجروء بعد ذلك على اتهامى ، وانت انت  
المذنب فى كل شيء . . .

وتوقف الامير عن الكلام . لقد استرسل في فصاحته  
وبلاغته ، ولم يستطع ان يخفى عنا انتصاره . وحين سمع



أليوشا أباه يتحدث عن الآلام التي عانتها ناتاشا ألقى عليها نظرة تفيض بالحزن المومع ، ولكن ناتاشا عقدت عزمها :  
— لا تحزن يا أليوشا . ذنب غيرك أكبر . اجلس واستمع الى ما سأقوله لأبيك . لقد آن الآوان .  
فقال الامير :

— قولي ما تريد يا ناتاليا نيقولايفنا . . قولي ما تريد  
حالا ، ارجوك . ها قد مضت ساعتان وانت تتحدثين بالغاز .  
ان هذا لا يُحتمل . واعترف لك بأنني لم أكن اتوقع ان استقبل  
هذا الاستقبال .

— ربما . وذلك لانك تظن ان سحر كلامك يمكن ان  
يخفي عنا حقيقة نواياك . ماذا يجب ان اقول ؟ انك تعرف  
كل شيء ، وتفهم كل شيء . أليوشا على حق . ان اعز رغبة  
في نفسك هي ان تفصل احدنا عن الآخر . كنت تعرف مقدما  
ما سوف يحدث هنا بعد سهرة يوم الثلاثاء ، كنت تعرف ذلك  
حق المعرفة ، لقد حسبت كل شيء على اصابعك ان صح  
التعبير . سبق ان قلت لك انك لا تنظر نظرة الجد ، لا الي  
ولا الى طلب الزواج الذي دبرته في ليل . انت تسلي ، انت  
تعبت بنا ، ولك هدف لا يعرفه احد غيرك . ان لعبتك مضمونة  
ولقد كان أليوشا على حق حين اخذ عليك انك تعد الامر كله  
مسرحة هزلية . وكان ينبغي اذن ان تسر لسلك اليوشا لا ان  
تلومه وتقرعه ، فانه ، دون ان يدري نفذ كل شيء حسب  
مشيئتك ، ربما مع زيادة قليلة .

صُعقت من الدهشة . كنت اتوقع كارثة في ذلك المساء .  
ولكن هذه الصراحة القاسية التي عمدت اليها ناتاشا ، وهذا

الازدراء الذي خاطبت به الامير دون ان تحاول اخفاه ، كل  
ذلك قد شدني الى ابعد الحدود . قلت في نفسي : لا بد  
انها تعلم اذن شيئا من الاشياء ، حتى قررت القطيعة بلا ابطاء .  
بل لعلها كانت تنتظر الامير بصبر فارغ ، كي تقول كل شيء  
دفعة واحدة امام وجهه . . وامتنع لون الامير قليلا . كان وجه  
اليوشا يعبر عن دعر ساذج وعذاب قلق .

هتف الامير قائلا :  
— راجعي ما اتهمتي به الآن ، وزني كلامك قليلا . .  
انا لا افهم . .

فقلت ناتاشا :  
— ها . . انت لا تريد ان تفهم بكلمتين . حتى هو ،  
فهمك مثلما فهمتك ، مع اننا لم نتفق على شيء ، ولا رأى  
احدنا الآخر . هو نفسه ادرك انك تلعب بنا لعبة دنيئة مهينة ،  
مع انه يحبك ويؤمن بك ايمانه بالله . لم تر ان من المفيد ان  
تكون حذرا ، فمكرت بنا . قدرت انه لن يدرك الاعييك .  
ولكن له قلبا مرهفا رقيقا يتأثر ويفهم ، فانطبعت كلماتك ،  
انطبعت لهجتك ، على قلبه ، على حد تعبيره . .

فعاد الامير يقول ، وهو يلتفت الي مشدوها ، كأنما  
ليشهدني :

— لا افهم ، لا افهم شيئا البتة .  
كان الامير حائقا اشد الحق ، وتابع كلامه متجها الى  
ناتاشا :

— انت سيئة الظن ، قلقة . كل ما في الامر انك  
تغارين من كاترينا فيدوروفنا . انك قادرة على ان تهمني الدنيا



بأسرها ، وان تتهمني في طليعة من تتهمين . فاسمحي لي  
ان اقول ان موقفك هذا يحملني على ان ارى في طبعك رأيا  
غريبا . انني لم اعود على فصول من هذا النوع . وما كان لي ان  
أبقي هنا دقيقة واحدة ، لولا ان مصلحة ابني تقضى بذلك .  
وها أنا ذا انتظر ، فهل لك ان تفضلني بشرح ما تريد من قوله ؟  
— تصر اذن على ان لا تفهم بكلمتين ، رغم انك تعرف  
الامر كله معرفة تامة . تصر على ان اخطبك دون لف او دوران ؟  
— لا اريد غير هذا .

— حسنا . اسمع اذن . سأقول لك كل شيء .

هتفت ناتاشا بذلك ، وقد اشتعلت عيناها غيظا .

### الفصل الثالث

نهضت ناتاشا ، واخذت تتكلم واقفة ، دون ان تلاحظ  
ذلك من شدة اضطرابها . وراح الأمير يصغي ، ويصغي ،  
ونهمض هو ايضا . وانقلب المشهد خطيرا مسرفا في الخطورة .  
بدأت ناتاشا بقولها :

— هل تتذكر ما قلته يوم الثلاثاء ؟ لقد قلت انك تريد  
مالا ، وطرقا مهيبة ، وشأنا نابها في المجتمع . هل تتذكر ؟  
— نعم .

— حسنا . انك من اجل الحصول على هذا المال ،  
ومن اجل الظفر بهذه الانواع من النجاح التي كانت تتسلل من  
بين يديك ، انما جئت الى هنا يوم الثلاثاء ، ولفقت تلك  
الخطبة ، معتمدا على ان هذا اللعب سيساعدك على تدارك  
ما كان يفوتك .

فصرخت قائلا :

— ناتاشا ، ما هذا الذي تقولين ؟

فكرر الأمير يقول كمن جرح كرامته :

— لعب ؟ حساب ؟

وكان أليوشا ، وقد هذه الحزن ، ينظر ولا يكاد يفهم .

وتابعت ناتاشا كلامها تقول ، وقد بلغت غاية الغضب :

— نعم ، نعم ، لا تقاطعني ، لقد حلفت ان اقول كل

شيء . تتذكر أن أليوشا كان قد خرج على طاعتك ، واصبح

لا يثق لك فقد جهدت خلال ستة اشهر ان تفصله عني ،

فلم تظفر بذلك . وفجأة لاحظت ان الزمن يسبقك فان تركت

الفرصة تغلت ضيقت الخطيئة والمال ، وخاصة المال ، ثلاثة

ملايين . فلم يبق امامك الا وسيلة واحدة هي ان يحب أليوشا

القناة التي تريد ان تخطبها له . لقد قدرت انه سيهجرني اذا

هو أحبها .

فصرخ أليوشا حزينا يقول :

— ناتاشا ، ناتاشا ، ما هذا الذي تقولين ؟

وتابعت ناتاشا كلامها دون ان تعبا بصرخة أليوشا :

— هذا ما فعلته ، ولكن القصة القديمة تكررت . وكان

يمكن ان يتم كل شيء لو لا انني افسدت عليك خطتك مرة

اخرى ! كان هناك امر واحد يمكن ان يبعث فيك الأمل :

لعلك كنت قد لاحظت ، بما لك من خبرة وتجربة ، انه

كان يبدو على أليوشا في بعض الاحيان انه سئم علاقته القديمة .

لا شك انك رأيت انه اخذ يهملني قليلا ، وانه اخذ يضجر

مني ، وانه صار يتغيب عني في بعض الأحيان خمسة ايام



متتالية . فأقلت ان يسأمني تماما وان يهجرني ، ولكن سلوكه  
يوم الثلاثاء الماضى عاد فقلب مشاريعك رأسا على عقب . . .  
فتساءلت : ما عساك تفعل ؟

فهتف الامير قائلا :

— أرجوك ، هذه الواقعة ، بالعكس . . .

فقاطعتة ناتاشا بحزم تقول :

— تساءلت فى ذلك المساء ما عساك تفعل ، وقررت

ان توافق على زواجنا لا موافقة صادقة ، بل هكذا . . . بالكلام ،  
لتهدئته . قلت فى نفسك : اننى استطيع ان أؤخر موعد الزواج  
ما شئت التأخير ، وفى اثناء ذلك يكون قد نشأ حب جديد  
لقد لاحظت انت نشوء ذلك الحب ، وعليه بنيت خطتك .  
قال الامير بصوت منخفض ، كأنما يخاطب نفسه :

— كلام روايات ، كلام روايات . هذا ما تفعله الوحدة

والاحلام وقراءة الروايات !

وعادت ناتاشا تقول ، دون ان تسمع كلام الامير ودون

ان تنتبه اليه :

— نعم ، لقد بنيت خطتك كلها على هذا الحب

الجديد .

لقد استبدت بناتاشا حماسة محمومة ، وكانت تزداد اندفاعا

شيئا بعد شيء ، وتابعت كلامها تقول :

— وكان حظ هذا الحب من النماء حظا كبيرا . كان

قد نشأ فى قلب أليوشا من قبل ان يكشف جميع ما تتصف  
به تلك الفتاة من مزايا وحسنات ، وفى اللحظة التى صرح لها ،  
ذلك المساء ، بأنه لا يستطيع أن يحبها ، لان الواجب وجبا

آخر يحولان بينه وبين ذلك ، أظهرت له من النبيل ومن العطف  
عليه وعلى غريمتها ومن سمو النفس ما جعله رغم اعترافه قبل  
ذلك بجمالها ، يحس انه لم يدرك قبل الآن انها جميلة كل  
هذا الجمال ، حتى اذا جاء اليّ لم يتحدث فى شيء غيرها ،  
فلقد أثرت فيه تأثيرا قويا حتى ملكت عليه عقله . وشعر ،  
منذ الغد ، بحاجة قاهرة الى رؤية تلك الانسانة الرائعة ، من  
قبل الاعتراف بالجميل فى أقل تقدير . ولماذا لا يذهب اليها ؟ ان  
الاخري ، اعنى الاولى ، لا تتألم ، فقد تقر مصيرها ،  
وسهب لها حياته كلها ، وهو لا يقضى هنا الا دقيقة واحدة ،  
ولسوف تكون ناتاشا تلك عاقبة كثيرا اذا غارت من هذه الدقيقة !  
ويدون أن يشعر ، يتزعزع من ناتاشا هذه ، لا دقيقة واحدة ،  
بل يوما ثم يوما ثانيا ، ثم يوما ثالثا ، واثناء ذلك تبدو له الفتاة  
فى ضوء جديد لا عهد له به من قبل ، فهى نبيلة القلب ،  
شديدة الحماسة ، وهى فى الوقت نفسه ساذجة كأنها طفلة ،  
وهى فى هذا تشبه كثيرا ، فيتواعدان على ان يظلا صديقين  
مدى الحياة ، وعلى ان يكونا اخا واختا لا يترك احدهما الآخر ،  
وبعد خمس أو ست ساعات من الحديث تفتتح نفسه لمشاعر  
جديدة يستسلم لها قلبه كله ، وتقترب اللحظة الحاسمة . هذا  
ما فكرت فيه : سوف يقارن عندئذ بين حبه القديم وبين حبه  
الجديد واحساساته الجديدة . أما هنالك فكل شيء معروف ،  
معناد ، جاد : مطالب وغيرة ومشاجرات ودموع ، وهنالك لا  
يمارحونه ولا يلاعبونه كما يمازح ويلعب ند من الانداد ،  
بل طفل من الاطفال . . . هنالك ، خاصة ، كل شيء قديم  
العهد . . .



وختقتها الدموع وسورة اليأس ، ولكنها سيطرت على نفسها  
وتابعت تقول :

— وبعد ذلك ؟ بعد ذلك يُترك الامر للزمن : ان الزواج  
بناتاشا لا يحدد فورا ، ويأتى الزمن فيبدل كل شيء . وتستطيع  
ايضا أن تؤثر بكلماتك وارشاداتك وبراهينك وبلاغتك . . . تستطيع  
ان تقدر في ناتاشا المزعجة وان تدمها . تستطيع أن تصورها في  
صورة قيحة . . . ولا يدري أحد ما يكون بعد ذلك ، ولكن  
النصر يكون حليفك ! لا تؤاخذنى يا ألبوشا ، يا صديقى .  
لا نقل اننى لا أفهم حبك ، واننى لا أقدره حق قدره . أنا  
أعلم أنك ما زلت تحبى ، وأنتك قد لا تفهم فى هذه اللحظة  
ما أشتكى منه . وأنا أعلم أننى أسىء التصرف حين أقول  
هذا الكلام كله . ولكن ما حيلتى ، وأنا أرى ما أرى ، ما  
حيلتى وحبك فى قلبى يقوى يوما بعد يوم ، ويصير الى ما  
يشبه الجنون .

قالت ذلك ثم غطت وجهها بيديها ، وارتمت على  
مقعدها ، واخذت تجهش فى البكاء كطفل . فصرخ ألبوشا ،  
وأسرع اليها ، وكان لا يستطيع أن يراها باكية دون أن يبكي .  
استفاد الامير من هذا النحيب فائدة كبيرة ان هذه الحماسة  
التي اظهرتها ناتاشا خلال حديثها الطويل ، وهذا الاندفاع  
فى هجومها الذى كان ينبغى أن يظهر استياءه منه واستنكاره له  
وأن يعده إهانة لحقت به ، هذا كله أصبح يمكن ان يُعتبر  
الآن نوبة جنونية من نوبات الغيرة ، وان يُرجع الى شدة الحب  
الذى أهبين ، بل الى المرض أيضا . وكان من اللباقة من جانب  
الامير أن يظهر شيئا من العطف ، فقال يواسيها :

— هدنى نفسك يا ناتاليا نيقولايفنا ، هدنى نفسك .  
هذا كله من فرط الحماسة والاحلام والعزلة . لقد اثار حفيظتك  
بخفته وسلوكه . ولكن ذلك كله لم يكن من جانبه الا طيشا .  
ان أهم شيء اوضحت قيمته ، وهو ما حدث يوم الثلاثاء ،  
كان ينبغى ان يقنعك بعمق حبه لك وتعلقه بك ، ولكنك بدلا  
من ذلك اخذت تتخيلين . . .

فقاطعتها ناتاشا ، وهى تبكى بكاء مرا ، بقولها :  
— آه ، لا تكلمنى ، لا تعذبني ، دعني وشأني فى  
هذه اللحظة على الاقل . لقد قال قلبى ذلك كله منذ مدة طويلة .  
هل تظن اننى لا أفهم ان حبه القديم قد انقضى وانتهى  
الامر ؟ . . هنا ، فى هذه الغرفة ، حين كان يتركنى ، حين  
كان ينساني ، كنت اقبع وحيدة . . . أعيش هذا كله . . .  
وأفكر فى هذا كله ، واعيد التفكير فيه . . . ماذا كان فى  
وسعي ان اعمل ؟ لا اتهمك يا اليوشا ، لماذا تحاول ان  
تخدعنى ؟ هل تظن اننى لم احاول ان اخدع نفسى ؟ آه ،  
كم مرة ، كم مرة ، حاولت ذلك . ! . وكنت اتجسس على  
كل نبرة من نبراته ، وارصد كل حركة من حركات وجهه ،  
وعينه . . . لقد تعلمت ان اقرأ فى وجهه وفى عينيه . . . ضاع  
كل شيء ، مات كل شيء . . . ما اشقاني ! . . .  
كان ألبوشا يبكي ، راکعا امامها ، واخذ يردد من خلال  
النحيب :

— نعم نعم ، الذنب ذنبى ، الذنب ذنبى . . .  
— لا لست اتهمك يا ألبوشا . . . ليس الذنب ذنبك . . .  
هناك آخرون . . . أعداؤنا . . . انهم هم . . . هم .



فصرخ الامير ، بشيء من نفاذ الصبر :

— ولكننى استميتك العذر اخيرا : على اى اساس تسدين اليّ كل هذه الجرائم ؟ كلامك كله افتراضات لا برهان عليها . . .

فصرخت ناناशा تقول ، وقد نهضت عن مقعدها :  
— تريد براهين ايها الرجل الماكر ؟ ما كنت تستطيع ان تفعل غير هذا حين جئت اليّ بعرضك ! كان لا بد لك ان تهديء ابنك ، وان تنيم ما يشعر به من عذاب الضمير ، حتى يستطيع ان يستسلم لكاتيا بمزيد من الحرية . وبدون ذلك ، كان لا بد ان يتذكرنى ، وكان لا بد ان يتمرد ، وكان لا بد ان تضيق أنت ذرعا بالانتظار . اليس هذا صحيحا ؟  
فأجاب الامير ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

— أعترف اننى لو أردت ان اخدعك لقتت حقا بهذا الحساب . انك تملكين كثيرا من نفاذ البصيرة : ولكن قبل ان توجهى الى الناس مثل هذه الملامات ، يجب ان تبرهنى . . .

— ابرهن ؟ فكيف تعلل اذن سلوكك السابق ، حين كنت تحاول ان تنتزعه منى . ان من يعلم ابنه ان يحتقر مثل هذه الواجبات ، وان يعيب بها ، حبا بالظهور فى المجتمع ، وطمعا فى المال ، انما يفسده ! ماذا قلت منذ لحظة عن السلم ، وعن هذا البيت الحقيقى ؟ ألسنت انت الذى منعت عنه ما كنت تعطيه من مال ، وذلك كى تكرهنا بالبؤس والجوع على الانفصال ؟ انت انت السبب فى هذا البيت وفى هذا السلم ، ثم تلومه بعد ذلك عليهما ايها المحتال ! ومن اين

انتك فى ذلك المساء ، فجأة ، تلك الحماسة ، وتلك الاعتقادات التى لا عهد لمثلك بها ؟ ولماذا شعرت بتلك الحاجة كلها اليّ ؟ اننى طوال الايام الاربعة الماضية ، لم ازد على ان اذرع الغرفة جيئة وذهابا : فكرت فى كل شيء ، ووزنت كل شيء ، انعمت النظر فى كل كلمة من كلماتك وحللت كل تعبير من تعابير وجهك ، فانتهيت الى الاعتقاد بأن ذلك كله كان تصنعا ، بأن ذلك كله لم يكن الا مزاحا ، لم يكن الا مهزلة مهينة ، خبيثة ، حقيرة . . . ذلك اننى اعرفك ، أعرفك منذ مدة طويلة . كنت كلما اتى اليّ ألبوشا من عندك ، اقرأ فى وجهه كل ما قلته له ، وكل ما اوجبت به اليه . عرفت كل اساليبك فى التأثير فيه ! لا ، لا ، انت لا تستطيع ان تخدعنى ! قد تكون لك حسابات اخرى ، وجائز اننى لم اضع يدي على الشيء الاساسي بعد ، ولكن لا قيمة لهذا . . . الامر المهم هو انك كذبت علي . . . هذا ما يجب ان اقله لك صراحة بلا لف ولا دوران ! . . .

— أهذا كل شيء ؟ أهذه هى براهينك كلها ؟ ولكن فكرى فى الامر بعد هذه الحماسة الشديدة : لو كان ما تم فى يوم الثلاثاء حيلة ، كما تقولين ، لكانت هذه الحيلة تورطنى كثيرا ، ولكان ذلك منى طيشا اى طيش ! . . .  
— فيم كنت تورط نفسك ؟ هل لمخادعتى من قيمة فى نظرك ؟ هل لاهانة فتاة حقيرة من شأن عندك ؟ لست فى نظرك الا ابنة هاربة ، شقية ، عزلاء ، نبذها ابوها ، فليس هناك من يدافع عنها . لست فى نظرك الا ابنة تجردت من الاخلاق ، ولوثت شرفها بارادتها . . . فهل تستحق منك مثل هذه الفتاة ان



تمتنع عن المزاح معها ، اذا كان هذا المزاح يعود عليك باى  
نفع مهما يكن ضئيلا ؟

— فى اية منزلة تنزلين نفسك يا ناتاليا نيقولايفنا ؟ فكرى  
فى الامر . انك تصرين على القول باننى اهتكت . ولكن هذه  
الاهانة التى تتخيلينها فادحة مخزية مذلة . . . لا افهم كيف  
تفترضين هذا ، وكيف تصرين عليه . لا بد فى الواقع ان  
يكون المرء متمرسا على اشياء كثيرة حتى يفترض ذلك بمثل هذه  
السهولة ، عفوك اذا قلت هذا الكلام . ان من حضى ان اوجه  
اليك بعض اللوم ، لانك تستعدين ابني علي . ولئن لم يناصرني  
العداء فى هذه اللحظة دفاعا عنك ، فلا شك انه يشعر نحوى  
بالعداوة . . .

فصرخ ألبوشا يقول :

— لا يا ابي ، لئن لم اناصبك العداء ، فلأنتى اعتقد  
انك لم تهنها ، ولأنتى لا استطيع ان اصدق ان فى وسع  
انسان ان يهين احدا بهذه الطريقة !  
فتهتف الامير يسأل ناتاشا :

— هل تسمعين ؟

— ناتاشا ، الذنب كله ذنبى ، فلا تنهيه . انها  
خطيئة فظيعة .

فصرخت ناتاشا توجه الكلام اليّ قائلة :

— هل ترى يا فانيا ؟ هو ذا ضدي .

فقال الامير :

— كفى كفى . يجب ان ننهي هذا الفصل المؤلم . ان  
هذه الغيرة العمياء الحائقة ترسم لي صورة عن طبيعتك جديدة

كل الجدة . لقد تعجلنا كثيرا ، نعم لقد تعجلنا كثيرا . انك  
لا تدركين مدى الجرح الذى احدثته فى نفسى ، ذلك ان  
هذا الجرح لا يهتك . لقد تعجلنا كثيرا ، لقد اسرفنا فى  
التعجل . صحيح ان عهدى الذى قطعتة عهد مقدس ،  
ولكن . . . ولكنى اب ، واريد لابني السعادة .  
فصرخت ناتاشا ، وقد خرجت عن طورها :

— انسحب اذن وعدك ؟ اذن فاعلموا اننى منذ يومين ،  
وانا وحيدة هنا ، قد قررت ان ارد اليه وعده ، وهأنذا أؤكد  
الآن ذلك امامكم جميعا : اننى ارفض الزواج من ألبوشا .  
— ربما كان معنى ذلك انك تريدان ان تجددني فى

نفسه كل انواع القلق التى كان يعانيتها ، تريدان ان توقظني فى  
نفسه الشعور بالواجب ، تريدان ان تحبني فى قلبه ما كان  
يشعر به من «اضطراب بصدد واجباته» (كما عبرت عن ذلك  
بلسانك منذ هنيهة) ، وذلك من اجل ان تشديه اليك مرة  
اخرى ، كما شدته اليك فى الماضى . ان ما اقوله الآن  
ينحدر من نظرتك نفسها ، ولهذا اقوله . ولكن حسبنا هذا  
الآن ، ولنترك الامر للزمن . سأنتظر لحظة هادئة تنبسط فيها .  
أمل ان لا تكون علاقانا قد انقطعت انقطاعا نهائيا . وآمل  
ايضا ان يتغير رأيك فيّ ، وان تقدرينى اكثر مما قدرتنى الى  
الآن . كنت اريد اليوم ان اطلعك على مشروعى بصدد اهلك  
وكنت ستعرفين منه . . . ولكن حسبنا هذا الآن . . .

ثم التفت الي واضاف يقول ، وهو يقترب مني :

— يا ايفان بتروفتش ، يسرنى الآن اكثر من اى وقت  
مضى ان تتعارف تعارفا اعمق ، لست افصح عن الرغبة التى



تساووني منذ مدة طويلة ، فحسب . آمل انك ستفهمني . هل  
تسمح لي بزيارتك ذات يوم قريب ؟  
فانحنيت . كان يبدو لي انني لا استطيع الآن ان اتحاشاه .  
فصافحني ، وحبيا ناتاشا صامتا ، وخرج خروج من جرحت  
كرامته .

## الفصل الرابع

ظللنا عدة دقائق لانطق بحرف . كانت ناتاشا تجلس  
واجمة تفكر ، حزينة مهذمة ، فارقتها قواها كلها دفعة واحدة .  
كانت تنظر الى امام ، دون ان ترى شيئا ، كأنها غائبة عن  
نفسها ، وكانت ممسكة بيد أليوشا ، وكان أليوشا ما يزال يبكي  
في خفوت ، ويلقى على ناتاشا نظرة وجلة مستطلعة من حين  
الى حين .

واخذ اخيرا يعزبها على خجل ، ويضرع اليها ان لا  
تغضب ، ويتهم نفسه . كان واضحا انه يريد ان يبرىء أباه ،  
وان ذلك كان يثقل عليه كثيرا . لقد حاول عدة مرات ان  
يتحدث في هذا الموضوع ، ولكنه لم يجرؤ ان يعبر عما في  
نفسه تعبيرا واضحا ، مخافة ان يوقظ سخط ناتاشا ، فكان  
يحلف لها ان حبه حب ابدى لا يتغير ، ويرر علاقته بكاتيا  
في كثير من الحرارة ، ويردد بلا توقف انه لا يحب كاتيا الا  
كما يحب اخ اخته الطيبة الرائعة التي لا يستطيع ان يهجرها  
هجرا تاما ، وانه لو فعل لكان ذلك منه غلظة وقسوة . وكان  
يوكد لناتاشا انها لو عرفت كاتيا لاصبحتنا فورا صديقتين لا

تفترقان ابدا ، فما يبقى بعدئذ اي سوء تفاهم . وكانت هذه  
الفكرة تعجبه جدا بين سائر الافكار . لقد كان المسكين صادقا  
كل الصدق ، وكان لا يفهم مخاوف ناتاشا ، حتى ليتمكن ان  
يقول انه لم يدرك ما قالته ناتاشا لايه منذ قليل ، فكل ما  
ادركه هو ان اباه وناتاشا قد تشاجرا ، وكان ذلك هو ما يحز  
في نفسه خاصة .

سأله ناتاشا :

— هل تلومني على ما بدر مني نحو ابيك ؟

فاجاب بمرارة :

— كيف الومك وانا سبب كل شيء ؟ كيف الومك وانا  
المذنب ؟ انا الذي دفعتك الى الغضب ، حتى اذا استبد بك  
الغضب ، اخذت تتهمينه حتى تبرئيني . انك تبرئيني دائما ،  
وانا لا استحق ذلك . كان لا بد من ان تلقي التبعة على احد ،  
فألقيتها عليه .

واضاف أليوشا هاتفا في حرارة :

— ولكنه ليس هو المذنب . أمن اجل هذا جاء الى  
هنا ؟ أهذا ما كان يتوقعه ؟

ولكن البوشا رأى ناتاشا تنظر اليه نظرة عتب حزين ،  
فسرعان ما فقد ثقته بنفسه وقال :

— لا ، لن اقول شيئا ، اعذريني ، انا سبب كل  
شيء !

فقالت ناتاشا في جهد :

— نعم يا أليوشا ، لقد مرر بيننا ، فهتمم أمننا الى الأبد .  
كنت تصدقني دائما أكثر مما تصدق اي انسان آخر ،



اما الآن فقد سكب في قلبك الشك وسوء الظن : انك تخطئني .  
لقد سلبنى نصف قلبك . بيننا الآن ظل .

— لا تقولي هذا الكلام يا ناتاشا . لماذا تقولين ان  
بيننا ظلا ؟

لقد جرحه التعبير .

واردفت ناتاشا تقول :

— لقد اجتذبتك اليه بنبل مصطنع وكرم كاذب .

وسيستعديك عليّ بعد الآن أكثر فأكثر :

فهتف أليوشا يقول بحرارة :

— اقسم لك ان لا . . . ولئن قال «انا تعجلنا كثيرا» .

فلقد دفعه الى هذا القول انه كان مستاء . سترين غدا ، او

ذات يوم قريب ، أنه سيتراجع عن هذا الكلام . واذا بلغ به

الغضب ان اصبح لا يوافق على زواجنا ، فلن اطيعه . . اقسم

لك . وبما اقوى على هذا . .

ثم هتف فجأة ، وقد تحمس للفكرة التي راودته :

— هل تعرفين من الذي سيساعدنا في الامر ؟ انها

كاتيا . . . سترين ، سترين نبل هذه الانسانة الرائعة ، سترين

هل تريد حقا ان تنافسك وان تفرق بيننا ! لقد ظلمتني كثيرا ،

منذ قليل ، حين زعمت انني من اولئك الذين يمكن ان يزول

حبهم بعد الزواج بيوم . لشد ما ألمني ان اسمع منك هذا

الكلام ! لست كذلك . واذا كنت اذهب كثيرا الى

كاتيا . .

— ارجوك يا أليوشا ، اذهب اليها ماشئت . ليس هذا ما

أردت ان اقله . وان لم تفهم ما اردت ان اقله . كن سعيدا

مع من تشاء . ولست استطيع على كل حال ، ان اطلب من  
قلبك أكثر مما يقدر ان يعطيني . . .

ودخلت مافرا .

— هل اقدم لكم الشاي ؟ ان الماء يغلي في السماور

منذ ساعتين . شيء فقطع ! الساعة الآن الحادية عشرة .

كانت مافرا تتكلم بفضفاضة وغضب . كان واضحا انها

مستاءة ، وانها حانقة على ناتاشا . والحق انها خلال تلك الايام

كلها ، منذ يوم الثلاثاء ، قد بلغت من شدة فرحها بأن سيدتها

الشابة (التي تحمل لها حبا جما) ستتزوج قريبا ، انها نشرت

الخبر في العمارة كلها ، ونقلته الى الجيران ، ورددته في

الدكاكين ، وابلغته للبواب . وقد اعترت بذلك كثيرا ، فرددت

للناس في كثير من الخيلاء ، ان الأمير ، وهو رجل خطير

الشان ، واسع الغنى ، برتبة جنرال ، قد جاء بنفسه الى سيدتها ،

يخطبها لابنه ويسألها ان توافق على زواجها به ، وانها ، اي

مافرا ، قد سمعت ذلك كله بأذنيها . ثم ها هو هذا كله يذهب

ادراج الرياح ، كالدخان . فلقد خرج الأمير غاضبا ، حتى ان

الشاي لم تقدم اليه ، ولا شك ان الآنة هي السبب في هذا

كله . لقد سمعتها مافرا تخاطب الامير بغير أدب .

أجابت ناتاشا :

— نعم هاتي الشاي .

— والمقبلات ايضا ؟

— نعم .

واضطربت ناتاشا . قالت مافرا .

— أهكذا ، بعد كل ما هيأناه ؟ لقد انهدت قواي من



التعب ، حتى صرت لا احسن بساقي منذ امس . لقد ركضت  
اشترى الخمر من شارع نفسكي . . .

وخرجت ، واغلقت الباب بقوة من شدة الحقن .

فاحمرت ناتاشا ، واقلت علي نظرة غريبة .

وجاءتنا مافرا بالشاي والمقبلات : بط ، وسمك ،

وزجاجتان من اجود الخمر اشترتهما مافرا من عند بليسييف .

وفكرت في نفسي : «فيم اذن حضرت هذا كله ؟»

قالت ناتاشا ، وهي تقترب من المائدة ، خجلة حتى

امامي :

— هذا انا يا فانيا . كنت احسن ان كل شيء سيتهي

اليوم الي هذه النهاية ، ومع ذلك كنت آمل ان يتهي الي غير

هذه النهاية . كنت آمل ان يجيء أليوشا ، فيدخل الطعمانية

الي قلبي ، فتصالح . . . كنت آمل ان اجد شكوكي في غير

محلها ، وان اقتنع بأنني كنت واهمة . . . ومن اجل ذلك حضرت

هذه المقبلات ، لانني قدرت ان حديثنا سيطول الي ساعة

متأخرة . . .

مسكينة ناتاشا . لقد احمرت احمرارا شديدا وهي تقول

هذا الكلام . وثارَت حماسة أليوشا فقال :

— هل ترين يا ناتاشا ؟ انت نفسك ما كنت واثقة من

هذه الشكوك التي راودتك . . . منذ ساعتين كنت غير واثقة منها !

لا ، لا ، يجب ان نصلح الامر . انا المذنب . علي تقع

تبعة كل ما وقع ، وعلي يقع عبء اصلاح ما فسد . ناتاشا ،

اسمحي لي ان امضي الي ابي فورا . يجب ان اراه . لقد جرح .

لقد أهين . يجب ان أواسيه . سوف اشرح له كل شيء .

وسأتكلم باسمي وحدي ، لا اقحمك في الموضوع . سأسوي

كل شيء . لا توه اخذيني اذا تركتك الآن وذهبت اليه . ليس

هذا هو الموضوع : انني اشفق عليه . سترين انه سيبريء نفسه

امامك ، سترين . سأكون هنا غدا ، منذ الفجر . . . وسأبقى

معك النهار كله ، لا اذهب الي كاتيا .

لم تمنعه ناتاشا من الخروج ، بل نصحته بأن يمضي .

كانت تخشى اشد الخشية ان يبقى أليوشا جانبها مكروها ،

فبأسم منها . ولكنها طلبت اليه ان لا يتكلم باسمها ، وحاولت

ان تبسم له ابتسامة مرحة وهي تودعه . وكان بهم أن يخرج

حين عاد اليها فجأة ، فتناول يديها ، وجلس الي جانبها ،

واخذ ينظر اليها في كثير من الرقة والعطف .

— ناتاشا ، صديقتي ، ملاكي ، لا تحقني علي ، لن

نختصم بعد اليوم أبدا . عديني بأن تصدقيني دائما في كل

شيء ، وسأصدقك انا ايضا في كل شيء . اسمعي ، سأقص

عليك امرا . في ذات يوم ، تشاجرنا ، لا أذكر الآن لماذا .

كنت انا المذنب . وأصبحنا لا نتبادل الكلام . لم أشأ أن

اكون البادىء بطلب العفو ، وكنت حزينا اشد الحزن . فجعلت

أضرب في الشوارع علي غير هدى ، ثم ذهبت الي بعض

الاصدقاء ، وأنا أكاد أختنق من الحزن . . . راودتني فكرة ،

قلت في نفسي : ترى لو مرضت ناتاشا ، فماتت ، ما عسى

أن نصير اليه حالتي ؟ فلما تصورت هذا ، أصابني بأس شديد

كأن الأمر وقع فعلا ، واشتدت علي وطأة هذه الافكار ، وازداد

حزني الرهيب ، ثم تخيلتني جاثيا علي قبرك فاقد الوعي ،

احبطه بلذاعي وقد هدني الألم ، ورأيتني اقبل القبر ، وأنااديك ،



أسألك ان تخرجى الي ولو دقيقة واحدة ، وأصرع الي الله أن يحقق معجزة من معجزاته ، فيبعثك أمامى لحظة ، فأرتمى عليك ، وأفك بذراعى ، وأعانقك ، وأقبلك . . . . . وخيل الي أننى سأموت من فرط السعادة اذا استطعت أن أحبطك بذراعى مرة أخرى ، خلال ثانية ، كما كنت أفعل فى الماضى . ثم قلت فى نفسى وأنا اتخيل هذا : أأصرع الي الله ان يردها الي لحظة واحدة ، ونحن نعيش معا منذ ستة شهور ؟ ما أكثر ما اختصمنا خلال هذه الشهور الستة ، وما أكثر الايام التي قضيناها لا تبادل الكلام ! . . . كنا نتشاجر أياما بكاملها ، ونغفل عن سعادتنا . . . ثم أسألك أن تخرجى الي من القبر ولو دقيقة واحدة ، وأشعر انى قادر على ان أدفع حياتي كلها ثمنا لهذه الدقيقة . حين تخيلت هذا كله ، لم أملك أن اقاوم ، فهرعت اليك فورا ، فلما وصلت كنت تنتظرينى ، وأذكر أننى حين تعانقنا لتتصالح ضممتك الي صدرى ضما قويا جدا ، كأننى كنت أوشك ان افقدك فعلا . ناتاشا ! يجب ان لا نختصم بعد الآن أبدا . ان هذا يؤلمنى كثيرا . . . ربه ! هل يمكن ان يخطر ببالى ان فى وسعى ان اتركك ! . . . . .

كانت ناتاشا تبكى . وتعانقا عناقا شديدا . وحلف لها ألبوشا مرة أخرى أنه لن يفصل عنها مدى الحياة . ثم أسرع يعضى الي آبيه . كان مقتنعا اقتناعا جازما بأنه سيرتب كل شىء .

قالت لي ناتاشا وهى تشد على يدي شدا يشبه أن يكون تشنجا :

— انتهى كل شىء ، ضاع كل شىء . انه يحبني ، وسيظل يحبني ، الي الأبد . ولكنه يحب ايضا كاتيا ، وما هى

الا فترة وجيزة حتى يحبها أكثر مما يحبني . ان هذا الأمير ، هذا الثعبان ، لن يغفل . . . . . وعندئذ . . . . .

— ناتاشا ، أنا أيضا اعتقد أن الامير براوغ ، ولكن . . . . .

— أنت لا تعتقد بكل ما قلته له ، رأيت ذلك فى وجهك . ولكن انتظر ، فترى من تلقاء نفسك اننى على حق . ذلك اننى لم أتحدث الا فى أمور عامة ، ولا يعلم الا الله ماذا يبست ايضا . انه رجل فظيع . خلال هذه الأيام الاربعة التي كنت أذرع فيها الغرفة جيثة وذهابا ، أدركت كل شىء . لقد أراد أن يحرر قلب ألبوشا من الحزن الذى يمنعه من أن يخفق ، أراد أن يخفف عنه وطأة الواجبات التي يشعر بها من حبه لي ، فلفق هذه الخطبة ، ليدس نفسه بيننا ، وليسحر ألبوشا ببيله وكرمه . هذا صحيح ، يا فانيا . ذلك هو ألبوشا . كان سيطمئن عليّ ، كان سيهدأ قلقة علي ، قائلا لنفسه : وانها الآن زوجتي ، وهى اذن معي الي الابد ، وكان سيزداد التفاتا الي كاتيا وعناية بها ، على غير ارادة منه ، ولا شك أن الأمير قد فهم كاتيا هذه ، وأدرك أنها تناسبه ، وانها تستطيع ان تجتذبه أكثر منى . وأسفاه يا فانيا . ان رجائى كله معقود عليك الآن . انه يريد ان يوثق علاقته بك فاستحلفك بالله ان لا ترفض ، وافعل كل ما تستطيع فعله حتى تدخل الي بيت الكونتيسة ، واعرف كاتيا ، وراقبها وقل لي من تكون . انا فى حاجة الي ذهابك الي هناك . ما من أحد يمكن أن يفهم مثلك ، وسعوف ما عسى أن يفيدنى . وراقب ايضا مدى صداقتهما ، وانظر ما بينهما ، واعرف عم يتحدثان . وأنعم النظر ، خاصة ، فى كاتيا . . . برهن لي مرة اخرى على



صداقتك ، يا صديقي العزيز اللطيف ، يا فانيا ، لم يبق لي أمل في غيرك !

حين عدت الى بيتي كان الليل قد انتصف . وجاءت نللي تفتح لي الباب ، وقد ظهرت في وجهها آثار النوم . فابتسمت ونظرت اليّ نظرة فرحة . كانت المسكينة تلوم نفسها على انها غفت ، كانت تمنى أن تنتظرنى الى ان أعود . وقالت ان شخصا جاء يسأل عنى ، وانه انتظرنى بعض الوقت ، ثم ترك لي رسالة على المنضدة . كانت الرسالة من ماسلوبوف . انه يطلب اليّ ان اذهب اليه غدا ، فى الساعة الواحدة . كنت اود لو أسأل نللي بعض الأسئلة ، ولكننى أرجأت ذلك الى غد ، وأصررت عليها ان تمام . كانت الطفلة المسكينة قد اخذ منها التعب كل ماخذ وهى تنتظرنى ، ولم تنم الا قبل وصولى بنصف ساعة .

## الفصل الخامس

فى صباح الغد ذكرت لي نللي تفاصيل غريبة عن زيارة البارحة . وكان من المستغرب اصلا أن يفكر ماسلوبوف فى زيارتي ذلك المساء . فقد كان يعرف اننى لن أكون فى البيت ، أنباته بذلك حين لقينته آخر مرة ، وكنت أتذكر ذلك جيدا . قالت نللي انها فى أول الامر لم تشأ ان تفتح له الباب ، لانها خافت ، وكانت الساعة قد بلغت الثامنة من المساء ، ولكنه توسل اليها ان تفتح ، مدعيا أنه ان لم يترك لي رسالة ، فسببيني غدا سوء . فلما سمحت له ان يدخل ، كتب الرسالة

فورا ، ثم اقترب منها وجلس الى جانبها على الاركة ، قالت نللي : «فنهضت من مكاني ولم أشأ ان أكلمه ، لأننى خفت منه خوفا شديدا ، فأخذ يحدثني عن بوبنوبا ، وقال انها غضبت كثيرا ، ولكنها لا تجرؤ على المجيء الى هنا لتأخذني ، ثم راح يبنى عليك ، فقال انك كنت من أعز اصدقائه وانه عرفك صيا صغيرا . عندئذ رضيت ان أكلمه . فأخرج لي من جيبه حلوى ، وطلب الي أخذها ، ولكننى رفضت ، فأكد لي انه رجل شهم ، وانه يعرف ان يغني وأن يرقص ، وقام رأسا فأخذ يرقص . وسرت بهذا . ثم قال انه سيمكث هنا بعض الوقت ، ينتظر عودتك ، وقال انك قد تعود ، وطلب الي ان لا أخاف منه ، وأن أجلس الى جانبه . فجلست ، ولكننى لم أشأ ان أكلمه ، فقال انه يعرف امي وجدي . . فأخذت أتكلم ، وبقي مدة طويلة .»

— فيم تكلمتما ؟

— تكلمنا عن امي . . وعن بوبنوبا . . وعن جدي . لقد

بقي ما يقرب من ساعتين .

لاحظت ان نللي لا تريد ان تقص كل ما دار بينهما من حديث ، فلم أسألها عن شيء ، آملا فى ان اعرف ذلك كله من ماسلوبوف . ولكننى اعتقدت ان ماسلوبوف قد تعمد ان يأتي اثناء غيابي ، ليلقى نللي وحدها . فتساءلت : ترى لماذا تعمد ذلك ؟ وأرتني نللي ثلاث قطع من الحلوى قدمها اليها . . انها سكاكر رديئة ملفوفة بورق أخضر وأحمر ، لا شك انه اشتراها من عند احد البقالين . وضحكت نللي وهى تربتي قطع الحلوى . فسألتها :



— لماذا لم تأكلها ؟

فأجابتنى وقد بدا فى وجهها الجد والعبوس :

— لا اريدها . ثم اننى لم آخذها . ولكنه تركها على الارىكة .

كان عليّ فى ذلك اليوم ان اقوم بعدد من الجولات ، فودعت نللي ، وسألتها وانا اهم بالخروج :

— هل تتضايقين وحدك ؟

— نعم ولا . أتضايق حين تغيب مدة طويلة .

قالت ذلك وهى ترشقنى بنظرة تفيض حبا . وكانت طوال ذلك الصباح تنظر اليّ نظرة رقيقة ودودة ، وتبدو فرحة كل الفرح . وكانت فى الوقت نفسه تلتزم موقف التحفظ بل والخجل ، كانت كأنها تخشى ان تزعجني وان تفقد صداقتي . . وان تسرف فى التبسط معى كأن ذلك عيب .

— وما الذى لا يضايقك ؟ لقد قلت «نعم ولا» .

طرحت عليها هذا السؤال ، وانا ابتسم رغم ارادتي ، لقد اصبحت عزيزة عليّ كثيرا .

فقالت وهى تطلق ضحكة خفيفة :

— ما لا يضايقني ، اعرفه كل المعرفة .

وعاد اليها الاضطراب مرة اخرى . كنا نتحدث عند العتبة ، وكان الباب مفتوحا . كانت نللي تقف امامي ، خافضة العينين ، قد وضعت احدى يديها على كتفى وامسكت بالاخري كمي . فسألتها :

— ماذا ؟ هل هو سر ؟

— لا . . . ابدا . . . لا شىء . . . ولكنني . . . لكنني ، بعد

ان ذهبت انت ، أخذت اقرأ كتابك .

قالت ذلك بصوت خفيض ، وهى تنظر اليّ نظرة رقيقة

نافذة . واحمر وجهها احمرارا شديدا .

— ها . . . صحيح ؟ هل يعجبك الكتاب ؟

طرحت عليها السؤال ، وانا ارتبك ارتباك الكاتب حين

يقرطونه امامه . تمنيت من اعماق قلبي لو اقبلها فى تلك

المحظة . ولكن ذلك كان يبدو لي مستحيلا . وصمتت نللي .

ثم سألتنى وقد لاح فى وجهها حزن عميق :

— لماذا ، لماذا يموت ؟

والقت عليّ نظرة سريعة ، ثم خفضت عينها من جديد .

— من ؟

— الشاب المصدر الذى تتحدث عنه فى الكتاب .

— كان لا بد ان يموت يا نللي . . . ما العمل ؟

فأجابت بصوت يشبه ان يكون همسا قائلة :

— ابدا . . .

واطرقت فجأة الى الارض حانقة منفوخة الشفتين .

انقضت على ذلك دقيقة . ثم دمدمت نللي تسألنى ،

وهى تشد كمي شدا اقوى :

— والفتاة والشيخ . . . هل يعيشان معا ، ولا بعضهما

الفقر ؟

— بلى يا نللي ، سوف تذهب الفتاة الى بعيد . تتزوج

احد مالكي الاطيان ، ويبقى العجوز وحده . . .

قلت لها ذلك على اسف ، فقد آلمنى حقا ان لا استطيع

ان اطمنها بشىء آخر .



— ها . . نعم هكذا اذن انت ! لن استمر في قراءة الكتاب !

ونبذت يدي غاضبة ، واشاحت عنى مهرولة ، وادارت وجهها الى احدى زوايا الغرفة خافضة العينين ، وقد احمر وجهها احمرارا شديدا ، واضطربت انفاسها ، كأن حزنا اليما يخنفها خنقا .

قلت وانا اقترب منها :  
— كفى يا نللي ! لماذا تغضيين ؟ القصة من ابتكار الخيال وليست واقعا ، فلا حاجة بك الى الغضب ! يا لك من صبية مسرفة في الاحساس !

فقلت خجلة ، وهي ترفع الي نظرة وضاعة محبة :  
— لست غاضبة .

ثم امسكت يدي فجأة ، واسندت وجهها على صدري ، واخذت تبكي .

ولكن في هذه اللحظة نفسها انفجرت ضاحكة ، فكانت تبكي وتضحك معا ، وشعرت انا نفسي انني اضحك واتالم في آن واحد . وعبثا حاولت ان ارفع رأسها نحوى ، وحين حاولت ان ابعد وجهها عن كفتي ، ازدادت تشبها به ، وهي تضحك بشدة أكثر وأكثر .

وانتهى اخيرا هذا المشهد الحساس . فودعتها ، وحشت الخطى ، فما هبطت بضع درجات من السلم حتى رأيت نللي تجري ورائي ، وقد اصطبغ وجهها بالحمرة ، وظهر عليها اضطراب الخجل ، والتمعت عيناها ، فطلبت الي ان لا اغيب كثيرا ، فوعدها بأنني سأعود قطعاً في موعد العشاء .

ذهبت اولاً الى العجوزين ، فرأيتهما كليهما مريضين . كانت آنا أندريفنا تعاني آلاماً شديدة ، وكان نيقولاى سرجيتش قابعا في غرفته . وقد احس بوصولي ، ولكنني كنت اعرف انه لا يأتي الي قبل انقضاء ربع ساعة على مجيئي ، وذلك لفسح لنا مجال الكلام على انفراد ، ولم اشأ ان ازعج آنا أندريفنا ، فلطفت قصة سهرة الأمس ما امكنتي تلطيفها ، ولكنني ذكرت لها الحقيقة . فما كان اشد عجبى حين لاحظت ان العجوز لم تستقبل نبأ احتمال القطيعة بكثير من الدهشة ، رغم ان هذا النبأ قد ألمها .

قلت :  
— نعم يا صديقي ، ذلك ما كنت اقدر ان يقع . حين مضيت آخر مرة فكرت في الامر طويلا ، وقلت في نفسي ان هذا لن يتم . لعل الله يرى اننا لا نستحق ذلك . وهذا الرجل سافل لا يمكن ان يتنظر منه خير . ليس قليلا ذلك المبلغ الذى يسلبنا اياه ، عشرة آلاف روبل ، وهو يعلم مع ذلك كل العلم ان ليس له فيه اي حق . انه يسلبنا آخر كسرة خبز . يجب ان نبيع اخمينيفكا . ولقد كانت صغيرتي ناتاشا مستقيمة عاقلة حين لم تصدقه .

ثم اضافت وهي تخفض صوتها :  
— ثم هل تعلم يا صديقي ان زوجي يعارض في هذا الزواج . لقد افصح عن رأيه ، فقال انه لا يريد هذا الزواج . ظننت في اول الامر ان ذلك نزوة منه ، ولكنني عرفت بعدئذ انه كان جادا لا يهزل . ما سيكون مصير حمامتي الصغيرة اذن ؟ سيلعنها الى الابد . وألبوشا ماذا يفعل ؟



ظلت تسألني مدة طويلة ، وكانت على عاداتها ، ترد على كل جواب من اجوبتي بتأوهات وتنهيدات وزفرات . كنت قد لاحظت ان حالتها ساءت كثيرا في الايام الاخيرة ، وان كل نبأ من الانباء اصبح يهزها هزا عنيفا . كان الحزن الذي تسببه لها ناتاشا يحطم قلبها وصحتها تحطيمًا .

ودخل العجوز ، مرتديا مبدله ، متعللا خف المنزل وشكا مما يعانيه من حمى ، ولكنه نظر الى امرأته نظرة تفيض بالعطف والمودة ، وظل طوال المدة التي قضيتها بينهما يحيطها بألوان الرعاية ، كما ترعى المربية اطفالها . وكان ينظر الى عينيها ويبدو وكأنه خجل منها . كان في نظراته كثير من الرقة والمحبة . كان يفزع ان يراها مريضة ، كان يحس انه سيفقد كل شيء اذا فقدها .

بقيت معهما ما يقرب من ساعة ، وحين ودعتهما ، صحبني حتى حجرة المدخل وحدثني عن نللي . كان يفكر تفكيرًا جادا في ضمها اليه ، في اتخاذها ابنة له . وسألني ماذا يجب ان يعمل حتى توافق آنا أندريفنا على ذلك . وطرح عليّ اسئلة كثيرة عن نللي ، في كثير من حب الاستطلاع ، ثم سألتني ألم اعرف شيئا جديدا عنها ، فقصصت عليه ما عرفته قصا سريعا ، فتأثر مما رويته له تأثرا واضحا .

قال بلهجة حازمة :  
— مستحدث في هذا الامر مرة اخرى . . ثم انني سأجيء اليك ، متى أبلت من مرضي ، وغدئذ نعزم أمرنا .  
وفي الظهر تماما كنت عند ماسلوبوف فما كان أشد دهشتي حين دخلت عليه فرأيت عنده الامير أول من رأيت .

كان يرتدي معطفه في حجرة المدخل ، وكان ماسلوبوف يعينه في ذلك متعجلا ، ويبعد اليه عصاه . لقد سبق ان قال لي انه يعرف الامير ، ولكن هذا اللقاء دهشني كثيرا . ارتبك الامير حين رأيته ، ولكنه ما لبث ان هتف بلهجة تظهر كثيرا من المودة :

— ها . . هذا انت ! انظر كيف يتم اللقاء في بعض الاحيان ! . . لقد علمت منذ لحظة انك تعرف ماسلوبوف . سرتني رؤيتك ، سرتني كثيرا ، كنت افكر في الذهاب اليك ، وارجو ان افعل ذلك في اقرب فرصة ، هل تسمح لي بذلك ؟ لي رجاء عندك : ساعدني على توضيح الموقف . لا شك انك فهمت اني اقصد ما جرى امس . انك هنالك صديق ، وقد تابعت تطور هذه القضية من اولها الى آخرها . وانك تستطيع ان تؤثر بعض التأثير . . يؤسفني كثيرا اني لا استطيع ان اقاك حالا . . كثرة الاعمال تمنعني من ذلك . ولكني ارجو ان نجتمع ذات يوم قريب ، قريب جدا . سيسرني ان اجيء اليك . اما الآن . .

وصافحني بكثير من القوة ، وتبادل نظرة مع ماسلوبوف ، ثم خرج . قلت وانا ادخل الغرفة :

— ناشدتك الله الا قلت لي . .  
فقاطعني ماسلوبوف يقول وهو يتناول قبعته بسرعة ويتجه الى حجرة المدخل :  
— لن اقول لك شيئا . وراثي اعمال . لقد تأخرت ، انا ذاهب !  
— ألم تكتب اليّ انت نفسك ان اوافيك عند الظهر ؟



— صحيح . كبت اليك امس ، وكتبوا الي اليوم .  
يكاد ينفجر رأسي . قصة فظيعة ! انهم يتظرونني . عفوك يا  
فانيا . كل ما استطيع ان اقدمه لك تعويضا عن تعبك هو ان  
اسمح لك بان تصفعي جزاء ما حملتك من عناء بدون طائل .  
فاذا اردت ان تقتص لنفسك ، فهيا افعل ، ولكن ارجوك ان  
تفعل بسرعة ، حتى لا تؤخرني ، فانهم يتظرونني .

— ولماذا اضربك ؟ اسرع مادام وراءك عمل . ان الانسان  
لا يستطيع ان يتنبأ بالطوارئ دائما . ولكن . . .  
فقاطعني وهو يثب الي حجرة المدخل ويرتدي معطفه  
(وارتديت معطفي انا ايضا) :

— لا ، لا ، دع لكن هذه لي انا ، يجب ان احديثك  
في قضية هامة جدا ، ومن أجل ذلك انما رجوتك ان تأتي  
الي . والقضية تتصل بك رأسا ، وتمس مصالحك . ولكنني لا  
أستطيع ان احديثك في هذا كله خلال دقيقة واحدة ، فعذني ،  
ناشدتك الله ، ان تجيء الي هذا المساء ، في الساعة السابعة  
تماما . سأكون هنا .

فقلت مترددا :  
— هذا المساء ؟ ولكنني كنت اريد ان اذهب هذا المساء  
الي . . .

— اذهب الآن الي حيث كنت تريد ان تذهب في  
المساء ، ثم عد الي . فانيا ، لا تستطيع ان تتخيل الابناء التي  
سأقولها لك .

— ولكن ارجوك ، ارجوك ، ما هو هذا الامر ؟ انك  
تثير في حب الاطلاع ، اعترف لك بذلك .

وفي اثناء ذلك كنا اجتزنا باب العمارة ، وبلغنا الرصيف .  
فقال في الحاح :

— اذن ستجىء ؟

— سأجىء .

— لا ، لا ، عاهدني عهد الشرف

— عجيب ! أعاهدك .

— طيب . الي أين أنت ذاهب ؟

— الي هنا .

قلت ذلك واشرت الي اليمين . فقال وهو يشير الي  
الشمال :

— وانا ذاهب الي هنا . . . الي اللقاء يا فانيا ، لا تنس

الموعد ، في الساعة السابعة .

قلت في نفسي وانا اراه يتعد : «امر غريب» .

كنت اريد ان اذهب الي ناتاشا في ذلك المساء ، ولكنني

وعدت ماسلوبوف بأن اجيء اليه ، فقررت ان امضي الي

ناتاشا حالا ، وكنت على ثقة بانني سأجد عندها أليوشا . وقد

وجدته عندها فعلا ، فسّر برؤيتي سرورا كبيرا .

كان لطيفا جدا ، وكان رقيقا مع ناتاشا خاصة ، حتى

انه فرح فرحا شديدا حين وصلت . وكانت ناتاشا تحاول ان

تظهر بمظهر الفرحه ، ولكن كان واضحا ان ذلك فوق طاقتها .

كانت شاحبة اللون ، وكان يبدو على وجهها انها تعاني آلاما .

انها لم تنم نوما هادئا . وكانت تظهر لأليوشا مزيدا من العاطفة .

كان أليوشا يتكلم كثيرا ، كان يريد ان يفرح ناتاشا ،

وان يتزعج ابتسامة ما من شفيتها اللتين كانتا منقبضتين على غير



ارادة منها ، ولكنه كان يتحاشى ان يذكر اسم كاتيا او اسم ابيه .  
لا شك ان ما قام به أمس من مسعى للمصالحة قد اخفق .  
وخرج ألبوشا لحظة ليقول شيئا لمارفا ، فدمدمت ناتاشا  
تسرّ اليّ قائلة :

— هل تعلم انه يتحرق شوقا الى الذهاب ؟ نعم ، ولكنه  
لا يجرؤ . ولا اريد ان اطلب اليه ان يذهب ، خشية ان يتعمد  
عندئذ البقاء . اني اخاف ان يصيبه السأم ، وان تبرد عاطفته  
نحوي تماما ! ما العمل ؟

— رياه ، ما هذا الوضع الذى تضعان نفسيكما فيه ؟  
ما هذا الشك والحذر ؟ ما هذا التجسس والتربص ؟ لماذا لا  
تتصارحان فينتهى كل شيء ؟ أغلب طمني ان هذا الوضع هو  
الذى سيدخل الى قلبه الملل !

فصرخت ناتاشا مذعورة تقول :  
— فماذا اعمل اذن ؟  
— اسمعي . سأدبر كل شيء . . .

قلت ذلك ، وذهبت الى المطبخ ، بحجة انني اريد  
ان اطلب الى مارفا ان تمسح حذائي الذى امتلأ بالوحل .  
فصرخت بي ناتاشا تقول :

— تأنّ يا فاتيا !  
فما ان دخلت المطبخ حتى اسرع ألبوشا الي ، كأنه  
كان ينتظرني .  
— ايفان بتروفنتش ، صديقي العزيز ، ماذا يجب ان  
اعمل . انصحني . لقد وعدت كاتيا امس بأن اذهب اليها فى  
هذه الساعة نفسها . ولا استطيع ان اخلف الوعد . انتي احب

ناتاشا حبا يعجز لساني عن التعبير عنه ، انني مستعد لان ألقى  
بغضبي الى النار فى سبيلها ، ولكنك توافقني انت نفسك على  
انتي لا استطيع ان اترك كل شيء هناك . فذلك لا يليق . . .  
— ما عليك الا ان تذهب .

— وناتاشا ؟ انها ستألم يا ايفان بتروفنتش ، ساعدني  
على الخروج من هذا المأزق .

— رأيي ان تذهب . انت تعلم انها تحبك . فان  
بقيت شعرت طوال الوقت بأنك مللت المقام معها ، وانك  
تكره نفسك على البقاء اكرهاها . اوثر ان تتصرف تصرفا طبيعيا .  
لم انني ساساعدك ، هيا بنا !

— عزيزي ايفان بتروفنتش ، ما انبل قلبك !  
ودخلنا ، فما هي الا دقيقة واحدة حتى قلت له :

— رأيت اباك منذ قليل .  
فصرخ مذعورا :  
— اين ؟

— فى الشارع ، مصادفة . لم يبق معي الا دقيقة ،  
ورجاني مرة اخرى ان تتعارف تعارفا اكمل . وقد سألتني هل اعرف  
اين انت . انه فى حاجة ملحة الى رؤيتك ، يريد ان يقول لك  
شيئا .

وفطنت ناتاشا الى الغرض الذى اهدف اليه من هذا  
الكلام ، فساعدتني تقول :

— اذن فاذهب اليه يا ألبوشا ، اذهب اليه حالا .  
— ولكن . . . اين يمكن ان اجده ؟ هل هو فى البيت ؟  
— قال انه سيكون عند الكونتيسة .



فنظر أليوشا الى ناتاشا بحزن ، وقال بسداجة :

— فما العمل اذن ؟

قالت ناتاشا :

— ما بك يا أليوشا ؟ ما ينبغي ان تهجر هؤلاء الاصدقاء من اجل ان تهدثني ، والا كنت تتصرف كالاطفال . هذا اولاً مستحيل ، وهو ثانياً اخلال بواجب الادب نحو كاتيا . انما صديقان ، ولا يمكن للمرء ان يقطع علاقته باصدقائه على هذا النحو القظ . ثم انك تهيتني اذا اعتقدت انني غيرة الى هذه الدرجة . اذهب الى هناك حالا ، ارجوك . وبذلك تطمئن اباك .

فهتف أليوشا في حماسة وندامة :

— ناتاشا ، انت ملاك . انا لا اسوي أصبعاً من اصابعك

الصغيرة ! ما انبل قلبك يا ناتاشا . . . وانا . . . انا . . . آه ، أؤثر ان تعرفي ! لقد سألت ايفان بتروفتش ، منذ قليل ، في المطبخ ، ان يساعدني على الذهاب ، فاخترع هذه الطريقة . ولكن لا تسيئي بي الظن يا ناتاشا . فلست مذنباً تماماً . اني احبك اكثر الف مرة مما احب اى شيء في العالم . . . لذلك تراودني الآن فكرة جديدة : ان اعترف لكاتيا بكل شيء ، ان اكشف لها عن وضعنا ، وان اقص عليها كل ما جرى امس . فلعلها تتخيل مخرجاً ينقذنا ، انها مخلصتنا لنا كل الاخلاص . فأجابته ناتاشا وهي تبسم :

— اذن فاذهب اليها . واني يا صديقي احب كثيراً ان

اتعرف الى كاتيا ، فكيف نهيبى ذلك ؟

فلما سمع أليوشا هذا الكلام تجاوز فرحه كل حد . واندفع

يتخيل الف مشروع ومشروع ، وقال ان ذلك امر سهل ، وان كاتيا ستجد الحل . وبسط فكرته بحرارة وحماسة ، ووعد ان يعود بجواب كاتيا في اليوم نفسه ، بعد ساعتين ، وعد ان يجيء الى ناتاشا في المساء .

فأنته ناتاشا وهي تدفعه الى الخروج :

— هل تجيء حقا ؟

— هل تشكين في ذلك ؟ الى اللقاء يا ناتاشا ، الى

اللقاء يا حبيبتى ، انت حبيبتى الى الابد . الى اللقاء يا فانيا . . ها . . عفوا لقد خاطبتك بقولي يا فانيا دون ان انتبه الى ذلك . ولكن اسمع يا ايفان بتروفتش ، لماذا لا تتخاطب بصيغة المفرد ونحن صديقان فلتتخاطب بعد الآن بصيغة المفرد . . موافق .

— الحمد لله . لقد راودتني هذه الفكرة مائة مرة .

ولكنني لم اجرؤ على مفاتحتكم فيها . هاأناذا اخاطبكم مرة اخرى بميم الجمع . ذلك ان الاقتصار على كاف الخطاب صعب جدا . لقد عبر تولستوى عن ذلك اجمل تعبير ، حين حدثنا عن شخصين تواعدا على ان يتخاطبا بصيغة المفرد ، ولكنهما لم يظفرا بذلك ، فأخذا يتحاشيان الجمل التي تشمل على هذه الضمائر . آه يا ناتاشا ! لسوف نعيد قراءة كتاب «الطفولة والمراهقة» معا . انه كتاب رائع جدا .

قالت ناتاشا تطرده وهي تضحك :

— هيا ، هيا ، اسرع . لقد نسي نفسه من شدة الفرح

وهو يثرثر .

— الى اللقاء ، سأعود بعد ساعتين .



قال ذلك ، وقبلَ بعدها ، وخرج مسرعاً .

قالت لى ناتاشا والدموع تهطل من عينيها :

— هل رأيت ، يا فانيا ، هل رأيت ؟

مكثت مع ناتاشا ما يقرب من ساعتين ، احاول ان اواسيها ، حتى ظفرت باقناعها . لا شك ان لمخاوفها ما يبررها . ولقد كان صدري ينقبض حين افكر في وضعها . كنت اشفق عليها . ولكن ما العمل ؟

وكان يدهشني ألبوشا ايضا : انه يحبها الآن مثلما كان يحبها من قبل وربما أكثر . انه يحبها حبا املاً بالعذاب ، لما يداخله من ندامة وعرفان بالجميل . الا ان حبا جديدا قد نبت في قلبه وترسخ . وكان يستحيل على المرء ان يتنبأ بالمصير الذى سيصير اليه هذا كله . كنت انا نفسي اتشوق الى معرفة كاتيا . ووعدت ناتاشا ثانية ان اتعرف عليها .

واستجابت ناتاشا ، آخر الامر ، لشيء من المرح . وحدثتها فى جملة ما حدثتها عن نللي وماسلوبوف وبونوفا وعن لقائي مع الامير فى منزل ماسلوبوف وعن الموعد الذى ضربته لماسلوبوف فى الساعة السابعة .

فاهتمت لهذا الحديث كثيرا . وحدثتها قليلا عن ابويها ، ولكنني سكت عن زيارة ايها ، وارجأت الكلام عليها لى ان يقع شيء جديد . كان يمكن ان ترعبها فكرة تبارز ايها مع الامير . وقد استغربت ايضا ان يكون الامير على صلة بماسلوبوف ، وان يكون للامير رغبة شديدة فى التعرف على ، رغم ان هذا كله يسهل تعليقه بالظرف الراهن . وعدت الى بيتي فى نحو الساعة الثالثة ، فطالعتني نللي بوجهها العنيد الوضاء .

## الفصل السادس

فى الساعة السابعة تماما كنت عند ماسلوبوف . استقبلني بلراعيين ممدودتين وبصرخات عالية . كان نصف سكران ، طبعاً . ولكن الامر الذى ادهشني خاصة هو تلك الاشياء الخارقة التى اعدّها لاستقبالي . لقد كان واضحاً انه ينتظر قدومي . كان هناك سماو من نحاس اصفر يغلي فيه الماء ، على مائدة مستديرة فُرشت بغطاء ثمين وجميل . وكانت الاطباق والاقداح من بلور وفضة وصينى ، تلالاً . وعلى مائدة اخرى فُرشت بغطاء آخر لا يقل عن الاول جمالا ، كان هناك اصناف من جيد الحلوى ، والمربة ، واشربة من كييف ، ومعقود ، وفاكهة مسكرة ، وعصير مجمد ، ومربات فرنسية ، ويرتقال ، وتفاح ، وجوز ، ولوز ، وفستق . . . كانت المائدة معرض فاكهة وعلى مائدة ثالثة مخبئة تحت غطاء ناصع البياض ، صُفّت انواع من المقبلات : الكافيار ، والجبن ، ومعجون من اللحم المهروس ، والسلامى ، والجامبون المدخن ، والسلك ، مع صف من دوارق البلور الرائعة بالقودكا المتعددة الانواع والساحرة الالوان : الخضراء والحمرات والبنية والذهبية .

وفى ركن من الاركان ، على منضدة صغيرة مفروشة بغطاء ابيض ، وُضع إناءان فيهما ثلج وزجاجتان من زجاجات الشمبانيا تبردان ، وعلى المائدة امام الاريكة تتبختر ثلاث زجاجات : زجاجة سوترن ، وزجاجة شاتولافيت ، وزجاجة كونياك ، وهى فى الخمر مما غلا ثمنه ، يجيئون به من قبو السييف . كانت الكسترا سيمينوفنا جالسة الى مائدة الشاي ، قد عنيت برزبتها



على انها بسيطة ، فوفقت في ذلك كثيرا . كانت تعرف ما يناسبها من الملابس ومن تسريحات الشعر ، وكانت معتزة بذلك اعتزازا واضحا . فلما دخلت نهضت تستقبلني بشيء من الاحتفال . وكان الرضى والفرح يلمعان في وجهها النضر . وكان ماسلوبويف جالسا ، وقد تدثر بثوب رائع تحته ملابس نظرة انيقة ، وانتعل خفين صينيين جميلين . كان قميصه مزخرفا ، وله ازرار مما يُرى في احدث الازياء . وقد صفف شعره ، ودهنه وفرقه من جانب ، على ما كان رائجاً في ذلك الحين . بُهت حين دخلت ، وبلغت من ذلك انني جمدت في وسط الغرفة بلا حراك ، انظر تارة الى ماسلوبويف ، وتارة الى الكسندرا سيمينوفنا التي مضى بها الفرح الى حدّ النشوة .

هتفتُ اخيرا في قلق :

— ما هذا يا ماسلوبويف ؟ هل عندك سهرة ؟

فأجابني بصوت فخم :

— لا ، لا ، انا لا نتظر احدا غيرك .

— ولكن ، ما هذا ؟ (قلت ذلك وانا اشير الى المأكولات)

ان هذا يكفي لاطعام فيلق بكامله .

فأضاف ماسلوبويف يقول :

— ولاشرا به خاصة . نسبت الشيء الاساسي .

— أكل هذا من اجلي وحدي ؟

— ومن اجل الكسندرا سيمينوفنا ايضا . هي التي ارادت

ان ترتب هذا الترتيب .

فهتفت الكسندرا سيمينوفنا ، وقد احمر وجهها ، دون ان

تفارقه معاني الرضى :

— ها ها . كنت اتوقع هذا الكلام . ألا يمكن ان

يستقبل المرء ضيفا من الضيوف استقبالا لائقا ! لا بد ان يجد

فورا ما يأخذه عليّ .

— تصور انها منذ الصباح ، منذ الصباح ، منذ

علمت انك آت الينا هذا المساء ، اخذت تتحرك

وتضطرب . كانت تتعذب وهي تحضر كل هذه

المأكولات .

— انه يكذب مرة ثانية . اشتغلت ليس من الصباح بل من مساء

امس حين عدت امس مساء وذكرت انه سيأتي الينا ليقضي

السهرة معنا .

— انت سمعت خطأ .

— ابدأ . بل انت قلت هكذا . انا لا اكذب ابدا .

ثم ، لماذا لا نستقبل ضيفا من الضيوف استقبالا حسنا ؟ انا

نعيش هنا وحدنا ، لا يأتي الينا احد ، مع ان عندنا كل

ما يجب . ينبغي ، على الاقل ، ان يعرف الناس الطيبون اننا

نعيش نحن ايضا كما يعيش غيرنا .

— ويجب ان يعرفوا خاصة انك ربة بيت من طراز ممتاز ،

وانك سيدة منظمة من الدرجة الاولى . تصور يا عزيزي انني

تورطت في هذا انا ايضا ! ألبستني قميصا من فاخر حرير

هولانده ، وزينت أكمامه بجميل الازرار ، ودست في قديمي

خفين ، ودثرتني بثوب صيني ، وصففت شعري ودهنته . ألا

تشم رائحة زيت البرغموت ؟ حتى لقد ارادت ان ترشني بالعطر ،

ولكنني لم اعد احتمل ، فتمردت ، واظهرت من السطوة ما

يظهره الزوج لزوجته .



فردت الكسندرا سيمينوفنا تقول وقد اصطبغ وجهها بحمرة شديدة :

— ليست الرائحة رائحة البرغموت ، لقد دهته بأطيب دهن فرنسي يباع في احقاق صغيرة من مزخرف الخزف . احكم بنفسك يا ايفان بتروفتش ، انه لا يسمح لي ابدا بأن اذهب الى المسرح او الى حفلة رقص . انه لا يزيد على ان يهدى اليّ الاثواب ، فماذا اصنع بالاثواب ؟ انني ارتديها ، واروح اتزوه بها في الغرفة وحدي . وفي ذات يوم ، توصلت اليه ان يذهب بي الى المسرح ، واكثرت من التوصل حتى وافق ، فلما هممنا ان نخرج ، رجعت اضع الحلية على صدري ، فانتهر هذه الفرصة ، فمضى الى الخزنة ، فشرّب قدحا ، ثم شرب قدحا آخر ، فاذا هو يسكر ، فاضطررنا ان نقبع في البيت . ما من احد يزورنا ، ما من احد ، الا أناسا يأتون في الصباح لأعمال ، فادعهم يتحدثون ، وانجو بنفسي . ومع ذلك عندنا سماور ، ومجموعة من اجمل الاقداح ، عندنا اشياء كثيرة ، جاءتنا كلها هدايا . والناس يهدون لنا كثيرا من المؤن ايضا ، فلم نشتر شيئا تقريبا الا خمر او دهنا معطرا ، وهناك على المنضدة انواع من المقبلات : اشترينا من اجلك معجون اللحم والحلوى وشرائح الجامبون . ليت واحدا من الناس على الاقل يرى كيف نعيش ! ظللت طوال السنة اقول لِنفسي : حين يأتينا ضيف ، ضيف حقيقي ، فلسوف نريه كل هذا ، ولسوف نولم له وليمة ، ولسوف يهنئنا الناس ، ولسوف يسرنا ذلك ايضا . لماذا دهنت هذا الاحمق ؟ انه لا يستحق ذلك يسره ان يرتدى ملابس قدرة دائما . انظر الى هذا الثوب الذي دثرته به ، لقد قدم

له هدية بين الهدايا . هل يستحق ان يرتديه ؟ هذا رجل كل ما يطلبه هو ان يسكر ، لسوف ترى انه سيقترح عليك الفودكا قبل الشاي .

— صحيح . فلنشرّب قدحا من شراب الذهب ، فقدحا من شراب الفضة ، حتى اذا انتعشت عزيمتنا ، هجمنا على اشربة اخرى .

— ألم اقل لك ؟  
— لا تقلقي يا بنتي العزيزة ، فنشرّب ايضا شيئا من الشاي مع الكونياك نخب صحتك .  
فصرخت وهي تضرب يدا بأخرى :

— انظر ، انظر . شاي الملك ، ثمن الرطل منه ستة روبلات ، اهداه اليه احد التجار اول امس ، يريد ان يشربه مع الكونياك ! لا تطاوعه يا ايفان بتروفتش ! سأصّب لك الشاي ، وسترى اي شاي هو .

قالت ذلك وقامت الى السماور تشغل نفسها به .

كان واضحا انهما يريدان ان يستبقيا في السهرة كلها . كانت الكسندرا سيمينوفنا تنتظر ان يزورها احد منذ سنة بكاملها ، وكانت تنهياً للاستمتاع بمثل هذه الزيارة فرحة كل الفرح . ولكن ذلك كان لا يدخل في حساب خططها . فقلت وانا اجلس :

— اسمع يا ماسلوبوف ، انا لم اجد اليك زائرا . جئت بصدد بعض الامور . لقد قلت انت نفسك ان هناك امورا يجب ان تنفسي بها اليّ .



— نعم ، نعم ، ولكن الاعمال شيء ، والحديث  
الصدائقي شيء آخر .

— لا يا عزيزي ، لا تعتمد على هذا ، سأودعك في  
الساعة الثامنة والنصف . انني مشغول . لقد وعدت . . .

— لا اصدق شيئا مما تقول . . وكيف تتصرف معي هذا  
التصرف ؟ وكيف تتصرف هذا التصرف مع الكسندرا سيمينوفنا ؟  
انظر اليها ، ألا ترى انها صعقت مما تقول ؟ فيم حملت نفسها  
عناء دهنى بالطيب اذا كنت ستتركنا ؟ وهلا تذكرت انني اتحمل  
رايحة البرغموت من اجل هذه الزيارة ؟

— كفاك مزاحا يا ماسلوبوف . واني لأحلف لكسندرا  
سيمينوفنا انني سأجىء اليكم اتناول العشاء معكم في الاسبوع  
المقبل ، بل يوم الجمعة اذا شئتم . اما اليوم ، ايها الاخ ،  
فقد قطعت على نفسي عهدا ، او قل ببساطة ان عليّ ان اذهب  
الى مكان ما . فما هي الاشياء التي تريد ان تفضي بها اليّ ؟  
فصرخت الكسندرا سيمينوفنا تقول بصوت حزن خجلان ،  
وهي تمد اليّ قلحا من شايبها الرائع . وتكاد تبكي :

— اذن لن تبقى الا الى الساعة الثامنة والنصف !

فأجاب ماسلوبوف بقوله :

— اطمئني يا صغيرتي . هذا الكلام كله هراء . سيبقى .  
قل لي يا فانيا ، الى اين تذهب دائما ؟ ماذا وراءك ؟ هل  
يمكن ان اعرف ؟ اني اراك كل يوم تركض الى مكان ما ،  
ولا تكتب شيئا ، أنت لا تعمل ؟ . .

— ما شأنك انت في هذا ؟ على انني قد اشرح لك  
الامر ذات يوم . ولكن قل لي الآن : لماذا جئت اليّ امس .

مع انني ذكرت لك بنفسني ، وانت تتذكر ذلك ، انني لن  
اكون في البيت ؟

— تذكرت ذلك فيما بعد ، وكنت قد نسيت امس .

انني كنت اريد فعلا ان اتحدث اليك في امر من الامور ، ولكنني  
احرص خاصة على ان ارضي الكسندرا سيمينوفنا . لقد قالت  
لي : «الآن وقد وجدت صديقا ، فلماذا لا تدعوه اليّ  
زيارتنا ؟» . وظلت تصدع رأسي بك اربعة ايام برمتها . لا  
شك ان الله سيغفر لي جميع ما ارتكبت من آثام جزاء رائحة  
البرغموت هذه التي اتحملها . قلت في نفسي : اننا نستطيع  
ان نقضي معا سهرة صداقية . فعمدت الى هذه الحيلة الحريية :  
كسبت لك اقول ان هناك امرا خطيرا يستدعي ان تجيء اليّ ،  
فان لم تجيء لحقك ضرر كبير .

فرجوت ان لا يعتمد بعد الآن الى مثل هذه الحيل ، وان يسلك  
معي سبيل الصراحة . على ان ما قاله لم يقنعني كل الاقناع .

— ولماذا هربت مني اليوم ؟

— اليوم كان هناك عمل حقا . لم اكذب ابدا .

— مع الامير ؟

فسألني الكسندرا سيمينوفنا ، بصوت متلطف :

— هل اعجبك مذاق الشاي ؟

كانت تنتظر منذ خمس دقائق ان اثني على شايبها ،  
ولكنني لم افطن الى ذلك . فقلت :

— عظيم يا الكسندرا سيمينوفنا ، رائع ، . لم اذق في

حياتي مثل هذا الشاي طيب مذاق .

فاحمر وجهها سرورا ، واسرعت تصب لي قلحا آخر .



قالت ذلك ووثبت وثبة واحدة فاذا هي امامنا ، وقيل ان  
 يسع وقت ماسلوبوف لحماية نفسه أمسكت بشعره واخذت  
 تشده شدا قويا .  
 — خذ ، خذ ، اياك ان تقول امام ضيف انني غبورة ،  
 اياك ان تقول هذا !  
 كان وجهها بلون الارجوان ، ورغم انها كانت تهزل ، فقد  
 نال ماسلوبوف منها ضربا كافيا حقا .  
 وأضافت تقول بلهجة الجد ، وهي تلتفت الي :  
 — انه يقول أنواعا وأنواعا من الكلام الوسخ :  
 — هل رأيت يا فانيا ؟ هذه حياتي . لا بد لنا ،  
 حتما ، من شيء من الفودكا .  
 قال ذلك بلهجة حازمة ، وهو يعيد ترتيب شعره ويسرع  
 الى القنينة . ولكن الكسندرا سيمينوفنا سبقت ، فوثبت السى  
 المائدة ، وصبت له بنفسها قدحا صغيرا ومدته اليه وهي تضرب  
 خده ضربا لطيفا متوددا . فألقى علي ماسلوبوف نظرة سريعة  
 تفيض بالخلاء ، وطقطق بلسانه ، وافرغ كأسه الصغير في  
 جوفه مزهوا .  
 ثم بدأ يقول ، وهو يجلس الى جانبي على الاريكة :  
 — اما الحلوى فيصعب شرح امرها كنت اول امس  
 سكران ، فاشتريتها من عند احد البقالين ، لا ادري لماذا !  
 قد يكون سبب ذلك انني اردت دعم الصناعة الوطنية والتجارة  
 الوطنية ، لا أعرف على وجه الضبط . ولكنني اتذكر انني كنت  
 اسير في الشارع ، وانني سقطت في الوحل ، وانني اخذت اشد  
 شعري ، وأبكي ، لشعوري بأنني لا اصلح لشيء . وطبيعي

صرخ ماسلوبوف يقول :  
 — الامير ؟ ان هذا الامير ، يا عزيزي ، قاذورة ،  
 انه لص ، اسمع ، سأقول لك شيئا : انا ايضا لص ولكنني  
 استحي ان اكون مثله ، اخجل ان اكون مثله . ولكن كفى ،  
 كفى ، ذلك كل ما استطيع ان اقله عنه .  
 — لكأنني تعمدت ان اجيء اليك لاسألك عنه ، بين  
 ما احب ان اسألك عنه . ولكنني ارجيء الآن ذلك الى وقت  
 آخر . لماذا ذهبت امس الى بيتي اثناء غيابي تحمل حلوى  
 الى ايلينا وترقص امامها ؟ وعم حدثتها اثناء ساعة ونصف ساعة ؟  
 فقال ماسلوبوف ، وهو يلتفت الى الكسندرا سيمينوفنا  
 فجأة :  
 — ايلينا صبية صغيرة فى الحادية عشرة او الثانية عشرة  
 من عمرها ، تسكن الآن عند ايفان بتروفتش .  
 ثم أضاف الى ذلك وهو يلوح باصبعه :  
 — انتبه يا فانيا ، انتبه ، ألم تركيب اصطبغ وجهها بحمرة  
 شديدة حين سمعتك تقول انني حملت حلوى الى فتاة صغيرة  
 لا تعرفها : لقد صار خداهما بلون الجمر ، واخذت ترتعش من  
 شدة الاضطراب ، كأننا اطلقنا رصاصا من مسدس . انظر الى  
 هاتين العينين الصغيرتين كيف تقدحان شررا . عينا تحاولين اخفاء  
 هذه الحقيقة يا الكسندرا سيمينوفنا ، وهي انك غبورة شديدة  
 الغيرة . لو لا انني شرحت لها ان ايلينا صبية فى الحادية عشرة  
 من عمرها ، لشدتني من شعري فورا ولما انقذتني منها رائحة  
 البرغموت .  
 — ولن تنقذك الآن !



انتي نسيت الحلوى ، فبقيت في جيبي ، الى اللحظة التي جلست فيها على الاريكة في بيتك . واما الرقص فهو يرجع بدوره الى حالة السكر ايضا : لقد كنت امس ثملا ، وحين اكون ثملا ، يتفق لي ان ارقص ، اذا كنت راضيا عن حظي . هذا كل شيء اللهم الا ان تصيف اليه ان تلك البيتمة قد ايقظت الشفقة في قلبي ، وانها لم تشأ ان تتكلم معي ، كأنها غاضبة ، فأخذت ارقص لأجعلها مرحة ، واعفيتنا الحلوى لأسليها .

— ألم تفعل ذلك رغبة في شرائها ، رغبة في ان تعرف منها شيئا ؟ اعترف بذلك صراحة : لقد تعمدت ان تأتي اثناء غيابي ، لتتحدث اليها في خلوة ، ولتعلم منها شيئا ، أليس كذلك ؟ انا اعرف انك بقيت معها ساعة ونصف الساعة ، وانك قلت لها انك تعرف امها ، واعرف انك طرحت عليها اسئلة كثيرة .

فغمز ماسلوبوييف بعينه ، وضحك ضحكة صغيرة دنيئة . وقال :

— كان يمكن ان تكون فكرة حسنة . . ولكن لا يا فانيا ، ليس الأمر كذلك . ولكن لماذا لا اطرح اسئلة عليها حقا عند فرصة مناسبة ؟ ولكن ليس الأمر كذلك . اسمع ايها الصديق القديم : رغم انني ثعل ، على عادتي ، فيجب ان تعرف ان فيليب لن يخدعك ابدا بقصد سيء ، اقول ذلك واعنيه : ان فيليب لن يخدعك بقصد سيء .

— وبدون قصد سيء ؟  
— وبدون قصد سيء كذلك ! ولكن مالنا ولهذا الكلام .

فلشرب اولاً ، وبعد ذلك نعود الى الاعمال !  
قال ذلك ثم اردف يقول بعد ان شرب :  
— لم يكن لبونونا تلك اى حق في الاحتفاظ بهذه الطفلة . لقد تحريت الامر . لم يكن ثمة تبني ولا ما يشبه ذلك . كانت الام مدينة لها بمال ، فأخذت الطفلة . وبونوفا ، رغم انها لصة ورغم انها حقيرة ، فهي غيبة كسائر النساء . لقد كان للمتوفاة بطاقة هوية ، وكان كل شيء اذن على ما يرام . ويمكن ان تسكن ايلينا عندك ، ولكن اذا جاء اناس طيبون كرماء يعيشون في جو اسرة ، فضموها اليهم ، ليعهدوا تربيتهما ، كان ذلك من حظها . ولتبق معك بانتظار ذلك . هذا ممكن . سأدير لك الامر كله . ولن تجرؤ بونوفا على ان تحرك ساكنا . لم استطع ان اعرف اشياء دقيقة عن الأم المتوفاة . كل ما عرفته انها كانت ارملة ، وان اسمها سالتسمان .  
— صحيح . هذا ما قالته لي نللي .

— نعم . ذلك كل شيء .  
قال ذلك ، ثم اضاف يقول بشيء من الابهة :

— لي رجاء اوجهه اليك ، وآمل ان تلييه . حدثني بعزير من التفصيل عن الامور التي انت مشغول بها ؟ اين تذهب ؟ اين تقضي اياما بكاملها ؟ انا اعرف هذا بعض المعرفة ، ولكنني اريد مزيدا من الدقة .  
ادهشني لهجة الابهة هذه ، بل اقلقتني . فقلت :

— لماذا ؟ فيم يفيدك ذلك ؟ وما معنى لهجة الاحتفال والابهة هذه ؟  
— اليك الموضوع بكلمتين : اني اريد ان اخدمك .



انظر يا صديقي ، لو اردت ان امكر بك ، لو اردت ان احتال عليك ، لعرفت كيف احملك على الكلام دون احتفال . لماذا تظن انني امكر بك ؟ لقد ادركت انك تظن بي ذلك من سؤالك عن الحلوى منذ قليل . اسمع ، لئن اصطنعت لهجة الجد والابهة ، فاني لم افعل ذلك لانني افكر في مصالحي ، بل في مصالحك انت . فلا تشك فيّ ، بل أجبنني ، وقل لي الحقيقة .

— في اي امر تريد ان تخدمني ؟ اسمع يا ماسلوبوف : لماذا لا تحدثني عن الامير ؟ انني في حاجة الى معرفة بعض التفاصيل . في هذا تستطيع ان تخدمني .

— عن الامير ، هم . . . ليكن ذلك . سأكلمك بلا لف ولا دوران : انني بصدد الامير انما طرحت عليك تلك الاسئلة . كيف ؟

— لقد لاحظت انه يهتم قليلا بشئونك . لقد سألتني عنك ، بين ما سألتني عنه من امور . اما كيف عرف انني اعرفك وانك تعرفني ، فذلك شيء لا يعنك . المهم ان عليك ان تحذر منه . انه يهوذا الخائن ، بل هو اسوأ من ذلك . ولهذا ، حين لاحظت انه يريد ان يمد اليك شباكه ، ارتعشت من الخوف . على انني لا اعرف من الامر شيئا . ولذلك اطلب اليك ان تطلعني على الموضوع ، كي استطيع ان ارى رأيا . ومن اجل هذا انما دعوتك اليوم . هذا هو الامر الهام ، بسطته لك بصراحة .

— قل لي على الاقل شيئا ، قل لي على الاقل لماذا يجب ان احذر من الامير ؟

— اسمع يا صديقي ، انني اتولى القيام ببعض الاعمال في بعض الاحيان ، وأدع لك ان تحكم في الامر بنفسك : لو كنت ثرثارا أكان يثق الناس بي ؟ فكيف استطيع اذن ان اقصر عليك كل شيء ؟ فلا تؤاخذني اذا انا تكلمت بوجه عام ، بوجه عام جدا ، لا لشيء الا لابرهن لك على انه شخص دنيء . ولكن حدثني انت اولاً .

فكرت في الامر قرأيت ان ليس هناك شيء في اموري أخبئه عن ماسلوبوف . ان قصة ناتاشا ليست سرا ، ثم ان من الممكن ان يفيدها ماسلوبوف في شيء . وقد كتبت طبعاً بعض الامور ما امكنتي ذلك . فكان ماسلوبوف يصغي باهتمام خاص الى كل ما يتصل بالامير ، حتى انه استوقفني في غير موضوع ، ليطرح عليّ بعض الاسئلة ، وهكذا رويت له القصة بغير قليل من التفصيل ، متحدثاً خلال نصف ساعة على وجه التقريب .

فلما انتهيت قال ماسلوبوف :

— هم . . . هذه فتاة ذكية . ولئن لم تكن تقديراتها صحيحة تماماً فيما يتصل بالأمير ، لقد أحسنت حين ادركت منذ البداية من هو هذا الرجل ، وأحسنت حين قطعت كل علاقة . انها لفتاة باسلة ، ناتاليا نيقولايفنا هذه ! وهأنذا اشرب نخب صحتها ! (قال ذلك وافرغ كأساً) . ليس يكفي المرء ان يكون ذكياً العقل حتى لا يُخدع ، بل لا بد له ايضا من قلب حساس . وقد صدقها قلبها ، فلم تخطيء الحدس . ان قضيتها خاسرة طبعاً . فالأمير سيصمد ، وألبوشا سيهجرها . ولكن الشخص الوحيد الذي أشفق عليه هو اخمينيف



الذى يدفع لهذا اللصّ الحفير عشرة آلاف روبل ! من ذا الذى  
اهتم بقضاياها ، من ذا الذى لاحق الدعوى ؟ أراهن انه تولى  
ذلك كله بنفسه ! هه . . يا لهؤلاء الناس الذين تفيض قلوبهم  
بالشهامة والحماسة . انهم جميعا كذلك ! لا يصلحون لشيء !  
ما هكذا يؤخذ الأمير ! لو علمتُ بالامر ، لدلته على واحد  
من أولئك المحامين الماهرين . . هه . .  
قال ذلك وضرب المائدة بيده أسفا . فقلت :

فقال :  
— انك لا تتكلم الا عن الأمير ! ماذا تستطيع ان  
اقول عنه ؟ يؤسفني أنني طرحت هذا الامر على بساط البحث .  
ان كل ما أردته هو ان أحذرك من هذا النذل اللثيم ، أن  
أحررك من سلطانه ان صحّ التعبير . ان كل من يتصل به بصبح  
فى خطر . فكن على حذر من أمرك ، هذا كل شيء . أكنت  
تظن انني سأكشف لك عن اسرار باريس . ؟ انك لروائي حقا !  
ماذا اقول عن لصّ دنيا ؟ كل ما استطيع ان اقله هو انه لص  
دنيا ، لا اكثر من ذلك ولا اقل . اليك مثلا هذه القصة من  
قصصه الصغيرة ، سأرويها لك طبعا دون ان اذكر اسماء  
البلدان ، ولا اسماء الاشخاص ، ودون ان أحدد التواريخ تحديدا  
دقيقا . انت تعلم ان هذا الامير ، فى ايام شبابه ، حين كان  
مضطرا الى ان يعيش من راتب الوظيفة ، قد تزوج ابنة تاجر  
غني . فكان يسيء معاملة هذه المرأة . . وأحبُّ ان ألفت  
نظرك يا صديقي ، رغم ان ذلك ليست مدار الحديث الآن ،  
هذا الامير قد ظل طوال حياته يقوم بأعمال من هذا

النوع . اليك مثلا آخر : لقد سافر الى الخارج ، وهناك . . .  
— انتظر يا ماسلوبوف ، عن اية سفرة من سفراته تتكلم ؟

فى اية سنة ؟  
— منذ تسعة وتسعين عاما وثلاثة اشهر على وجه  
الضبط ! . . وهناك ، اغرى فتاة أخرى من الفتيات ، فاخطفها  
من أيها ، ومضى بها الى باريس . وانظر كيف جرت حوادث  
القصة . كان ابو الفتاة يملك مصنعا ، او يساهم فى مشروع  
من هذا القبيل ، لا ادري على وجه الدقة . . فما اقصه عليك  
انما هو استنتاجات خاصة ، واستدلالات استمدتها من معلومات  
اخرى . مكر الامير بالرجل ، فحشر نفسه فى أعماله ، وخدعه  
خداعا تاما ، فاقترض منه مالا ، لقاء اوراق تثبت عليه هذا  
الدين . ولكن الامير كان يريد ان يقترض المال دون ان يرده ،  
كان يريد ان يسرق وكفى . وكان للرجل العجوز ابنة هى آية  
من آيات الجمال ، وكان لهذه الفتاة شاب يحبها وهو شاب  
مثالي شاعر مثل شبلر . يتعاطى التجارة فى الوقت نفسه ،  
فنى حالما ، او قل بكلمة واحدة فنى المانيا وكفى . . كان  
اسمه يفركوخن .

— يفركوخن ؟  
— قد لا يكون اسمه كذلك ، ولكن دعنا منه الآن ،  
ليس مدار الحديث عليه . المهم ان الامير لاحق الفتاة حتى  
وقعت فى غرامه ووجنت حبا به . وكان هو يريد امرين : اولهما  
الفتاة ، وثانيهما الاوراق التى تثبت دين العجوز عليه . وكانت مفاتيح  
جميع صناديق العجوز فى عهدة الفتاة ، وكان العجوز يحب  
ابنته حب العباداة ، ولا يريد ان يزوجها ، وكان يغار من جميع



من يتقدمون اليها ، ولا يتصور ان في وسعه ان يفصل عنها ،  
وكان قد طرد ييفركوخن ، ما اغرب هذا الانجليزي !

— الانجليزي ؟ ولكن اين وقع هذا ؟

— قلت انه انجليزي من قبيل التمويه ، وهاءت ذا  
تمسك رأسا بتلايبي . لقد وقع ذلك في سانتافي دو بوجونا ،  
اللهم الا ان يكون قد وقع في كراكوفيا ، والاصح انه وقع في  
امارة ناسو . . الا تعرف ناسو ؟ اتنا نرى اسمها على زجاجات ماء  
سلتس . نعم وقع ذلك في ناسو . هل يكفيك هذا ؟ المهم  
ان الامير قد اغرى الفتاة ، وانتزعها من ايها ، واضطرها بشدة  
الحاحه الى سرقة بعض الاوراق . هل ترى الى اي مدى يبلغ  
الحب يا فانيا ؟ يا رب ، ولكنها كانت قبل ذلك الزمن فتاة  
شريفة نبيلة مهذبة ! لعلها كانت جاهلة بكل ما يتصل «بالورقيات  
من شونه» . وكانت لا تخشى الا شيئا واحدا : هو أن يلعنها  
أبوها . فعرف الامير كيف يداورها في هذا الامر ايضا ، فوقع  
لها تعهدا قاطعا شرعيا بانه سيتزوجها ، وبذلك أوهمها بأنهما  
سيسافران في نزهة الى حين ، حتى اذا هدا غضب أيها ،  
عادة زوجين ، وعاشوا هم الثلاثة معا الى الأبد . فهربت الفتاة  
معه ، ولعنها أبوها ، ثم أفلس ، وهجر فراوينمليخ تجارته ،  
وهجر كل شيء ، ولحق بالفتاة الى باريس . لقد كان مولها  
بها الى حد الجنون .

— انتظر ، أي فراوينمليخ تعني ؟

— أعني الرجل الآخر ! ماذا سميناها منذ قليل ؟ فراويباخ .  
أو ييفركوخن ، كما تريد . . وطبيعي ان الامير كان لا يرغب  
ابدا في أن يتزوج الفتاة ، والا فما عساه تقول الكوتيسية

خليستوفا . ؟ وما عساه يقول البارون بومويكين . ؟ كان لا بد  
اذن ان يخذعها . وهذا ما فعله ، وقد فعله بوقاحة لا نظير  
لها : اولا كان يكاد يضربها . . وثانيا دعا ييفركوخن الى  
زيارتها عامدا ، فكان هذا يجيء اليهما من حين الى حين ،  
واصبح صديق المرأة ، فكانا يبكيان ليالي برمتها ، ويتوجعان  
مما آلا اليه من شقاء : كان ييفركوخن يواسيها فيالهما مسن  
روحين بريتين ! . لقد دبر الامير ذلك كله عامدا ، ففاجأهما  
معا ذات يوم ، في ساعة متأخرة من المساء ، فادعى انهما  
على علاقة آتمة ، واخذ يشاجرهما ، وقال انه رآهما بعيني  
رأسه ، ثم طردهما كليهما شر طردة ، وسافر هو في رحلة الى  
لندن . كانت المرأة يومئذ توشك ان تلد ، فما انقضى على  
طردها الا زمن يسير حتى ولدت . . بتا . . اقصد ابنا . . سمته  
فولودبا . وكان ييفركوخن اشيبته . وسافرت مع ييفركوخن . ولم  
يكن الفتى يملك الا موارد ضئيلة . وطافت معه سويسرا ،  
وايطاليا ، وجميع البلاد الشعرية . وكانت لا تفتأ تبكي ، وكذلك  
هو . . وانقضى على هذه الحال عدد من السنين وكبرت البنت .  
اما الامير فكان يمكن ان تسير الامور كلها على ما يحب ، لولا  
ان ثمة نقطة سوداء ، هي انه لم يستطع ان يسترد من المرأة  
تلك الوثيقة التي يتعهد فيها بالزواج . لقد قالت له وهي تتركه :  
«يا لك من دنيء ، لقد سرقنتي ، ايها الجبان ، ولوثت  
شرفي ، وهأنت ذا تهجرني . وداعا ! ولكنني لن ارد اليك  
تعهدك ، لا لأنني ارغب في ان اتزوجك ابدا ، بل لانك  
تخاف من هذه الوثيقة . سأحتفظ بها الى الابد .» الخلاصة  
انها غضبت غضبا شديدا ، اما الامير فقد احتفظ بهدوته فعلى



العموم انه ليسعد هؤلاء الاوباش ان يكون خصومهم أناسا شرفاء مثل هذه المرأة . فان هؤلاء الناس لشرفاء لدرجة انه من السهل جدا خداعهم ، وثانيا اذا اكتشفوا انهم خدعوا ، اعتصموا بنوع من الاحتقار المتكبر ، بدلا من ان يلجأوا الى القانون ، اذا كان ذلك في الامكان . فهذه المرأة مثلا لاذت بازدراء متغطرس ، وكان الامير يعلم ، رغم احتفاظها بالوثيقة ، انها تؤثر ان تشفق نفسها على ان تنتفع بهذه الوثيقة . فظل هادىء البال خلال مدة من الزمن . وقد بصقت هي في وجهه ، ولكن فولوديا كان على ذراعها ، فما عسى ان يسير اليه لو ماتت ؟ انها لم تفكر في هذا الامر أبدا . وكان برودرشافت يشجعها ولا يفكر في هذا الامر كذلك . وكانا يقرءان شيللر . واخيرا ساءت حال برودرشافت ومات .

— تقصد ييفركوخن ؟

— نعم ، عليه اللعنة ! . أما هي . . .

— انتظر ، كم استغرقت رحلتهم ؟

— مائتي سنة تماما . أما هي فقد عادت الى كراكوفيا . فرفض ابوها ان يستقبلها ، ولعنها ، وماتت ، فرسم الامير على نفسه اشارة الصليب فرحا . كنت هنالك ، وشربت العسل ، فكان يسيل على شاربي ولا تدخل منه في فمي قطرة . . . فلنشرب ايها الاخ !

— اظن انك انت الذى تتولى الاهتمام بهذا الامر من أجله يا ماسلوبويوف ؟

— هل تحرص على ان أتولاه حتما ؟

— ولكنني لا أرى ماذا تستطيع ان تفعل !

— اسمع ، حين عادت الى مدريد ، بعد غياب عشر سنين ، وقد عادت باسم مستعار ، كان يجب الحصول على معلومات عن برودرشافت ، وعن العجوز . كان يجب ان نعلم هل عادت حقا ، ابن هو الطفل ، هل ماتت ، هل تحمل واثق الخ . . . الى غير نهاية . . . ثم هناك شيء آخر . يا له من رجل حقير ! حذار منه يا فانيا . اما ماسلوبويوف ، فإليك ما يجب ان ترى فيه من رأي : لا يذهب بك الظن ابدا الى انه نذل ! وهبه نذلا (وانا اعتقد ان جميع الناس كذلك) ، فانه ليس عدوك . صحيح انني الآن سكران ، ولكن اسمع : اذا خطر ببالك ذات يوم قريب او بعيد ، اذا خطر ببالك الآن او في السنة المقبلة ، ان ماسلوبويوف قد مكر بك (أرجوك ، لا تنسى كلمة «مكرو») ، فاعلم ان ذلك يكون بغير سوء نية . ان ماسلوبويوف يسهر عليك . فلا تدع للشكوك سيلا الى نفسك ، بل تعال اليه ، وابسط له أورك صراحة ، كأنه اخوك وكأنك اخوه . الا تريد ان تشرب ؟

— لا .

— أتأكل شيئا ؟

— لا ، أيها الأخ ، اعذرني .

— اذن فاذهب ، الساعة الآن هي التاسعة الا ربعا . كفك تكبرا . لقد آن ان تمضي .

— ماذا ؟ كيف ؟ انه يسكر ثم يطرد ضيوفه . انه دائما كذلك . يا لك من وقع !

— بهذا صرخت الكسندرا سيمينوفنا ، وهي تكاد تبكي .

— ليس الراجل ندا للراكب ، يا ألكسندرا سيمينوفنا .

العموم انه ليسعد هؤلاء الاوباش ان يكون خصومهم أناسا شرفاء مثل هذه المرأة . فان هؤلاء الناس لشرفاء لدرجة انه من السهل جدا خداعهم ، وثانيا اذا اكتشفوا انهم خدعوا ، اعتصموا بنوع من الاحتقار المتكبر ، بدلا من ان يلجأوا الى القانون ، اذا كان ذلك في الامكان . فهذه المرأة مثلا لاذت بازدراء متغطرس ، وكان الامير يعلم ، رغم احتفاظها بالوثيقة ، انها تؤثر ان تشفق نفسها على ان تنتفع بهذه الوثيقة . فظل هادىء البال خلال مدة من الزمن . وقد بصقت هي في وجهه ، ولكن فولوديا كان على ذراعها ، فما عسى ان يسير اليه لو ماتت ؟ انها لم تفكر في هذا الامر أبدا . وكان برودرشافت يشجعها ولا يفكر في هذا الامر كذلك . وكانا يقرءان شيللر . واخيرا ساءت حال برودرشافت ومات .

— تقصد ييفركوخن ؟

— نعم ، عليه اللعنة ! . أما هي . . .

— انتظر ، كم استغرقت رحلتهم ؟

— مائتي سنة تماما . أما هي فقد عادت الى كراكوفيا . فرفض ابوها ان يستقبلها ، ولعنها ، وماتت ، فرسم الامير على نفسه اشارة الصليب فرحا . كنت هنالك ، وشربت العسل ، فكان يسيل على شاربي ولا تدخل منه في فمي قطرة . . . فلنشرب ايها الاخ !

— اظن انك انت الذى تتولى الاهتمام بهذا الامر من أجله يا ماسلوبويوف ؟

— هل تحرص على ان أتولاه حتما ؟

— ولكنني لا أرى ماذا تستطيع ان تفعل !



سنبقى معا ، وستغازل . اما هو ، فهو جنرال . يا فانبا ، لقد كذبت ، لست جنرالا . اما انا فوغد . انظر الى حالتي الآن ! ما أنا اذا قورنت بك ؟ اعف عني يا فانبا ، لا تسيء الظن فيّ ، واسمح لي ان . . .

قال ذلك وتناولني بذراعيه واخذ بيكي ، فنهضت لاجرح ، فقالت الكسندرا سيمينوفنا يائسة :

— وأنا الذى حضرت العشاء ! ولكنك ستجىء يوم الجمعة ، أليس كذلك ؟

— سأجىء يا الكسندرا سيمينوفنا ، اعدك بهذا .

— قد تשמثر من رؤيته سكران هكذا . ولكن لا تحقره يا ايفان بتروفيتش ، انه طيب القلب ، انه كما تعلم طيب القلب جدا . . . وهو يحبك كثيرا . لقد اصبح لا يحدثني الا عنك ، ليل نهار . واشترى لى كتبك . لم أقرأها بعد . سأبدأ ذلك غدا . وكم يسرني ان تجىء الينا . انني لا ارى احدا ، لا يزورنا احد . عندنا كل شيء ، ونبقى وحدنا . لقد استمعت اليوم الى كل ما قلته . . . كان كلاما جميلا . . . اذن . . . الى يوم الجمعة .

## الفصل السابع

أسرعت اعود الى بيتي . لقد أثر فيّ كلام ماسلوبوف تأثيرا شديدا خطرت ببالي خواطر كثيرة . فلما وصلت الى البيت كان ينتظرنى هنالك ، كأنما على عمد ، حادث هزني هزا عنيفا كأنه صدمة كهربائية .

كان في باب العمارة التى اسكنها مصباح ، فما ان اقتربت من العمارة وثب علي من تحت المصباح شخص غريب ، ما إن رأيته حتى صرخت جزعا : كان مخلوقا جن جنونه من الذعر فهو يرتعش ارتعاشا شديدا ، ويتعلق بي صارخا كأنه فاقد صوابه . انها نللي .

هتفت :

— ما بك يا نللي ؟ ما الامر ؟

— انه هناك . . . فوق . . . فى بيتنا .

— من هو ؟ لنذهب اليه ، تعالي معي .

— لا ، لا اريد ، سأنتظر فى حجرة المدخل ، الى

ان يخرج . . . لا اريد ان اذهب اليه .

فصعدت الى غرفتي ، وانا اتنبأ بشيء ، فلما فتحت

الباب ، لمحت الامير .

كان جالسا الى المنضدة يقرأ ، او قل على الاقل كان

ييده كتاب مفتوح ، فلما رأيته هتف بقول بلهجة

فرحة :

— ايفان بتروفيتش ، يسرني جدا انك عدت اخيرا .

كنت على وشك ان اذهب . انتظرتك اكثر من ساعة . لقد

تعهدت للكوتيبسة اليوم ان أجىء بك اليها ، بعد أن الحت

عليّ فى ذلك الحاحا شديدا . لقد رجعتني فى ذلك رجاء

حارا ، فهي فى شوق كبير الى معرفتك . فرأيت ان آتي اليك

قبل ان تخرج ، وان ادعوك ، ما دمت قد وعدتني بذلك .

وما كان اشد خيبة ألمي حين قالت لي خادمتك انك لست

فى البيت . ولكنني كنت قد قطعت للكوتيبسة وعدا بأن اصحبك



اليها ، فقلت : انتظرك ربع ساعة ، وفتحت روايتك ، فاذا انا استغرق في القراءة وقتا طويلا . ما هذا يا ايفان بتروفش ! شيء عظيم ! هل تعلم أنك اسلت من عيني الدموع ؟ نعم لقد بكيت ، مع انني لا ابكي الا نادرا .

— تريد ان اذهب الى هناك ؟ ولكن يجب ان اعترف لك انني في هذه اللحظة . . رغم انني لا ارجو أحسن من ذلك . .

— ناشدتك الله الا جئت ! ما عسى ان يكون موقعي اذا لم تجي ! انني انتظرك هنا منذ ساعة ونصف ساعة ! ثم انني في حاجة ماسة ، ماسة جدا ، الى التحدث معك ، في الموضوع الذي تعرفه . . انك تعرف هذا الموضوع كله اكثر مما اعرفه . . فلعلنا ننتهي الى قرار ، لعلنا نصل الى حل ، ما رأيك ؟ فكر في هذا ، ارجوك ؛ لا ترفض ان تجيء معي !

وفكرت في الامر فوجدت ان عليّ ان اذهب الى هناك عاجلا او آجلا . صحيح ان ناتاشا تقبع الآن وحدها وانها في حاجة اليّ ، ولكن ألم ترجني هي نفسها ان اتعرف الى كاتيا في اقرب فرصة ممكنة ؟ ثم ان ألبوشا قد يكون هنالك ايضا . . كنت اعرف ان ناتاشا لن يهدأ بالها ما لم آتها بأخبار كاتيا ، فقررت ان اذهب ، الا ان نللي هي التي كان يشغلني امرها .

قلت للامير وانا اخرج الى السلم :  
— انتظرنني قليلا .  
كانت نللي هنالك ، لاطية بركن مظلم .

— لماذا لا تريد ان تدخلني يا نللي ؟ ما صنع بك ؟  
ما قال لك ؟  
— لا شيء . . لا أريد . . لا أريد . . أنا خائفة .  
عينا حاولت ان اقنعها . فاتفقنا على ان تدخل هي الى الغرفة متى خرجت انا مع الامير ، وعلى ان تقفل باب الغرفة بالمفتاح من داخل .  
— ولا تسمح لي لاحد بأن يدخل ، يا نللي ، مهما يقل

لك .  
— هل تذهب معه ؟  
— نعم .  
فارتعشت ، وتناولت يدي ، كأنها تود لو ترجوني ان لا اذهب ، ولكنها لم تقل شيئا ، وقررت ان اسألها عن التفاصيل غدا .

وعدت الى الامير ، فاعتذرت اليه ، واخذت ارتدي ثيابي . فأكد لي ان لا حاجة بي الى الاسراف في العناية بهندامي ، ولكنه بعد ان نظر اليّ من قمة الرأس الى اخمص القدم نظرة فاحصة قال :

— ومع ذلك لا بأس ان ترتدي ملابس اكثر جدة من هذه . انت تعرف تلك السخافات الاجتماعية . . يستحيل ان يحرر الانسان منها تحورا تاما . . ولن نرى هذا الكمال يتحقق في مجتمعنا قريبا . .

قال جملته الاخيرة هذه بعد ان لاحظ راضيا ان عندي ملابس السهرة وخرجنا . ولكنني تركته على السلم ، وعدت الى الغرفة ، وكانت نللي قد تسللت اليها ، فودعتها مرة اخرى .



كانت مضطربة اضطرابا فظيما . كان وجهها ازرق من فرط  
الاضطراب . فشعرت بقلق عليها ، وحز في نفسي انسي  
اتركها .

قال لي الامير وهو يهبط السلم :

— خادمك غريبة الاطوار ! هل هذه البنت الصغيرة  
خادمتك ؟

— لا . بل هي بنية تسكن عندي الآن .

— انها غريبة الاطوار . اظن انها مجنونة . تصور انها  
في اول الامر اجابتي بكلام مناسب ، ولكنها ما ان نظرت  
اليّ ، حتى ارتمت عليّ ، وصرخت واخذت ترتعش ، وامسكت  
بتلابيسي كانت تريد ان تقول شيئا ، ولكنها لم تستطع ذلك .  
واعترف لك بانني خفت ، واوشكت ان اهرب ، لو لا انها  
سبقتني الى الهرب ، ولله الحمد . لقد شُدهت . ولكن كيف  
تستطيع ان تحتلمها ؟

— انها مصابة بالصرعة .

— ها . . . اذن لا غرابة . . . مادامت نجيتها نوبات . . .

وخطر بيالي ان مجيء ماسلوبوف الى بيتي امس ، رغم  
علمه بانني لست في البيت ، وزيارتي اليوم لماسلوبوف ،  
وما رواه لي على مخصص وهو سكران ، وكونه دعاني الى المجيء  
اليه في الساعة السابعة ، وما قاله لي من انه لا يخادعني ولا  
يمكر بي ، وانتظار الامير هنا منذ ساعة ونصف ساعة مع انه  
ربما كان يعرف انني عند ماسلوبوف ، ومع ان نللي هربت  
الى الشارع منه ، خطر بيالي ان هذا كله يرتبط بعضه ببعض .  
ان هذه الامور كلها لتستحق التفكير .

كانت عربة الامير تنتظره عند الباب ، فصعدنا اليها ،  
ومضت بنا .

## الفصل الثامن

لم يكن الطريق طويلا ، فان البيت يقع عند الجسر  
التجاري . لزمنا الصمت في اول الامر . وتساءلت : ترى كيف  
يبدأ الامير الحديث . وظننت انه سيمتحنني ، سيجربني ،  
سيحملني على الكلام . ولكنه تناول الموضوع رأسا ، وبدأ يقول  
بلا لف ولا دوران :

— هناك شيء يقلقني كثيرا يا ايفان بتروفنش ، وأريد ان  
اتحدث عنه قبل كل شيء ، وان اسألك فيه النصيحة . لقد  
قررت منذ مدة طويلة ان اتنازل عن ربح الدعوى ، وان ارد  
الى اخمينيف آلفه العشرة من الروبلات . فكيف اعمل ؟

قلت في نفسي : «يستحيل ان تجهل كيف تعمل .  
أريد ان تسخر مني ؟» . ثم اجبته بسذاجة :

— لا ادري ايها الامير . انا مستعد ، فيما يتصل بناتاليا  
يقولايينا ، ان أمدك بجميع المعلومات اللازمة ، اما فيما  
يتصل بهذا الموضوع فأنت ادري مني ، حتما ، بما يجب ان  
يُعمل .

— لا . . . لا . . . بالعكس . انك تعرفهم ، ولعل ناتاليا  
يقولايينا قد قالت لك رأيها في هذا الموضوع غير مرة . وهذا  
ما يمكن ان يوجهني ويقود خطاي اكثر من اي شيء آخر .  
تستطيع ان تعاونني كثيرا . ان القضية حرجة الى ابعد حدود



الحرص . انني مستعد لان اتنازل عن جميع حقوقى ، بل لقد  
عزمت على ذلك عزما جازما ، مهما تكن نتيجة الامور الاخرى ،  
هل تفهمني ؟ ولكن المسألة هي : كيف ، فى اية صورة ،  
على اى نحو انفذ هذا التخلي ؟ ان العجوز رجل متغطرس عنيد .  
انه قادر على ان يحقرني جزاء ما اقدم له من طيبة قلبي ، وان  
يقذف المال فى وجهي . . .

— ولكن قل لي من فضلك : هل تعد هذا المال مالك  
ام تعده ماله ؟

— انا الذى ربحت الدعوى ، فالمال اذن مالي .

— ومن ناحية ضميرك ؟

— طبعا اعده مالي

قال ذلك وكان استهتارى به قد قرصه قليلا . ثم اردف  
يقول :

— يبدو لي انك لا تعرف القضية معرفة عميقة . انا لا  
انهم العجوز بأنه خدعني عن سابق تصور وتصميم ، اعترف  
لك بذلك ، انني ما اتهمته بهذا قط . هو الذى اراد ان يعتقد  
انه أودى في كرامته . كل ما فى الامر انه اقترف جريمة الاهمال ،  
فى اعمال عُهد بها اليه ، والاتفاق التى تمّ بيننا ينص على انه  
مسؤول . ولكن هذا ايضا ليس اهمّ ما فى الامر . اخطر ما فى  
الامر هو تلك المشاجرات التى قامت بيننا ، وتلك الاهانات  
التي تبادلناها ، اى ان كرامتنا قد جُرحت . ولو لا ذلك لما  
التفت الى بضعة الآلاف التافهة تلك من الروبيلات . ولكن لا  
بد انك تعرف كيف بدأ هذا الامر كله . اعترف لك بأنني  
اسأت الظن ، وربما كان سوء ظني فى غير محله (يومئذ) .

ولكنني لم ادرك ذلك ، فلم أشأ ، وقد استبد بى الغضب  
واهانتى العجوز بكلامه الفظ ، ان تغلت منى الفرصة ، فشرعت  
فى اقامة الدعوى . قد يبدو لك ذلك غير نبيل مني . ولست  
فى معرض تبرئة نفسي ، ولكنني احب ان ألفت نظرك الى ان  
الغضب ، والدفاع عن الكرامة خاصة ، لا يدلان على قلة  
النبيل ، فهما امران طبيعيان انسانيان . واعدو فأقول لك انني  
كنت لا اكاد اعرف اخمينيف ، فاعتقدت اعتقادا اعمى بجميع  
تلك الاشاعات التى تناولت ابنته وألبوشا ، لذلك ايضا ظننت  
انه سرقني عامدا متعمدا . . . على ان هذه الامور وتفاصيلها لا  
حاجة بنا الى الدخول فيها الآن . الشيء الاساسى هو انني لا  
اعرف ماذا يجب ان اعمل . أن اتنازل عن المال واقول فى  
نفس الوقت انني اعد شكواي عادلة ، فان معنى ذلك انني  
اهدي اليه المال اهداء . اصف الى ذلك الموقف الحرج الذى  
نحن فيه بسبب ناتاليا نيقولايفنا . . . ليس يخالجنى ريب فى  
انه سيقذف بالمال فى وجهي . . .

— انظر . . . مادمت تقول هذا الكلام ، فمعنى ذلك انه  
تعدده رجلا شريفا . ويرتب على هذا ان فى وسعك ان تقتنع  
بأنه لم يسرقك . واذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تمضي  
اليه فتقول له صراحة انك تعدّ شكواك باطلّة ؟ ان فعلت هذا  
كان نبلا منك . . . ولن يزعم اخمينيف عندئذ ان يأخذ ماله .  
— هم . . . ماله . . . هذه هى الصعوبة . ماذا تريد ان  
اعمل ؟ ان اذهب اليه واقول له انني اعدّ شكواي باطلّة ؟  
ولكن ما عسى يقول الناس عندئذ ؟ سيقولون لي : مادمت  
تعرف ان شكواك باطلّة فلماذا قدمتها ؟ الواقع انني لا استحق



ان يقول لي الناس هذا الكلام . ذلك انني كنت على حق . انا لم اقل لاحد ولا كتبت لاحد ان اخمينيف سرقني ، ولكنني مازلت مقتنعا بانه اسرف في الاهداء ، وبانه لا يعرف كيف يسوس عملا من الاعمال . وذلك المال هو مالي حقا ، لهذا يعز علي ان اتهم نفسي بانني رفعت دعوى باطلة . الخلاصة اكرر ان العجزو اراد ان يرى انه امين ، وانت تريد ان استغفره عن هذه الاهداء ، وهذا كثير بعض الشيء !

— يخيل اليّ انه حين يريد شخصان ان يتصالحا .  
— هل تظن ان هذا سهل ؟

— نعم .  
— هذا صعب جدا في بعض الاحيان ، خاصة و . .  
— خاصة وان ظروفنا اخرى قد اصبحت الى المسألة . على هذا اوافقك ، ايها الامير . فيجب ان تحل قضية ناتاليا نيقولايينا وابنتك ، من جميع النواحي التي تتصل بك ، حتى يرتاح العجزو ، وعندئذ ، تستطيع ان تفاهم تفاهما صادقا مع نيقولاي سرجييتش في موضوع الدعوى . اما وان شيئا لم يقر بعد في هذا الموضوع ، فليس ثمة الا سبيل واحد ، هو ان تعترف ببطلان دعواك ، وان تعترف بذلك صراحة ، وربما كان عليك ان تعلن ذلك على رؤوس الاشهاد ، ان تعلنه للناس عامة . ذلك هو رأيي ، اقوله لك صراحة ، لانك انت سألتني النصح ، ولا شك انك لا تريد ان اراوغ معك . وهذا يشجمني على ان اطرح عليك هذا السؤال : لماذا يهملك ان ترد هذا المال الى اخمينيف ؟ اذا كنت تعد دعواك عادلة فلماذا ترد المال ؟ اغفر لي فضولي ، ولكن لهذا صلة بظروف اخرى . . .

— ولكن ما رأيك ؟ هل انت على يقين من ان اخمينيف سيقض هذه الآلاف العشرة من الروبلات ، اذا انا رددتها اليه دون ان اشفعها بأي اعتذار و . . و . . اي تلطيف ؟  
— انا على يقين من ذلك .

قلت هذا وقد احمر وجهي واخذت ارتجف من فرط الاستياء ، كان لهذا السؤال الذي يحمل معنى الشك الوقح ، من التأثير في نفسي مثلما يمكن ان يكون لبصقة يبصقها الرجل في وجهي . اصف الى هذه الاهداء اهداء اخرى ، هي هذه الطريقة التي قاطع بها كلامي ، دون ان يجب على سوءالي ودون ان يحفل به ، على عادة ابناء طبقة الراقية ، كأنما اراد بذلك ان يشعرني بانني اسرفت في رفع الكلفة بيني وبينه ، حين طرحت عليه سوءالي على هذا النحو . كنت أبغض في ابناء هذه الطبقة تلك الاساليب وامقتها اشد المقت ، حتى لقد حاولت بكل جهودي ان احرق منها اليوشا من قبل .  
اجاب الأمير على اندفاعي ، بفتور ، قائلا .

— هم . . انت مندفع شديد الاندفاع ، هناك امور في هذه الحياة تتم على غير النحو الذي تتصوره . ثم انني ارى ان في وسع ناتاليا نيقولايينا ان تحلّ هذه المسألة بعض الحل ، فأشرح لها الامر ، فقد تسدي اليها بالنصح .  
قلت بلهجة خشنة :

— ابدا . انك لم تتنازل فتصغي حتى النهاية الى ما بدأت اقله لك منذ قليل وقاطعتني . ان ناتاليا نيقولايينا ستعتقد ، اذا انت رددت المال الى ايها دون صدق ، ودون تلطيف على حد تعبيرك ، ستعتقد انك تحاول ان ترضيها بالمال ،



ترضي أباهما عن ابته ، وترضيها هي عن أليوشا ، اى سمعتك  
انك تدفع لهما تعويضا . .  
— هم . . أهكذا تفهمني يا عزيزي ايفان بتروفيتش ؟  
قال ذلك واخذ يضحك . لماذا اخذ يضحك ؟  
ثم تابع يقول :

— عدا هذا ، هناك اشياء كثيرة يجب ان نتحدث  
فيها . ولكن الوقت لا يتسع لذلك الآن . غير انني اسألك  
ان تفهم شيئا واحدا وهو : ان هذه القضية تتصل بناتاليا  
نيقولاييفنا رأسا ، وبمستقبلها كله وكل هذا يعتمد على ما سوف  
نقرره انا وانت وحل القضية يتطلب وجودك ، سوف ترى ذلك .  
لذلك ، اذا كنت متعلقا بناتاليا نيقولاييفنا ، فانك لا تستطيع  
ان ترفض الحديث معي ، ولو كان شعورك نحوي لا يشمل  
على كثير من الحب . ها نحن اولاء وصلنا . <sup>(1)</sup> à bientôt

## الفصل التاسع

كان بيت الكونتيسة بيتا جميلا ، وكان في اثاث غرفة  
كثير من الرخاء والذوق ، على خلوه من اى ترف . ومع ذلك  
كان كل ما في البيت يدل على ان الاقامة فيه مؤقتة . فهو  
بيت مريح الى حين ، ولكنه لا يليق ان يكون المسكن الدائم  
الثابت لاسرة غنية ، لانه خال من مظاهر الابهة التى يحرص  
عليها السادة ، ويعدونها ضرورة لازمة حتى فى ادق التفاصيل .

<sup>(1)</sup> الى اللقاء (بالفرنسية فى الاصل) .

وكان يروج ان الكونتيسة ستقضى فصل الصيف فى اطيانها  
(المفلسة المثقلة بالديون) فى مقاطعة سميرسك ، وان الامير  
سبصحها . كنت قد سمعت ذلك ، فتساءلت قلقا : ترى  
ما عسى يصنع اليوشا حين تسافر كاتيا . ولم اكن قد تحدثت  
فى هذا الى ناتاشا ، فاني كنت لا اجرؤ ان افاتحها فيه ،  
ومع ذلك قدرت من بعض العلامات انها لا تجهله ، ولكنها  
نسكت عنه ، وتتألم صامتة . . .

استقبلتني الكونتيسة استقبالا لطيفا جدا ، ومدت اليّ  
يدها برفقة وهي تقول انها ترغب فى رؤيتي بمنزلها منذ مدة  
طويلة . وصبت لي بنفسها قدحا من الشاي ، من سماور من  
الفضة جلسنا قربه انا والامير وسيد من الطبقة الراقية متقدم فى  
السن ، مترين بوسام النجمة ، متصنع بعض التصنع ، يتصرف  
تصرف الدبلوماسيين . كان واضحا انهم يولونه احتراما خاصا  
جدا . ان الكونتيسة ، بعد ان رجعت من الخارج ، لم يتسع  
وقتها بعد لان تعقد هذا الشتاء فى بطرسبرج علاقات كبيرة ،  
ولا ان توطد وضعها كما كانت تأمل . لم يكن هناك ضيوف  
آخرون ، ولا جاء احد طوال السهرة . ونظرت ابحت عن  
كاترينا فيدوروفنا : لقد كانت مع أليوشا فى الغرفة الاخرى ،  
ولكنها ما ان علمت بقدمونا حتى جاءت ، فقبل الامير يدها  
فى لطف ونحيب ، وقدمتني الاميرة اليها . وسرعان ما عرف  
الامير احدنا بالآخر . ورحبت اتمحصها بنفاد صبر . انها فتاة  
شقران ، ترتدي ثوبا ابيض ، قصيرة القامة ، يعبر وجهها عن  
نعومة وهدوء ، عيناها زرقاوان صافيتان ، كما قال لنا أليوشا .  
ولكن ليس لها من الجمال الا نضارة الصبا . كنت اتوقع ان ارى



فناة جميلة رائعة الجمال ، ولكن لم يكن فيها شيء من ذلك .  
وجهها يضاوى رقيت ، وقسماتها دقيقة ، وشعرها كثيف وجميل  
حقا . وقد صفتته تصفيفا بسيطا ، ونظرتها عذبة يقظة ، ولكنتي  
لورابتها في اى مكان لمررت بها دون أن اوليها اى التفات خاص .  
غير ان هذا هو من النظرة الاولى فحسب ، وقد اتسع وقتي في  
ذلك المساء لانعام النظر فيها أكثر من ذلك . مدت الي يدها  
وهي تنظر في عيني بالحاح ساذج مركز ، دون ان تقول كلمة  
واحدة . ففجأتني هذه المبادرة بغرابتها ، وابتسمت لها بالرغم  
مني . لقد شعرت اذن على الفور انني امام انسانة صافية القلب .  
وكانت الكونتيسة تراقبها بكثير من اليقظة . وبعد ان صافحتني  
كاتيا ، تركنتي مسرعة ، ومضت تجلس الى جانبت أليوشا في  
الطرف الآخر من الغرفة . وحين حياني أليوشا قال لي بصوت  
خفيض : « لن امكث هنا الا دقيقة واحدة وسأذهب حالا  
الى هناك » .

كان الدبلوماسي (لست اعرف اسمه وانما اطلق عليه اسم  
الدبلوماسي لاسميه بطريقة من الطرق) يتحدث بهدوء ووقار وهو  
يشرح فكرة من الافكار . وكانت الكونتيسة تصغي اليه باهتمام .  
وكان الامير يتسم ابتسامة الموافقة المتملقة . وكان الخطيب  
يتجه بالكلام في اغلب الاحيان اليه ، ربما لانه يعده مستمعا  
جديرا به . صبوا لى الشاي وتركوني وشأني ، فسرتني ذلك كثيرا .  
كنت خلال ذلك الوقت ألاحظ الكونتيسة . وقد اعجبنتي في  
أول الامر ، بالرغم مني ، ان صح التعبير . لعلها قد تجاوزت  
مرحلة الصبا ، ولكنتي لم أقدر لها أكثر من ثمانية وعشرين  
عاما . كان وجهها ما يزال نضرا ، ولا شك أنها كانت في

الماضي جميلة جدا . كان شعرها الاشقر الاربيد ما يزال كثيفا  
غزيرا ، وكانت لها نظرة طيبة يمازجها نوع من الطيش والمكر .  
غير أنها كانت في تلك اللحظة تسيطر على نفسها سيطرة واضحة .  
وكانت نظرتها تشف أيضا عن ذكاء ، ولكنها تشف خاصة عن  
طيبة وفرح . وتراءى لي أن الملامح البارزة في طبعها هي الخفة ،  
والظلمة الى الملذات ، ونوع من أثره الاطفال . وكانت واقعة  
تحت سلطان الامير يؤثر فيها تأثيرا كبيرا . كنت اعرف ان قد  
كانت بينهما علاقة ، وكنت سمعت انه لم يكن ذلك العشيق  
الغير اثناء اقامتهما في الخارج ، ولكن يبدو لي (وما يزال يبدو  
لي هذا حتى الآن) انه ما عدا العلاقة القديمة لا بد ان قد  
كان بينهما علاقة اخرى خفية غامضة ، هي نوع من الاضطراب  
المتبادل الذي يقوم على حساب . . كنت اعلم ايضا ان الامير  
قد شتم منها ، ولكنه لم يقطع علاقته بها . ولعل ما يهيشانه  
لكاتيا ولمستقبلها (ولا شك ان المبادرة في هذا الامر قد جاءت  
من الامير) هو الذي كان لا يزال يربط احدهما بالآخر . وعلى  
هذا الاساس انما بنى الامير رفضه للزواج من الكونتيسة التي لا  
شك انها طالبت به بأن يتزوجها ، فأقنعها بان تساعد على زواج  
أليوشا بابنة زوجها . هذا ، على الاقل ، ما استخرجه من  
الاقاصيص الساذجة التي قصها علي أليوشا ، بعد ان استطاع ان  
يلاحظ بعض الامور رغم كل شيء . وقد قدرت أيضا ،  
بالاستناد الى اقاصيص أليوشا كذلك ، أن الامير كان يخشى  
الكونتيسة رغم سيطرته الكاملة عليها . وأن هناك سببا يدعوه الى  
الخشة منها . لقد أحس أليوشا نفسه بذلك . وعرفت فيما بعد  
ان الامير كان يرغب رغبة شديدة في تزويج الكونتيسة ، وأن



هذا من جملة الاسباب التي تحمله على ارسالها الى اطبائها بمقاطعة سميرسك ، عسى ان يجد لها هنالك زوجا مناسباً . كنت جالسا اصغي ، وأنا أتساءل كيف يمكنني بلا تأخر أن أتحدث الى كاترينا فيدوروفنا في خلوة . كان الدبلوماسي يجب على سؤال طرحته الكونتيسة ، سواء يتناول الوضع الراهن ، والاصلاحات التي شرع فيها . : هل يجب أن تخشاها أم لا ؟ فتكلم كثيرا ، وتحدث حديثا طويلا ، حديثا هادئا ، كأنه رجل من رجال السلطة كان يشرح فكرته شرحا مرهفا بارعا ، ولكن فكرته هذه كانت كريهة . كان بلح خاصة على أن روح الاصلاح سرعان ما تنتج بعض الثمرات ، وعلى أن الناس سيعودون الى صوابهم حين يرون تلك الثمرات ، وعلى ان روح الاصلاح هذه ستختفي من المجتمع (اعني قسما من المجتمع ، طبعا) ، فسيدركون عند التطبيق أنهم اترفوا خطأ ، وسيعودون الى النظام القديم بمزيد من القوة . وقال ان تجربة هذه الاصلاحات ستكون مفيدة على كل حال ، رغم أنها محزنة ، ذلك لأنها ستبين أن المحافظة على الوضع القديم واجبة ، ولأنها ستأتي بمعلومات جديدة ، ولذلك يجب ان يتمنى المرء منذ الآن ان يمضوا بها الى آخر حدود الطيش ، ويختم كلامه بقوله : «انهم لا يستطيعون بدوننا أن يفعلوا شيئا ، وما من مجتمع أمكن أن يبقى بدوننا . لن نخسر اذن شيئا : بل سنربح كثيرا . سننجو ، سننجو ، ويجب ان يكون شعارنا في هذه اللحظة "Pire ça va, mieux ça est"» .

(١) الافضل ان تسوء الحال . (بالفرنسية في الأصل) .

فابسم له الامير ابتسامة تودد بعثت في نفسي الاشمزاز . كان الخطيب راضيا عن نفسه كل الرضى . وكان يمكن ان أرتكب حماقه فأرد على كلامه ، ذلك ان قلبي كان يغلي حقا ، لو لا نظرة مسمومة من الامير أوقفتني : لقد اختلس الامير هذه النظرة التي اختلصا من جانب ، فبدا لي انه يتوقع ان اندفع اندفاعا غريبة طفولية وانه ربما كان يتمنى ذلك ، وانه يسره ان يراني اعرض نفسي للمخاطر . وكنت في الوقت نفسه مقتنعا كل الاقتناع بأن الدبلوماسي لن يلتفت الى ردي ، وانه قد لا يلتفت الى وجودي اصلا . وشعرت بانزعاج فظيع ، الا ان أليوشا اخرجني من المأزق .

اقرب مني أليوشا بلا ضجة ، ولمس كفتي ، ورجاني ان اجيء ليقول لي كلمتين . فأدركت ان كاتيا هي التي أرسلته الي . فما هي الا دقيقة واحدة حتى كنت اجلس الى جانبها . شملتني اول الامر بنظرة فاحصة ، وكأنها تقول بينها وبين نفسها : «هذا انت اذن ؟» ، ولم تعرف في اللحظة الاولى ، لا انا ولا هي ، كيف نبدأ الحديث . كنت مقتنعا باننا متى بدأنا الكلام فلن نتوقف ، بل سنظل نتحدث الى الصباح . وتذكرت ما قاله لنا أليوشا عن «الساعات الخمس او الست من الحديث» . كان أليوشا جالسا بالقرب منا ، وكان ينتظر ان نبدأ الكلام بفارغ صبر . وقال اخيرا وهو ينظر الينا مبتسما :

— لماذا لا تقولان شيئا ؟ أتجتمعان ثم تصمتان ؟

فأجابت كاتيا :

— آه منك يا أليوشا . . . ستكلم حالا . ولكن هناك أشياء كثيرة نحب ، انا وايفان بتروفنش ، ان نقولها . . . فما



ندري بايها نبدا . لقد تأخر تعارفنا كثيرا ، وكان يجب ان نلتقي منذ مدة طويلة . ما كان اشد شوقى الى رؤيتك حتى لقد خطر لي ان اكتب اليك . . .  
فألتها وانا ابتسم بالرغم مني .  
— فى اى موضوع ؟  
فأجابتنى بقولها جادة :

— لست الموضوعات هى ما يعوزنا . كان يمكننى ، على الاقل ، ان اكتب اليك لاسألك هلا تشعر ناتاليا نيقولايفنا بأنه يسيء اليها حين يتركها وحدها فى مثل هذه اللحظة ؟ هل يجوز له ان يسلك هذا السلوك ؟ لماذا انت هنا يا أليوشا ؟ هل لك ان تقول لي لماذا انت هنا ؟

— سأذهب حالا . قلت اننى لن امكث الا دقيقة واحدة . احب ان ارى اولا كيف تبدء ان الحديث ، ثم اذهب .  
— ها نحن معا . . . هل رأيتنا ؟

قالت ذلك ثم اضافت تقول لي وهى تحمر احمرارا خفيفا وتشير اليه :

— انه دائما هكذا . . . يقول : «دقيقة واحدة فقط» ، ثم بدون ان يشعر ، يبقى الى نصف الليل ، فيكون الاوان قد فات . «لن تزعل ، انها طيبة جدا» . هكذا يفكر فى الامر ! هل يحسن ذلك ؟ هل فى هذا شيء من نبل ؟

فأجاب أليوشا بلهجة حزينة كثية :

— انا ذاهب اذا كنت تصرين على ذهابى . ولكنى

كنت اتمنى لو ابقى معكما . . .  
— لسنا فى حاجة اليك . بالعكس . هناك امير كثيرة

يجب ان نتحدث فيها منفردين . هيا . . . لا تزعل . هذا شيء لا بد منه . . . افهم ذلك جيدا .  
— اذا كان لا بد من هذا ، فأنا ذاهب حالا . ليس ثمة ما يوجب الزعل اريد أن اذهب الى ليف لدقيقة واحدة ، ثم امضي اليها فوراً .  
قال ذلك ثم اردف وهو يتناول قبعته :

— بالمناسبة ، هل بلغك يا ايفان بتروفتش ان ابي يريد ان يتنازل عن المبلغ الذى ربحه فى دعواه مع اخمينيف ؟  
— نعم ، بلغنى ذلك . قال لي .

— انظر ما اتبل هذا العمل منه ! ان كاتيا لا تصدق انه سلك سلوكا نبيلاً . حدثها فى هذا الامر . الى اللقاء يا

كاتيا . . . ورجائى اليك ان لا تشكى فى صدق حبي لناتاشا . لماذا تفرضون على هذه الشروط ، لماذا توجهون اليّ هذه العلامات ، لماذا ترصدون حركاتى وسكناتى . . . كأنكم رقباء علىّ ! انها تعرف مدى ما اكته لها من حب ، وهى واثقة بى ، تؤكد لكم ذلك .

اننى احبها بصرف النظر عن جميع الظروف . احبها ، لا ادرى كيف ! احبها وكفى ! لذلك يجب ان لا تسائلونى كما يُسأل مجرم . هذا ايفان بتروفتش ، فأسأليه ما دام هنا ، فيقول لك ان ناتاشا غيورة ، فهى تحبني ولكن حبها يشتمل على كثير من الاثرة ، إنها لا تريد ان تضحي من اجلي بشيء .

فسأله دهشا وأنا لا اكاد اصدق ما تسمعه اذناي :

— ماذا تقول ؟

وقالت له كاتيا فى شبه صراخ ، وهى تضرب كفا بكف :

— ماذا دهاك يا أليوشا ؟



— نعم . ما وجه الغرابه فيما اقول ؟ ان ايفان بتروفش  
يعرف ذلك . انها تصرّ على أن أبقى معها دائما ، لا اقول  
انها تصرّ على ذلك اصرازا ، ولكن المرء يرى انها تريد .  
فقلت له كاتيا وقد اصطبغ وجهها بحمرة الغضب :  
— ألا تستحي ؟ ألا تستحي ؟

— لماذا استحي ؟ انك لتضحكيني حقا يا كاتيا !  
انا احبها اكثر مما تظن هي ، ولو كانت تحبني مثلما احبها  
حقا لضحت بلذتها من أجلي . صحيح انها هي التي تصرفني  
من عندها ، ولكنني ارى في وجهها انها تفعل ذلك على  
مضض . . . ولا فرق عندي بين ذلك وبين ان تمنعني من  
الخروج .

فهتفت كاتيا تقول وهي تلتفت اليّ مرة اخرى مشتلة  
العينين من الغضب :

— لا ، لا . . . هذا الكلام لست انت مصدره ! اعترف  
يا أليوشا ، اعترف حالا بأن أباك هو الذي قال لك هذا الكلام ،  
اليوم ، اليوم . ولا تخادعني ، ارجوك ، فان مخادعتك لا  
تنظلي علي . أليس ما قلته صحيحا ؟  
فأجاب أليوشا مضطربا :

— نعم ، قال لي ذلك . وأى بأس في هذا ؟ لقد  
حدثني حديث صداقة وحب ، وظل يثنى عليها طوال الوقت .  
حتى لقد ادهشني ذلك . أهاتته اهانة شديدة ، ثم هو يثنى  
عليها !

فقلت له :  
— وهل صدقته ، انت يا من اعطتك ناتاشا كل ما

نستطيع ان نعطي ؟ انها ، في هذا اليوم نفسه ، ما كان  
بهمها الا امر واحد : ان تجنبك الملل ، ان لا تحرمك من  
فرصة الاجتماع بكاترينا فيدوروفنا . لقد قالت لي ذلك هي  
نفسها . ثم أنت تمضي تصدق ما يقوله في حقها تجنيا ! ألا  
تستحي ؟

قالت كاتيا وهي تشير اليه بيدها اشارتها الى رجل ضائع  
تماما :

— هذا العاق ! لا يستحي ابدا من شيء .  
واستأنف أليوشا يقول بلهجة شاكية :

— ولكن ماذا تريدان مني ؟ انت دائما هكذا يا كاتيا :  
نظنين فيّ أسوأ الظنون . وكذلك ايفان بتروفش . . . انكما تعتقدان  
بأنني لا احب ناتاشا . ولكنني حين وصفتها بالأثرة ، إنما  
اردت ان اقول انها تسرف في حبي ، وان هذا افراط  
يؤذيها كلينا . اما بي فلن يخدعني ابدا ، ولو اراد ذلك . لن  
ادع له ان يخدعني . انه لم يصفها بالأثرة من ناحية المعنى

السببي الذي تدل عليه هذه الكلمة ، ولقد فهمت ما يريد ان  
يقوله حق الفهم . لقد قال ما ذكرته لكما منذ لحظة نصا ،  
قال : انها تسرف في حبي الى حيث يصبح هذا الحب اثره ،  
وان ذلك يثقل عليّ وعليها ، وانه سببيء اليّ في المستقبل  
أكثر . وكلامه هذا حق ، قاله حبا بي ، وهو لم يشأ ان يسيء  
به الى ناتاشا . بالعكس ، هو يرى انها قادرة على حب عفيف ،  
لا حدود له ، حب يصل الى درجة المستحيل . . .

فقاطعت كاتيا ولم تدع له ان يتم كلامه ، واخذت تقرعه  
تقريبا شديدا ، وتبين له ان اباه لم يثن على ناتاشا الا ليخدعه

تقريبا شديدا ، وتبين له ان اباه لم يثن على ناتاشا الا ليخدعه

تقريبا شديدا ، وتبين له ان اباه لم يثن على ناتاشا الا ليخدعه



بالتظاهر بطيبة القلب ، وانه لا يهدف من وراء ذلك الا الى قطع العلاقة بينه وبينها ، واثارة حفيظته عليها . وبرهنت له بحرارة وذكاء ، على ان ناناشا تحبه حبا عميقا ، وعلى انه ما من حب يمكن ان يغتفر سلوكا كسلوكه ، وعلى انه هو الاناني حقا ، لا ناناشا . شيئا فشيئا تأدت به الى حزن شديد وندامة تامة . . . كان يجلس الى جانبنا ، مطرقا الى الارض ، لا يجيب بشيء ، منهارا تماما ، ينم وجهه عن الم شديد . ولكن كاتيا لم يشف غليلها . . . كنت اراقبها بكثير من حب الاستطلاع . كنت اريد اعرف هذه الفتاة الغريبة بأقصى سرعة . انها لطفلة حقا ، ولكنها طفلة غريبة ، طفلة مؤمنة ، طفلة ذات مبادئ راسخة تحب الخير والعدالة بفطرتها حبا حارا جارفا . واذا امكن حقا ان توصف بانها طفلة فيجب ان تُمنى الى طائفة الاطفال الحالمين الذين ما اكثرهم في اسرنا . كان واضحا انها قد فكرت في امور الحياة كثيرا . كان من الطريف للمرء ان ينفذ بنظرة سريعة الى هذا الدماغ المفكر ، فبرى كيف تختلط فيه افكار وتصورات طفولية تماما بملاحظات وافكار عاشها صاحبها (لان كاتيا قد عاشت هذه الملاحظات والافكار وبأفكار اخرى لم تعشها ولا تزال تجهلها ، افكار مأخوذة من الكتب ، افكار مجردة ، لعلها نظن انها اكتسبتها من التجربة . لقد عرفت كاتيا معرفة كافية في ذلك المساء ، وبعد ذلك المساء . ان لها قلبا حارا حساسا . كان يبدو ، في بعض المناسبات ، انها تحتقر فن سيطرة الانسان على نفسه جاعلة الحقيقة فوق كل شيء ، قبل كل شيء . كانت ترى ان كل اكراه فهو خطأ ، وكانت تزهو بهذا الرأي ، كما يتفق ذلك

لكثير من ذوي الاهواء الجامحة ، حتى بعد ان يتجاوزوا ميعة الصبا . ولكن ذلك كان يضي عليها سحرا خاصا . كانت تحب ان تفكر وان تبحث عن الحقيقة ، ولكنها لم تكن متحلقة ، وكانت تندفع اندفاعات طفولية ، فما يملك المرء ، منذ النظرة الاولى ، الا ان يحب شذوذها وان يألفه . وتذكرت ليف وبوريس ، فلاح لي ذلك كله امرا طبيعيا . شيء غريب : ان وجهها الذي لم المح فيه اول الامر شيئا من جمال ، كان في ذلك المساء يزداد في نظري جمالا وفتنة ، لحظة بعد لحظة . كان هذا الالتقاء الساذج بين الطفلة والمرأة العاقلة فيها ، ذلك الظمأ الطفولي الصادق الى الحقيقة والعدالة ، ذلك الايمان القوي بما تصبو اليه ، كان ذلك كله يضيء وجهها بنور جميل من الصدق ، ويضيء عليها جمالا اسمى ، يضيء عليها جمالا روحيا . . . واضح ان المرء لا يستطيع ان يستنفذ بسرعة كل معاني هذا الجمال الذي لا ينكشف دفعة واحدة لنظرة غير مبالية . وفهمت انه كان لا بد لأليوشا ان يتعلق بها فهو اذا كان لا يستطيع ان يفكر ، لا بد ان يحب اولئك الذين يفكرون بدلا منه ، بل ويرغبون نيابة عنه وقد احتضنته كاتيا واصبحت وصية عليه . كان القلب النبيل الذي يحمله هذا الفتى يتقاد لكل ما هو شريف جميل ، وكثيرا ما عبرت كاتيا عن نفسها امامه بكل ما في الطفولة من صدق ومحبة . كان أليوشا لا يملك شيئا من ارادة ، وكانت ارادتها حازمة حارة مثابرة . ان أليوشا لا يستطيع ان يتعلق الا بأولئك الذين يمكن ان يسيطروا عليه وان يقدوا خطاه . وهذا عينه كان من جملة الاسباب التي ربطته بناناشا في اول العلاقة التي قامت بينهما ، ولكن كاتيا تمتاز



على ناتاشا بميزة كبيرة ، هي انها ما تزال طفلة ، وتبدو كأنها  
 سظل طفلة مدة طويلة . كان هذا الطبع الطفولي وهذا الذهن  
 الحاد وشيء من قلة التبصر ، كان هذا كله يقربها من أليوشا .  
 وكان أليوشا يحس بذلك ، فيزداد ارتباطه بها يوما بعد يوم . ولا  
 شك عندي في انهما حين كانا يتحدثان منفردين ، كانا الى  
 جانب المناقشات الحادة التي تثيرها كاتيا على سبيل الدعابة ،  
 ربما يصل بهما الامر الى حد اللعب . ورغم ان كاتيا كانت ،  
 في اغلب الظن ، تؤنبه في كثير من الاحيان وتسيطر عليه ،  
 فلقد كان واضحا انه يرتاح الى وجوده معها أكثر من وجوده الى  
 جانب ناتاشا . لقد كانا أكثر انسجاما ، وهذا هو الشيء الجوهري .  
 قال لها أليوشا وهو يمد اليها يده ليودعها :

— كفى كفى يا كاتيا . انت دائما في النهاية على حق  
 ذلك ان لك روحا اصفى من روحي . انا ماضٍ اليها الآن ،  
 دون ان اذهب الى ليف . . . .  
 — لا شأن لك بليف الآن ، ما الطفك اذ تطاوعني  
 وتذهب .

قال أليوشا بلهجة حزينة :

— انت الطف من في الارض طرا . يا ايفان بتروفنتش ،  
 اريد ان اقول لك كلمتين .  
 فابتعدنا بضع خطوات ، فقال لي بصوت خفيض :

— لقد سلكت اليوم سلوكا مخزيا ، حقيرا ، دنيئا . . .  
 اجرمت في حق العالم بأسره ، وأجرمت في حقهما خاصة .  
 فقد عرّفني ابي ، بعد الغداء ، بألكسندرين ، وهي امرأة فرنسية  
 جميلة . . . فاستسلمت للاغراء ، وزلت بي القدم . . . ماذا





اقول ؟ انني لا استحقهما ، الى اللقاء يا ايفان بتروفنش !  
واسرعت كاتباً تقول حين عدت فجلست الى جانبها :  
— انه طيب القلب نبيل النفس . . . ولكن دعنا من  
الحديث عنه الآن ، فستكلم عنه كثيراً فيما بعد . وانما يجب  
في هذه اللحظة ان نوضح هذه النقطة : ما رأيك في الامير ؟  
— شخص سييء للغاية .

— هذا ما اراه انا ايضا . ونحن اذن متفقان في الرأي .  
وهذا ما يسهل علينا الانتهاء الى شيء . فلتحدث الآن عن  
ناتاليا نيفولايفنا . . هل تعلم يا ايفان بتروفنش انني اشعر كأنني  
في ظلمات ، ولقد كنت انتظرك انتظاري للنور يأتي فيقشع عني  
هذه الظلمات . ستشرح لي كل هذه الامور ، لانني فيما يتعلق  
بالنقطة الاساسية لا املك الا الحدس والتخمين على اساس ما  
يرويه لي ألبوشا . وما كنت استطيع ان اسأل احدا في هذا  
الموضوع . قل لي اولا ، وهذا هو الشيء الجوهرى : هل تعتقد  
ان ألبوشا وناتاشا سيكونان سعيدين معا ؟ هذا ما اريد ان اعرفه  
قبل كل شيء ، لانتهى الى نتيجة ، ولاعرف كيف ينبغي ان  
اسلك .

— هل يمكن ان يقول المرء شيئا في هذا الموضوع على  
وجه اليقين ؟

فقاطعتني قائلة :

— على وجه اليقين ، طبعا لا . . . ولكن ما هو  
احساسك ؟ ذلك انك رجل ذكي جدا .

— اعتقد انها لا يمكن ان يكونا سعيدين .

— لماذا ؟

— لأنهما لا يناسب احدهما الآخر .

— هذا ما كنت اقدره .

قالت ذلك ثم شبكت ذراعها وقد لاحت في وجهها كآبة

عميقة ، وأردفت :

— قصّ عليّ كل شيء تفصيلا . انت تعلم انني اتحرق شوقا

الى لقاء ناتاشا ، لان هناك اشياء كثيرة يجب ان اقولها لها ،

ويبدو لي اننا سنجد حلا لكل شيء . انني اتخيلها دائما :

لا بد انها ذكية ذكاء فذا ، ولا شك انها جادة ، مستقيمة ،

وجميلة . هل هذا صحيح ؟

— نعم .

— كنت واثقة من ذلك . ولكن كيف استطاعت ، وهي

على ما وصفنا ، ان تحب مثل هذا الطفل ألبوشا ؟ اشرح لي

هذا الامر ، فاني افكر فيه أكثر الاحيان .

— يستحيل شرح ذلك يا كاترينا فيدوروفنا . يصعب على

المرء ان يتخيل لماذا وكيف يصبح الانسان عاشقا ؟ صحيح

انه طفل . ولكن ألا تعلمين الى أى حد يمكن أن يحب

الانسان طفلا ؟ (رأيت عينيها تنفرسان فيّ ، بانتباه عميق جاد

مستطلع ، فشعرت بحنان يستيقظ في قلبي ، وتابعت كلامي)

وعلى قدر اختلاف روح ناتاشا عن روح الطفل ، على قدر ما

فيها من جدّ ، سارعت الى الافتتان به . انه مستقيم ، صادق ،

ساذج سذاجة هائلة ، سذاجة لطيفة احيانا . ولعلها أحبته . .

كيف أقول ؟ لعلها احبته بنوع من الشفقة . ان القلب الكريم

يمكن أن يحب من قبيل الشفقة . . على أنني أشعر بأنني لا

استطيع ان اوضح لك هذا الامر ، ولكنني سأسألك سوّالا :



انت تحيينه ، أليس كذلك ؟  
لقد طرحت هذا السؤال بجسارة ، وكنت احسن ان  
التعجل الذى فيه لا يمكن ان يعكّر ما لهذه الروح الشفافة من  
نقاء طفولي ، فأجابت بصوت منخفض ، وهى تلقي عليّ نظرة  
رضينة : — يشهد الله انني لا اعرف ذلك بعد . يخيل اليّ انني  
احبه كثيرا .

— أرايت اذن ؟ هل تستطيعين ان تفسرى هذا الحب ؟  
فاجابتنى تقول بعد لحظة من تفكير :  
— لا وجود للكذب فيه . حين يتفرس فى عيني وهو  
يقول لي شيئا من الاشياء ، اشعر بلذة . اقول لك هذا  
الكلام ، يا ايفان بتروفتش ، وانا فتاة وانت رجل ، أليس فى  
سلوكي ما يشين ؟  
— اى ضمير فيه ؟

— صحيح ، اى ضمير فيه ؟ ولكن انظر الى هؤلاء (قالت  
ذلك وهى تشير بعينها الى الزمرة الجالسة قرب السماوى) ، انهم  
لو علموا به لعدّوه سائنا من غير شك ، فهل هم على صواب  
ام هم على خطأ ؟  
— على خطأ . فما دمت لا تشعرين فى اعماق قلبك  
بأن سلوكك معيب . . .

فقاطعتني متعجّلة فيما يبدو ان تشج نفسها بالحديث معى .  
— هذا ما افعله دائما . متى راودني شك من الشكوك ،  
سألت قلبي ، فاذا كان هادئا ، هدأت انا ايضا . هذا ما  
يجب على المرء ان يفعله دائما . واذا كنت اخاطبك الآن  
بصدق كامل ، كأنني اخاطب نفسي ، فلانك رجل ممتاز ،

ولانني اعرف قصتك مع ناتاشا ، قبل ان تحب أليوشا .  
لقد بكبت حين قصّت عليّ هذه القصة .  
— من قصّها عليك ؟  
— أليوشا ، طبعاً . وكان هو نفسه يبكي حين قصّها  
عليّ : كان ذلك جميلاً منه ، اعجبني منه ذلك كثيرا :  
بخيل اليّ انه يحبك أكثر مما تحبه يا ايفان بتروفتش . انه بمثل  
هذه الامور يعجبني . ثم انني اذا كنت اخاطبك بمثل هذه  
الصراحة فلانك رجل ذكي جدا ، وفى وسعك ان تسدي اليّ  
بصائح كثيرة ، وان تضىء لي الطريق .  
— لماذا تظنين انني املك من الذكاء ما يكفي لان  
اكون لك كالمعلم ؟  
— انظروا ما هذا السؤال !  
قالت ذلك ، وواحت تفكّر . ثم اردفت :

— على انني قلت هذا كله عابرة ، فلنعد الى الشيء  
الجوهري . قل لي يا ايفان بتروفتش : انا اشعر الآن بأنني  
انافس ناتاشا ، انا اعرف ذلك ، فماذا اعمل ؟ من اجل هذا  
سألتك هل هما سيكونان سعيدين ؟ انني افكر فى هذا الامر  
ليل نهار . ان وضع ناتاشا وضع فظيع ، فظيع ! لقد اصبح  
لا يحبها ، ووجه لي يزداد يوماً بعد يوم . هذا هو الواقع .  
أليس كذلك ؟  
— يخيل اليّ .  
— لكنه مع ذلك لا يخدعها . فهو يجهل انه اصبح لا  
يحبها . اما هى فتعرف ذلك حتماً . لا شك انها تتألم اشد  
الآلم !



— ماذا تتوین ان تعملی یا کاترینا فیدوروفنا ؟

فقالت جادة :

— فی رأسی مشاريع كثيرة اتخبط بينها . ولذا كنت انتظرك بفارغ صبر ، لتحل لي هذه الامور كلها . انت تعرف القضية كلها أكثر مني . انت اليوم لي كالاله . لقد قلت لنفسي فی اول الامر : اذا كانا متحابين ، فيجب ان يسعدا ويجب ان اضحي انا بنفسي ، ويجب ان اساعدهما . أوكد لك ذلك . — اعرف انك ضحيت بنفسك فعلا .

— نعم ، ولكنني بعد ذلك ، حين اخذ يتردد اليّ ويزداد تعلقا بي يوما بعد يوم ، فكرت فی الامر ، وما زلت اليّ اليوم اتساءل هل يجب ان اضحي بنفسي ام لا ؟ هذا شيء مقرف ، أليس كذلك ؟ — هذا طبعي ، لا بد ان يكون الامر كذلك . لت آتمة .

— ليس هذا رأسي ، وأنت انما تقول ذلك لانك امرؤ طيب جدا . ولكنني ارى انني لا املك قلبا نقيا كل النقاء . ولو كنت املك قلبا نقيا لعرفت ما الذي يجب اعزم عليه . ولكن دعنا من هذا . . . لقد ازددت معرفة بعلاقتيهما ، حدثني فی ذلك الامير وامي وأليوشا نفسه ، فأدرکت انهما لا يناسب احدهما الآخر ، كما ايدت ذلك انت منذ قليل . . . فككرت مرة اخرى فيما يجب علي ان اعمله . . . ذلك انهما اذا كانا غير سعيدين ، فالاولى ان ينفصلا ، فقررت ان اسألك عن كل هذا تفصيلا ، وان اذهب بنفسي الي ناتاشا ، وان اتخذ قرارا معها .

— ولكن اي قرار ؟ هذا هو السؤال .

— ساقول لها : «انت تحبينه أكثر مما تحبين اي شيء

فی العالم ، فيجب اذن ان توهثي سعادته على سعادتك . ويجب عليك اذن ان تنفصلي عنه .

— ولكن على اي معنى ستحمل ناتاشا هذا الكلام ؟

هبني انها انفقت معك فی الرأي ، فهل تملك القوة على تنفيذها ؟

— ذلك بعينه ما افكر فيه ليل نهار ، و . . . و . . .

قالت ذلك واخذت تبكي فجأة . ثم دمدمت تقول ،

وشفتاها ترتجفان :

— لا تستطيع ان تصدق كم اشفق على ناتاشا .

لم يكن ثمة ما يضاف الي هذا ، فلزمت الصمت ،

وتأثرت تأثرا كبيرا ، حتى لقد شعرت بحاجة الي البكاء وانا

اراهها تبكي . يالها من طفلة رائعة ! لم أسألها عن الاسباب

التي تجعلها تظن انها قادرة على اسعاد أليوشا .

قالت بعد ان هدأت قليلا ، ومازالت تفكر بعد الدموع :

— تحب الموسيقى ، أليس كذلك !

فقلت بشيء من الدهشة :

— نعم .

— لو كان الوقت يتسع لعزفت لك السيمفونية الثالثة

ليتهوفن . انني اعزفها فی هذه الايام . انها تعبر عن جميع هذه

العواطف . انها هي ما اعانيه تماما . ذلك شعوري . ولكنني

سأعزفها لك فی مرة اخرى . اما الآن فيجب ان نتحدث .

تساءلنا كيف نهيء لقاءها بناتاشا وكيف ندبر هذا الامر كله .



قالت انهم يراقبوننا ، وانه بالرغم من ان زوجة ابيها امرأة طيبة وتحبها لكنها لن تسمح لها ابدا بمعرفة ناتاليا نيقولايفنا . لذلك قررت ان تعمد الى الحيلة . انها تمضي الى التزهة في الصباح احيانا . والكونتيسة تصحبها في هذه التزهة دائما على وجه التقريب . غير انها تمتنع في بعض الاحيان عن مصاحبته وتترك لها ان تخرج مع مربية فرنسية هي الآن مريضة ، وذلك حين تكون الكونتيسة مصابة بصداع : فيجب اذن انتظار هذا الاحتمال . والى ان يحين ذلك تأخذ كاتيا باقناع الفرنسية (وهي امرأة عجوز تقوم بدور الوصيغة تقريبا) ، لانها امرأة طيبة جدا . وقد ترتب على ذلك اننا لم نستطع ان نحدد سلفا موعدا الزيارة ناتاشا .

قلت لها :

— لن تندمي على انك عرفت ناتاشا . انها ترغب هي نفسها في لقاءك ، وهذا ضروري ، على الاقل لتعرف الشخص الذي تعهد اليه باليوشا . لا تحزني كثيرا لهذا الامر . فسأنتي الوقت بحل . اظن انك مسافرة الى الريف ، أليس كذلك ؟

— نعم ، قريبا ، بعد شهر فيما أظن . واعرف ان الامير يحرص على ذلك .

— هل تعتقدين ان اليوشا سيصبحكم ؟

— هذا بعينه ما كنت افكر فيه الآن . انه سيصبحنا .

قالت ذلك وهي تنظر اليّ بالحاح .

— نعم . . .

— رياه ، اني لا اعرف ماذا سيخرج من هذا كله ! اسمع يا ايفان بتروفنش . سأكتب اليك كثيرا ، لاقصّ عليك

كل شيء وما دمت قد بدأت تصدع رأسك بنا ، فهل توافق على ان تزورنا من حين الى حين ؟

— لا أدري يا كاترينا فيدوروفنا : ذلك رهن بالظروف . وقد لا أجيء اليكم البتة .

— لماذا ؟

— لاسباب كثيرة . . . ذلك يتوقف خاصة على علاقتي بالامير .

— انه لرجل منحط .

قالت كاتيا ذلك بلهجة جازمة ، ثم اردفت تسألني :

— ما رأيك في ان اذهب اليك انا ؟ هل يحسن هذا او لا يحسن ؟

— ما رأيك انت في ذلك ؟

— رأيي انه لاخير فيه .

قالت ذلك ثم اضافت مبتسمة :

— يمكنك ان ازورك . اقول هذا لا لانني احترمك فحسب ، بل لانني ايضا احبك كثيرا . . . واستطيع ان اتعلم منك اشياء كثيرة . . . انني اشعر نحوك بعاطفة . . . أليس عيبا ان اقول هذا كله ؟

— ابدا . وأنت غالية عندي كأنك قريبة لي .

— اذن هل تريد ان تكون صديقي ؟

— طبعا .

قالت وهي تشير مرة اخرى الى الفئة القليلة التي تحيط بالمائدة :

— لا شك انهم سيعدون هذا عيبا ، انهم يرون ان



الفتاة لا يلبق بها ان تسلك هذا السلوك .  
يجب ان اذكر هنا ان الامير قد ترك لنا هذه الخلوة  
عامدا من غير شك ، وذلك حتى نتحدث على انفراد .  
ومضت كاتبا تقول :

— انني اعلم حق العلم ان الامير يطمع في مالي . انهم  
يظنون انني طفلة تماما ، حتى انهم يقولون لي ذلك صراحة .  
لست وافقهم على هذا الرأي . انا لم اعد طفلة . ما اغريهم  
من اناس ! انهم هم الاطفال . لماذا يضطربون هذا الاضطراب  
كله ؟

— نسيت ان اسألك يا كاترينا فيدوروفنا : من هما ليف  
وبوريس هذان اللذان يذهب اليهما ألبوشا في كثير من الاحيان ؟  
— هما من اقربائى البعيدين . انهما ذكيان جدا ،  
شريفان جدا ، ولكنهما يتكلمان كثيرا . . . اعرفهما . . .  
قالت ذلك وابتسمت .

— هل صحيح انك تنوين ان تعطيهما في المستقبل  
مليوناً ؟

— لقد ثرثروا في هذا الموضوع حتى اصبح لا يطاق .  
انني مستعدة حقا لتقديم تضحيات في سبيل كل ما هو مفيد ،  
افعل ذلك عن رضى وفرح ، ولكن لماذا كل هذا المبلغ ؟ الا  
ترى انه مبلغ ضخم ؟ على كل حال ، لا ادري متى استطع ان  
اقدم لهم المال ، ولكنهم اخذوا هنالك يقسمونه ، واخذوا  
يفكرون في افضل الوجه لانفاقه ، واخذوا يتناقشون ،  
ويصرخون . . . بل انهم ليختصمون حول هذا الموضوع . امر  
غريب حقا ! . . . انهم على عجلة من امرهم . . . ولكنهم ،

رغم كل شيء ، اناس مخلصون جدا ، اذكيا جدا . انهم  
يدرسون وحياتهم هذه خير من الحياة التي يعيشها غيرهم ، ألسنت  
من هذا الرأي ؟

تحدثنا مدة طويلة ايضا . فقصت علي حياتها كلها تقريبا ،  
واصغت الي ما قلته لها ، حتى لقد كانت تلتهم كلامي بشراهة .  
وكانت تسألني طوال الوقت ان احدثها عن ناتاشا وألبوشا .  
وحين جاء الي الامير يُسمعني ان علينا ان ننسحب ، كان الليل  
قد انتصف . فاستأذنت بالانصراف . فصافحتني كاتبا بحرارة ،  
واققت علي نظرة معبرة ، ورجعتي الكونتيسة ان اعود الى زيارتها  
من حين الى حين . خرجت مع الامير .

لا املك ان امنع نفسي عن سوق هذه الملاحظة الخاصة  
التي قد لا يكون لها بقصتي صلة : لقد خرجت من هذا  
الحدث الذى دام بيني وبين كاتبا ثلاث ساعات ، بقناعة  
غرية ولكنها عميقة ، وهى ان هذه الفتاة ما تزال طفلة ، حتى  
لنجهل كل الجهل العلاقات السرية التي تقوم بين الرجل والمرأة .  
كان هذا يضمني طابعا مضحكا على بعض آرائها ، وخاصة على  
تلك اللهجة الجادة التي تصطنعها في مواجهة كثير من الموضوعات  
الهامة جدا .

## الفصل العاشر

قال الامير وهو يجلس الى جانبي في عربته :

— راودتني فكرة . ما رأيك فى ان نتعشى معا ؟

فأجبت مترددا :



— لا أدري يا أمير ، ولكنني لا أتعشى أبدا .

فقال وهو ينظر اليّ في مكر :

— وطبعاً ستتحدث أثناء العشاء .

كيف لا أفهم ؟ انه يريد ان يشرح ما فى نفسه ، وهذا بعينه ما أنا فى حاجة اليه . فقبلت .

— اتفقنا ، خذنا الى مورسكايابا . ، ومطعم ب . . .  
قال ذلك ، للحوذى فسألته مضطرباً بعض الاضطراب :

— أذهب الى مطعم ؟

— نعم ، ولم لا ؟ انا قلما أتعشى فى البيت . اسمح

لي ان ادعوك .

— ولكنني ذكرت لك انني لا أتعشى أبدا .

— تستطيع ان تخرج على عادتك مرة واحدة . ثم انني

انا الذى أدعوك .

بتعبير آخر «انا الذى سأدفع» . كنت مقتنعاً بأنه اضاف

قوله هذا عامداً متعمداً . طواعته . ولكنني عزمت عزماً قوياً على

ان ادفع عن نفسي . ووصلنا . فحجز الامير حجرة خاصة ،

واختار طبقين او ثلاثة من ألوان الطعام ، باعتباره خبيراً . كانت

هذه الاطباق غالية الثمن ، وكذلك زجاجة الخمر الجيد التي

طلبها ، ولم يكن فى امكاني ان ادفع ثمن شيء من هذا كله ،

فطلبت نصف ديك برى وقدحا من خمر شاتولافيت ، فغضب

الامير قائلاً :

— ألا تريد ان تتعشى معي ؟ هذا مضحك . . .

« Pardon, mon ami » ، ولكن هذه الحساسية تثير

« عفوك ، يا صديقي (بالفرنسية فى الاصل) .

الحق . . . انها اتفه اشكال الكبرياء . اراهن ان فى سلوكك

هذا شيئاً من التعصب الطبقي . أوكد لك انك تهينني .

لكنني اصررت على قراري .

وقال : — على كل حال ، لك ما تشاء . لا اريد ان

اكرهك على مالا تحب . قل لي يا ايفان بتروفتش ، هل يمكن

ان نتحدث حديث صديقين تماماً ؟

— ارجوك .

— اذن فأعلم ان هذه الحساسية لا يمكن الا ان تسيء

اليك . يخطيء مثلك اذا سلك مثل هذا السلوك . انت كاتب ،

والكتاب فى حاجة الى معرفة الطبقة الراقية ولكنك تعزل نفسك

عن كل شيء . لا اتحدث الآن عن نصف الديك البرى الذى

طلبتة ، ولكنني الاحظ انك مستعد لقلع كل العلاقات بيئتنا .

وهذا خطأ ، دعنا من كونك تضيع بهذا السلوك الكثير من

اجل مستقبلك مثلاً ، ناهيك انك فى حاجة مثلاً الى ان تعرف

بنفسك ما تضعه فى رواياتك : الامراء ، البارونات ، المخادع . . .

ولكن ماذا اقول ؟ لا ، لا ، انكم لا تتحدثون الآن الا عن البؤس ،

والمعاطف الضائعة ، والمفتشين ، والضباط الشرسين ، والموظفين ،

والماضي ، واخلاق المؤمنين القدماء . . . انا اعرف ذلك .

انا اعرف ذلك .

— انت مخطيء يا أمير . فاذا كنت لا اتردد الى ما

تسميه «بالمجتمع الراقى» فلأنني اولا اشعر فيه بالضجر ، ولأنني

لانيا لا شأن لي به ! ومع ذلك يتفق لي احياناً ان اذهب

اليه !

— اعرف انك تذهب الى الامير ر . . . مرة فى السنة ،



فهناك انما التقيت بك . ولكنك فيما عدا ذلك اليوم من ايام  
السنة ، نظل مستنقعا في كبرياتك الديموقراطية . وهكذا تدبلون  
في اكواخكم . . على انكم ، والحق يقال ، لا تسلكون جميعا  
هذا السلوك . هناك مغامرون يبعثون حتى في نفسى انا الغثيان .  
— ارجوك ان تبدل الحديث ايها الامير ، وان ندع  
اكواخنا وشأنها .

— ها . . ها انت ذا تظن انني اهينك . ألم تسمح لي  
انت نفسك بان تتحدث حديث اصدقاء . ولكن انا مذنب  
انني لم افعل بعد شيئا يستحق من اجله صداقتك ! هذا الخمر  
من طيب الخمر . هل لك ان تذوقه ؟  
قال ذلك وصب لي نصف قدح من الخمر .

— اسمع يا ايفان بتروفتش ، ليس من اللباقة ان يفرض  
الانسان صداقته على احد فرضا ، انا اعرف ذلك حق المعرفة .  
ولسنا جميعا على قدر واحد من القظاظعة والوقاحة معكم كما  
تصوروننا . ولكنني اعرف ايضا حق المعرفة انك ان جالستي  
هذا المساء ، فلست تفعل ذلك لانك تحبني وتستطيب  
صحبتي ، بل لأنني وعدتك بالتحدث اليك . أليس هذا  
صحيحا ؟

قال ذلك واخذ يضحك ، ثم اضاف وهو يتسم ابتسامة  
خبيثة :

— انك تسهر على مصالح شخص من الاشخاص ،  
فتحب ان تسمع ما سأقوله ، أليس كذلك ؟

فقاطعته أقول وقد فرغ صبري :

— لم تخطئ التقدير ايها الامير . (لاحظت انه من اولئك

الذين اذا رأوا احد الناس واقعا تحت سلطانهم اشعروه بذلك  
رأسا ، ولقد كنت واقعا تحت سلطانه . كنت لا استطيع ان  
اذهب قبل ان اسمع منه كل ما كان ينوي ان يقوله لي ،  
وكان هو يعرف ذلك حق المعرفة . فقد غير لهجته فجأة ،  
فكان يزداد وقاحة واستخفافا وسخرا) . — لم تخطئ التقدير ايها  
الامير ، فمن أجل هذا انما جئت ، ولولاه لما بقيت . . .  
هنا في مثل هذا الوقت المتأخر .

كنت أريد ان اقول : لولاه لما بقيت معك على اى حال  
من الاحوال . ولكنني كبحت جماح نفسي ، وأدرت عبارتي على  
وجه آخر ، لامن قبيل الخوف ، بل من قبيل اللطف ، وبسبب  
ما اتصف به من ضعف مشوم . وفي الواقع ، كيف يستطيع  
المرء ان يقول كلاما فظا لشخص من الاشخاص ، وجها لوجه ،  
ولو اشتهى ان يقوله وكان ذلك الشخص يستحق ان يقال له ؟  
خبيل اليّ ان الأمير قد قرأ هذا في عيني ، وانه كان  
ينظر اليّ نظرة ساخرة بينما كنت أتم جملة ، كأنه يتلذذ بجبني ،  
وأنه يريد بهذه النظرة أن يستفزني قائلا : «اذن لم تجرؤ يا  
عزيزي ، فادرت اللجام» ، ولا شك ان تقديري هذا كان  
صحيحا ، فما ان انهيت عبارتي حتى انفجر ضاحكا ، وربت  
على ركبتي متلطفًا ، وقرأت في نظره قوله «أنت تضحكني ،  
أيها الاخ» .

وهنف الامير يقول :

— انني اليوم مرع المزاج ، لا اعرف سبب ذلك حقا .  
نعم ، نعم ، يا صديقي ، نعم . كنت اريد ان أكلمك عن  
ذلك الشخص . لا بد ان نتكاشف مرة ، وان نتفق على شيء ،



أرجو ان تفهمنى هذه المرة حق الفهم . لقد حدثتكَ من قبل عن ذلك المال ، وعن ذلك الاب الابله ، ذلك الطفل الذى عمره ستون عاما . لقد قلت لك ذلك هكذا . هاهاها !

انت كاتب ، ولا شك انك ادركت . . . نظرت اليه مشدوها . يبدو انه لم يكن ثملا بعد . . .  
واضاف يقول :

— نعم ، فيما يتصل بتلك الفتاة ، اؤكد لك انني اقدرها ، بل واحبها . صحيح انها ذات نزوات ، ولكن «لاورد بدون شك» . كما كانوا يقولون منذ خمسين عاما : ان الاشواك تخز ، ولكن ذلك يجعلها جذابة ، وقد عفوت عن ابني اليوشا بعض العفو ، رغم انه اخمق ، وذلك لانه صاحب ذوق . ان هاته البنات يعجبني (قال ذلك ومص شفبه مصا واضح الدلالة) ، حتى ان لي مشروعات . . . ولكن دعنا من هذا الآن .

فهتفت اقول :

— يا امير ، انا لا افهم تبدلك المفاجيء هذا ، ولكنني . . . ارجوك ان تغير الحديث .

— ها أنت ذا تتحمس مرة اخرى ! حاضر . . . انتقل الى موضوع آخر ! ولكنني كنت اريد ان اسألك سؤالا ، يا صديقي الطيب : هل تحمل انت لها كثيرا من التقدير والاحترام ؟ فقلت بلهجة من نفذ صبره فجأة :

— حتما .

— طيب . وهل تحبها ؟

قال ذلك وهو يكشف عن اسنانه ويغمض عينيه نصف

اغماض ، على صورة تثير الاشمئزاز . فصرخت اقول :

— انت تنسى نفسك !

— طيب ، سأسكت ، سأسكت . هدىء روعك .

انتي اشعر اليوم بفرح عجيب ! منذ مدة طويلة لم احسن بما احسن الان من مرح . ليتنا نشرب شيئا من الشمبانيا ، ما رأيك يا شاعري ؟

— لن اشرب ، لا اريد ان اشرب .

— لا تقل هذا الكلام ، بل يجب ان تشاركني سهرتي .

انتي اشعر بسعادة رائعة ، حتى انني احسن بميل الى العاطفية . ، ولا يمكن ان اكون سعيدا وحدي . من يدري ؟ لعلنا اذا شربنا اخذنا نتخاطب بصيغة المفرد هاهاها . . . لا لا يا صديقي

القنى ، انك لا تعرفني بعد ! انا واثق انك ستحبني متى عرفتي . اريد ان تشاطرنى اليوم حزني وفرحي ، ضحككي

ودموعي ، رغم انني ارجو ان لا ابكي ، انا على الاقل . فما رأيك يا ايفان بتروفتش ؟ لاحظ انني ، اذا لم تجر الامور على ما

اشتهي ، سيتخلى عني الوحي ، سيتخفى الهامي ، سيتبخر ، فاذا وقع ذلك لم تستطع ان تعرف شيئا . انك لم تجيء معي

الا لانك تريد ان تعرف شيئا ، أليس كذلك ؟ فاختر ما يحلو لك .

قال ذلك وهو يغمز مرة اخرى غمزة وقحة .

كان التهديد خطيرا ، فقبلت . قلت فى نفسي «لعله يريد ان يسكرنى» . وبالمناسبة ، يجب ان اذكر الآن هذه

الشائعة التى تروج عن الامير ، والتى بلغتني منذ مدة طويلة ، وهى انه ، على ما يلتزم مع الناس من دقة واناقة فى السلوك ،



يحب احيانا ، فى الليل ، ان يسكر كما يسكر حوزى ، وان يندفع سرا فى مجون حقير وفساد . . . وقد رويت لي عنه قصص فظيعة من هذا القبيل . كان يقال ان ابنه اليوشا يعرف عن ابيه انه يشرب فى بعض الاحيان ، ولكنه يجهد فى اخفاء ذلك عن الناس ، وعن ناتاشا خاصة . وفى ذات يوم ، زل لسانه امامي ، ولكنه ما لبث ان غير الحديث ، ولم يجب على ما طرحته عليه من اسئلة . ثم انني سمعت عن هذا الامر من غير اليوشا ، ويجب ان اعترف انني لم اصدقه حتى ذلك اليوم .  
واما الآن فكنت انتظر ما سيقع .

جاءونا بالشمبانيا ، فملاً الامير كأسين .  
قال وهو يذوق الشمبانيا :

— بنت فاتنة ، فاتنة ، رغم انها عنفت عليّ قليلاً : ولكن هاته البنات اللذيذات يزددن سحراً فى مثل تلك اللحظات . لا شك انها ظننت انها اربكتني فى ذلك المساء ، هل تتذكر ؟  
وانها فتنتني تفتيتنا . . . هاهاها ! . ما كان أروع حمرة وجهها !  
هل انت خبير فى النساء ؟ ان الاحمرار المفاجىء يجمّل الخدين الشاحيين ، هل لاحظت ذلك ؟ آه منك ، ها انت ذا تغضب مرة اخرى .

قلت وقد اصبحت لا استطيع ان اكبح جماحي :  
— نعم ، ولا أريد ان تكلمني عن ناناليا نيقولابنا . . .  
لا تكلمني عنها بهذه اللهجة على الاقل . . . لا . . . لا أسمع لك بذلك .

— طيب طيب . سأغير موضوع الحديث ، ارضاء لك . أنا أمرؤ لين العريكة ، مرن كالعجين . ستحدث عنك .

انني اشعر نحوك بحب . لبتك تعرف ما احمله لك من اهتمام الصديق بصديقه مخلصاً .  
ققاطته قائلاً :

— أليس الأولى ، يا أمير ، أن نتحدث فى الموضوع ؟  
— تعني قضيتنا ؟ انني أفهمك من نصف كلمة يا صديقي . ولكنك لا تعلم يا صديقي أننا حين نتحدث عنك الآن نقرب كثيراً من الموضوع ، فلا تقاطعني ، ودعني اتم كلامي . كنت اريد ان اقول لك ، ايها الصديق الغالي ، ان من يعيش مثلما تعيش يضع نفسه لا محالة . اسمح لي ان الامس هذه المسألة الدقيقة ، فانما انا افعل ذلك من باب الصداقة . انت رجل فقير ، تتقاضى ثمن روايتك من الناشر سلفاً ، فتدود ديونك الصغيرة ، وتنفق الباقي على سد الرمت بالشاي وحده خلال ستة اشهر ، وتترقف من البرد فى جحرك تحت السقف ، بانتظار طبع روايتك فى مجلة الناشر . أليس ما ا قوله صحيحاً ؟

— لنسلم بأنه صحيح ، ولكن هذا . . .  
— هذا أشرف من ان تسرق ، وان تتذلل ، وان ترتشي ، وان تحتال ، الخ الخ ، انا اعرف ما مستقوله . كل ما يمكن ان تقوله قد كتب بحبر على ورق منذ زمان طويل جداً .  
— دعك اذن من الحديث فى شئوني . ليس عليّ انا ، ايها الامير ، ان اعلمك اللباقة فى معاملة الناس .  
— طبعاً ليس أنت . ولكن ما حيلتي ، اذا كان لا بد لنا من ملامسة هذا الوتر الحساس ؟ يستحيل بغير هذا . دعنا من الغرف التي تحت السقف على كل حال . . . انا شخصياً



لا احبها كثيرا ، الا في بعض المناسبات (قال ذلك واقبحر  
يضحك ضحكة تثير الاشمئزاز . ولكن هناك شيء يدهشني :  
اي لذة تجد في ان تمثل ادوارا ثانوية ؟ اعرف ان احد كتابكم  
قال في كتاب له ، اذكر ذلك ، ان اكبر مأثرة من مأسر  
الانسان هي ان يعرف كيف يقتصر في الحياة على القيام بدور  
«كومبارس» ، قال ذلك او شيئا من هذا القبيل ، وقد سمعت  
ايضا حديثا يدور على هذه الفكرة . ولكن اسمع يا عزيزي :  
لقد انتزع أليوشا منك خطيبتك ، اعرف انا ذلك ، ثم ها  
انت ذا ، يا شاعرا كشبيلر ، تمزق نفسك اربع مزق من  
اجلها ، تقدم لهما ضروبا من الخدمات ، وتكاد تكون بينهما  
كساع يركض حسب طلبهما . عفوك يا صديقي ، انني اعد  
عملك هذا نوعا من تظاهر مقزز بكرم الاخلاق . كيف لانسام  
هذا الوضع ؟ كيف لا تشعر بشيء من الخزي فيه ؟ لو كنت في  
مكانك ، لمت غيظا . خاصة وان هذا عار . . . عار .  
فصرخت وقد خرجت عن طوري من فرط الحثق :  
— امير ، يخيل اليّ انك ما جئت بي الى هنا لتحقرني .  
— لا يا صديقي ، لا . وانما انا في هذه اللحظة رجل  
خبير يريد لك السعادة . اسمع ، انني اريد ان ادبر كل شيء .  
ولكن دعنا من هذه القصة كلها الآن ، واصغ الي كلامي حتى  
النهاية ، محاولا ان تمنع نفسك من الغضب ولو دقيقتين . ما  
رايك في ان تتزوج ؟ ها انت ذا ترى انني اتحدث في شيء  
آخر . لماذا تنظر اليّ دهشا ؟  
فاجبته وانا انظر اليه مشدوها حقا :  
— أنتظر ان ينهي كلامك .

— انهيت كلامي . اريد ان اعرف ما عسى ان تقول  
لو جاءك صديق يريد لك السعادة مخلصا ، فعرض لك فتاة  
فتية جميلة ، واقترح عليك ان تتزوجها : الفتاة جميلة ، ولكن  
لها تجربة ما . فتاة من نوع ناتاليا نيقولايفنا مثلا . . . مع تعويض  
مناسب طبعاً . (لاحظ انني اتكلم في شيء آخر لا في موضوعنا)  
ما عساك تقول في هذا ؟

— اقول . . . انك مجنون .  
— ها ها ها . . . يحسب من يراك انك تهتم ان  
تضربني !

لقد كنت مستعدا حقا لان اهجم عليه . فلقد فقدت  
قدرتي على مزيد من الصبر . كنت أرى فيه حيوانا حقيرا ، حشرة  
ضحمة ، أرغب رغبة جامحة في سحقها . كان يتلذذ بسخرياته ،  
ويعبث بي عبث القطعة بالفأرة ، ويعتقد انني اسيره . ادركت  
انه يستمتع ويتلذذ بالوقاحة والسفاهة والغطرسة التي اسفر عنها  
اخيرا أمامي . كان يريد أن يتلذذ باندهاشي وذعري . كان  
يمحضني الاحتقار صرفا وبهزا بي .

لقد احسست منذ البداية ان كل هذا كان مقصودا لهدف  
من الاهداف . ولكن كان لا بد لمن هو في وضعي من أن  
يصغي اليه حتى النهاية مهما كلف الأمر . ان ذلك في مصلحة  
ناتاشا ، وينبغي لي ان اتحمل كل شيء ، فربما انتهت القضية  
كلها . في هذه اللحظة نفسها ، الى حل . ولكن كيف أسمع  
هذه الامازيح الدنيئة الحقيرة في حقها ، كيف اتحملها هادئا ؟  
اضف الى ذلك انه كان يدرك كل الادراك انني مضطر الى  
الاصغاء اليه حتى النهاية ، وكان هذا يقام الاهانة . قلت



في نفسي : «على كل حال ، هو في حاجة اليّ ايضا» فأخذت  
ارد عليه بلهجة قاطعة عنيفة . ففهم ذلك . فقال وهو ينظر  
اليّ جادا :

— اسمع يا صديقي الشاب : اننا لا نستطيع ان نستمر  
على الكلام بهذه الطريقة . الأحسن ان نتفاهم انني انوي ان  
اشرح رأيي في عدد من الامور ، ولكن يجب ان توافق مشكورا  
على الاصغاء اليّ حتى النهاية ، مهما يكن كلامي . اريد ان  
اعبر عن فكري على النحو الذي احب ، وهذا امر لا بد منه  
في الظروف التي نحن فيها . فهل تصبر عليّ قليلا يا صديقي  
الشاب ؟

سيطر على نفسي وسكت . رغم انه ازعجني بنظرته القارصة  
الساخرة التي كانت كأنها تريد ان تحضني على اعتراض عنيف .  
ولكنه فهم انني قبلت البقاء ، فتابع يقول :

— لا تزعل مني يا صديقي ! ما الذي تأخذه عليّ ؟  
أليس هو هذا المظهر الذي اصطنعه فحسب ؟ ان معنى الكلام  
يظل واحدا ، سواء أخاطبتك بأدب معطر ام خاطبتك كما  
اخاطبك الآن . انت تحقرني ، أليس كذلك ؟ فانظر ما تنطوي عليه  
نفسي من صفاء النية وصراحة اللسان <sup>(1)</sup> و *bonhomie* !  
إنني اعترف لك حتى بتزواتي الطفولية . نعم *mon cher* .  
نعم ، قليلا من طيبة القلب منك ، فنتفق ونتفاهم اخيرا مرة  
واحدة . لا تدهش لما اقول : ان هذه البراءات وهذه

<sup>(1)</sup> طيبة القلب . (بالفرنسية في الاصل) .

<sup>(2)</sup> يا عزيزي . (بالفرنسية في الاصل) .

الاندفاعات الشعرية من جانب اليوشا ، هذه القصة الرومانسية  
كلها ، هذه المراتب التي نهضت اليها تلك العلاقة اللعينة  
بناتاشا ، (وهي فتاة ساحرة ، من جهة اخرى) ، هذا كله قد  
اضجرني وازعجني حتى صرت ، بالرغم مني ، مفتونا بانتهاز  
الفرصة للعبث قليلا بهذا الموضوع كله . وقد عرضت الفرصة ،  
فانتهرتها . زد على ذلك انني احببت ان افتح نفسي لك .  
هاهاها .

— انك تدهشني ايها الامير ، اكاد من ذلك انكرك  
ولا اعرفك . انك بهذه الصراحة غير المتوقعة اشبه بمهرج .  
— هاهاها . . . لست على خطأ تام ! تشييه ظريف !

هاهاها ، انني في عيد ، يا صديقي ، انني في عيد . ، انني  
سعيد راض . وانت يا شاعري يجب ان توليني كل ما تقدر  
عليه من سماحة .

واضاف يقول بلهجة جازمة ، وقد بدا عليه الرضى كله ،  
وصبّ قدحا من الخمر :

— ولكن فلنشرب . اعلم يا صديقي ان تلك السهرة  
الغبية في بيت ناتاشا — هل تتذكر ؟ — قددمرتني تدميرا . صحيح  
ان ناتاشا قد اظهرت كثيرا من اللطف ، ولكنني خرجت من  
تلك السهرة احمل حقدا فظيما ، ولا احب ان انسى هذا  
الحقد ، لا ان انساه ولا ان اخفيه . سيأتي يومنا وهو يقترب  
بسرعة ، ما في ذلك شك . . . ولكن دعنا من هذا الآن .  
كنت اريد ان اقول لك ، في جملة ما اريد ان أقوله : ان  
في طبعي خصلة ما تزال تجهلها : انني امقت جميع تلك  
السلاجات التافهة الرخيصة ، أمقت جميع تلك الغراميات



الشعرية . وكان من اجمل متعي دائما ان اسبق الى العزف على هذا  
الوتر ، وان اسرف في بذل الملاطفة والتشجيع لشخص عاطفي كشيبلر ،  
يظل شابا الى الابد ، ثم اذا انا ، فجأة ، احيره واقعه في  
الاضطراب ، اذ اخلع عن وجهي قناعه ، فبدلا من الوجه  
اللطيف يرى تكشيرا ولسانا ممدودا ، في اللحظة التي لا يتوقع  
ذلك . ماذا ؟ ألا تفهم هذا ؟ هل يبدو لك هذا شيئا حقيرا  
سخيفا دنيئا ؟

— نعم .

— انت رجل صريح . ولكن ما عساي أفعل لهم وهم  
يعذبونني ؟ أنا ايضا صريح بغياوة . ولكن هذا طبعي . . . ثم  
انني اريد ان اقص عليك اطرافا من حياتي ، عسى ان تزداد  
فهما لي ، وسيشوقك ذلك حتما . نعم ، قد اكون ا شبه  
بمهرج ، ولكن المهرج صريح ، أليس كذلك ؟

— اسمع يا امير ، لقد تأخر الوقت ، وحقا . .

— هوه ! ما اقل صبرك . فيم هذه العجلة ؟ دعنا  
نستمر في حديثنا هذا ، على مودة وصدق واخلاص ، امام  
قدح من الخمر ، نجوى صديقين . هل تظن انني سكرت ؟  
لك ان تظن ذلك ، وهذا افضل ايضا . ها ها ها ! حقا . .  
ان هذه الاجتماعات التي تتم بين الاصدقاء تظل في الذاكرة  
مدة طويلة لا ترحها ، وان المرء ليجد كثيرا من اللذة في  
تذكرها ! انت رجل شرير ، يا ايفان بتروفنش ، ليس لك  
عاطفة ، ليس لك احساس . ما قيمة ساعة او ساعتين تنفقهما  
من اجل صديق مثلي ! زد على ذلك ان هذا يتصل بموضوعنا . .  
كيف لا تفهم هذا ؟ كيف لا تفهم هذا ثم تدعي انك

كاتب ! . . يجب عليك ان تبارك هذه الفرصة التي سنحت  
لك . تستطيع ان تتخذني نموذجا . . هاهاها . يا رب ما  
أجملني بهذه الصراحة اليوم !  
كان واضحا انه بدأ يسكر . لقد تغير وجهه ، فاكتسى  
طابع الكره والبغض . اذا نظرت اليه ادركت انه يريد ان يجرح ،  
ان يقرص ، ان يعرض ، ان يسخر . قلت في نفسي : «من  
الافضل ان يسكر . فالسكران يقول دائما أكثر مما يجب ان  
يقول» . ولكنه كان مالكا زمام عقله .

أخذ يقول وهو ظاهر الاغتراب بنفسه :  
— يا صديقي ، اعترفت لك منذ قليل ، وربما كان  
ذلك الاعتراف في غير محله ، اعترفت لك بانني ارغب احيانا في  
ان امدت لساني امام احدا وفي ظروف معينة . فشبهتني عندئذ ،  
لهذا الصديق الساذج البسيط ، شبهتني بمهرج . وقد اطربني  
هذا التشبيه صراحة . ولكنك اذا لمتني الآن او اذا ادهشك  
انني فظ غليظ معك في هذه اللحظة ، او ربما قليل الادب ،  
كصلاح ، وذلك لان لهجتني قد تغيرت فجأة ، فانك تظلمني  
كل الظلم . اولا لان هذا يحلو لي ، وثانيا لانني لست الآن  
في بيتي ، بل انا الآن معك . اعني اننا الآن تعربد كما يعربد  
صديقان ، وثالثا لانني احب النزوات . هل تعلم انني كنت  
في وقت ما صوفيا وفاعل خير من باب النزوة وانني كدت اؤمن  
بعين ما تؤمن به انت من آراء ؟ على ان هذا قد وقع لي منذ  
مدة طويلة جدا ، في ايام الشباب : ذهبت الى اطيانسي  
احمل اهدافا انسانية ، وكنت بطبيعة الحال في سأم شديد ،  
ولن تصدقني اذا رويت لك ما وقع لي عندئذ . لقد اخذت ،



لسأمي ، اعاشر الفتيات ، الجميلات . لماذا تكشر ؟ يا صديقي الشاب ، نحن نتكلم الآن وحدنا كصديقين ! فمتى اذن يعربد المرء ومتى ينطلق ! وانا امرؤ احمل طبعاً روسيا ، صريحاً كل الصراحة ، انا وطني ، احب ان انطلق . ثم ان على الانسان ان يعرف كيف يتتهز فرصة التمتع بالحياة . لسوف نموت ، وماذا بعد الموت ؟ اذن لقد اخذت اغازل البنات . ما زلت اتذكر راعية كان زوجها فلاحاً شاباً جميلاً . لقد امرت بمعاقبه عقاباً صارماً ، ثم اردت ان ارسله الى الخدمة العسكرية (هذه شيطانات قديمة يا شاعري) ، ولكنني لم ارسله . . . لأنه مات في مستشفى . . . كنت قد بنيت مستشفى رائعاً يتسع لاثني عشر سريراً ، مستشفى نظيفاً ، فرشت ارض غرفه ببلاط من خشب ، لقد هدمته منذ مدة طويلة ، ولكنني كنت ايامئذ اعتز به اعتزازاً شديداً : كنت من رجال البر والاحسان . اوشكت ان اميت الفلاح الصغير تحت السياط بسبب امراته ، لماذا تقطب حاجبيك من جديد ؟ هل تشمئز من هذا ؟ هذه الاعمال تثير عواطفكم النبيلة ؟ هدىء روعك ! ان ذلك كله مضى وانقضى . لقد فعلته في عهد كنت فيه رومانطيقياً ، في عهد أردت فيه ان اكون محسناً الى الانسانية ، وان اؤسس جمعية للبر . كنت قد سلكت هذه الطريق . كنت ايامئذ أمر بجلد الناس . اما الآن فلا يمكن ان افعل ذلك . الآن يكفي ان اكشر ، انا جميعاً نكشر ، هذا ما يريد العصر الراهن . ولكن الشيء الذي يضحكني حقاً هو ذلك السخيف اخمينيف . لا اشك في انه عرف قصتي تلك كلها مع الفلاح ، وماذا كان موقفه ؟ انه لطيب نفسه التي لعلها صنعت من سكر ، ولانه في ذلك

الوقت بحبني لدرجة انه يتغنى بمدائحي ، قرر ان لا يصدق شيئاً من تلك القصة ، ثم لم يصدق منها شيئاً ، أي انه لم يصدق الواقعة ، وظل يدافع عني خلال اثنتي عشرة سنة ، الى ان جاء دوره هو . هاهاها . . . ولكن هذا كله سخف . . . فلنشرب يا صديقي العزيز . قل لي : هل تحب النساء ؟

لم احب بشيء ، واكتفيت بالاصغاء اليه . كان قد بدأ زجاجة ثانية .

— اما انا فأحب ان اتحدث عن النساء اثناء العشاء . اريد ان اقدمك ، بعد ان نهض عن المائدة ، الى امرأة تسمى مدموزيل فيليبيرت ، هه ؟ ما رأيك ؟ ولكن ما بك ؟ لماذا لا تريد حتى ان تنظر اليّ ؟ هم . . .

قال ذلك واطرق يفكر . وفجأة ، رفع رأسه ، والقي عليّ نظرة معبرة واردف يقول :

— اسمع يا شاعري . اريد ان اكشف لك سرا عن طبيعتي التي يظهر انك تجهلها جهلاً تاماً . انا واثق من انك تعدني رجلاً فاسقاً ، بل لعلك تعدني رجلاً وغداً ، شيطاناً من شياطين الفساد والرذيلة . ولكنني سأقول لك شيئاً ! لو امكن ان يتوصل كل منا (وهذا مستحيل بحكم الطبيعة الانسانية) الى الكشف عن جميع افكاره ، الى الكشف عن جميع هذه الافكار دون ان يخشى ان يُظهر الناس لا على ما لا يجرو ان يقوله وما لا يمكن ان يقوله لأحد ، فحسب ، ولا على ما لا يجرو ان يقوله لأعز اصدقائه فحسب ، بل أيضاً على ما يخشى ان يعترف به احياناً لنفسه ، لخرجت من الارض عفونة تبلغ من الثانة انها تخنقنا جميعاً . ومن ثم تلاحظ — اقول هذا



على سبيل الاستطراد — لماذا كانت مواضعنا الاجتماعية ذات قيمة ثمينة جدا . ان لهذا المواضع معنى عميقا ، لأقول اخلاقيا ، فلن اذهب بعيدا الى هذا الحد ، ولكن اقول انها تصون المجتمع وتحقق له الراحة ، وهذا افضل ، لأن الاخلاق ليست في جوهرها شيئا آخر غير الراحة والرخاء ، اعني انها اخترعت لغرض واحد هو هذه الراحة وهذا الرخاء . ولكن دعنا من المواضع الآن ، وسنعود الى الكلام عليها في فرصة اخرى ، انني استطرد وارجو ان تذكرني بهذا الموضوع فيما بعد . وأبجز فأقول : انك تنهمني بالريذة والفساد والفسق واللااخلاقية ، مع انني في واقع الامر قد لا يكون لي من ذنب الا انني اصدق من الاخرين . هذا كل شيء . فأنا اعترف بأمر يخفيها الاخرون حتى عن انفسهم ، كما قلت لك منذ هنيهة . هذا يسيء اليّ ، ولكنه يطيب لي .

قال ذلك ثم أضاف وهو يتسم ابتسامة ساخرة :

— على كل حال يجب ان لا تقلق كثيرا ، فلقد قلت اني كنت «آثما» ولست استغفر عن اثمى البتة . لاحظ شيئا آخر ايضا : انني لا اريد ان اخرجك . انني لا أسألك هل عندك اسرار من هذا القبيل ، لأبهر نفسي بما تقص عليّ من اسرار . انني اسلك سلوكا لبقا ، سلوكا نبيلًا . ان سلوكي دائما نبيل بوجه عام .

— انك تهذي ، هذا كل شيء .

قلت له ذلك وانا انظر اليه نظرة احتقار .

— أهذي ؟ هاهاها ! هل تريد ان اقول لك فيم كنت تفكر في هذه اللحظة ؟ كنت تتساءل لماذا اتيت بك الى

هنا ، ولماذا فتحت لك قلبي فجأة بلا سبب . هل هذا صحيح ؟

— صحيح .

— ستعرف الجواب فيما بعد .

— كل ما في الامر انك افرغت في جوفك زجاجتين

تقريبا و . . . ثملت .

— تريد ان تقول : سكرت . هذا ممكن . «ثملت» !

هذه الكلمة اجمل من كلمة سكرت . الا ما ادمت اخلاقك !

ولكن . يبدو لي اننا نستأنف المشاجر ، وكنا قد لامنا موضوعا

شائقا جدا ! نعم يا شاعري ، اذا كان لا يزال في هذا العالم

الادنى شيء جميل لذيد فهو النساء .

— قل لي يا أمير ، انا لم افهم حتى الآن لماذا خطر

ببالك ان تختارني نجيا تفضي اليه بأسرارك و . . شهواتك .

— هم . . لقد وعدتكم بأن تعرف الجواب فيما بعد ،

لا تقلق وهبني فعلت ذلك بدون اي سبب ! انك شاعر ،

وتستطيع ان تفهمني ، وقد سبق ان حدثتكم عن هذا من قبل .

انها للذة عظيمة ان يخلع المرء قناعه فجأة ، وان يكشف عن

الوقاحة التي يظهر بها لشخص آخر حين يكون في حالة لا يتنازل

فيها حتى ان يشعر بالحياء امام ذلك الشخص الآخر . سأقص

عليك هذه النكتة : قبل انه كان في باريس موظف مجنون

عهدوا به الى مستشفى للمجانين حين تأكدوا انه مجنون . اليك

ما كان تخيله هذا الرجل تحقيقا لذته حين بدأ يفقد عقله :

كان يجلس في بيته عاريا كل العري ، كأينا آدم ، ولا يحتفظ

الا بحذاء في قدميه ؛ ثم كان يلقي على جسمه معطفا واسعا



يتهدل حتى كعبيه ويخرج الى الشارع نزين المظهر جادا كل  
الجد . فاذا رآه راء من بعيد لم يظهر له الا رجلا كسائر  
الرجال ينتزه بهدوء مرتديا معطفا واسعا على ما احب له هواه .  
ولكنه كان متى صادف احده من الناس في مكان منعزل ،  
مشى الى ملاقاته دون ان يقول شيئا ، وفي وجهه الجد والتفكير  
العميق ، ثم وقف فجأة امامه ، وأزاح معطفه عن جسمه ،  
وظهر عاريا تماما . . . كان ذلك يدوم دقيقة ، ثم يتلفع الرجل  
بمعطفه مرة اخرى ، دون ان يقول كلمة واحدة ، ودون ان  
تهتز في وجهه عضلة ويتعد عن صاحبه المتسمر في الارض  
من الدهشة ، يتعد عنه بخطى هينة سهلة ، كخطى الطيف  
في مسرحية هملت ، وكان يفعل ذلك مع جميع الناس ، رجالا  
ونساء واطفالا . وكان هذا كل لذته . ان لذة من هذا النوع  
هى ما يجده المرء اذ يحير على حين غرة رجلا كشيبلر ، وان  
يمد له لسانه ، من حيث لا يتوقع ذلك . حير ؟ يا لها من  
كلمة معبرة ! لقد وجدتها في ادبكم المعاصر !

— نعم ، ولكن ذلك الرجل مجنون ، اما انت . . .

— عندي اهداف معينة ؟

— نعم .

واخذ الامير يضحك . ثم اضاف بلهجة ماجنة سفية :

— تفكيرك سليم يا عزيزي .

قلت وقد استشارتني وقاحتة :

— امير ، انت تكرهنا ، انا وغيري . وانت في هذه

اللحظة تنتقم بي من كل الناس ، ومن كل شيء . ان سلوكك

هذا ينبع من انانية مسكينة . انت شرير ، انت شرير على صغار .

لقد ضايقتك ، وربما انت تغضب اكثر مما غضبت في ذلك  
المساء ولا شيء مثل هذا الاحتقار الذى تعاملني به ، يمكن ان  
يعوّضك عن كرامتك التى اهدرت في ذلك المساء . انك تحلل  
نفسك حتى من التهذيب العادى الذى يجب ان يعامل به المرء  
جميع الناس . تريد ان تظهر لي بوضوح انك لا تتنازل حتى  
ان تشعر بالحياء مني اذ تخلع امامي قناعك الدنيء بعنف ،  
وان تبدو لي بهذا الاستهتار الذى يبلغ ذلك المبلغ من مجافاة  
الاخلاق .

سألني الامير بلهجة مفاجئة ، وهو يلقي عليّ نظرة مبعوضة :

— لماذا تقول لي هذا كله ؟ ألكي تظهر نفاذ تفكيرك ؟

— بل لكى أبين لك انني افهمك ، ولكى أشعرك بذلك .

فقال وهو يسترد لهجته المرححة السابقة وللطيفة الثرثرة :

— "Quelle idée, mon cher ! كل ما في

الأمر انك قطعت سلسلة افكاري . "Buvons, mon ami . هل

تسمح لي بان أملاً لك قدحا ؟ كنت اريد ان أقص عليك

مغامرة جميلة شائقة جدا . سأقصها عليك في خطوطها الكبرى .

عرفت في الماضي سيدة تجاوزت الصبا الاول : فلقد كانت

في نحو السابعة والعشرين او الثامنة والعشرين من عمرها ، ولكنها

كانت جميلة رائعة الجمال ، قلّ أن يرى المرء مثلها بين النساء :

اي جسم ! اي مهابة ! اي مشية ! كانت نظرتها كمنظرة

نسر ، وكانت قاسية دائما . كانت متغطوسة ، متعالية ؛ اذا

رآها الرائي قال انها باردة كالجليد ، وكانت تخيف جميع

<sup>(1)</sup> يا لها من فكرة يا عزيزي (بالفرنسية في الاصل) .

<sup>(2)</sup> قلشرب . (بالفرنسية في الاصل) .



الناس بفضيلتها الرهيبة التي لا سبيل اليها . . فضيلتها الرهيبة خاصة . . . لم يكن بين كل افراد البيئة التي تحيط بها قاض اصرم منها حكما . كانت تستنكر استنكارا لا هوادة فيه ، لا الرذائل التي تراها في غيرها من النساء ، فحسب ، بل ايسر ألوان الضعف في تلك النساء . كان الناس يجلونها اجلالا كبيرا . وكانت اشد العجائز تزمنا وتكبيرا وادلالا بفضيلتهن يسعين اليها ويخطبن وذاها . وكانت تنظر الى جميع الناس نظرة قاسية باردة ، كراهية من راهبات القرون الوسطى . وكانت الصبايا من النساء يرتعدن خوفا من رأبها فيهن ، واحكامها عليهن . . كان يكفي منها ملاحظة واحدة او غمرة في حق احدهن حتى تفسد سمعتها . فالى هذه الدرجة بلغ نفوذها بين الناس وتأثيرها فيهم . وكان الرجال انفسهم يخشون بأسها . وخلاصة الامر انها قد اصطنعت في حياتها نوعا من الصوفية التأملية الهادئة المتكبرة . فهل تريد ان تعرف حقيقة هذه المرأة ؟ اذن فاعلم انه ليس بين النساء امرأة تضارعها فسقا ومجونا . . لقد كان لي شرف الحظوة بثقتها كاملة . واقول لك باختصار انني كنت خليلها سرا ، وكنا ندير مقابلاتنا ببراعة محكمة ، حتى ان احدا من خدمها لم يكن ان يراوده طيف من شك . ولم يكن ثمة الا وصيفة فرنسية تعرف جميع اسرارها . ولكن كان في وسعنا ان نطمئن اليها كل الاطمئنان ، لانها كانت شريكة . باية طريقة ؟ لن اتكلم عن هذا الآن . ان هذه السيدة كانت من شدة الشبق بحيث ان المركيز دي ساد . نفسه كان يمكن ان يأخذ عنها دروسا في الفسق . ولكن احد لذة واعنف لذة في هذه العلاقة كانت هي السر والخديفة الوقحة . ان هذه الطريقة في الاستهزاء بما تمجده

بين الناس من عفة سامية لا سبيل الى خدشها ولا يمكن التعدي عليها ؛ هذا الضحك الشيطاني الداخلي ؛ هذا النوع من دوس كل ما هو مقدس لا يُمس ، دون قصد ولا اعتدال ، وعلى صورة تبلغ من الاغراق في المضي الى ابعد الحدود ان احدا ممن يملكون خيالا ملتها جامحا لا يمكن ان يتصورها . هذا كله كان لذتها الكبرى . نعم ، لقد كانت الشيطان نفسه . . ولكن كانت لها فتنة لا تقاوم ، كان لها اغراء لا سبيل الى الصمود امامه . انني ، حتى الآن ، لا اتذكرها الا وتسري في جسدي نشوة . وكانت وهي في حمى اللذة العيفة الحارة ، تضحك فجأة كأن بها متا ، فأفهم معنى ضحكها ، فأضحك انا ايضا . انني ، حتى اليوم ، حين اتذكر هذا الامر وحده ، تخرس انفاسي في صدري رغم انه انقضى وقت طويل منذ ذلك الحين . وبعد سنة ، أحلت محلّي شخصا آخر . ولو شئت ان أسيء اليها لما استطعت . ومن ذا الذي كان يمكن ان يصدقني ؟ ما اعظم طبعها ؟ ما قولك في هذا يا صديقي الشاب ؟

— حقارة قدرة . . .

قلت هذا ، وكنت اصغي الى اعترافاته مشمرا .

— لو اجبت بغير هذا الجواب لما كنت صديقي الشاب .

كنت اعرف انك ستقول ذلك . هاهاها . انتظر يا صديقي ، سنبش فنتهم . . اما الآن فأنت في حاجة الى حلوى بعد . . . بعد كل ما قلت ، لست شاعرا : فلقد كانت هذه المرأة تفهم الحياة وتعرف كيف تستفيد منها .

— ولكن لماذا الوصول الى هذه الحيوانية ؟

— اي حيوانية ؟



— الحيوانية التي بلغت هذه المرأة وبلغتها انت معها ؟  
— هل تسمى هذا حيوانية ؟ ذلك انك ما زلت طفلاً  
يُجَرَّ بجبل . . على انني اعترف بان استقلال المرء يمكن ان  
يتجلى في صورة اخرى مختلفة عن هذه كل الاختلاف . . ولكن  
فلتكلم ببساطة يا صديقي ، اعترف بأن هذا كله باطل . .  
— اي شيء ليس اذن بباطل ؟

— شخصيتي ، ذاتي ، انا . كل شيء لي ، ومن  
اجلي خلق العالم . اسمع يا صديقي : انني ما زلت اعتقد ان  
في وسع الانسان ان يحيا على الارض حياة طيبة . وهذا خير  
الاعتقادات طراً ، اذ بدونها لا يستطيع الانسان ان يحيا حتى  
حياة سيئة ، ولا يبقى له الا ان يسم نفسه . ويقال ان هذا  
ما فعله أحد الحمقى : بلغ من اغراقه في الفلسفة ان وصل  
الى انكار كل شيء ، حتى الواجبات العادية البسيطة للانسان ،  
فلم يبق له شيء : ان مجموع ما بقي له : صفر . وعندئذ  
اخذ يقول ان خير ما في الحياة حامض السياندريك . ستقول  
لي : ان هذا هو هاملت ، انه ذروة اليأس ، انه شيء عظيم لا  
نستطيع حتى ان نفكر فيه . ولكنك شاعر ، اما انا فمخلوق  
فان ، لذلك سأقول لك : يجب ان ننظر الى الامر نظرة عملية  
بسيطة . انا مثلاً ، قد تحررت ، منذ مدة طويلة ، من كل  
رابطة ومن كل واجب . ولا أشعر بواجب الا حين يحمل اليّ  
هذا الواجب منفعة من المنافع . طبعاً ، انت لا تستطيع ان  
تواجه الامور على هذا النحو ، لان هناك قيوداً تثقل قدميك  
وذوقك المريض . انك تحلم بالمثل الاعلى بالفضيلة . اما  
انا ، يا صديقي العزيز ، فمستعد لان اسلم بكل ما تقول ،

ولكن ما جيلتي وانا مقتنع بان الانانية العميقة هي اساس جميع  
الفضائل الانسانية ، وان فضيلة عمل من الاعمال هي على  
قدر ما ينطوي عليه من انانية . احب نفسك ايها الانسان ،  
تلك هي القاعدة الوحيدة التي اعترف بها . ان الحياة صفقة :  
فلا تهدر مالك ، ولكن ادفع ثمن لذتك ان شئت ، وبذلك  
تحقق واجبك كله تجاه أخيك الانسان . هذه هي أخلاقي ،  
اذا كنت تحرص على معرفتها ، رغم انني اعترف لك بان  
الافضل في رأبي ان لا تدفع شيئاً البتة ، وان تعرف كيف  
تحمل الناس على ان يعملوا لك ما تريد بلا ثمن . ليس لي  
مثل اعلى ، ولا اريد ان يكون لي مثل اعلى . انني لم اشعر  
يوماً بالحنين الى مثل اعلى . ان المرء ليستطيع ان يعيش حياة  
فرحة ممتعة بدون مثل اعلى . . ثم انه ليسعدني ، " en somme  
انني استطيع الاستغناء عن حامض السياندريك . ولو كنت على  
قدر من الفضيلة ، لصعب عليّ ان استغنى عنه ، كما صعب  
على ذلك الفيلسوف الغبي (لا شك انه المعاني) . لا ، لا ، ان  
الحياة ما تزال تشتمل على اشياء جميلة ! انني احب الاعتبار ،  
والجاء ، والقنادق الخاصة ، والمقامرة الضخمة (انني اعبد ورق  
اللعب عبادة) ، واحب النساء خاصة ، احب النساء بشنى  
جوانبهن ، احب حتى الفجور المظلم ، المخفي ، الغريب ،  
الشاذ ، بل والقدر بعض القدارة ، من قبيل التغيير . . هاهاها . .  
انني اقرأ في وجهك ما تشعر به نحوي من احتقار شديد !  
— صحيح !

" على الجملة (بالفرنسية في الاصل) .



طيب . لنسلم بانك على حق . أليس ذلك خيرا من  
حامض السياندريك على كل حال ؟ ما رأيك ؟

— بل أفضل حامض السياندريك .

— سألتك هذا السؤال عن عمد ، وذلك لانتلذذ  
بجوابك . كنت اعرف الجواب قبل ان اطرح السؤال . لا  
يا صديقي ، اذا كنت حقا تريد الخير للبشر فيجب ان تتعنى  
لجميع الأذكياء ان تكون اذواقهم كذوقي ، رغم ان ذوقي قدر  
بعض القذارة ، والا لم يبق لهم ما يعملونه في هذا العالم ،  
ولم يبق ثمة الا الأغبياء الحمقى . انهم بذلك يصبحون سعداء .  
ثمة مثل يقول الحمقى يتمتعون بالسعادة . هل تعلم ؟ ما من  
شيء امتنع للانسان من ان يعيش في صحبة حمقى ، ومن  
ان يعزف على اوتارهم : انه يستفيد من ذلك ! لا تأخذ عليّ  
انني اقيم وزنا لآراء المجتمع ، وانني احرص على بعض  
المواضع ، وانني انشد الاعتبار والجاه . انا اعرف انني اعيش  
في مجتمع تافه : ولكن طالما اشعر بالدفع فيه اتحمس له ،  
وانعق مع الناعقين ؛ انني اتظاهر بالدفاع عنه دفاعا حارا ،  
ومع ذلك فمن الممكن ، اذا اقتضى الأمر ، ان اهجره اول  
من يهجره . انني اعرف جميع افكارهم الجديدة ، رغم انني  
لم اتعذب منها يوما . وعلام اتعذب ؟ انني لم اشعر يوما  
بعذاب الضمير . انني اقبل كل شيء ، متى كان لي فيه نفع .  
واضرابي كثير ، ونحن جميعا في احسن حال حقا . يمكن ان  
يفنى كل شيء على الارض ، ونظل نحن وحدنا لانفنى ابدا .  
انا نوجد منذ وجد الوجود . قد يفرق الكون كله ، ويبقى نحن  
نطفو على وجه الماء ، نطفو الى الأبد . انظر ، بهذه المناسبة ،





كم تطول حياة امثالنا . اتنا نعلم كثيرا ، ألم يلفت نظرك ذلك ؟ فالطبيعة نفسها تحمينا اذن .. هاهأها .. اريد ان ابلغ التسعين حتما ، انا لا احب الموت واخشاه . الشيطان وحده يعرف كيف اموت ! لا ادعى للكلام عن هذا ! شجعتني على هذا الفيلسوف المسموم ! سحقا للفلسفة . فلنشرب ، يا عزيزي . كنا نتحدث عن البنات الجميلات .. لماذا تقوم ؟

— انا ذاهب ، وقد آن ان تذهب أنت ايضا .

— ما هذا ، ما هذا ؟ لقد فتحت لك قلبي كله ، وما أنت ذا لا تقبل هذا الدليل القاطع على ما أكنه لك من صداقة ! انك لا تعرف كيف تحب ، يا شاعري . انتظر ، سوف اطلب زجاجة اخرى .  
— ثالثة ؟

— نعم . اما فيما يتعلق بالفضيلة ، يا تلميذي الشاب (اسمح لي ان اطلق عليك هذا الاسم اللطيف ، فمن يدري ، لعل تعاليمي تفيدك ! ) اما فيما يتعلق بالفضيلة فقد ذكرت لك منذ لحظة ان «فضيلة عمل من الاعمال هي على قدر ما ينطوي عليه من اناية» . أريد في هذه المناسبة ان اقص عليك حكاية لطيفة . لقد احببت ذات مرة فتاة ، احببتها حبا صادقا تقريبا ، حتى لقد ضحكت في سبيلي تضحيات ضخمة .  
— أهي تلك التي سرقتها ؟

قلت له ذلك بفظاظة ، وقد عزمت على ان لا احتمل اكثر مما احتملت ، فارتجف الأمير ، وتغير وجهه ، وحدثني اليّ بعينين مشتعلتين . كانت نظرتيه تعبر عن الاضطراب والحنق فقال كمن يخاطب نفسه :

— انتظر ، انتظر ، دعني افكر . لقد سكرت حقا ، واصبح عسيرا عليّ ان استجمع شتات افكاري .  
وسكت ، ونظر اليّ نظرة فاحصة شريفة ، وهو يمسك بيدي ، كأنه يخشى ان اذهب . لا شك انه في تلك اللحظة أخذ يفكر متسائلا : من اين عرفت هذه القصة التي يجهلها كل الناس تقريبا ، وهل يحق به خطر . وانقضى على ذلك دقيقة ما لبث وجهه بعدها ان تغير فجأة ، فعادت اليه مظاهر السخر ، والتمع في عينه مرج السكر ، وانفجر ضاحكا :  
— هاهأها . تاليران ، لا اكثر ولا اقل . لقد غدوت امامها كمنبوذ من المنبوذين حقا حين رشقت في وجهي اتهامها بانني سرقتها ! ما اكثر ماعوت ونبحت ، ما اكثر ما طرزت من شتائم وسباب ! كانت كالمسعوة ، تلك المرأة و... بدون اي تحفظ ولكنني اترك لك ان تحكم في الموضوع بنفسك :  
اولا ، لم اسرقها كما قلت منذ لحظة ، بل هي التي اعطتني ذلك المال ، فكان المال اذن مالي . لنفرض مثلا انك اهديت اليّ احسن رداء عندك (قال هذا وهو يلقي نظرة سريعة على ردائي الوحيد الذي كاد يبلى ، وكان قد خاطه لي منذ سنين الخياط ايفان سكورنياغين) ولنفرض انني شكرت لك هديتك ، وارزقتها . ولنفرض اننا اختصمنا بعد ذلك بسنة ، فاذا انت تطلب مني ان ارد لك رداءك بعد ان اهترأ .. فهل يكون في عملك هذا شيء من نبل ؟ ثانيا ، رغم ان المال مالي ، فلقد وددت لو اردته حقا ، ولكن اني لي ان اجد مبلغا ضخما كذلك المبلغ ؟ احكم في الامر بنفسك ولاحظ خاصة انني لا احتمل الغزليات الرومانسية ولا احب المشكلات الغرامية على



طريقة شيللر . قلت لك ذلك منذ قليل ، ولقد كان هذا رأس البلاء في كل شيء . انك لا تستطيع ان تصدق تلك المواقف التي كانت تغفها مني ، صارخة بأنها اهدت اليّ ذلك المال (مع انه كان مالي) فاستبد بي الغضب ، وفكرت في الامر تفكيراً سليماً ، ذلك ان حضور الذهن لا يعوزني ابداً ، فقلت في نفسي : لو ارجعت اليها المال ، فلربما سببت لها بذلك شقاء ، لأنني احرمها عندئذ من لذة الشعور بأنني كنت انا سبب شقتها ، واحرمها من لذة النعمة عليّ الى الابد . صدقتي يا صديقي . ان المرء ، حين يتتابه شقاء من هذا النوع ، يشعر من احساسه بنبله وكماله ، ومن حقه في ان يحتقر ذلك الذي اساء اليه وفي ان يعده وغداً ، ان المرء يشعر من احساسه بذلك بنوع من النشوة . ان نشوة البغض هذه تلاحظ لدى الطبائع الشيللرية . لعل هذه المرأة لم تجد بعد ذلك ما تسد به رمقها ، ولكنني على يقين تام من انها كانت سعيدة . لم أشأ ان احرمها من هذه السعادة ، فلم ارد اليها المال . وهكذا تلاحظ ان مبدئي الذي اعلنته لك منذ هنيهة ، اعني انه كلما كان كرم الانسان كبيراً صاحبا كان يشتمل على قدر من الانانية السيئة اكبر ، هكذا تلاحظ ان مبدئي ذلك يبرر تبريراً كاملاً . . هل هذا كله واضح وضوحاً كافياً بالنسبة لك ؟ ولكن . . كنت تريد ان تخزني بالكلام . ها ها ها . . هيا اعترف بذلك ، كنت تريد ان تخزني بالكلام ؟ آه منك يا ناليران ! .

قلت له وانا انهض :  
وداعاً

نصرخ وهو يتخلى عن لهجته السيئة ، ويتكلم بلهجة جادة :  
— لحظة . هناك كلمتان نختم بهما الحديث ، ثمة شيء اخبر : من كل ما قلته لك يخرج بوضوح (واظن انك قد ادركت ذلك) انني لن ادع منفعة من المنافع تغلت مني يوماً في سبيل اي انسان ! انني احب المال ، وانا الآن في حاجة اليه ، وكاترينا فيدوروفنا تملك كثيراً من المال : كان ابوها تاجر خمور خلال عشر سنين . انها تملك ثلاثة ملايين ، وهذه الملايين الثلاثة ستسوي قضيتي على احسن صورة . واليوشا وكاتيا متناسبان كل التناسب ، فكلاهما غيبي الى اقصى حدود الغياب . وهذا يفيدني كثيراً . لذلك اريد ان يتم زواجهما حتماً ، بأقصى سرعة ممكنة : ستسافر الكوتيسة وكاتيا بعد خمسة عشر يوماً او بعد ثلاثة اسابيع الى الريف . ويجب ان يصحبهما اليوشا . فأبلغ ناتاليا نيقولايفنا ذلك ، حتى لا نرى مشاهد عاطفية ولا درامات شيللرية ، وحتى لا يجيء احد فيعارض فيما عقدت النية عليه . انا امرؤ حقود شديد الحقد اثار لنفسي وانتقم من خصمي . انني اعرف كيف ادافع عن مصالحتي . لست اخاف منها ، وسيتم كل شيء وفق ارادتي ، ما في ذلك ريب . واذا كنت احذرنا منذ الآن ، فذلك من مصلحتها تقريبا . فلا تدعها ترتكب حماقات سخيفة ، واحملها على ان تلتزم في سلوكها سبيل العقل والحكمة ، والا احاق بها شر كبير . يجب عليها ان تحمد لي انني لم اعاملها حتى الآن كما كان ينبغي ان اعاملها وفقاً للقانون . اعلم ، يا شاعري ، ان القوانين تحمي هدوء الأسر وامنها : انها تضمن للأب خضوع



ابنه له ، ولا تشجع ابدا اولئك الذين يصرفون الابناء عن القيام  
بواجباتهم المقدسة نحو آباؤهم . واعلم بعد ذلك ان لي معارف  
كثيرة . . وان ليس لها مثل هذه المعارف . يستحيل ان لا  
تدرك ما كان يمكنني ان اصنعه بها . . ولئن لم ألحق بها اذى  
حتى الآن فذلك لانها كانت الى الآن عاقلة . لا تخف : ان  
هناك عيوننا حاذقة كانت ترصد كل حركة من حركاتها وكل سكونة  
من سكوناتها خلال هذه الاشهر الستة ، وقد عرفت كل شيء ،  
حتى ادق التفاصيل . لذلك انتظرت هادئا ان يهجرها ألبوشا  
من تلقاء نفسه : وهذه اللحظة تقترب ، فالى ان تجيء ،  
لا مانع ان يتسلى بها قليلا ، لقد ظللت في نظره ابا رؤوفا  
رحيما ، وانا في حاجة الى ان يكون رأيه فيّ كذلك . هاهاها . .  
انني اتذكر كيف كدت احمد لها انها كانت من الكرم والاخلاص  
والتفاني بحيث لم تحمل ألبوشا على الزواج بها . . كم كنت اريد  
ان اعرف ما عسى ان يكون احتمالها لهذا الزواج . اما زيارتي  
يومئذ فلم يكن لها من غرض الا انتهاء هذه العلاقة . كان لا بد  
ان أتأكد من الامر بنفسي . هل يكفيك هذا الذي قلته الى  
الآن ؟ ام تراك تريد ايضا ان تعرف لماذا جئت بك الى هنا ، ولماذا  
عبثت كل هذا العبث امامك ، ولماذا حدثت بك بكل تلك  
الصراحة ، مع ان هذا الموضوع كله كان يمكن ان يُستغنى فيه  
عن البوح بالاسرار . . هل تريد ان تعرف ذلك ؟

— نعم .

لقد كظمت غيظي ، وكنت اصغي اليه ، ولم يكن ثمة ما  
اجيب به على كلامه غير هذه الكلمة .  
— فعلت ذلك كله بسبب واحد ، هو انني رأيت فيك

من حسن الفهم وحسن التبصر بالامور اكثر مما ارى في ذنبك  
الأبلهين الصغيرين . لعلك قد عرفتني قبل الآن ، لعلك قد  
حزرت من انا قبل الآن بالظن والتخمين . فأردت ان احرك  
من هذه الجهود وأظهرك على حقيقة الشخص الذي تتعامل معه .  
رب معرفة صادقة تجنب كثيرا من المتاعب . فافهمني اذن ،  
يا صديقي . ها أنت ذا تعرف الآن من هو الشخص الذي امامك .  
انك تحب هذه الفتاة ، فأمل ان تستعمل كل ما لك عليها من  
نفوذ وتأثير (وانا اعرف ان لك عليها نفوذا وتأثيرا) لكي توقيها  
بعض المتاعب ، والا تعبت كثيرا ، واؤكد لك ان الامر لن  
يكون مزاحا . والسبب الثالث في صراحتي معك هو انني . .  
(ولا شك انك ادركت ذلك يا عزيزي) هو انني كنت اشتهي  
ان ابصق قليلا على هذه القصة كلها ، وكنت اشتهي ان افعل  
ذلك امامك بالذات . .

قلت له وانا ارتجف حنقا :

— لقد بلغت غايتك . انني اسلم لك بأنه ما من طريقة  
افضل من هذه الطريقة تعبر بها عما تحمله من بغض واحتقار  
لنا جميعا . لقد افضيت الي بهذه الامور كلها لا لأنك لا  
تخشى ان يعرضك ذلك لخطر من الاخطار فحسب ، بل  
لأنك ايضا لم تشعر حتى بالخجل امامي ، وكشفت عن عورتك  
كذلك المجنون صاحب المعطف . انك لم تعتبرني  
انسانا .

قال وهو ينهض :

— ذلك هو الواقع قد حزرت يا صديقي الشاب . . لقد  
حزرت كل شيء . ما انت كاتب عن عبث . أمل ان تنفصل



## الجزء الرابع

### الفصل الاول

لن اصف ما كنت اشعر به من حنق . رغم انني كنت اتوقع كل شيء فقد فوجئت بهذه الدمامة التي اسفر عنها . على انني اذكر الآن أن مشاعري كانت يومئذ مختلطة : كنت اشعر بأنني مهتم محطم ، وكان يخنق قلبي غم قائم اسود . كنت ارتعد خوفا على ناتاشا . كنت احس أنها مستعاني كثيرا من الآلام ايضا ، وكنت ابحث ، في قلقي ، عن وسيلة توقيها هذه الآلام ، وتهون عليها اللحظات الاخيرة التي ستسبق الخاتمة . كانت الخاتمة آتية لا ريب فيها : كانت تقترب شيئا بعد شيء ، وكنت اعرف ما هي !

وصلت الى بيتي دون ان اشعر ، رغم المطر الذي لم ينقطع عن الهطول لحظة واحدة . كانت الساعة تقترب من الثالثة . وقبل ان اطرق الباب سمعت أنينا ، ورأيت الباب يفتح بسرعة ، كأن نللي كانت تنتظري كل هذا الوقت في العتبة ولم تذهب لتنام . كانت الشمعة مشتعلة ، فلما نظرت الى نللي ذعرت ذعرا شديدا : كان وجهها لا يكاد يعرف ، وكانت عيناها تلتصمان بلهيب حمي ، وكانت نظرتها اليّ غريبة ، حتى لكانها لا تعرفني . كانت تعاني حمى شديدة .

سألتها وانا انحني عليها واحيطها بذراعيّ :  
— ما بك يا نللي ؟ هل انت مريضة ؟  
فشدت جسمها اليّ وهي ترتعش ، كأنها خائفة ، واخذت

على صداقة . لا داعي ان نشرب قدحا نخب صحتنا كلبنا ؟  
أليس كذلك ؟

— انت سكران . وهذا هو السبب الوحيد الذي من اجله لا ارد عليك كما ينبغي ان ارد .

— انك لجمت لسانك مرة ثانية ولم تطلقه فيما كان ينبغي ان تطلقه به من كلام . هاهاها . هل تسمح لي بأن ادفع عنك ؟

— لا تحمل نفسك هذا العناء . سأدفع عن نفسي .  
— كنت واثقا من ذلك . فهل اوصلك الى بيتك ؟

— لا .  
— وداعا يا شاعري . ارجو ان تكون قد فهمتني .

وخرج بخطى مترنحة ، دون ان يلتفت اليّ ، واركبه خادمه في العربة . ومضيت في طريقي . كانت الساعة قد تجاوزت الثانية ، وكان المطر بهطل ، وكان الليل مظلما .



تتكلم كلاما متقطعا متعجلا ، كأنها كانت تنتظرنى لتقول لى هذا الكلام بسرعة . كانت كلماتها مفككة غريبة ، فلم افهم شيئا : كانت تهذي .

قدتها فورا الى سريرها ، ولكنها كانت ما تنفك تلقي نفسها عليّ ، وتثبث بي تشبثا قويا كأنها خائفة ، وتتوسل اليّ ان احميها من شخص ما . وحين استلقت على سريرها ظلت متمسكة بيدي تمسكا قويا مخافة ان اترك البيت واذهب مرة اخرى . وكنت قد بلغت من فرط الاضطراب العصبي اننى اخذت ابكى حين رأيتها . لقد كنت مريضا انا ايضا . فلما لاحظت دموعي القت عليّ نظرة ثابتة طويلة ، بانتباه متوتر ، كأنها تحاول ان تفهم شيئا وان تفكر . وكان واضحا انها تتكلف من اجل ذلك كثيرا من العناء . واخيرا التمع وجهها بشيء يشبه ان يكون فكرة : انها بعد نوبة عنيفة من نوبات الصرعة ، تظل فى العادة بعض الوقت لا تستطيع ان تستجمع شتات افكارها ولا ان تنطق بكلام واضح متميز . وتلك كانت حالتها فى هذه اللحظة : لقد بذلت جهدا كبيرا وهى تحاول ان تكلمنى ، فلما ادركت اننى لا افهمها ، مدت اليّ يدها الصغيرة واخذت تجفف دموعي ، ثم احاطت عنقي بذراعها ، وجذبتني اليها وقبلتني .

كان الامر واضحا : لقد انتابتها نوبة اثناء غيابي ، وقد وقع لها ذلك لحظة كانت واقفة قرب الباب . فلما مضت النوبة ظلت مدة طويلة لا تستطيع ان تعود الى وعيها . والهذيان فى مثل تلك اللحظات يختلط بالواقع . فلا شك ان اخيلة مخيفة رهيبة قد راودتها عندئذ . وكانت فى الوقت نفسه تشعر شعورا

مختلطا بأننى سأعود وبأننى سأطرق الباب ، لذلك كانت ، وهى ممتدة على الارض قرب العتبة ، تترقب عودتى ، فنهضت فى اللحظة التى هممت فيها ان اطرق الباب .

ولكن لماذا كانت قرب الباب تماما ؟ ذلك ما تساءلت

عنه . ثم لاحظت فجأة ، على دهشة منى ، انها كانت مرتدية معطفها الشتوى (وكنت قد اشتريت لها هذا المعطف من امرأة عجوز تبيع ثيابا قديمة ، وكنت اعرف هذه العجوز ، فكانت تجبثني الى البيت وتبعينى بضاعتها دينا فى بعض الاحيان) .

لا شك ان نللي كانت تنهياً اذن للخروج ، ولا شك انها كانت تفتح الباب حين وافتها النوبة فألقته ارضا . فأين كانت تريد ان تذهب ؟ هل كانت فى حالة هذيان قبل ان توافيها النوبة ؟ لم تهبط حرارتها ، وعادت الى الهذيان ، وفقدت وعيها

من جديد . لقد انتابتها نوبتان منذ اقامت معي ، ولكن ذلك كان ينتهي بخير ، اما الآن فيبدو انها فريسة حمى حارة . ظللت جالسا الى جانبها اسهر عليها خلال ما يقرب من نصف ساعة ، ثم الصفقت بالاربيكة عددا من الكراسي ، وتمددت الى جانبها

دون ان اخلع ملابسي ، بغية ان استبقيت حالما تناديني . ولم اطفىء الشمعة . ونظرت اليها عدة مرات قبل ان اغفو . كانت شاحبة . وكان على شفيتها اللتين جففتهما الحمى آثار دماء لا شك انها ترجع الى سقوطها . وكان وجهها ما يزال يحتفظ

بمعانى الرعب ، ويعكس خوفا معذبا يظهر انه كان يلاحقها حتى اثناء النوم . وقررت ان امضي فى الغد مبكرا لآتيها بطبيب اذا تفاقم حالتها . كنت اخشى ان تكون مريضة حقا .



قلت في نفسي وانا ارتعش «ان الأمير هو الذي اربعها» ،  
وتذكرت قصته عن المرأة التي رشقت المال في وجهه .

## الفصل الثاني

... انقضى على ذلك خمسة عشر يوما . . . كانت نللي  
تسترد عافيتها . كان مرضها خطيرا ، ولكنه لم يكن هو الحمى  
الحارة . ونهضت من فراش المرض في آخر نيسان ، ذات يوم  
صباح مضيء . وكنا يومئذ في الاسبوع المقدس .  
ما كان أتعرس تلك المخلوقة ! انني لا استطيع ان اتابع  
سرد قصتي بترتيب . لقد انقضى وقت طويل منذ ذلك الحين  
الى هذه اللحظة التي اتناول فيها القلم واقص ذلك الماضي  
كله . ولكنني ما زلت الى الآن اشعر بحزن عميق كما وحين  
اتذكر وجهها النحيل الشاحب ، وعينيها السوداوين اللتين كانتا  
تنظران اليّ نظرات طويلة ملحة ، حين نكون وحدنا ، كأنما  
لتدعوني ان أفهم ما في ذهنها ، حتى اذا ادركت انني لا  
افهم ، وانني ما زلت على غير يقين ، ابتسمت ابتسامة عذبة ،  
كأنها تبسم لنفسها لا لي ، ثم مدت اليّ فجأة ، بحركة  
ناعمة ، يدها المحترقة ذات الاصابع الضاوية . . . كل هذا  
بعيد الآن عني ، وانا اعرف الآن كل شيء ، ولكنني لم أنفذ  
بعد الى جميع اسرار ذلك القلب المريض المهان الذي هدته  
العذاب .

احسن انني بهذا الكلام اخرج عن قصتي ، ولكنني في  
هذه اللحظة لا اريد ان افكر الا في نللي . امر غريب : الآن





وانا متمدد في سرير بمستشفى ، وحيدا مهجورا من جميع الذين طالما احببتهم ، يتفق لي في بعض الاحيان ان تنبثق في ذهني ، على حين فجأة ، ذكرى حادثة جزئية من حوادث تلك الفترة ، فأنظر فيها على انفراد ، فاذا هي تكتسي معنى جديدا على حين غرة ، وتفسر لي ما لم أكن قد فهمته بعد .  
قلقنا اشد القلق ، انا والطبيب ، في الايام الاربعة الاولى ، ولكن الطبيب قادني في اليوم الخامس الى المطبخ ، وقال لي ان الخطر قد زال ، وان الصبية ستسترد عافيتها حتما . انه ذلك الطبيب نفسه الذي اعرفه منذ مدة طويلة (عجوز عازب ، شهم ، متفرد) والذي اتيت به الى نللي يوم مرضها الاول فلفت نظرها بصليب ستانسلاف الضخم الذي كان يحمله في عنقه .

فهمت أسأله فرحا :

— لا خوف عليها بعد الآن ؟

— بلى ، مستشفى هذه المرة ، ولكنها لن تعيش طويلا .

— كيف ؟ لماذا ؟

هتفت بذلك وقد دهشت من كلامه اشد الدهشة :

— نعم ، ستموت قريبا ، ما في ذلك شك . ان في

قلبها آفة عضوية ، وستعود الى سرير المرض عند اول فرصة

سيئة ، وقد تسترد يومئذ صحتها ، ولكنها لن تلبث ان تمرض مرة

اخرى ، الى ان تموت .

— وليس ثمة اية وسيلة لانقاذها ؟ لا ، لا ، هذا

مستحيل !

— هذا ما سيقع . على انها اذا وُقيت كل حادث سببي ،

وعاشت حياة رخيبة ناعمة هادئة ، وتوافر لها مزيد من المسرات ، يمكن ان يطول عمرها ، يمكن ان يتأخر اجلها . . بل ان هناك حالات غير متوقعة ، حالات غريبة ، شاذة . . الخلاصة ان المريضة يمكن حتى انقاذها بفضل تعاون ظروف حسنة ، اما ان تشفى تماما ، فذلك مستحيل .

— رياه ! فما العمل اذن ؟

— تتبع نصائحي وتعيش حياة هادئة ، وتواظب على تناول السوفوف بانتظام . لقد لاحظت ان البنت ذات نزوات ، وانها مهيأة لقفزات في المزاج ، وانها ساخرة ايضا . انها تكره ان تتناول الدواء بانتظام ، حتى لقد رفضت تناوله رفضا قاطعا منذ لحظة .

— صحيح . انها حقا غريبة الاطوار . ولكنني ارد ذلك

كله الى اهتياج مرضي . لقد كانت امس طيبة جدا . واليوم ،

حين جئتها بالدواء صدمت الملعقة كأنما بصدقة ، فاندلق

الدواء . فلما اردت ان املأ لها ملعقة جديدة ، انتزعت العلبه

من بين يدي ، والقبتها على الارض ، واخذت تبكي .

قلت ذلك ثم اضفت بعد لحظة من تفكير :

— لا شك انها لم تبك لاننا نحملها على نجرع الدواء

فحسب !

— طبعا لا . . ان انواع الشقاء التي عانتها في الماضي

(كنت قد قصصت على الطبيب جزءا كبيرا من حياة نللي

بالتفصيل ، واثرت فيه قصتي تأثيرا شديدا) ، ما تزال تفعل

فيها فعلها ، وهذا هو السبب في مرضها . الدواء الوحيد على

كل حال انما هو السوفوف : يجب ان تتناول هذا السوفوف .



سأحاول مرة أخرى ان اقنعها باتباع نصائح الطيب ، يعني ان تتجرع دواءها . . .

وخرجنا من المطبخ الذى دار فيه هذا الحديث ، واقتررب الطيب من جديد من سرير نللي . ولكن يظهر ان نللي قد سمعتنا : كانت على الاقل قد انهضت رأسها عن المخدة ، والتفتت نحو الجهة التى كنا فيها ، وظلت طوال الوقت تسترق السمع الى ما نقول . لقد لاحظت ذلك من خلال شق الباب . فلما عدنا اليها عادت الخبيثة فاندست تحت الغطاء ونظرت البنا وهى تبسم ابتسامة مآكرة . لقد اشتد هزال الطفلة المسكينة كثيرا خلال هذه الايام الاربعة من المرض : غارت عيناها ، وكانت لا تزال تعاني من الحمى . وكانت معاني وجهها المآكر ونظراتها البراقة العدوانية التى ادهشت الطيب كل الدهشة (وهو خير الالمان ببطرسبرج) قد ازدادت من ذلك غرابة .

شرح لها الطيب بلهجة جادة وصوت متودد متجنب حاول ان يلفظه ما امكنه ذلك ، شرح لها كيف ان تناول السقوف امر لا بد منه ، وانه مفيد ، وان على جميع المرضى ان يتجرعوا منه . كانت نللي تنهض رأسها حين صدمت المعلقة فجأة بحركة من يدها لم تكن متوقعة ابدا ، فسفع الدواء كله على الارض . ايقنت انها فعلت ذلك عامدة .

فقال العجوز بهدوء :

— هذه غلطة مؤسفة . اظن انك فعلت ذلك عن قصد ، وهذا شىء غير محمود . ولكن يمكن تدارك الامر بملء ملعقة جديدة .

فضحكت نللي امام انفه .

فهز الدكتور رأسه وقال وهو يملأ ملعقة جديدة :  
— سلوكك هذا سيئ ، غير محمود ابدا .  
فاجابت نللي وهى تبذل جهودا عميقة حتى لا تنفجر ضاحكة من جديد .

— لا تزعل ، سأنجرع الدواء قطعاً . ولكن هل تحبني ؟

— اذا حسنت سلوكك ، سأحبك كثيرا . . .

— كثيرا ؟

— نعم .

— والآن ، ألا تحبني ؟

— بلى .

— وهل تقبلني اذا أردت انا ان اقبلك ؟

— نعم اذا كنت تستحقين .

عندئذ لم تستطيع نللي ان تحبس نفسها عن الضحك ،

فضحكت مرة أخرى .

همس الطيب يقول لي بلهجة جادة :

— انها مرحلة الآن ، ولكن ليس ذلك الا اعصابا

ونزوات .

صرخت نللي تقول بصوتها الضعيف :

— سأخذ الدواء ، ولكن هل تتزوجني حين أكبر ؟

كان واضحاً ان هذه الشبظنة تسليها كثيرا ، فكانت

عيناها تلتمعان ، وكان الضحك يهز شفيتها ، وهى تنتظر

جواب الطيب الذى تحير قليلاً .

قال الطيب وهو يبتسم لهذه النزوة الجديدة بالرغم منه :

— نعم . . . اذا وافقت على ان تكوني طيبة ، مؤدبة ،



مطبعة ، واذا وافقت على . . .

— تناول الدواء ؟

— نعم على تناول الدواء .

قال ذلك وهمس في اذني يضيف :

— انها ابنة طيبة ، طيبة وذكية ، ولكن لماذا . . .

تريد ان تتزوجني . . ما هذه النزوة !

وقدم لها الجرعة . ولكنها في هذه المرة لم تعتمد الى الحيلة ، بل ضربت الملعقة بيدها ضربة صغيرة ، فاندلق محلول السوفوف على قميص العجوز المسكين وعلى وجهه . واخذت نللي تضحك ضحكا صاخبا ، ولكنه لم يكن في هذه المرة ضحكا صريحا فرحا . وطاف بوجهها شعاع قاس شرير . كانت خلال ذلك الوقت كله تتحاشي النظر اليّ ، ولا تنظر الا الى الطبيب ، وكانت تنظر اليه نظرة ساخرة تتم مع ذلك عن قلق . كانت تنتظر ما سيعمله العجوز الصغير «المضحك» .

قال الطبيب وهو يجفف وجهه وقميصه بمنديله :

— هل . ايضا ؟ . . هذه مصيبة . . ولكن يمكن

ان نحلّ ملعقة اخرى .

قد فوجئت نللي بهذا . فلقد كانت تتوقع ان يغضب ، كانت تظن اننا سنؤنبها ، ونقرعها ، ولعلها كانت ترغب في ذلك لا شعوريا ، لكي تتخذ منه حجة للبكاء والنحيب كما في نوبة هسترية ، ولدلق الدواء مرة اخرى ، بل ولكسر شيء من الاشياء ايضا ، تهدئة لقلبها الضعيف المحطم ذي النزوات . ليست نللي وحدها ، ولا المرضى وحدهم يشعرون

بنزوات من هذا النوع . ما اكثر ما اتفق لي ان كنت اذهب واجي . في غرفتي وانا اشتهي لاشعوريا ان يعترضني احد الناس فورا وان يتهجم عليّ وان يقول لي كلاما يمكن ان يعد شتما ، لكي أستطيع ان اخفف عن نفسي . ان النساء حين «يخفن» عن انفسهن بهذه الطريقة يبدأن بذرف دموع غزيرة ، حتى ان اكثرهن حساسية يمضين في هذا الى حد النوبة الهسترية . تلك ظاهرة بسيطة شائعة كل الشيوخ ، وهي تقع خاصة حين يكون ثمة حزن آخر يحز في القلب ، حزن يجعله جميع الناس ، ولا يريد الانسان ان يفضي به الى احد ولا يستطيع ان يفضي به الى احد .

ولكن نللي ، وقد فوجئت بهذه الطيبة الملائكية من الطبيب العجوز الذي اساءت اليه ، وبهذا الصبر الذي اظهره اذ اخذ يسكب جرعة جديدة من الدواء ، دون ان يوجه اليها اي لوم ، هدأت فجأة ، فأختفت ابتسامتها الساخرة ، واحمر وجهها ، وتبللت عيناها ، ونظرت اليّ نظرة سريعة ما لبثت بعدها ان تحولت عني . وقدم اليها الطبيب الدواء ، فجرعته طائعة ، وتناولت يد العجوز الحمراء المتفتحة ، وحدقت في عينيه .

— انت زعلت . . لانني شريرة . . .

قالت ذلك ، ولكنها لم تتم كلامها ، بل دست رأسها تحت الغطاء ، وانفجرت تبكي بكاء متحبا صاخبا هستريا . — اوه . . لا تبكي ، يا بنيتي . . لا تبكي . . الأمر

يسير . . هذا من العصيبة . اشربي قليلا من الماء .

ولكن نللي لم تصغ اليه .



وتابع الطبيب يقول ، وهو يهم ان يبكي ، لأنه امرؤ  
حساس للغاية :

— هدني نفسك يا بنيتي . . لا تزعلي . . انني اغفر  
لك ، وسأزوجك اذا سلكت سلوكا حسنا ، واذا . .  
— تناولت دواءك .

بهذا اكملت نللي كلام العجوز ، من تحت الغطاء  
واشفعته بضحكة اعرفها منها حق المعرفة ، ضحكة عصبية  
ضعيفة ، تشبه ان تكون صوت جرس ، ضحكة يتخللها  
نحيب .

فقال الطبيب بلهجة فخمة ، وهو يكاد يبكي :  
— يا لك من بنية طيبة تعترف بالجميل . . . أينها  
الطفلة البائسة .

ومنذ ذلك الحين قامت بينه وبين نللي مودة غريبة . اما انا  
فقد اخذ سلوك نللي معي يزداد عداوة وعصبية واهتاجا .  
ولم اعرف السبب في ذلك ، وكنت ادعش منها خاصة  
وان هذا التغيير قد طرأ فجأة . كانت خلال الايام الاولى  
من مرضها تظهر لي كثيرا من المودة والحنان والمאطفة وكأنها  
لا تشيع من النظر اليّ : كانت لا تدعني ابتعد عنها ، بل  
تمسك يدي بيدها المحرقة ، وتجلسني الى جانبها ، فاذا  
لاحظت انني قائم المزاج او قلق حاولت ان تفرحني ، فكانت  
تمازحني وتلاعبنى وتبتسم لي ، وكان واضحا انها كانت اثناء  
ذلك تخنق آلامها الخاصة بها . كانت لا تريد ان اعمل  
في الليل ، ولا ان اسهر عليها ، وكان يحزنها ان لا أطعمها  
في ذلك . وكنت اراها في بعض الاحيان مغنومة مهمومة .

وكانت في هذه الاحيان تسألني لماذا انا حزين ، وفيهم  
افكر . والأمر الغريب انها كانت ، حين اتحدث عرضا  
عن ناتاشا ، تصمت فجأة ، وتتكلم في شيء آخر . كان  
يبدو انها تتحاشى الكلام على ناتاشا ، وقد ادهشني ذلك .  
وكانت تشعر بسعادة كبيرة حين اعود الى البيت . حتى اذا  
تناولت قبعتي وهممت ان اخرج نظرت اليّ نظرة غريبة حزينة  
مفعمة باللوم .

في اليوم الرابع من مرضها ، قضيت السهرة كلها عند  
ناتاشا ، وبقيت هنالك الى ساعة متأخرة بعد منتصف الليل .  
كان ثمة اشياء كثيرة يجب ان نتحدث فيها . وكنت حين  
تركت نللي وعدتها بان لا اغيب كثيرا ، وكنت ازمع ذلك  
فعلا ، ولكنني كنت مطمئنا عليها ، رغم انني بقيت عند  
ناتاشا اكثر مما كنت اقدر ، ذلك انها لم تكن وحدها ،  
فان الكسندرا سيمينوفنا ، حين علمت من ماسلوبوف الذي  
جاءني ذات مرة ، ان الصغيرة مريضة ، وان اعمالها كثيرة ،  
وانني وحدي في البيت ، جاءت فزارت المريضة . ما اكثر  
ما حملت الكسندرا سيمينوفنا نفسها من عناء !

قالت لماسلوبوف حين ابلغها ذلك :  
— ألن يأتي للعشاء ! اه ، يا رب ! انه وحيد هذا  
المسكين ! يجب ان نبرهن له على اخلاصنا . يجب ان  
لا نفوت هذه الفرصة .

ولم تلبث ان جاءت الينا ، وصلت على عربة ، وهي  
تحمل حزمة مليئة بالهدايا . واعلنت انها ستمكث هنا بعض  
الوقت ، وانها جاءت لمساعدتي . وفضت حزمتهما ، فكانت



تحتوي على اشربة ومريبات للمريضة ، وعلى دجاج تطعمها اياه حين تدخل فترة النقاهة ، وعلى تفاح ليطهى في القرن وعلى برتقال وعلى انواع من معقود الفاكهة من كيف (اذا سمح الطيب بذلك) ، وعلى ثياب ، واغطية ، ومناشف وقمصان ، وعصائب ، ولفائف ، مما يمكن ان يجهز به مستشفى بكامله . قالت لي وهى تلفظ كل كلمة بسرعة وكأنها مستعجلة الى مكان ما .

— عندنا كل شيء . وانت رجل عازب ، ليس عندك هذا كله . لذلك ارجو ان تسمح لي . . على ان فيليب فيليثش هو الذى امرني بهذا . والآن هيا بسرعة ، بسرعة . ماذا يجب علي ان اعمل ؟ كيف حالها الآن ؟ هل هى صاحبة ؟ آ . . هذا لا يجوز . . يجب ان ترتب لها مخدتها بحيث ينخفض رأسها عن ذلك . قل لي : أليس الافضل ان تسند رأسها الى مخدة من جلد ؟ ان الجلد يبرد . اه ، ما اغباني ! لم اذكر ان اجيء بمخدة من جلد سأذهب باحثه عن مخدة من جلد . هل يجب ان نشعل نارا ؟ سأرسل اليك خادمة عجوزا تشتغل عندي اذ ليس عندك خادمة . . ولكن ماذا يجب ان نعمل الآن ؟ ما هذا ؟ نوع من العشب ؟ هل الطيب هو الذى وصف لها هذا النوع من العشب ؟ يُغلى ويشرب ، طبعا ، أليس كذلك ؟ سأشعل النار حالا .

ولكنني هدأتها ، فلما رأيت ان ليس هنالك اعمال كثيرة يجب ان تقوم بها ، ادهشها ذلك بل احزنها . على ان هذا لم يشبط عزيمتها . وسرعان ما انعقدت اواصر الصداقة

بينها وبين نللي ، وما اكثر ما قدمت لي من خدمات طوال مدة مرض الصبية . كانت تزورها كل يوم تقريبا ، وكانت تصل دائما متعجلة كأنها تريد ان تتدارك شيئا فات ، وكانت تقول دائما ان فيليب فيليثش هو الذى امرها بالمجيء . وقد اعجبت بنللي كثيرا ، واحبت كل منهما الاخرى كأنهما اختان . اعتقد ان الكسندرا سيمينوفنا لا تقل عن نللي طفولة من نواح كثيرة . كانت تقص لها حكايات طريفة ، وتضحكها . وكانت نللي تشعر بكثير من السامة حين تذهب الكسندرا سيمينوفنا الى بيتها . حين جاءت الكسندرا سيمينوفنا اول مرة ، دُهِشت مريضتي ، ولكنها سرعان ما ادركت السبب الذى من اجله جاءت هذه الزائرة التى لم تكن فى الحسبان ، فتجهم وجهها كعادتها ، ولزمت صمتا عذابيا . حتى اذا ذهبت الكسندرا سيمينوفنا الى بيتها ، سألتني نللي مستاءة :

— لماذا جاءت ؟

— جاءت لتساعدك يا نللي ، جاءت لتعنى بك .  
— لماذا ؟ انني لم اصنع لها شيئا فى يوم من الايام .  
— الناس الطيبون لا ينتظرون ان يحسن احد اليهم حتى يحسنوا اليه ، انهم يحبون من تلقاء انفسهم خدمة من هم فى حاجة الى هذه الخدمة . ان هناك اناسا طيبين كثيرين . وانما المصيبة انك لم تلقي هؤلاء الناس حين كان يجب ان تلقيهم .

سكنت نللي . وابتعدت انا عنها . ولكنها نادتنى بعد ربع ساعة بصوتها الضعيف ، وطلبت الي ان اسقيها جرعة ماء ، ثم احاطتني بذراعيها فجأة ، واسندت رأسها الى



صدري ، وظلت على هذه الحالة مدة طويلة . وحين جاءت  
الكسندرا سيمينوفنا فى الغد ، استقبلتها نللى فرحة ، ولكن  
كان يبدو عليها انها ما تزال تخجل منها .

### الفصل الثالث

فى ذلك اليوم انما قضيت السهرة كلها عند ناتاشا ،  
وعدت الى البيت فى ساعة متأخرة . كانت نللى نائمة .  
وكانت الكسندرا سيمينوفنا نعمة هى ايضا ، ولكنها كانت  
تنتظرني جالسة قرب المريضة . فلما وصلت اخذت  
تفحص علي ، بسرعة ، وبصوت منخفض ، ان نللى كانت  
مرحة فى اول الامر ، حتى انها ضحكت كثيرا ، ولكن  
الحزن بان فى وجهها بعد ذلك ، حين لاحظت اني تأخرت ،  
فصمت واصبحت واجمة ثم شكت من صداع فى رأسها ،  
واخذت تبكي وتتحبب . . . . . قالت الكسندرا سيمينوفنا :  
« تحيرتُ فما اعرف ماذا اعمل . وقد راحت تكلمني عن  
ناتاليا نيقولايفنا ، ولكنني لم اجبها بشيء ، فانقطعت عن  
مساءلتي ، وظلت طوال الوقت بعد ذلك تبكي الى ان نامت  
اخيرا . الى اللقاء يا ايفان بتروفنش . اظن حالتها ستتحسن  
مع ذلك ، يجب ان اذهب ، لقد اوصاني فيليب فيليتش  
بان لا اتأخر . واعترف لك بانه لم يسمح لى بالتعب أكثر  
من ساعتين ، لقد بقيت هنا من تلقاء نفسي . على كل حال ،  
لا بأس ، لا تقلق من اجلي . انه لا يجرؤ ان يغضب .  
الا ان يكون . . . اه ، يا ايفان بتروفنش ، ماذا استطيع ان

افعل ؟ انه يعود الى البيت ثملا دائما ! انه مشغول جدا  
فى هذه الايام ؛ اصبح لا يكلمني ، هناك شيء يقلقه ،  
ويشغل على نفسه ، انني لاحظ ذلك واضحا وهو يسكر فى  
المساء مع ذلك . . . كنت اقول لنفسي طوال الوقت : ترى  
لو عاد فى هذه اللحظة ، فمن يهبته للنوم ؟ ولكنني ذاهبة ،  
الى اللقاء يا ايفان بتروفنش ، لقد نظرت فى كتبك . عندك  
كتب كثيرة ، ولا يد انها كتب ذكية . . . اما انا ، الغيبة ،  
فانني لم أقرأ فى حياتي شيئا . . . هيا ، الى الغد . . .  
استيقظت نللى فى الغد حزينة مكتئبة ، فكانت تجيب  
عن اسئلتي على مضض . وكانت لا توجه اليّ من تلقاء نفسها  
كلمة واحدة ، كأنها حانقة علي . ولكنني لاحظت انها كانت  
تلقي عليّ نظرات تختلسها اختلاسا من حين الى حين .  
وكت أقرأ فى هذه النظرات حزنا دفيناً ، ولكنني كنت أقرأ  
فيها فى الوقت نفسه محبة وحنانا لا الاحظهما حين تنظر  
الى وجهها لوجه . وفى ذلك اليوم انما وقع المشهد الذى جرى  
مع الطيب . كنت لا اعرف ماذا اقول فى تعليق ذلك .  
ولكن نللى غيرت موقفها مني تغييرا حاسما بعد ذلك .  
فاستمرت فى اعمالها الشاذة ونزواتها الغريبة وفى مشاعر الكره  
نحوي احيانا ، الى ان جاء ذلك اليوم الذى اصبحت فيه  
لا تعيش معي ، الى ان حلت تلك الكارثة التى ختمت  
قصتنا . ولكننا سنعود الى هذا فيما بعد .

على انها كانت فى بعض الاحيان تسترد عاطفتها نحوي  
مدة ساعة او ساعتين ، فكان يبدو عندئذ انها تضاعف  
ملاحظاتنا ، وكانت فى اغلب الاحيان تبكي بكاء مرا .



الى نللي يصل رافع الرأس كأن اليوم يوم عيده ، وكانت نللي تحزر فورا انه يحمل هدية . ولكنه كان لا يظهر هديته ، بل يضحك ضحكة متخابثة ، ويجلس الى جانب نللي ، ويقول لها ان الفتاة حين تسلك سلوكا حسنا فستحق التقدير ، يجب ان تكافأ على ذلك ، وكان وهو يقول لها هذا الكلام بنظر نظرة تبلغ من البساطة والطيبة ان نللي تأخذ تضحك من اعماق قلبها ، وتدل نظرتها التي عادت اليها البشاشة على عاطفة رقيقة صادقة ، وكان العجوز ينهض اخيرا بفخامة وجلال ، ويخرج علبه السكاكر ، ويقدمها الى نللي ، مرددا هذه العبارة نفسها في كل مرة : «الى عروستي اللطيفة» ولا شك ابدا في انه يكون في تلك اللحظة اسعد من نللي .

ثم يأخذان يتحدثان ، وكان يحضنها كل مرة ، في جد وبلاغة ، على العناية بصحتها ، ويسدي اليها نصائح مجرب . كان يقول لها بلهجة مؤمنة :

— يجب على المرء ان يعنى بصحته قبل كل شيء :  
اولا وخاصة ليقى على قيد الحياة ، وثانيا لتكون صحته حسنة وليحقق بذلك السعادة . اما الاحزان ، يا بنيتي العزيزة ، فحاولي ان تنسيها او حاولي ان لا تفكري فيها ، واذا لم تخامرك الاحزان ، فلا تفكري فيها ابدا ، وحاولي ان تفكري فيما يسر ، حاولي ان تفكري في امور مفرحة مسلية .  
فسأله نللي مرة :

— ولكن في اى شيء مفرح ومسل يجب ان افكر ؟  
فتحير الطيب ، ولم يعرف بم يجيب ، ثم قال :

غير ان هذه الساعات كانت تنقضي بسرعة ، فاذا هي تعود الى كآبتها ، وتعود تنظر اليّ نظرة عداوة وتعود الى نزواتها كما فعلت مع الطيب . حتى لاحظت احيانا ان شيطنة من شيطاناتها الجديدة لا تعجبني اخذت تضحك ثم تضحك ، وكان ذلك ينتهي بلذرف الدموع دائما على وجه التقريب . حتى لقد تشاجرت مرة مع الكسندرا سيمينوفنا ، واعلنت لها انها لا تريدنا ، فلما انتبتها على ذلك امام الكسندرا سيمينوفنا ، غضبت غضبا شديدا ، واجابتنى بخشونة ، كأنها تفيض حقدا . ثم صمت فجأة يومين كاملين تقريبا لم تتوجه اليّ بكلمة واحدة ، ولا رضيت ان تتجرع دواءها ، ولا ان تشرب ولا ان تأكل . ولم يستطع احد غير الطيب العجوز ان يردنا الى مشاعر طيبة .

سبق ان ذكرت ان مودة غريبة قد قامت بينها وبين الطيب منذ ذلك اليوم الذى جرّعها فيه الدواء . فأصبحت نللي تحبه كثيرا ، وتستقبله دائما بابتسامة متألمة ، وبصرف النظر عن مدى الحزن الذى كانت عليه قبل وصوله . وقد اخذ العجوز يجيء البنا كل يوم ، واحيانا حتى مرتين في اليوم عندما اصبحت نللي تمشي وكانت في مرحلة الشفاء فلقد بلغ من الافتتان بها انه اصبح لا يستطيع ان يقضي يوما واحدا من ايامه دون ان يسمع ضحككتها ودون ان يسمع امازيحها التي كثيرا ما كانت مسلية جدا . وقد حمل اليها كتبا من كتب الصور المثقفة ومن بين هذه الكتب كتاب اشتراه لها خصيصا . وحمل اليها بعد ذلك حلوى وعلبا جميلة من علب السكاكر . فكان في الايام التي يحمل فيها الهدايا



— مثلا ، في لعبة بريئة ، تناسب سنك ، او في شيء من هذا القبيل .

— لا اريد ان العب ، لا احب اللعب ، افضل الاثواب الجديدة .

— الاثواب الجديدة ! هم . . هذا ليس من الاشياء الجيدة ، لا . . يجب ان يعرف المرء كيف يكتفي باشياء بسيطة . على كل حال . . يمكن ان يحب الانسان ايضا الاثواب الجديدة .

— هل تنوي ان تشتري لي اثوابا كثيرة حين تتزوجني ؟

— ما هذه الفكرة !

ذلك ما قاله الطيب ، ثم قطب ما بين حاجبيه على غير ارادة منه . وكانت نللي تبسم ابتسامة دلال ، حتى انها نسيت نفسها فنظرت الي مبتسمة . وازداد الطيب يقول :  
— على كل حال سأشتري لك ثوبا اذا استحققت ذلك بسلوكك .

— هل يجب ان استمر على تجرع الدواء كل يوم حين اكون زوجتك ؟

— قد لا يجب ذلك ، قد لا يجب ذلك دائما . قال الطيب هذا ، واخذ يتبسم .

وقطعت نللي الحديث بضحكة صاخبة ، وكان العجوز يضحك ايضا ، وهو ينظر اليها نظرة تفيض بالعاطفة .

قال وهو يلتفت نحوي : — ان لها نفسا مرحة . ولكنها ما زالت تحتفظ بمزاج كثير النزوات والتهاول ، وما زالت تحتفظ بشيء من فرط الاحتياج .

نعم ، ان الطيب على حق . انني اجهل كل الجهل ما الذي انتابها حتى صارت لا تريد ان تكلمني ، كأنني اذنبت في حقها . ولقد آلمني ذلك ، حتى انني تجهمت انا ايضا ، وظللت يوما بكامله لا اتوجه اليها بكلمة واحدة ، ولكنني خجلت من ذلك في الغد . كانت تبكي في كثير من الاحيان ، وكنت لا اعرف كيف اواسيها . على انها قطعت الصمت ذات يوم .

كنت قد عدت الى البيت قبل الغسق ، فلمحتها تخفي كتابا تحت مخدتها بسرعة . كان هذا الكتاب هو روايتي اخذتها من على المنضدة وجعلت تقرأ فيها اثناء غيابي . لماذا تخفي الكتاب كأنها تستحي من قراءته ؟ ذلك هو السؤال الذي طرحته على نفسي عندئذ ، ولكنني تظاهرت بانني لم الاحظ شيئا . وبعد ربع ساعة ذهبت الى المطبخ لامر من الامور ، فاذا هي تففز من سريرها بسرعة ، وترد الكتاب الى مكانه ، فلما عدت رأيت على المنضدة . وما هي الا لحظة حتى نادتنني ، وكان صوتها يدل على انفعال . كان قد انقضى اربعة ايام لم تكلمني خلالها . سألتني بصوت متقطع :

— هل . . تذهب اليوم الى ناتاشا ؟

— نعم يا نللي ، يجب ان أراها اليوم حتما .

صمت لحظة وسألت بصوت ضعيف :

— هل . . تحبها . . كثيرا ؟

— نعم كثيرا يا نللي .

— انا ايضا احبها .



قالت ذلك بصوت منخفض ، ثم خيم الصمت مرة  
اخرى . وقالت بعد قليل وهي تلقي علي نظرة خجلى :  
— اريد ان اذهب اليها وان اعيش معها .

فقلت دهشا :

— هذا مستحيل يا نللي . . أنت متضايقه فى بيتي هنا ؟

قالت وقد اصطبغ وجهها بحمرة شديدة :

— لماذا مستحيل ؟ انت تنصحنى ان اذهب الى

ايها ، ولكنني اوثر ان اذهب اليها . هل عندها خادمة ؟

— نعم .

— اذن دعها تصرف الخادمة ، واتولى انا خدمتها .

سأعمل لها كل شيء ، وسأرفض ان اتقاضى منها اي اجر .

سأحبها ، وسأطبخ لها . قل لها اليوم هذا .

— ولكن لماذا يا نللي ؟ ما هذه الفكرة ؟ اي رأي

قد استقر فى ذهنك عنها ؟ هل تظنين انها تقبل ان تتخذك

طباخة ؟ انها اذا ضمتك اليها ، فانما تضحك قرينة ، اخنا

صغيرة .

— لا ، لا اريد ان تأخذني اليها قرينة ، لا ، لا .

— لماذا ؟

صمتت نللي ، وارتعشت شفتاها . . كأنها تريد ان تبكي .

وقالت اخيرا .

— ولكن الشخص الذى تحبه سيذهب وسيتركها وحيدة .

شدهت حين سمعتها تقول هذا الكلام ، فسألتها :

— كيف عرفت هذا يا نللي ؟

— قلته لى انت ؛ وصباح اول امس ، حين جاء زنج

الكسندرا سيمينوفنا سألته فقص علي كل شيء .

— هل جاء ماسلوبوف الى هنا ذات صباح ؟

قالت وهي تغض طرفها :

— نعم .

— لماذا لم تخبريني بذلك ؟

— هكذا .

وأطرقت أفكر ، لماذا يحوم حولها ماسلوبوف على

هذا النحو الخفي ؟ ماذا يريد ؟ كان يجب ان أراه . وسألت

نللي :

— ولكن ماذا يعينك ان يتركها او ان لا يتركها ؟

فأجابتنى تقول ، دون ان ترفع رأسا :

— انت تحبها كثيرا ، أليس كذلك ؟ واذا كنت

تحبها ، فذلك يعني انك ستزوجها متى تركها الآخر .

— لا يا نللي ، انها لا تحبني كما احبها ، وانا . .

لا ، لن يكون هذا يا نللي .

قالت بما يشبه الهمس ، دون ان تنظر اليّ :

— سأخدمكما معا ، وستكونان سعيدين . وفرحين .

قلت فى نفسي مضطربا اشد الاضطراب : «ماذا

بها ، ماذا دهاها ؟» وصمتت نللي ، فما عادت تقول شيئا .

ولكنها انفجرت باكبة حين خرجت ، وظلت تبكي الليل

كله ، كما اخبرتنى بذلك الكسندرا سيمينوفنا ، ونامت وهي

تبكي ، حتى انها ظلت اثناء الليل ، وهي نائمة ، تبكي

وتتكلم هاذية .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت اشد كآبة وصمتا ، واصبحت



## الفصل الرابع

لم أكن قد خرجت الى الشارع ، ولا كان اتسع وقتي للتفكير فيما سأفعله ، حين رأيت فجأة عربية تقف امام باب العمارة ، فنزل منها الكسندرا سيمينوفنا ممسكة بيد نللي . كانت تقبض على يدها بقوة كأنها تخاف ان تهرب مرة اخرى ، وهرعت اليهما ، وهتفت اقول :  
— ماذا دهالك يا نللي ؟ الى اين ذهبت ؟ لماذا ؟  
فقلت الكسندرا سيمينوفنا :  
— انتظر ، لا تستعجل . لنصعد الى بيتك اولا . ستعرف كل شيء .  
وهمت تقول لي بسرعة اثناء الطريق :  
— ما سأقصه عليك لا يصدق . ستعرف حالا .  
كان واضحا في وجهها انها تحمل انباء خطيرة كل الخطورة . فلما وصلنا الى الغرفة اتجهت بالكلام الى نللي تقول لها :  
— هيا استلقي قليلا يا نللي ، انت تعب . ان السير تلك المسافة كلها ليس بالامر الهين ، وخاصة بعد المرض ، انه مرهق . هيا استلقي يا عزيزتي .  
قالت ذلك لنللي ثم اتجهت اليّ تقول :  
— سنمضي نحن حتى لا نزعجها ، دعها تنام قليلا .  
واشارت الى جهة المطبخ بغمزة .  
ولكن نللي لم تمض الى السرير ، بل جلست على الارصفة ، وضطت وجهها بيديها .  
خرجنا ، وراحت الكسندرا سيمينوفنا تقص عليّ ما

لا تكلمني ابدا . صحيح اني لمحتها تختلس النظر اليّ مرتين او ثلاث مرات ، وصحيح ان نظرتها كانت تفيض عاطفة ، ولكن هذه العاطفة كانت تنقضي في لحظة واحدة ، وكانت نللي تزداد عبوسا من ساعة الى ساعة ، كأنما لتقاوم وثبة العاطفة تلك ، واصبحت تعبس هذا العبوس نفسه حتى للطبيب ، الذي دُهِش من هذا التغير الطارىء . واثناء ذلك كانت قد استردت صحتها تقريبا ، وسمح لها الطبيب اخيرا ان تخرج للتنزه في الهواء الطلق لحظات قصيرة . كان الجو صحوا دافئا . وكنا في الاسبوع المقدس الذي جاء متأخرا في تلك السنة . وخرجت في ذات صباح ، اذ كان لا بد من الذهاب حتما الى ناتاشا ، ولكنني عاهدت نفسي ان اعود الى البيت مبكرا ، وان اصحب نللي في نزهة قصيرة . كنت الى ذلك الحين اتركها وحدها في البيت .

لا استطيع ان اصف الضربة الصاعقة التي كانت تنتظرنني في البيت . كنت اسرع الخطى عائدا . فلما وصلت وجدت المفتاح في ظاهر الباب . ودخلت ، فلم اجد احدا . شعرت بانهايار . ونظرت ، فرأيت على المنضدة ورقة كتب عليها بقلم الرصاص ، بخط ضخم متفاوت ، ما يلي :  
«ذهبت من عندك ، ولن اعود ابدا ، ولكنني احبك كثيرا .»

المخلصة لك

نللي

اطلقت صرخة مذعورة ، وخرجت من البيت .



تعرفه بسرعة ، وقد اطلعت بعد ذلك على تفاصيل اخرى .  
وهذا ما وقع :

بعد ان خرجت نللي من عندي تاركة رسالتها تلك ،  
اى قبل ان اعود الى البيت بنحو ساعتين ، هرعت قبل  
كل شيء الى منزل الطيب العجوز . كانت قد حصلت على  
عنوانه قبل ذلك وقد حدثني الطيب عن مجيئها اليه فقال  
انه كاد يقع مغشيا عليه حين رآها فى بيته ، وانه ظل طوال  
مدة بقائها عنده «لا يصدق عينيه» ، وازداد الى ذلك قوله :  
انتي حتى الآن لا اصدق هذا الامر ، ولن اصدق فى حياتي  
يوما . لقد جاءت اليه نللي مع ذلك . كان جالسا على مقعده  
فى حجرته ، هادئ البال ، مرتديا ثوب المنزل ، يحسب  
قهوته ، حين دخلت راكضة ، وارتمت على عنقه قبل ان  
يفيء الى نفسه . كانت تبكي وتشه الى صدرها بذراعيها ،  
وتقبله ، وتقبل يديه ، وترجوه ملحة ، بكلمات متقطعة ،  
ان يأخذها اليه . قالت له انها اصبحت لا تريد ان تعيش  
عندي ، ولا تطيق ان تعيش عندي ، وانها من اجل هذا  
تركت بيتي وجاءت اليه ، وانها كانت متضايقه فى منزلي ، وانها  
لن تسخر منه بعد اليوم ابدا ، ولن تكلمه عن الاثواب الجديدة ،  
وانها ستحسن سلوكها ، ستدرس وستعلم غسل قمصانه وكبها  
(لا شك انها هيات خطابها هذا كله اثناء الطريق ، وربما  
قبل ذلك) ، وانها ستكون طيبة فتتجرع ما يشاء من دواء ،  
كل يوم اذا اقتضى الامر ، وانها ما تحدثت عن زواجها به  
الا من قبيل المزاح ، وانها لم تفكر فى هذا ابدا ولا خطر  
لها ببال . ولقد بلغ الالماني العجوز من شدة الانشده والانصاع

انه ظل طوال الوقت فاغرا فاه ، رافعا يده وتاركا سبكاره  
فيها ينطقى الهواء ، وقال لها اخيرا حين استطاع ان يحرك  
لسانه على نحو ما من الانحاء :

— يا آنة ، اذا كنت قد فهمتك ، فانت تطلين  
مني ان آخذك اليّ . ولكن هذا مستحيل . انك ترين انني  
أعيش حياة ضيقة ، وان مواردتي ضئيلة . ثم ان قرارك هذا  
بدون تفكير مسبق . . . هذا شيء فظيع ! ثم انك ، كما  
أرى ، قد هربت من منزلك . وهذا أمر تلامين عليه كل  
اللوم ، هذا شيء مستحيل تماما . ثم انني لم أسمح لك  
بالخروج الا لحظة قصيرة للتنزه ، حين يكون الجو صحوا  
جميلا ، وذلك تحت رقابة وليّ نعمتك . . . وها أنت ذى  
تتركين وليّ نعمتك ، وتهرعين اليّ ، بينما يجب عليك ان  
تسهرى على صحتك . . . و . . . ان تتجرعي دواءك . . . انني  
لا افهم شيئا .

لم تترك له نللي ان يتم كلامه ، بل عادت تبكي ،  
وتوسل اليه من جديد . ولكن ذلك كله لم يُجدها شيئا .  
فان العجوز كان يزداد انشدهه ويقل فهمه لحظة بعد لحظة .  
واخيرا تركته نللي هاربة وهى تصرخ : «آه يارب» . قال لى الطيب  
وهو يختم كلامه : «وظللت مريضا طوال ذلك اليوم ، واضطرت  
الى تناول مغليّ بعض الاعشاب حتى أنام .»

بعدئذ اسرعت نللي تسعى الى منزل ماسلوبويوسف .  
وكانت قد حصلت على عنوانه ، فاهتدت الى البيت بعد  
عناء . وكان ماسلوبويوسف فى البيت . فلما رجتهما ان يأخذها  
اليهما رفعت الكستردا سيمينوفنا يديها الى السماء . وسألاها



لماذا خطرت لها هذه الفكرة ، وهل هي غير مرتاحة في بيتي ، فلم تجب بشيء ، بل ارتمت على احد الكراسي تنتحب . قالت لي الكسندرا سيمينوفنا : «كانت تبكي بكاء عنيفا ، حتى خيل اليّ انها ستموت من فرط البكاء» . وتوسلت نللي اليهما ان يأخذاها ولو خادمة او طباحة ، وقالت انها ستمسح الارض وتتعلم ان تغسل الغسيل . (كانت تعتقد على غسل الغسيل هذا آمالا خاصة ، وتعتقد ان ذلك خير وسيلة لاغراء الناس بأخذها) . وقد ارادت الكسندرا سيمينوفنا ان تحتفظ بها مدة من الوقت لتحصل منها على مزيد من الايضاح ، وان تبلغني ذلك ، ولكن فيليب فيليتش عارضها في هذا معارضة قاطعة ، وأمرها ان تعود بالهارية اليّ وقد عانقتها الكسندرا سيمينوفنا اثناء الطريق وقيلتها ، فاشتد بكاء نللي ، فاخذت الكسندرا سيمينوفنا تبكي هي ايضا ، حتى انها ظلتا تبكيان طوال الوقت . قالت لها الكسندرا سيمينوفنا اثناء الطريق ، وهي تبكي :

— ولكن لماذا ، لماذا لا تريدان ان تعيشي عنده ؟ هل بسيء معاملتك ؟

— لا .

— اذن لماذا ؟

— هكذا . لا أريد ان أعيش عنده ، لا أريد ، اني دائما شريرة معه وهو . هو طيب جدا . اما عندكم فلن أكون شريرة ، عندكم ، سأعمل .

قالت ذلك وهي تجهش باكية كأنها في نوبة هسترية . — ولكن لماذا انت شريرة معه يا نللي ؟

— هكذا .

ونخمت الكسندرا سيمينوفنا حديثها لي وهي تجفف دموعها قائلة : «لم استطع ان احصل منها على غير كلمة «هكذا» . ترى لِمَ هي شقية كل هذا الشقاء ؟ هل نظن ان ذلك يرجع الى مرضها ؟ ما رأيك يا ايفان بتروفنش ؟» وعدنا ، كانت نللي مستلقية ، وقد دست وجهها بين المخدات ، وكانت تبكي . فركعت امامها على ركبتي ، وتناولت يديها ، واخذت اقبلهما ، فسحبت يديها ، وازداد نحيبها قوة وعنفا . كنت لا أعرف ماذا اقول . وفي هذه اللحظة دخل العجوز اخمينيف .

— صباح الخير يا ايفان ، جئت اليك لعمل من الاعمال .

قال ذلك وهو ينظر الينا كلينا ويستغرب ان يراني راكعا على ركبتي . لقد كان العجوز مريضا جدا في هذه الايام الاخيرة ، كان شاحبا نحिला ، ولكنه كان يحترق مرضه ، كأنما ليستخف بشخص من الاشخاص ، ويرفض ان يتبع نصائح آنا اندريفنا : كان ينهض من فراشه ، ويستمر على السعي وراء اعماله .

قالت الكسندرا سيمينوفنا وهي تنظر الى العجوز بالحاح :

— الى اللقاء يا ايفان بتروفنش ، الى الغد . لقد اوصاني فيليب فيليتش ان اعود باقصى سرعة ، هناك اعمال يجب ان تقوم بها ، ولكنني سأرجع هذا المساء ، لابقى ساعة او ساعتين .



سألني العجوز بصوت منخفض ، وكان واضحا انه يفكر في شيء آخر :

— من هذه ؟

فشرحت له الامر .

— هم . . . لقد جئت لامر من الامور ، يا ايفان .

كنت اعرف ما هو ذلك الامر ، وكنت انتظر زيارة

العجوز . لقد اتى ليتحدث اليّ والى نللي ، وليطالبني بها .

فقد واقفت آنا اندريفنا اخيرا على اخذ اليتيمة الى بينها .

وكانت هذه الموافقة ثمرة محادثات سرية قامت بيني وبينها ،

فأقنعتها ، وقلت لها ان رؤية هذه اليتيمة التي لعن ابوها

امها هي ايضا يمكن ان ترد قلب العجوز الى عواطف اخرى .

وقد بلغت من الوضوح في عرض خطتي أنها أصبحت هي

التي تحث زوجها الآن على المجيء بالطفلة . وبادر العجوز

الى تنفيذ الامر بسرعة ، وكان يريد قبل كل شيء ان يرضى

زوجته آنا اندريفنا وكان يبئ امرا خاصا به ولكنني ساعود

الى هذا تفصيلا فيما بعد .

سبق ان ذكرت ان نللي شعرت بالكراهة نحو العجوز

منذ زيارته الاولى . وقد لاحظت بعد ذلك نوعا من البغض

والحقد يظهر في وجهها حين يذكر امامها اسم اخمينيف .

ودخل العجوز في الموضوع رأسا بلا تمهيد . فمضى قدما

الى نللي التي كانت لا تزال مستلقية مخبئة وجهها تحت

الوسائد ، فتناول يدها وسألها الا تريد ان تجيء معه الى

بيته ، وان تكون بمثابة ابنته . وختم العجوز كلامه لها بقوله :

— كان لي ابنة ، وكنت احبها اكثر مما احب نفسي .

ولكنها لا تعيش معي الآن ، لقد ماتت ، فهل تريد ان

تحلّي محلها في بيتي و . . . في قلبي ؟

قال ذلك وترقرق الدمع في عينيه اللتين جففتهما والهبتهما

الحصى . فأجابته نللي دون ان ترفع رأسها :

— لا ، لا اريد .

— لماذا يا بنيتي ؟ ليس لك احد . ان ايفان لا

يستطيع ان يحتفظ بك في بيته الى الابد ، وستعيشين عندنا

في جو اسرة .

— لا اريد ، لانك رجل شرير .

قالت ذلك ثم رفعت رأسها وجلست على السرير امام

العجوز ، وازافت تقول :

— نعم ، انت شرير . وانا ايضا شريرة ، شريرة

جدا ، ولكنك انت شرير اكثر مني .

قالت نللي ذلك وامتنع لونها ، واتمعت عيناها ،

واصفرت شفتاها المرتعشان وتصعرتا بتأثير الانفعال العنيف .

وكان العجوز ينظر اليها مرتبكا .

— نعم ، انت شرير اكثر مني ، لانك لا تريد ان

تعفو عن ابنتك . انك تريد ان تنساها نسيانا تاما ، وان

تتخذ لك ابنة اخرى . هل يمكن ان ينسى الانسان طفله ؟

هل يمكن ان تحبني في المستقبل ؟ انك متى نظرت الي ،

مستفكر انني غريبة ، وان لك ابنة اردت ان تنساها لأنك

رجل قاسٍ . انا لا اريد ان اعيش عند اناس قساء ، لا

اريد ، لا اريد .

واصطغ وجه نللي بحمرة شديدة ، والقت علي نظرة



سريعة ، وازافت تقول للعجوز :

— بعد غد عيد الفصح . . . بعد غد سيتعاقب الناس ويتصالحون ويغفر بعضهم لبعض . . اعرف ذلك . . الا انت . .

انت وحدك ! انك رجل قاس ، اذهب عني .

واخذت تذرف دموعا غزيرة لا شك انها هبات هذا الخطاب منذ مدة طويلة ، وحفظته على ظهر القلب ، لتوجهه الى العجوز متى جاء مرة ثانية يدعوها الى الذهاب معه الى بيته . وتأثر اخمينيف تأثرا شديدا ، فامتنع لونه ، وارتسمت على وجهه معاني الالم .

وصرخت نللي فجأة وهي حانقة اشد الحنق :

— ولماذا ، لماذا يهتم بي جميع الناس هذا الاهتمام كله ؟ لا اريد ، لا اريد ، سامضي اطلب الصدقات ! فهتفت على غير ارادة مني اقول :

— نللي ، ماذا دهالك ؟ نللي ، بتي !

ولكن صرختي لم تزد على ان صبت فوق النار زيتا ، اذ صرخت نللي متتجة تقول :

— نعم ، افضل ان امضي في الشوارع اطلب الصدقة . لن ابقى هنا ، لقد كانت امي ايضا تتسول ، وحين ماتت قالت لي : «ظلي فقيرة ، ولأن تتسولي خير من ان . .» ليس عارا ان يتسول الانسان . ان المتسول لا يطلب الصدقة من واحد ، بل من جميع الناس ، وجميع الناس ليسوا واحدا . من العار ان اطلب الصدقة من واحد ، اما من جميع الناس فلا . . هذا ما قالته لي متسولة . انا صغيرة ، وليس لي مخرج آخر . سأطلب الصدقة من جميع الناس .

لا اريد ، لا اريد ان اعيش هنا ، انا شريرة ، شريرة اكثر من اي انسان : انظروا كم انا شريرة .

قالت كلمتها الاخيرة هذه ، وهي تتناول فنجانا كان على المنضدة ، وترميه على الارض . ثم قالت وهي تنظر الي نظرة تحدي ظافر :

— ها قد انكسر .

ثم اضافت :

— ليس عندك الا فنجانان . وسأكسر الفنجان الآخر .

فكيف تشرب الشاي بعد الآن ؟

كانت كمن مته جن ، وكان واضحا أنها تجد في هذه السورة من الغضب لذة عنيفة : كانت تحس بأن ما تفعله شر وعيب ، ولكنها كانت في الوقت نفسه كأنما نحض نفسها على اقتراف شذوذ جديد .

قال العجوز :

— انها مريضة . . او انها . . انا لا افهم هذه الطفلة !

الى اللقاء .

وتناول قبعته ، وصافحني . كان مهتما . لقد جرحته نللي جرحا بالغا . وكنت حانقا اشد الحنق . فصرخت اقول لنللي حين اصبحنا وحدنا :

— كيف لم تشفقي عليه ؟ كيف لم ترحميه ؟ ألا تستحين من ذلك ؟ لا ، لا ، انت لست طيبة ، انت شريرة حقا !

قلت ذلك وهرعت وراء العجوز عاري الرأس ، اريد ان أشيعه الى باب العمارة ، وان أواسيه بوضع كلمات .



وخيل اليّ وانا أهبط السلم بسرعة انني ما زلت ارى وجه نللي متجهما بتأثير ما وجهت اليها من لوم . وما لبثت ان ادركت صديقي العجوز . قال لي وهو يبتسم ابتسامة مرة : — ان الطفلة المسكينة تشعر بأنها مهانة . . ان لها احزانها ، صدقني يا ايفان . وقد اخذت اقص عليها احزاني ، فنكات جرحها . المثل يقول : الخلي لا يسمع الشجي ، واني لاضيف الي ذلك ان الشجي نفسه لا يفهم الشجي دائما . هيا ، الي اللقاء .

اردت ان اكلمه في شيء آخر ، ولكنه اشار بيده اشارة بائسة ، وقال في نوع من الهياج : — لا تحاول ان تواسيني . الافضل ان تسهر على ان لا تهرب من بيتك . لقد قرأت هذه الرغبة في وجهها . قال ذلك ثم ابتعد بخطى سريعة وهو يورجح ذراعه ويضرب الرصيف بعصاه . انه لا يتصور انه بكلامه هذا كان نيا .

ذلك انني حين عدت الي الغرفة وجدتها فارغة مرة اخرى . لا استطع ان اصف ما تملكني عندئذ من رعب ! اسرعت الي المدخل ، وبحثت عن نللي على السلم ، وناديتها ، حتى لقد طرقت ابواب الجيران اسألهم هل رأوها . لم استطع ان اصدق ولا اردت ان اصدق انها هربت ثانية . كيف استطاعت ان تهرب ؟ ليس للعمارة الا باب واحد ، فعليها ان تمر امامنا بينما كنا نتحدث انا والعجوز . ولكنني ما لبثت ان قدّرت ، على اسف وحزن ، انها لا شك قد اختبأت اولا على السلم ، وتربصت هنالك الي ان صعدت ، فهربت .

وبذلك لم استطع ان اراها . قلت في نفسي : انها لم تبعد كثيرا على كل حال . . .  
واسرعت ابحت عنها وقد استبدت بي قلق رهيب . . .  
تاركا باب الشقة مفتوحا .

ذهبت اولا الي بيت ماسلوبوف ، فلم اجده ولا وجدت الكسندرا سيمينوفنا . فتركت لهما بطاقة ابلغهما فيها المصيبة الجديدة ، وارجوها ان يخبراني عن وصول نللي اليهما اذا وصلت ، ثم ذهبت الي منزل الطبيب ، فلم اجده هو ايضا ، وقالت لي خادمته ان نللي لم تزرها غير تلك الزيارة الاولى . ماذا اعمل ؟ ذهبت الي بيت بونوفا فعرفت من امرأة صانع التواييت ان صاحبة العمارة قد اقتيدت الي القسم منذ امس ، بسبب افعالها وان احدا لم ير نللي منذ ذلك اليوم . وهرعت ثانية الي منزل ماسلوبوف وقد هدّني التعب والاعياء ، فكان الجواب هو نفسه : لم يجيء احد ، ولا عادا هما بعد . . . وكانت بطاقتي ما تزال على المنضدة . لم اعرف ماذا اعمل .

واتخذت سبيلي الي البيت ، في ساعة متأخرة من المساء ، وقد استبدت بي قلق خائق قاتل . كان يجب عليّ ان اذهب ايضا الي ناتاشا ، فقد استدعتني اليها منذ الصباح . ولم اكن قد تناولت شيئا من الطعام النهار كله . وكان التفكير في نللي يعذبني اشد العذاب .

تساءلت : ما معنى هذا ؟ أهو نتيجة لمرضها ؟ أم هي مجنونة ، ام بسبب ان تصبح مجنونة ؟ ولكن ابن هي الآن يا رب ، ابن يمكن ان اجدها ؟



فما ان صرخت بهذا الكلام حتى لمحتها فجأة .  
على خطوات مني ، فوق جسر ف . . . كانت واقفة قرب  
فانوس ، ولم تلمحني . فتساءلت دهشا : « ما عساها تفعل  
هنا . وقررت ، وانا واثق من انها لن تغفل مني ، قررت  
ان انتظر وان الاحظها . وانقضى على ذلك عشر دقائق .  
لقد ظلت خلال ذلك واقفة في مكانها تنظر الى المارة .  
واخيرا ظهر رجل عجوز ، حسن الهندام ، فاقتربت نللي منه ،  
فأخرج من جيبه شيئا ، ومدته اليها دون ان يتوقف . فانحنت  
له تشكره . لا استطيع ان اصف ما شعرت به في تلك  
اللحظة . لقد انقبض صدري انقباضا أليما . تراءى لي  
ان شيئا كان عزيزا على نفسي ، شيئا كنت احبه ، وادله ،  
والاطفه ، واداعبه ، يتسخ في هذه اللحظة ، ويتلوث شرفه ،  
ولكن الدموع هطلت من عيني في الوقت نفسه .  
نعم ، بكيت على صغيرتي نللي ، رغم انني شعرت  
في الوقت نفسه باستياء شديد . انها لا تستجدي عن حاجة ،  
انها لم تُقذف الى الشارع ، ولا هُجرت . انها لم تهرب  
من اناس قساة اضطهدوها ، بل من بيت اصدقاء احبوا  
ودللوها . لكأنها كانت تريد بسلوكها ان تدهش وان تخيف .  
كان يبدو انها تريد ان تتحدى احدا . الا ان شيئا خفيا  
عجيبا كان يتخمر في نفسها . صدق العجوز . لقد اهنت ،  
ولم يمكن ان يلتئم جرحها ، فكانت تحاول ان تغطيه بهذه  
التصرفات العجيبة ، بهذا الشك فينا جميعا ، وهذا الحذر  
منا جميعا . كانت تلتذ بهذا الالم ، كانت تلتذ بانانية  
العذاب هذه ، ان صح التعبير . اني افهم هذه الحاجة

الى اذكاء هذا العذاب وهذه اللذة : ان هذا شأن كثير  
من المذنبين المهائنين الذين اضطهدهم القدر ووعوا الظلم  
الذي احاق بهم . ولكن ما هو الظلم الذي اوقعناه نحن في  
نللي ؟ لكأنها تريد ان تدهشنا وان تخيفنا بأعمالها ونزواتها  
وشذوذها الغريب ، زهوا وتباهايا . ولكن لا ، ليس الامر  
كذلك ! انها الآن وحيدة ، وما من احد منا يراها تستجدي .  
يستجبل ان تجد في ذلك لذة ؟ لماذا تطلب الصدقات ؟  
ما حاجتها الى المال ؟  
تركت نللي الجسر ، حين تلقت ذلك الدريهم ، واقتربت  
من نوافذ مخزن من المخازن تضيئه انوار ساطعة . واخذت  
هنالك تعد غنائمها . وقفت على بعد عشر خطوات منها .  
كان في يدها مبلغ . كان واضحا انها ظلت تستجدي طوال  
اليوم . قبضت الدراهم في يدها ثم اجتازت الشارع ، ودخلت  
الى احدى الدكاكين . فأسرعت واقتربت من الباب الذي  
كان مفتوحا على مصراعيه ، واخذت اراقبها لارى ما عساها  
تصنع .  
فرايتها تناول البائع دراهمها ، ورأيت البائع يخرج لها  
فنجانا للشاي ، فنجانا بسيطا كالذي كسرته اليوم لتبرهن  
لنا ، انا واخمينيف ، على انها شريرة جدا . ان ثمن هذا  
الفنجان نحو من خمسة عشرة كوييكا ، او يقل ، لفة البائع  
لها بورقة وحزمه بخيط ، وقدمه اليها ، فأسرعت تخرج من  
الدكان وقد بدا على وجهها كثير من الرضى . فلما وصلت  
الى حيث كنت اقف صرخت بها :  
- نللي !



نظرت نللي اليّ ، وتفجرت من عينها الدموع ، وألقت  
بوجهها على صدري .  
وفي هذه اللحظة دخلت الكسندرا سيمينوفنا كأنها الريح .  
— اه . . . رجعت ؟ مرة اخرى يا نللي ؟ نللي ، نللي ،  
ماذا اصابك ؟ الحمد لله على انها رجعت على كل حال !  
ابن وجدتها يا ايفان بتروفش ؟  
فغمزت الى الكسندرا سيمينوفنا اطلب اليها ان لا تطرح  
عليّ هذه الاسئلة ، ففهمت عني ما اريد . وودعت نللي  
وداعا رقيقا ، وكانت ما تزال تبكي بكاء مرا ، ورجسوت  
الكسندرا سيمينوفنا الطيبة ان تبقى معها الى ان اعود . واسرعت  
اذهب الى ناتاشا . كنت قد تأخرت عنها ، فحشت الخطي .  
كان مصيرنا يقرر في ذلك المساء ، كان هناك اشياء  
كبيرة يجب ان يقولها احدنا للآخر ، انا وناتاشا ، ومع ذلك  
حدثتها عن نللي ، وقصصت عليها كل ما حدث تفصيلا .  
فاهتمت ناتاشا بقصتي كثيرا ، بل تأثرت اشد التأثر .  
وقالت لي بعد ان فكرت لحظة :  
— بخيل الي يا فانيا انها تحبك .  
فاجبتها دهشا :  
— كيف ؟ ماذا ؟  
— نعم ، هذا بداية حب ، حب امرأة .  
— ماذا تقولين يا ناتاشا ؟ أنت تحلمين ؟ انها طفلة !  
— طفلة سيكون عمرها بعد قليل اربعة عشر عاما .  
ان هذا الحق يرجع الي انك لا تفهم حبها ، والى انها  
ربما كانت لا تفهم هي ايضا نفسها . لئن كان هياجها

فأرتعشت ونظرت اليّ وافلت الفنجان من يديها فسقط  
على الارض وانكسر . كانت شاحبة الوجه ، ولكنها حين  
نظرت اليّ وادركت انني رأيت كل شيء وعرفت كل شيء ،  
احمر وجهها فجأة . ان هذا الاحمرار يكشف عن شعور  
بالعار قوي اليم . فأمسكت بيدها ، وقدمتها الى البيت . لم  
تنبس اثناء الطريق بكلمة واحدة . فلما وصلنا ، جلست ،  
وظلت نللي واقفة امامي ، واجمة مضطربة . كان الشحوب  
قد عاد الى وجهها ، وكانت غاضبة طرفها ، لا تقوى على  
النظر اليّ .

— نللي ، كنت تستجدين ؟

— نعم .

همست واطرقت اكثر . — هل اردت ان تجمعي الدراهم  
لشراء الفنجان المكسور ؟

— نعم .

— هل لمتك على كسر الفنجان ؟ هل انبتك ؟ هل  
تدركين ما في عملك هذا من شر ، هل تدركين ما فيه  
من شر متكبر ؟ أحسن ما فعلينه ؟ الا تشعرين بالعار ؟  
الا . . .

فقدمت تقول بصوت لا يكاد يسمع ، ودمعة تجري

على خدها :

— اشعر بالعار !

— تشعرين بالعار يا نللي ؟ نللي ، بنيتي الغالية ، اذا  
كنت قد اسأت اليك ، اذا كنت قد اذبت في حقك ،  
فاغفري لي ، ولتصالح !



امرني فيليب فيليبيش بذلك . وهو ينتظرنى .  
فشكرت لها صنعها وجلست اسهر على نللي . لقد  
حز في نفسي انني تركتها فى لحظة كهذه . وبقيت قربها  
الى ساعة متأخرة من الليل ، غارقا فى افكارى . . يا لذلك  
العهد ما كان أشقاه !  
ولكن يجب ان اقص ما قد جرى خلال هذه الايام  
الخمس عشرة .

### الفصل الخامس

بعد تلك السهرة الخالدة التى قضيتها مع الامير فى  
المطعم ، ظلت عدة ايام خائفا على ناتاشا . «بم يهددها  
هذا الامير النذل ، وكيف سينتقم منها ؟» هذا هو السؤال  
الذى كنت اطرحه على نفسي كل لحظة ، وامضي احدى  
وأظن وأحمن . . . ثم انتهيت اخيرا الى الاعتقاد بأن هذه  
التهديدات ليست مزاحا ولا فيشا ، وأن الأمير يمكن ان  
يسب لناتاشا كثيرا من المتاعب طالما ظلت تعيش مع ألبوشا .  
انه رجل حقير ، منتقم ، خبيث ، جيسوب . ويُستغرب  
من مثله ان ينسى اهانة ، وان لا ينتهز فرصة من الفرص  
ليستقم .

على كل حال ، هناك نقطة من هذه النقطة كلها حدثني  
فيها صراحة ، وهى انه يصر اصرارا حاسما على التقطيع بين  
ألبوشا وناتاشا ، وينتظر مني ان أهيبُ ناتاشا لانفصال قريب ،  
فما يكون ثمة «مشاهد رائعة ولا درامات شيللرية» . طبعي

طفوليا من كثير من النواحي ، فانه مع ذلك هياج جاد قاس .  
انها تغار مني ، خاصة . انك من شدة حبك لي لا تكاد  
تحدثها الا عني ، دون ان تلتفت اليها ، . وقد لاحظت  
هى ذلك ، فأذاها . لعلها تريد ان تكلمك ، لعلها تشعر  
بالحاجة الى ان تفتح لك قلبها ، ولكنها لا تعرف ، ولكنها  
تخجل ، وهى لا تفهم نفسها ، وهى تنتظر فرصة من الفرص ،  
وانت ، بدلا من ان تعجل هذه الفرصة ، تبتعد ، وتهرب  
منها وتسرع اليّ . حتى فى ايام مرضها كنت تتركها وحيدة  
اياما بومتها . انها لهذا تبكي : انها فى حاجة اليك ، وانت  
لا تلاحظ ذلك ، وهذا ما يحز فى نفسها أكثر من اى شيء  
آخر . أنظر : لقد تركتها وحدها حتى فى هذه اللحظة ،  
من اجلي أنا ، ستكون غدا مريضة بسبب ذلك . كيف  
امكنت ان تتركها وحدها ؟ ارجع اليها حالا . .

— ما كنت لأتركها لولا . . .  
— نعم انا استدعيتك ، والآن فاذهب .  
— سأذهب ، ولكنني لا اعتقد ، طبعاً ، بشيء  
مما قلته .  
— لأنها لا تشبه غيرها ؟ تذكر ماضيها ، فكر فى كل  
ذلك ، فنتعقد بكل ما قلته لك . لم تكن طفولتها كما  
كانت طفولتنا نحن . . .  
مع ذلك عدت فى ساعة متأخرة . فروت لي الكسندرا  
سيمينوفنا ان نللي قد بكت كثيرا ، وانها نامت وهى تبكي ،  
كما حدث فى المساء السابق .  
— والآن يجب ان اذهب يا ايفان بتروفنش . لقد



ان همه الأول هو ان يظل ألبوشا راضيا عنه ، وان يظل  
بعده ابا رموفا : انه في حاجة الى هذا ، حتى يستطيع  
الاستيلاء بعد ذلك على ثروة كاتيا بأيسر شكل . كان عليّ  
اذن ان اعدّ ناناशा لقطيعة قريبة . وكنت قد لاحظت فيها  
تغيرا كبيرا . لم يبق في سلوكها معي شيء من ذلك الاخلاص ،  
حتى لقد اصبح يبدو عليها أنها ترتاب فيّ وتحذر منسي .  
اصبح يزعجها ما اقله لها من كلام على سبيل المواساة ،  
واصبحت تضيق ذراعا بما أطرح عليها من اسئلة ، بل لقد  
اصبحت اسئلتني تغضبها وتثير حقها . كنت أظل جالسا  
انظر اليها وهي تدرع الغرفة جيئة وذهابا ، وقد شبكت ذراعها ،  
واطرقت برأسها ، وامتعق لونها ، وبدت كأنها غائبة ، كأنها  
نسيت انني معها الى جانبها ، فاذا وقع نظرها عليّ (وكانت  
تتحاشي نظراتي) ظهر في وجهها شيء من الهياج ونفاد الصبر ،  
وتحولت عني بسرعة . قدرت انها تفكر في خطة لنفسها  
من اجل القطيعة الوشبكة ، وهل يمكن ان تفكر في هذا  
دون ألم ودون مرارة ؟ كنت مقتنعا بأنها قررت القطيعة .  
ولكن هذا اليأس المظلم كان يعذبني ويخيفني . حتى لقد  
كنت في بعض الاحيان لا اجرؤ ان اوجه اليها كلمة واحدة  
على سبيل المواساة ، وكنت انتظر الخاتمة مذعورا .  
وقد أقلقني موقف التعالي والفتور ، الذي وقفته مني ،  
ولكنني كنت واثقا من قلب صديقتي ناناशा . كنت ارى انها  
تتألم كثيرا ، وانها عزلاء تماما . وكان كل تدخل من قبل  
شخص آخر لا يثير فيها الا الحقد والعداوة . والحق ان الانسان  
يزعجه في مثل هذه الاحوال تدخل احد من اصدقائه الخالص

الواقفين على اسراره . ولكنني كنت اعلم حق العلم ان ناناशा  
ستعود اليّ في الدقيقة الأخيرة تبحث في قلبي عما تشده  
من عزاء وسوى .  
كمت عنها حديثي مع الامير طبعاً : ولو قصصته  
عليها لما زادها الا اضطرابا وانهبارا . ولكنني ذكرت لها  
انني ذهبت مع الامير الى الكوتيسة وانني ايقنت ان هذا  
الامير حقير حقارة رهيبة . فلم تسألني عن شيء بصدده ،  
وسرني منها ذلك . غير انها اصغت بشراهة الى كل ما رويته  
لها عن لقائي بكاتيا . فلما انتهيت من حديثي . لم تضيف  
شيئا ، ولكن اصطبغ وجهها الشاحب بحمرة شديدة ، ثم  
ظلت مضطربة طوال اليوم كله تقريبا . لم اخف عنها شيئا  
ما رأيته في كاتيا ، حتى لقد اعترفت لها صراحة بأن الفتاة  
قد خلفت في نفسي انا ايضا اروع صورة . وفيم الاخفاء ؟  
لو قد اخفيت للاحظت ناناशा انني اخفي عنها شيئا ، ولزعلت  
مني . لذلك تعمدت ان اقص عليها كل شيء تفصيلا ،  
وحرصت على التنبؤ بجميع اسئلتها التي يسوءها ان تطرحها  
وهي في حالتها تلك . هل من السهل على فتاة ان تستخبر  
عن فضائل غريمها هادئة البال ؟  
وكنت اظن انها ما تزال تجهل ان ألبوشا سيصبح  
الكوتيسة وكاتيا الى الريف ، صدوعا بأمر ابيه ، وكنت اتساءل  
قلقا كيف ابلغها النبأ على نحو يلفظ لها الضربة اذا امكن  
التلطيف . ولكن ما كان اشد دهشتي حين استوقفنتني بعد  
بضع كلمات ، وقالت انه لا داعي الى مواساتها ، فهي  
تعرف الامر منذ خمسة ايام فهتفت اسألها :



— من الذى انباك بذلك ؟

— أليوشا !

— أليوشا ؟ قال لك ذلك ؟

— نعم . وانا مستعدة لكل شيء يا فانيا .

قالت ذلك ، وقد بدا على وجهها نقاد الصبر وظهر  
انها تؤثر ان يقف الحديث هنا .

كان أليوشا يأتي الى ناتاشا احيانا كثيرة ، ولكنه لا  
يمكث عندها الا لحظة قصيرة . وفي مرة واحدة فقط بقي  
معهما بضع ساعات ، وكان ذلك في غيابي . كان يدخل  
اليها حزين الوجه ، وينظر اليها نظرة خجل رقيقة . ولكن  
ناتاشا كانت تظهر له من العاطفة ما ينسيه كل شيء فورا ،  
فاذا هو يمرح ويضحك . وكان يأتي اليّ في كثير من الاحيان  
ايضا ، كل يوم تقريبا . كان يتألم الما صادقا ، وكان لا  
يستطيع ان يخلو الى حزنه دقيقة واحدة ، فكان يأتي اليّ  
نشدانا للسوى .

ماذا كنت استطيع ان اقول له ؟ كان يلومني على فتوري  
نحوه ، وحتى على اللامبالاة وعلى انني اضمر له العداوة .  
فكان يتفجع ويبيكي ، ثم يذهب الى كاتيا فيجد في قريبا  
عزاء .

ويوم ذكرت لي ناتاشا انها واقفة على امر سفره (كان  
ذلك بعد حديثي مع الامير بأسبوع) ، هرع اليّ باثسا ،  
فعانقني ، ولقى براسه على صدري ، وأخذ يبكي متحبا  
كأنه طفل . فسكت انتظر ما سيقوله . وبدأ يقول :  
— اننى رجل سيئ فاسد يا فانيا ؛ انقذني من نفسي .

لست ابكي لأنني فاسد وسيئ ، بل لان ناتاشا مستشقى  
بسي . انني اتركها لشقائقها . . . قل لي يا فانيا ، يا صاحبي ،  
قل لي : من منهما أحب أكثر من الاخرى : كاتيا او ناتاشا ؟  
— لا استطيع ان اقطع . برأي في هذا الموضوع يا

أليوشا ، انت ادري مني . . .  
— لا يا فانيا ، ليس الامر كذلك . لست من الغباوة  
بحيث اطرح مثل هذا السؤال . ولكن الواقع انني لا اعرف . . .  
انني اسأل نفسي ، فما اجد جوابا . وانت ترى الامر من  
بعد ، فقد تكون ادري مني . . . وهبك لا تعرف . . . قل  
لي : ما الذى يترأى لك ؟

— اظن انك تحب كاتيا أكثر من ناتاشا .  
— تظن ذلك ! لا ، لا ، هذا خطأ ، خطأ تماما .  
انني احب ناتاشا حبا لا حد له . ولن استطيع ان اتركها  
يوما . لقد قلت ذلك لكاتيا ، وهي توافقتني على رأسي .  
لماذا لا تقول شيئا ؟ لماذا تبتم ؟ آه منك يا فانيا ، انك  
ما واسيتنى يوما حين كان يستبد بي الحزن كما يستبد بي  
في هذه اللحظة .  
وخرج مسرعا ، وكانت نللي تسمع حديثنا صامتة ،  
فدهشت اشد الدهشة من هذا الرجل العجيب . . . كانت  
لا تزال يومئذ مريضة ، لم تبرح سريرها ، وكانت تتناول  
أدويتها . وكان أليوشا اذا جاء لا يخاطبها بكلمة ، ولا يكاد  
يتبها اليها .  
وعاد بعد ساعتين ، فدهشت مما يشيع في وجهه من  
فرح . وارتمى مرة اخرى على عنقي يقبلني .



— انتهينا . انحلت مشكلاتنا كلها . لقد ذهبت الى  
ناتاشا رأسا حين خرجت من هنا . كنت محظما ، لا استطيع  
ان استغني عن لقاءها . فلما دخلت عليها ، ركعت امامها  
على ركبتي ، وقبلت قدميها : كنت في حاجة الى تفصيل  
قدميها ، كنت اشتهي ان اقبل قدميها : ولو لم اقبل قدميها  
لمت حزنا . فقبلتني ناتاشا دون ان تقول شيئا ، واخذت  
تبكي . عندئذ صارحتها بلا لف ولا دوران بأنني احب كاتيا  
اكثر منها .

— وماذا قالت ؟

— لم تجب بشيء ، بل اخذت تلاطفي وتواسيني .  
انا الذي قلت لها ذلك الكلام . . انها تعرف كيف تواسي  
يا ايفان بتروفتش . آه ، يا فانيا ، شكوت لها كل ما اعاني  
من شقاء ، بسطت لها كل شيء . . قلت لها صراحة اني  
احب كاتيا كثيرا ، ولكنني مهما يكن حبي لكاتيا ، وای  
شخص كان احبه ، لا استطيع ان اعيش بدونها هي ،  
وانني اوثر ان اموت على ان اتركها . لذلك اتفقنا على ان  
نتزوج بلا ابطاء . ولما كان يستحيل علينا ان نتزوج قبل سفري ،  
لاننا في فترة الصوم الكبير ، والزواج حرام في هذه الفترة ،  
فقد ارجأنا ذلك الى حين اعود في اول حزيران (يونيو) .  
ولا شك ان ابي سيوافق على زواجنا . اما كاتيا ، ماذا  
هناك ؟ انني لا استطيع ان اعيش بدون ناتاشا ! بعد ان  
يتم زواجنا نمضي الى حيث تعيش كاتيا . .

مسكينة ناتاشا ! لا بد انها قاست كثيرا من الالم  
لتواسي هذا الصبي ولتعني به ولتصغي الى اعترافه ، ولتتخيل

خرافة الزواج تلك حرصا على طمأنينة ذلك الاناني الغر .  
وهذا أليوشا حقا خلال بضعة ايام . كان لا يُسرع الى ناتاشا  
الا لأن قلبه الضعيف لا يقوى على احتمال الحزن وحيدا .  
ولكن ما ان اقتربت لحظة الفراق حتى عاد الى القلق والدموع ،  
وحتى استأنف مجيئه اليّ نادبا حظه متوجعا من شقائه .  
لقد بلغ في الايام الاخيرة من شدة التعلق بناتاشا انه كان  
يقول انه لا يستطيع ان يتركها يوما واحدا فضلا عن ستة  
اسابيع . وظل من جهة اخرى مقتنعا الى آخر لحظة بأنه  
لن يفارقها الا لسته اسابيع ، وان الزواج سيتم عند عودته .  
اما ناتاشا فقد ادركت كل الادراك ان مصيرها سيتغير ، وان  
أليوشا لن يعود اليها ابدا في هذه المرة ، وان الامر يجب  
ان يكون كذلك .

وجاء يوم الفراق . كانت ناتاشا مريضة . كانت ،  
وقد شحب لونها ، وانتهبت نظرتها ، وجفت شفاتها ، تتحدث  
الى نفسها تارة ، وتلقي عليّ نظرة حادة نافذة تارة اخرى .  
كانت لا تبكي ، ولا تجيب على اسئلتني . فلما دوى صوت  
أليوشا اخذت ترتعش ارتعاش ورقة في مهب الريح . واحمر  
وجهها حتى صار بلون الارجوان ، ووثبت اليه ، فاخذت  
تعانقه عنقا قويا ، وتقبله وتضحك . . كان ينعم النظر فيها  
ويسألها من حين الى حين عن صحتها ويواسيها بقوله ان غيابه  
لن يطول وان الزواج سيتم عند عودته . وكانت ناتاشا تبذل  
جهودا واضحة من اجل ان تملك نفسها وتحبس دموعها .  
فلم نيك امامه .

وقال لها في لحظة من اللحظات انه سيرك لها مالا



يكفيها طوال مدة غيابه ، فما يجب ان تقلق لهذا الأمر ، لان اياه قد وعده بمبلغ ضخم للرحلة . فقطبت ناناشا ما بين حاجيها .

وكنت قد قلت لها حين كنا وحدنا ان هناك مئة وخمسين روبلا وضعت معي تحت تصرفها للطوارئ . فلم تسألني عن مصدر هذا المال . كان ذلك قبل سفر أليوشا بيومين ، وقبل اللقاء الاول والاخير الذي تم بين ناناشا وكاتيا ، يوم واحد . كانت كاتيا قد حملت أليوشا رسالة الى ناناشا ترجوها فيها ان تسمح لها بزيارتها غدا ، كما كتبت اليّ رسالة اخرى ترجوني فيها ان اشهد هذا اللقاء .

فقررت ان اذهب الى ناناشا حتما عند الظهر (وهي الساعة التي حددتها كاتيا) رغم جميع العوائق ، وكانت هذه العوائق كثيرة : فهناك نللي وهناك العجوزان اخمينيف اللذان بسببان لي كثيرا من الهموم منذ بعض الوقت .

كانت قد بدأت هذه الهموم قبل اسبوع . استدعني آنا آندريفنا ذات صباح ، راجية ان ادع كل شيء وان اوافيها حالا ، لامر خطير لا يحتمل اى ابطاء . فذهبت اليها ، فوجدتها وحدها تدرع الغرفة جيئة وذهابا في حمى من الاضطراب والقلق والخوف منتظرة عودة نيقولاى سرجييتش . وكالعادة لبثت مدة طويلة لا استطيع ان افهم منها الموضوع ، ولا ان اعرف ما تخشاه كل هذه الخشية ، رغم ان كل دقيقة كانت ثمينة . واخيرا ، بعد عتب عنيف ولوم شديد ، كقولها : «لماذا لا آتي اليها ، لماذا اهجرهما يتيمين وحيدين مع الشقاء ، مع ان هناك اشياء كثيرة تحدث في غيابي »

لا يعلم بها الا الله ؟ » قالت لي ان نيقولاى سرجييتش كان منذ ثلاثة ايام في «حالة من الاضطراب لا يمكن وصفها» ، واستطردت تقول :

— انك اذا رأيته انكرته ولم تعرفه ، انه ينهض من فراشه في الليل ، وهو في غمرة الحمى ، فيركع امام صورة العذراء ، ويأخذ بصليّ . وهو يهذي اثناء النوم ، ويكاد يكون في البقظة كالمجنون : امس تعشينا حساء ، فكان لا يهتدي الى ملعقته . تسأله عن شيء ، فيجيبك عن شيء آخر . وهو يخرج من البيت في كل لحظة ، مدعيا انه يخرج لبعض الاعمال ، وانه في حاجة الى مقابلة محاميه . واخيرا ، في هذا الصباح ، حبس نفسه في غرفته قائلا ان عليه ان يحرر ورقة ضرورية للدعوى . «اية ورقة تستطيع ان تحرر وانت لا تهتدي الى ملعقتك قرب صحنك» ذلك ما قلته بيني وبين نفسي . وراقبته من ثقب الباب : كان جالسا يكتب والدموع تندفق من عينيه تندفق الماء من البنبوع . تساءلت : ما عسى ان تكون هذه الورقة ؟ اهو يتحسر على ضياع ارضه اخمينيفكا ؟ ذلك ان ارضنا قد ضاعت يا عزيزي . واني لأفكر في هذا ، اذا هو ينهض فجأة ، ويرمي القلم . كان وجهه احمر ، وكان في عينيه شرر . وتناول قبعته ، وخرج من مكتبه اليّ يقول : «سأعود بعد قليل يا آنا آندريفنا .» وذهب . فمضيت رأسا الى مكتبه . كان هناك اكداس من الاوراق تتصل بالدعوى ، ولا يسمح لي بلمسها . ما اكثر ما سبق ان قلت له «دعني ارتب لك هذه الاوراق مرة واحدة على الاقل حتى استطيع نفص الغبار» ، فكان يصرخ ويهز



يديه . لقد اصبح في بطرسبرج نافذ الصبر كثير الصراخ .  
اقتربت من المكتب ، وبحثت عن الورقة التي كان يكتبها .  
كنت اعرف انه لم يأخذها معه ، فلقد دسها بين اوراق  
اخرى حين نهض . واليك ما وجدته ، يا صديقي ، انظر  
قليلا .

قالت ذلك ومدت اليّ ورقة من الاوراق التي تكتب  
عليها الرسائل ، كانت الكتابة تملأ نصف الصفحة تقريبا ،  
ولكنها كانت من الامتلاء بالشطب بحيث ان بعض الفقرات  
لا تمكن قراءتها .

مسكين هذا العجوز ! ان المرء يعرف منذ قراءة الاسطر  
الاولى الموضوع الذي تدور عليه الكتابة ، والشخص الذي  
توجه اليه هذه الرسالة : انها رسالة الى ناتاشا ، الى حبيبته  
ناتاشا . انه يبدأ خطابه الى ابنته بلهجة حارة رقيقة ، يغفر  
لها ويعفو عنها ، ويدعوها ان تعود اليه . كان من الصعب  
ان تقرأ الرسالة كلها ، فقد كتبت بخط مضطرب مشوش  
متنافر وشطب كثير من كلماتها . ولكن القارئ يلاحظ ان  
العاطفة الدافقة التي املت عليه ان يمسك القلم وان يكتب  
الاسطر الاولى التي تفيض بالمحبة تتبدل فجأة . فاذا العجوز  
يمضي بقرع ابنته ويصف لها فداحة جريمتها ، ويذكرها  
بعنادها مستاء مستكرا ، وبتهمها بأنها ليس لها قلب ،  
وبأنها لعلها لم تفكر مرة واحدة فيما صنعته بأبويها ، ويهددها  
بالعقاب واللعن الى الابد جزاء كبريائها وصلفها . ويختم  
رسالته بقوله ان عليها ان تعود الى البيت خاضعة طائعة ،  
حتى اذا رجعت الى اسرتها فعاشت بين احضانها حياة

جديدة مستسلمة كان يمكن ان يفكرا عندئذ في العفو عنها .  
كان واضحا انه بعد ان كتب بضعة اسطر عذ عاطفته السمحة  
الكريمة الاولى ضعفا ، فحجل من هذا الضعف وشعر بما  
يشعر به المهان من غضب الكبرياء ، ثم انتهى الى الحنق  
والسخط والتهديد . كانت العجوز واقفة امامي وقد كتفت  
ذراعيها تنتظر على قلق ما سأقوله بعد قراءة الرسالة .

فقلت لها ما أراه صراحة ، وهو ان العجوز اصبح لا  
يقوى على ان يعيش بدون ناتاشا واننا نستطيع ان نعتقد جازمين  
بان الصلح القريب اصبح امرا لا بد منه . ولكن كل شيء  
رهن بالظروف . وفسرت رأسي لها ان خسران القضية اولا  
قد هز العجوز وصعقه ، عدا ما لحقه من اذى في كرامته  
من انتصار الامير عليه ، وعدا ما اثاره فيه مثل ذلك الحل  
من استياء واستنكار . والنفس في مثل هذه اللحظات تبحث  
عن مظاهر العطف بحثا لا سبيل الى قهره . فعندئذ تذكر  
العجوز أكثر من اى وقت مضى تلك التي يحبها حبا فوق  
كل حب . ومن الممكن ايضا (مادام واقفا على ما يحدث  
هنالك عند ناتاشا) ان يكون قد سمع ان ألبوشا سيهجر ابنته  
قريبا فقدر ما تقاسيه من آلام في هذه اللحظة وعسرف  
مدى حاجتها الى المواساة . ولكنه لم يستطع ان يسيطر  
على نفسه . لانه يرى ان ابنته قد اهانت واذلته . ولعله قدر  
انها لن تكون البائدة بالمجيء اليه ، وانها ربما كانت لا  
تفكر فيه اصلا ، ولا تشعر بالحاجة الى الصلح ، هكذا  
كان يفكر في الموضوع حسب رأسي ولذلك كله لم يتم  
رسالته . ومن يدري ؟ فلقد تخرج من هذا كله اهانات جديدة



يحسها العجوز أقوى من احساسه بالاهانات الاولى . فاذا  
الصلح يربحاً مدة طويلة ايضا .  
كانت العجوز تصغي اليّ باكية . فلما قلت لها ان  
عليّ ان اذهب حقا الى ناتاشا وانني تأخرت عنها هزت رأسها  
وقالت : انها نسيت الشيء الاساسي . . . فانها حين اخرجت  
الرسالة من بين اكداس الاوراق ، قلبت دواة الحبر من قلة  
الاحتياط والحذر . وقد لاحظتُ فعلا ان ركننا بكامله من  
ورقة الرسالة كان اسود من اندلاق الحبر عليه . كانت آنا  
آندريفنا نخشى خشية رهيبة ان يغطن العجوز الى ان اوراقه  
قد نُبشت اثناء غيابه ، والى ان امرأته قد قرأت رسالته الى  
ناتاشا . ولقد كان خوفها في محله ، اذ يكفي ان يعرف  
العجوز اننا وقفنا على سره حتى يضاعف حفيظته على ناتاشا  
خجلا وحنقا ، وحتى يصر على ان لا يعفو عنها كبرياء وصلاحا .  
ولكنني بعد ان فكرت في الامر اقنعت المرأة العجوز  
بان لا تقلق ، فان زوجها حين كتب رسالته كان في حالة  
من الاضطراب لا يستطيع معها ان يتذكر جميع التفاصيل .  
فقد يظن انه هو الذي لطّخ الورقة ونسي ذلك الآن فلما  
طمأنتها بهذه الطريقة قمنا كلانا فأعدنا الرسالة الى مكانها  
في كثير من الاحتياط والحذر . وحين هممت ان اذهب  
بدا لي ان احدثها في امر نللي . كان يتراعى لي ان البشيمة  
المسكينة المهجورة التي كان جدها قد لعن امها هي الاخرى  
يمكن ان تؤثر في قلب العجوز بقصة حياتها الحزينة الاليمة ،  
وان تحرك فيه عاطفة الكرم والسماحة . لقد كان قلبه مهيبا  
لهذا ، فان الحزن الذي يسببه له غياب ابنته قد اخذ يتغلب

على صلفه ، واخذ يتصر على كبريائه الجريحة . وليس  
يعوزه الآن الا اندفاعه واحدة— الا فرصة موآنية— وهذه هي  
الفرصة المواتية يمكن ان تأتي بها نللي . قلت ذلك للعجوز  
فكانت تصغي اليّ كلامي باهتمام كبير ، وانتعش وجهها  
بالامل والحماسة . ثم راحت تلومني على اني لم اذكر لها  
ذلك منذ مدة طويلة . واخذت تسألني عن نللي السؤال تلو  
السؤال . وختمت كلامها بان قطعت على نفسها عهدا ان  
تتولى هي نفسها مطالبة زوجها بضمّ الطفلة اليهما . لقد  
بدأت تحب نللي حبا صادقا ، وكان يحزنها ان نللي مريضة  
وكانت تسألني عنها . حتى انها خلال هذا الحديث حملتني  
اليها آنية مملوءة بمربى الفاكهة اسرعت تأتي بها من دولاب  
الطعام . . . كما جاءتني بخمسة روبلات فضية لانها قدرت  
انني قد لا املك ما ادفعه اجرا للطبيب ، فلما رفضتُ  
ذلك غضبت غضبا شديدا ، ولم تهدأ بعض الهدوء الا  
حين علمت ان نللي في حاجة الى ملابس داخلية وانها  
تستطيع اذن ان تخدمها بطريقة اخرى ، فأسرعت الى صندوقها  
نفض اثوابها واحدا واحدا لتنتقي منها ما يمكن ان تقدمه  
للبيمة .

ذهبتُ الى ناتاشا . فلما كنت اصعد سلم الدور الاخير  
الذي كان سلما حلزونيا كما ذكرت ذلك من قبل ، لمحت  
امام الباب رجلا كان يهمّ ان يطرقه ولكنه احجم حين سمع  
وقع خطواتي . واخيرا ، ربما بعد لحظة من تردد ، عدل  
عن طرق الباب وقفل راجعا . التقيت به عند الدرجة الاخيرة ،  
فما كان اشد دهشتي حين نظرت اليه فاذا هو اخمينيف .



ان السلم مظلم حتى عند الظهيرة . لطا الرجل بالحائط كمي  
يتيح لي ان امر . ما ازال اذكر البريق الغريب الذي كان  
في عينيه وهو يحدق فيّ بالحاح ! ونحبل اليّ ان وجهه اصطبغ  
بالحمرة ، وقد بدا عليه كثير من الاضطراب والحيرة على  
كل حال . قال بصوت متعثر :

— ها . . . هذا انت يا فانيا ؟ لقد جئت الى هنا  
لمقابلة كاتب من كتاب العرائض من اجل القضية نفسها .  
لقد انتقل الى هنا منذ مدة قريبة ، ولكن اظن في غير  
هذه العمارة . لقد اخطأت . الى اللقاء . . .  
وهبط السلم بسرعة .

قررت ان لا اذكر شيئا لناناشا عن هذا اللقاء الآن ،  
على ان اتحدث اليها عنه متى سافر ألبوشا وبقيت وحدها .  
انها الآن مهتمة فاذا فهمت كل ما يشتمل عليه هذا الحادث  
من معنى فانها لن تستطيع ان تستقبله وان تحته كما يمكن  
ان تستقبله وان تحته متى تغلبت على حزنها وبأسها . ليس  
هذا الحين حين التحدث في ذلك .

كان يمكنني ان اعود الى اخمينيف بعد خروجي من  
عند ناناشا . وكنت ارغب في ذلك رغبة شديدة . ولكن  
بدا لي ان العجز قد يسوءه ان يراني ، حتى لقد يظن اني  
اسرعت اليه عامدا على اثر لقائنا اليوم . لذلك لم اذهب  
اليهما الا بعد غد . فرأيت العجز حزينا ، ولكنه استقبلني  
استقبالا سهلا ، ولم يتحدث اليّ الا في شئون اعماله .  
سألني فجأة :

— قل لي اين كنت ذاهبا ذلك اليوم ؟ يوم التقينا ،

الا تتذكر ؟ متى كان ذلك يا ترى ؟ كان ذلك اول امس  
فيما اعتقد ، أليس كذلك ؟  
قال هذا بلهجة من يصطنع عدم المبالاة ،  
ولكنه حوّل نظره عني ، فأجبت وانا احوّل نظري عنه  
ايضا :

— كنت ذاهبا الى صديق يقطن في ذلك البيت .  
— ها . . . وانا كنت ذاهبا الى واحد من كتاب العرائض  
يدعى آستافيف . ذكروا لي انه يسكن ذلك البيت ، ولكنني  
اخطأت . كنت أحدثك عن الدعوى : نعم . . . لقد قرروا  
في مجلس الشيوخ . . . الخ الخ . . .

واحمر وجهه حين استأنف الكلام على قضيته .  
فصصت في ذلك اليوم كل شيء على آنا آندريفنا  
لادخل السرور الى قلبها . ولكنني توسلت اليها ان لا تنظر  
اليه نظرة خاصة وان لا تشير اية اشارة من شأنها ان تشعره  
بانها واقفة على محاولته الاخيرة مهما يكن الامر . وقد بلغت  
من الدهشة والفرح انها لم تصدقني في اول الامر . وذكرت  
لي من جهتها انها اشارت الى موضوع نللي . ولكنه ظل  
صامتا لا يجيب بشيء ، مع انه هو الذي كان يصرّ في  
الماضي على ضمّ الطفلة الى البيت . وقررنا ان نطرح عليه  
الطلب في غد واضحا بلا مقدمات ولا مداورات . ولكننا  
اصبحنا في الغد على حالة رهيبة من القلق .

ذلك ان اخمينيف التقى في الصباح بموظف كان يعني  
بقضيته ، فأخبره هذا الموظف بأنه التقى بالامير واعلمه الامير  
انه على احتفاظه باخمينيفكا قد قرر بسبب بعض الظروف



العائلة ان يعرض العجوز برد العشرة آلاف روبل اليه . فلما  
سمع العجوز هذا الكلام جن جنونه اضطرابا وجاء الي فوراً :  
كانت عيناه تلمعان بشر من الحنق . قাদني الى السلم ،  
لا يعلم الا الله لماذا ، وامرني ان اذهب حالا الى الامير  
وان ادعوه الى مبارزته . فبلغت من الانشاده انني لم استطع  
ان اجمع شتات افكاري . وحاولت ان اردة الى صوابه ،  
ولكنه اصبح في طور من الهياج لا يجدي فيه كلام ، حتى  
شعر انه اغشى عليه ، فاسرعت احيته بكأس من الماء ،  
فلما عدت لم اجده .  
وذهبت اليه في الغد ، ولكنه كان قد خرج ، واخفى  
مدة ثلاثة ايام .

ولم نعرف الامر كله الا بعد غد . لقد هرع العجوز من عندي  
الى بيت الامير ، فلم يجده ، فترك له بطاقة يذكر فيها  
ان الموظف قد نقل اليه كلامه ، وانه يعد هذا الكلام اهانة  
قائلة ، وانه يعد الامير رجلاً جباناً ، وانه لهذا كله يدعوه  
الى منازلته ، وانه ينصح به بأن لا يرفض هذه الدعوة ، اذا  
كان لا يريد ان يتلطح شرفه امام الناس .

وذكرت لي آنا آندريفنا انه حين عاد كان في حالة  
شديدة من الاضطراب والاختلاط والتشوش حتى اضطر الى  
ان يرقد في سريره . قالت العجوز : وقد اظهر لي كثيراً من  
العطف ، ولكنه لم يكن يجيب على اسئلتني . كان واضحاً  
انه ينتظر شيئاً من الاشياء بصبر نافذ محموم . وفي صباح  
غد ، وصلت اليه رسالة بالبريد . فلما قرأها صرخ صرخة  
مدوية وامسك رأسه بيديه . وذعرت آنا آندريفنا . وما لبث

العجوز ان تناول قبعته ، وحمل عصاه ، وخرج مسرعاً .  
كانت الرسالة من الامير ، وفيها ينهي الى اخمينيف ،  
بعبارة جافة موجزة مهذبة ، انه غير ملزم بأن يشرح لأحد  
ما قاله للموظف ، وانه ، على كونه يرثي لحال اخمينيف  
من خسران القضية ، يؤسف انه لا يستطيع ان يرى ان من  
حق الخاسر ان يدعو خصمه للمبارزة انتقاماً . اما ما يهدده  
به من «تلطخ شرفه» امام الناس ، فهو برجوه ان لا يقلقه  
ذلك ، اذ لن يلطخ شرفه امام الناس ، ولا يمكن ان يقع  
شيء من ذلك ، وانه سيسلم رسالته فوراً الى المراجع المختصة ،  
وان الشرطة المكلفة بحماية الامن ستتخذ التدابير اللازمة  
للمحافظة على النظام .

هرع اخمينيف فوراً الى الامير ، وهو يحمل الرسالة  
بيده . فلم يجده في بيته ، ولكنه علم من خادمه ان الامير  
لا بد ان يكون الآن عند الكونت ن ، فمضى العجوز الى  
الكونت دون ان يفكر في الامر . فاستوقفه البواب بينما كان  
يجتاز السلم ، فلم يتورع العجوز عن ضربه بعصاه من شدة  
الغضب ، فالقي القبض عليه فوراً ، وجُرّ جراً الى القسم ،  
واقيد من هناك الى مقبوض الشرطة . وأبلغ الكونت النبا ،  
وكان الامير عنده ، فشرح الامير للعجوز الفاسق ان اخمينيف  
المقبوض عليه هو اخمينيف نفسه ابو ناتاليا نيقولايفنا (لقد  
سبق للامير غير مرة ان قدم خدمات من هذا النوع للكونت) ،  
فلم يزد هذا السيد العظيم على ان ضحك ، فانتقل من  
سورة الغضب الى الشعور بالرافقة ، وامر باطلاق سراح اخمينيف ،  
ولكنهم لم يطلقوا سراحه الا بعد يومين قائلين له (ولا شك



ان ذلك كان بأمر الامير ان الامير نفسه هو الذى تشفع له عند الكونت .

عاد العجوز الى بيته كالمجنون ، فارتقى على سريره ، ومكث راقدًا ساعة بكاملها لا يقوم بأية حركة ، ثم نهض ، واتجه الى آنا أندريفنا المدعوة ، فأعلن لها رافعا رأسه انه يلعب ابنته الى الابد ، ويتزج عنها بركته الأبوية .

كانت آنا أندريفنا مرتاعة أشد الارتياح ، وكان لا بد من مساعدة العجوز : وقد ظلت النهار كله والليل كله تحيطه بانواع الرعاية والعناية ، على غير وعي تقريبا ، تبلبل صدغيه بالخل ، وتضع على جبينه كمادات الثلج . لقد كان فى حمى شديدة ، وكان يهذي . ولم اتركهما الا عند الساعة الثالثة من الصباح . ومع ذلك نهض اخمينيف فى الضحى ، وجاء اليّ يطلب نللي . سبق ان قصصت ما دار بينه وبين نللي ، وذكرت ان هذا الذى دار بينه وبينها قد حطمه تحطما ، فلما عاد الى بيته رقد فى سريره . حدث هذا كله يوم الجمعة المقدسة ، وهو اليوم الذى ضرب موعدا للقاء كاتيا وناشاشا ، قبل سفر أليوشا وكاتيا من بطرسبرج بيوم واحد وقد حضرت ذلك اللقاء الذى تم فى ساعة مبكرة من الصباح ، قبل وصول العجوز اليّ ، وقبل هرب نللي اول مرة .

## الفصل السادس

وصل أليوشا قبل كاتيا بساعة ، ليبلغ ناشاشا ان كاتيا قادمة . اما انا فوصلت لحظة كانت عربية كاتيا تقف امام

الباب . كانت كاتيا مع وصيفتها الفرنسية العجوز التى وافقت بعد كثير من التوسل من جانب كاتيا ، وبعد كثير من التردد من جانبها هى ، على ان تصحب كاتيا الى بيت ناشاشا ، وعلى ان تتركها عندها ، بشرط ان يتم ذلك بحضور أليوشا ، اما هى فبقبت فى العربة تنتظر عودتها . نادتنى كاتيا ، ورجعتى ، دون ان تنزل من عربتها ، ان ادعو اليها أليوشا . فصعدت فوجدت ناشاشا تبكي ، ووجدت أليوشا يبكي هو ايضا . فلما علمت ناشاشا ان كاتيا وصلت ، نهضت وجفت دموعها ، ثم وقفت امام الباب مضطربة اشد الاضطراب . كانت فى ذلك الصباح ترتدي ثوبا ابيض ، وقد صقلت شعرها الكستنائي وربطته عند النقرة بعقدة كبيرة . كنت احب هذه التسريحة كثيرا . وحين رأت ناشاشا اتى بقيت معها ، رجعتى ان انزل انا ايضا للقاء الضيوف .

قالت كاتيا ، وهى تصعد السلم :

— لم استطع ان احيى قبل الآن . كانوا يتجسسون علىّ بغير انقطاع ، هذا شيء فظيع . ظللت اداور مدام أليوشا خمسة عشر يوما حتى قبلت . وانت يا ايفان بتروفتش ، لم تزني مرة واحدة طوال هذه المدة ! كنت من جهتي لا استطع ان اكتب اليك ، وكنت لا اريد ايضا ان اكتب اليك ، لان المرء لا يستطيع ان يفصح بالرسائل عن شيء . ولقد كنت فى حاجة شديدة الى رؤيتك .. ما لقلبي يدق ! ..

— السلم متعب .

— نعم ، ربما كان السلم سيئا ايضا . . ولكن ما

رأيتك ؟ أئن تحققت على ناشاشا ؟



— لماذا تحقن عليك ؟

— صحيح ، لماذا تحقن عليّ ؟ سئري على كل حال .  
فلا حاجة الى هذا السؤال . . .

ومددت اليها ذراعي . كانت شاحبة جدا ، كأنها خائفة . ووقفت عند المنعطف الاخير تتنفس ، ولكنها التت عليّ نظرة ، ثم اخذت تصعد بخطى حازمة .

وتوقفت مرة اخيرة عند الباب ، وقالت لي هامة :  
— سأدخل ببساطة ، وسأقول لها ان لي من ثقني بها ما جعلني اجيء اليها بلا خوف . . . ولكن فيم اقول هذا الكلام ؟ انني على يقين من ان ناتاشا انبل مخلوقة على وجه الارض . أليس هذا صحيحا ؟

قالت ذلك ثم دخلت خجلى ، كأنها مجرمة ، وألقت على ناتاشا نظرة نافذة ، فابتسمت لها ناتاشا ، فتقدمت عندئذ نحوها بحرارة ، وامسكت يديها ، واطبقت شفثيها النضرتين على شفثي ناتاشا . وقبل ان تقول لناتاشا كلمة واحدة ، التفتت نحو أليوشا عابسة ، ورجته ان يتركنا وحدنا مدة نصف ساعة . ثم اضافت تقول :

— لا تزعل يا أليوشا . . . انني سأتحدث مع ناتاشا في امور خطيرة يجب ان لا تسمعها . كن عاقلا ، ودعنا وحدنا . اما انت يا ايفان بتروفتش فابق معنا . يجب ان تسمع حديثنا كله .

وقالت لناتاشا حين خرج أليوشا :

— فلنجلس . سأجلس هنا امامك يجب اولاً ان انظر اليك .

قالت ذلك وجلست امام ناتاشا وانعمت النظر اليها خلال لحظات . كانت ناتاشا تبسم ابتسامة مكروهة .

قالت كاتيا :  
— سبق ان رأيت صورتك . ارانيها أليوشا .  
— فهل اشبه صورتي ؟  
— بل انت اجمل منها ، وكنت اقدر ان تكوني اجمل منها .

قالت ذلك بلهجة جادة جازمة .  
— صحيح ؟ اما انا فانظر اليك واقول ما اجملك انت !  
— ماذا تقولين ؟ هذا مستحيل !  
قالت ذلك ، ثم اضافت وهي تمسك يد ناتاشا :

— صديقتي ! . . .  
وصمتتا كلتاها مرة اخرى ، وكل منهما تنظر في الاخرى .  
واستأنفت كاتيا تقول :  
— اسمعي يا ملاكي ، ليس امامنا الا نصف ساعة نقضيها معا ، بل ان مدام أليير لم توافق على هذه المدة الا في كثير من العناء . وهناك اشياء كثيرة يجب ان نقولها . اريد . . . يجب . . . سأسألك بكل بساطة هذا السؤال : انت تحبين أليوشا كثيرا ، أليس كذلك ؟

— نعم كثيرا .  
— اذا كان الامر كذلك ، اذا كنت تحبينه كثيرا ،

فيجب ان تريدي له السعادة . . .  
قالت كاتيا ذلك خجلى بصوت منخفض . فأجابتها ناتاشا :



— نعم ، انني اتمنى له السعادة .

— نعم . . ولكن هذا هو السؤال : هل احقق انا له السعادة ؟ هل لدي الحق في التكلم بهذه الصورة لانني انتزعه منك . اذا كنت ترين ، وهذا ما سنبت فيه الآن ، انك تسعدينه اكثر مني . . . ف . . .

اجابت ناتاشا بصوت منخفض وهي تطرق برأسها :  
— لقد بُتَّ في الموضوع وانتهى الامر . . انك لترين انت نفسك ان قد بُتَّ في الموضوع .  
كان واضحا ان متابعة هذا الحديث كانت تشق كثيرا على ناتاشا .

لا شك ان كاتيا كانت تنتظر مناقشة طويلة حول المسألة التالية : ايهما يضمن السعادة لأليوشا اكثر من الاخرى ، وأيهما ينبغي لها تبعا لذلك ان تضحى بنفسها ؟ ولكنها فهمت بعد جواب ناتاشا ان الامر قد بت فيه منذ مدة طويلة ، وان الكلام في هذا الموضوع لا طائل تحته بعد الآن . فأخذت تتأمل ناتاشا حزينة حيرى ، وظلت ممسكة بيدها ، وشفاتها الجميلتان فاغررتان .

سألته ناتاشا فجأة :

— وانت ، هل تحبينه كثيرا ؟

— نعم . كنت اريد ان اسألك ايضا ، ومن اجل هذا جئت : لماذا تحبينه ؟

فاجابت ناتاشا بلهجة يحس فيها المرء نوعا مرا من نفاذ الصبر :

— لا ادري .

— هل تجدينه ذكيا ؟

— لا ، انني احبه هكذا ، احبه وكفى .

— وانا ايضا ، انني اشفق عليه .

— انا ايضا .

هتفت كاتيا :

— وما العمل الآن ؟ كيف امكنه ان يتركك من اجلي ؟

انتي لا افهم ذلك بعد ان رأيتك !

لم تجب ناتاشا ، وكانت ما تزال مطرقة الى الارض . وصمت كاتيا ، ثم نهضت فجأة ، ولقت ناتاشا بذراعيها دون ان تقول كلمة واحدة . واخذت الاثنتان تبكيان ، وقد نشبت احدهما بالاخري . وجلست كاتيا على ذراع المقعد الذي تجلس عليه ناتاشا ، وهي تشد ناتاشا الى صدرها ، واخذت تقبل يديها ، وقالت وهي تبكي :

— ليتك تعلمين كم احبك يا ناتاشا . . لسوف نكون

اختين ، وسوف نراسل . . سأظل احبك الى الابد ، سأحبك كثيرا ، كثيرا .

فسألته ناتاشا :

— هل حدثك عن زواجنا في شهر حزيران ؟

— نعم ، وقال انك موافقة . كان ذلك لمواساته ،

أليس كذلك ؟

— طبعا .

— لقد فهمت ذلك . سأحبه كثيرا يا ناتاشا . وسأكتب

اليك عن كل شيء . يبدو انه سيكون قريبا زوجي ، فنحن سائران في هذا الطريق . وانهم ليقولون ذلك جميعا ، عزيزتي



ناتاشا ، والآن ستمودين الى بيت اهلك ، أليس كذلك ؟  
فلم تجبها ناتاشا ، ولكنها قبلتها بحرارة دون ان تقول  
كلمة ، ثم قالت :

— أتمنى لك السعادة !

— وأنا أتمنى لك السعادة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب ، ودخل أليوشا . انه  
لم يستطع ان ينتظر نصف ساعة . فلما رآهما متعافيتين  
تبيكان ، ركع على ركبتيه امام المرأتين الشابتين مهدود القوي  
بيكي ، فقالت له ناتاشا :

— لماذا تبكي ؟ ألأنك تفارقني ؟ ولكن فراقنا لن  
يطول ، وستعود في شهر حزيران .

وأسرعت كاتيا تقول من خلال دموعها لتواسي أليوشا :

— وستزوجان .

— ولكنني لا استطيع . . . لا استطيع ان أتركك ولا  
يوما واحدا يا ناتاشا . بدونك أموت . . . أنت لا تعرفين كم  
أحبك الآن يا ناتاشا ، الآن خاصة !

فقالت له ناتاشا :

— اذن اسمع ما تصنعه يا أليوشا : لا شك ان الكونتيسة  
ستوقف بعض الوقت في موسكو ، أليس كذلك ؟

فقالت كاتيا تؤيد كلامها :

— نعم ، اسبوع تقريبا .

— اسبوع ! عظيم ! تصحبهما غدا الى موسكو ، ولن  
يستغرق هذا الا يوما واحدا ، ومن هناك تعود الى هنا قروا .  
حتى اذا قررنا مغادرة موسكو ، آنذاك نفرق مدة شهر ونعود

الى موسكو لتودعهما .  
فهتفت كاتيا بحماسة ، وهي تتبادل وناتاشا نظرة مثقلة  
بالمعاني :

— نعم ، وبذلك تقضيان معا عددا آخر من الأيام .

لا استطع ان اصف الحماسة التي تأججت في أليوشا  
عند سماع هذا الاقتراح . لقد هدأت نفسه فجأة ، واشرق  
وجهه بالفرح ، وقبل ناتاشا ، وقبل يد كاتيا ، ثم قبلني .

كانت ناتاشا تنظر اليه وهي تبسم ابتسامة ميرة ، اما كاتيا  
فلم تستطع ان تحتل فرشتني بنظرة ملتزمة ، وقبلت ناتاشا ،  
ونهضت لتذهب . وفي هذه اللحظة نفسها دخل خادم يقول  
على لسان المربية الفرنسية ان نصف الساعة قد انقضى ،  
فهى لذلك ترجو إنهاء المقابلة .

نهضت ناتاشا . ووقفت كل منهما امام الاخرى .  
مسكة يديها كأنهما تريدان ان تتناقلا بالنظرات كل ما  
تجمع في القلب :

— لن نلتقي بعد اليوم ابدا يا ناتاشا .

— نعم لن نلتقي ابدا يا كاتيا .

— وداعا اذن يا ناتاشا .

وتعانقتا وقبلت كل منهما الاخرى . . وقالت كاتيا بصوت  
منخفض جدا :

— لا تلعنيني يا ناتاشا . . وانا . . الى الابد . . ثقي . .  
بأنه سيكون سعيدا . .

ثم قالت لأليوشا بسرعة وهي تتناول ذراعه :

— هيا بنا يا أليوشا ، انزلني .

قد ترى من المضحك انني لم اطرح على نفسي هذا السؤال  
الا الآن !

— هدئي نفسك يا ناتاشا .  
— هل تعرف يا فانيا ؟ لقد أدركت انني لم أكن  
أحبه حب الندّ للندّ ، كما تحب امرأة رجلا في العادة .  
لقد أحببته . . . تقريبا كما تحب ام ابنها . ويخيل اليّ انه  
ليس على وجه الأرض حب بين ندين . ما رأيك في هذا ؟  
نظرت اليها قلقا ، وأنا أخشى ان تكون قد انتابتها  
نوبة شديدة من الحمى . كان يبدو أنها فقدت سلطانها على  
نفسها : كانت تشعر بحاجة الى الكلام ، فكانت تقول من  
حين الى حين كلاما لاروابط تربطه ، بل كانت تقول في  
بعض الاحيان كلاما لا تحسن النطق به . وشعرت انا بكتير  
من الغم والقلق . وتابعت ناتاشا تقول :

— لقد كان لي . إنني منذ لقيته اول مرة تقريبا ،  
شعرت بحاجة لا تقام الى أن يكون لي ، الى ان لا يسرى  
احدا غيري ، الى ان لا يعرف احدا غيري ، غيري انا .  
ان كاتبيا على حق في رأيها : كنت أحبه حب اشفاق عليه . .  
كنت دائما أتمنى بعنف وحرارة ان يكون سعيدا كل السعادة  
الى الابد (كان هذا ما يعذبني حين ابقي وحدي) لم استطع  
في حياتي يوما ان انظر الى وجهه بهدوء وطمأنينة (انت تعرف  
تعبير وجهه) : لا يمكن لأحد أن يكون له هذا التعبير في  
الوجه . . . وكنت اذا ضحك اتجمد ، وارتعش . . . نعم ! . .

— اسمعي يا ناتاشا .  
— كانوا يقولون ، وكنت انت تقول ايضا ، انه لا

فلما خرجا قالت لي ناتاشا وقد هدّتها الانفعال والتعب  
— فانيا ، اذهب معهما . . . و . . لا تعد . . سيئتي  
ألبوشا معي حتى الساعة الثامنة ، وبعدها يذهب وسأبقى  
وحدي . . تعال في نحو الساعة التاسعة ، ارجوك !  
وحين وصلت الى ناتاشا في الساعة التاسعة «بعد حادثة  
كسر الفنجان» تاركا نللي مع الكسندرا سيمينوفنا ، كانت  
ناتاشا وحدها ، وكانت تنتظرنني بصبر ذاهب . وحملت مافرا  
اليها السماور ، فصبت لي ناتاشا الشاي ، وجلست على الاريقة ،  
واجلستني قريبا .  
قالت وهي تحديق فيّ (لن انسى نظرتها تلك ما حييت) .

— انتهى كل شيء ، انتهى حيننا .  
ثم اضافت وهي تشد على يدي بيدها الملتهبة :  
— حيننا الذي استمر ستة اشهر ، وسيبقى الى الابد . . .  
فصحت لها بأن ترتدي ثيابا دافئة وان تنام .  
— سأفعل ذلك حالا ، يا فانيا ، حالا ، يا صديقي  
الطيب . ولكن دعني الآن اتكلم ، دعني أتذكر قليلا . .  
انني الآن كالمحطمة . . . غدا ، في الساعة العاشرة ، سأراه  
آخر مرة . . . آخر مرة .  
— ناتاشا ، ان بك حمى . . . وستتابك الرعدة بعد  
قليل . داري نفسك . .

— ماذا تقول يا فانيا ؟ انني انتظرك منذ نصف ساعة ،  
منذ ذهب . هل تعرف في اي موضوع كنت افكر خلال  
هذه المدة ، هل تعرف عن اي شيء كنت أتساءل ؟ كنت  
أسأل نفسي هل أحببته او لا ، وماذا كان هذا الحب !



ارادة له . . . وان عقله ليس ارجح من عقل طفل . . . نعم ،  
وهذا بعينه هو ما كنت احبه فيه ، هل تصدق ذلك ؟ ولكنني  
لا ادري هل كنت احب فيه هذا وحده . . . لقد كنت احبه  
كله وكفى . . . ولو قد اختلف قليلا عما كان ، لو قد كان  
ذا ارادة وذا ذكاء ، اذن لكان يمكن ان لا احبه ذلك  
الحب كله . سأعترف لك بشيء يا فانيا : انك تذكر اننا  
تساجرنا مرة منذ ثلاثة اشهر حين كان يذهب الى تلك المرأة ،  
ماذا كان اسمها ؟ نعم الى تلك المرأة التي كان اسمها مينا . .  
كنت اعرف انه يذهب اليها ، فقد كلفت احدا بمراقبته ،  
وكنت اتألم ألما رهيبا لا يُطاق . . . ولكنني في الوقت نفسه  
اشعر بشيء من السرور . . . لا ادري لماذا ؟ كنت اذا تصورت  
انه يستمتع . . . لا . . . لا . . . ليس هذا هو الامر . . . كنت  
اذا تصورت انه يغازل البنات هو ايضا ، وانه ذهب الى مينا ،  
كشاب كبير مع غيره من الشباب الكبار ، اشعر بلذة عظيمة .  
اه ، ما كان اشد سروري بتلك المشاجرة ، وبالغفو عنه بعد  
ذلك . يا حبيبي يا أليوشا !  
قالت ناتاشا ذلك ونظرت اليّ وجها لوجه ، وضحكت  
ضحكة غريبة ، ثم راحت تفكر . كان يبدو انها تستعيد  
ذكرياتها . وظلت على هذه الحال مدة طويلة ، غارقة في  
الماضي ، والابتسامة في شفتيها . ثم استأنفت تقول :  
— كنت ، يا فانيا ، احب ان اغفر له ، كنت اجد  
في الغفو عنه سعادة كبيرة . كنت حين يتركني وحدي ،  
اظل امشي في الغرفة مهتاجة باكية . . . وكنت في الوقت نفسه  
اقول لنفسي : «كلما اذنب في حقّي ، كان ذلك احسن»

نعم . . . وكنت اتخيله دائما صبيبا صغيرا : يلقي رأسه على  
ركبتي وانا جالسة ، ويغظ في نوم عميق ، واداعب انا  
شعره . . . على هذه الصورة كنت اتخيله دائما ، حين لا يكون  
معي . . .  
وفجأة قالت :

— اسمع يا فانيا ، ما اروع هذه الفتاة ، كاتيا !  
خيّل اليّ انها تنكأ جرحها عامدة ، وتشعر بحاجة  
الى مزيد من اليأس والعذاب . ان هذا ليقع كثيرا لمن اصيب  
قلبه بخسارة فادحة لا طاقة له على احتمالها . وتابعت ناتاشا  
كلامها تقول :

— اعتقد ان كاتيا تستطيع ان تسعدني . ان لها ارادة  
قوية . يدل كلامها على ثقتها بنفسها . انها معه جادة صارمة .  
وهي تحلته في امور ذكية كأنها شخص كبير ، مع أنها  
ليست الا طفلة . ما أعذبها ! ارجو لها السعادة ، نعم ،  
أتمنى ان يسعد كل منهما بالآخر .

قالت ذلك واخذت الدموع تهطل من عينيها ، ثم  
أقلت النجيب فجأة يخرج من اعماق قلبها . وظلت على  
هذه الحال نصف ساعة ، لا تستطيع ان تثوب الى رشدها ،  
ولا ان تهدئ روعها .

يا لها من ملاك ، ناتاشا هذه . لقد استطاعت في  
ذلك المساء ، رغم ما بها من حزن ولوعة ، ان تشاركني  
هسومي ، حين لاحظت أنها هدأت قليلا او تعبت ، فأردت  
ان اسليها ، فحدثتها عن نللي . . . وقد تركتها ذلك المساء  
في ساعة متأخرة . انتظرت ان تنام . فلما ذهبت رجوت

ما فراق ان لا تدع سيدتها المريضة وحدها طوال الليل .  
 — اه . . . اما لهذه الآلام من آخر ! الا فلتنته على  
 اى نحو من الانحاء ، شريطة ان تنتهي بسرعة !  
 هتفت هذا الكلام وانا فى طريقي الى بيتي .  
 وفى الساعة العاشرة تماما من الغد كنت عند ناتاشا .  
 ووصل أليوشا فى الوقت نفسه ليوذعهها . لن اتحدث عن  
 هذا المشهد ، لا اريد ان أتذكر هذا المشهد . لا شك  
 ان ناتاشا كانت قد قطعت على نفسها عهدا ان تسيطر على  
 مشاعرها ، وان تبدو مرحة لا تبالي . ولكنها لم تقو على  
 ذلك . عانقت أليوشا عنقا قويا ، ولم تكلمه الا قليلا ،  
 بيد انها تأملته طويلا بالحاج . كانت نظرتها معذبة تائهة .  
 كانت تلتهم بشراهة كل كلمة ينطق بها ، وكان يبدو انها  
 لا تفهم شيئا مما يقول . اذكر انه سألتها ان تغفر له ، ان  
 تغفر له هذا الحب ، وان تغفر له ما سببه لها من آلام ،  
 وان تغفر له خياناته ، وان تغفر له حبه لكاتيا ، وان تغفر  
 له سفره . كان يسوق كلامه متقطعا تخنقه الدموع . فجأة  
 اخذ يواسيها ، فيقول لها انه لا يتركها الا شهرا واحدا او  
 خمسة اسابيع فى أكثر تقدير ، وانه سيعود فى اول الصيف  
 وانهما سيتزوجان ، وان آياه سيوافق على هذا الزواج ، وانه  
 خاصة ، سيعود من موسكو بعد غد ، فيقضيان معا اربعة  
 ايام اخرى ، وانهما لا يفترقان الآن اذن الا يوما واحدا .  
 الشيء الغريب انه كان مقتنعا كل الاقتناع بانه يقول  
 الحق ، وبأنه سيعود حتما بعد غد . . . فلماذا كان يبكي  
 اذن ، ولماذا كان حزينا هذا الحزن كله ؟





ودقت الساعة الحادية عشرة . فاقنعتة بأن يذهب بعد  
كثير من العناء ، ذلك ان قطار موسكو يتحرك في الثانية  
عشرة ، فلم يبق له الا ساعة واحدة . وقد ذكرت لي ناتاشا  
فيما بعد انها لا تذكر النظرة الأخيرة التي القتها عليه . لقد  
رسمت عليه اشارة الصليب ، وقبلته ، ثم غطت وجهها  
بيديها واسرعت تعود الى غرفتها . واضطرت ان اقود ألبوشا  
الى عربته ، والا لرجع ادراجه حتما ، ولما استطاع ان  
يهبط السلم ، قال لي وهو ينزل .

— أملي كله فيك يا فانيا . انا مذنب في حقك ،  
ولم استحق صداقتك يوما ، ولكن كن اخا لي حتى النهاية ،  
أحبها ، لا تتركها ، اكتب الي عن كل شيء ، بكل ما  
يمكن من تفاصيل . . . سأعود بعد غد حتما ، ولكن اكتب  
الي بعد ان اسافر .  
واجلسته في عربته .

وهتف يقول لي وقد سارت العربة :

— الى بعد غد ، حتما .

وعدت اصعد الى ناتاشا مهدم القلب . كانت واقفة  
في وسط الغرفة مكتفة يديها ، تنظر الي نظرة حائرة كأنها  
لا تعرفني . كان شعرها المنفوش متهدلا الى جانب . وكانت  
تأهية النظرة . وكانت مافرا تقف عند الباب طائشة العقل ،  
تنظر اليها ملتاعة مذعورة . وفجأة التمعت عينا ناتاشا ، وصرخت  
تقول :

— ها . . . هذا انت . . . انت . لم يبق لي غيرك  
الآن . لقد كنت تكرهه . انك لم تستطع يوما ان تغفر له

حبه اباي . . . وهأنت ذا قربي مرة اخرى تريد ان تواسيني ،  
وان تحضني على العودة الى ابي الذي هجرني ولعني . .  
عرفت ذلك منذ امس ، بل انني اعرفه منذ شهرين ! لا ،  
لا اريد ، لا اريد ، انا ايضا العنهما . . . اذهب ، لا  
استطيع ان اراك ، اذهب عني ، اذهب عني !

ادركت انها تهذي ، وان رؤيتي قد ايقظت في نفسها  
حقا مجنونا ! كان ذلك امرا لا بد منه ، وأبت ان علي  
ان ابتعد فخرجت وجلست على الدرجة الاولى من السلم ،  
وكنت انهض من حين الى حين فأفتح الباب وانادي مافرا ،  
واسألها . كانت مافرا تبكي .

وقضيت على هذه الحال ساعة ونصف ساعة . لا استطع  
ان اصف ما كنت اشعر به اثناء ذلك . كان قلبي بنهار ،  
كان يطحنه عذاب لا نهاية له . وفجأة فتح الباب ، فرأيت  
ناتاشا تخرج مرتدية معطفا ، واضعة قبعتها على رأسها ،  
وتسرع تهبط السلم . كانت كالغائبة عن وعيها . وقد ذكرت  
لي هي نفسها فيما بعد انها لا تكاد تذكر تلك اللحظة ،  
وانها كانت لا تعرف اين تذهب ، ولا لماذا تخرج !

ما كدت انهض لأختبئ حتى لمحتني فجأة ، فوفقت  
امامي بلا حراك كأن صاعقة ألتمت بها .

وقد قالت لي فيما بعد : «تذكرت فجأة انني طردتك ،  
انت يا من كنت صديقي ، واخي ، ومنقذي . . . ما كان  
افدح جنوني وما كان اشد قسوتي ! فلما لمحتك ، شقيا  
حريح الكبرياء ، تنتظر على سلمي ان اناديك . . . آه . . . يا  
رب . . . ليتك تعرف يا فانيا ، ما الذي شعرت به عندئذ . . .

لقد احسست بقلبي يُطعن . . .  
هتفت وهي تمد اليّ يدها :  
— فانيا ، فانيا ، أنت هنا ؟  
والقت بنفسها على ذراعيّ .  
فأمسكتُ بها ، وحملتُها الى غرفتها . كانت مغشياً  
عليها . تساءلت : ما العمل ؟ لا شك ان نوبة شديدة من  
الحمى سنتابها .  
وقررت ان اهرع الى الطبيب استدعيه . يجب ختق  
المرض قبل تفاقمه . وكان في وسعي ان افعل ذلك بسرعة :  
ان صاحبي العجوز الألماني يبقى في بيته عادة حتى الساعة  
الثانية ، فمضيت اليه بعد ان توصلت الى ما فرا ان لا تترك  
ناتاشا لا دقيقة ولا ثانية ، وان لا تدعها تذهب الى اي مكان .  
وقد رأف بي الله ، فلو انني تأخرت قليلا لما وجدت صاحبي  
العجوز . لقد التقيت به في الشارع حين كان خارجا من بيته .  
وما هي الا طرفة عين حتى اركبته عربتي ، وعدنا الى ناتاشا  
قبل ان يفيء الرجل الى نفسه .  
نعم ، لقد رأف بي الله . فقد وقع اثناء غيابي  
حادث كان يمكن ان يجهز على ناتاشا لو لا اننا وصلنا انا  
والطبيب في اللحظة المناسبة . ان الأمير قد جاء اليها بعد  
ذهابي بربع ساعة ، وكان عائدا من المحطة حيث ودّع  
المسافرين . لا شك انه قد يئّت هذه الزيارة منذ مدة طويلة .  
وقد روت لي ناتاشا فيما بعد انها لم تدهش في اول الامر  
لرؤية الامير . «كان فكري في حالة اضطراب واختلاط»  
هذا ما قالته لي .

جلس الامير امامها ينظر اليها بتودد وعطف . ثم قال  
لها وهو يتنهد :  
— انني افهم حزنك يا بنيتي العزيزة . كنت اعرف  
ان هذه اللحظة ستشق عليك كثيرا ، لذلك رأيت من واجبي  
ان ازورك . ليكن عزائك ، اذا استطعت الى العزاء سبيلا ،  
انك بالعدول عن أليوشا تحققين له السعادة ، وانت تعرفين  
هذا خيرا مني ، ما دمت قد اقدمت على هذا العمل البطولي . .  
قالت لي ناتاشا : «كنت جالسة اصغي اليه ، ولكنني  
في اول الامر كنت لا افهم ما يقول . انني أتذكر الآن  
انه كان ينظر اليّ بلا انقطاع ثم تناول يدي وشد عليها ،  
وكان يبدو عليه ان ذلك يسره كثيرا . وقد بلغت من شدة  
الذهول انني لم يخاطر بيالي ان اسحب يدي من يده» .  
وتابع الامير يقول لناتاشا :  
— لقد ادركت اذا تزوجت أليوشا فقد توقظين في  
نفسه شعور الكره نحوك ، وكان لك من نبل الكبرياء ما جعلك  
تدركين ذلك وتقررين ان . . . ولكنني لم اجيء الى هنا  
لاثني عليك ، وانما اردت ان ابلغك انني سأكون لك خير  
صديق . انني اشاطرك حزنك ، واشفق عليك ، وارثي لحالك ،  
لقد اسهمت بالرغم مني في هذا الموضوع كله . . . ولكنني  
بذلك قد قمت بواجبي . . ان لك من نبل القلب ما يجعلك  
تفهمين هذا الامر ، وما يحملك على المغفرة لي والعفو عني . .  
لقد تألمت أكثر منك ، صدقيني .  
فقالت له ناتاشا :  
— كفى يا امير ، دعني وشأني .



فأجابها بقوله :  
— انا ذاهب طبعاً بعد لحظة . ولكنني احبك كما  
يحب الاب ابنته . فاسمحي لي ان ازورك من حين الى  
حين . عذبني كأبيك . عذبني كأبيك بعد الآن ، واذا  
استطعت ان افيدك في امر من الامور . . .  
فقاطعت ناناها مرة اخرى قائلة له :  
— لست في حاجة الى شيء . دعني وشأني .  
— اعرف كبرياءك ، ولكنني اكلمك الآن مخلصاً من  
اعماق قلبي . ما الذي تنوين ان تعمله الآن ؟ هل تنوين  
ان تتصالح مع اهلك ؟ ان ذلك يمكن ان يكون حلاً  
سعيداً جداً . ولكن اباك ظالم ، متكبر ، مستبد . اغفري  
لي هذا الكلام . ولكن تلك هي الحقيقة . لن تجدي الآن  
في بيت ابيك الا اللوم والتفريع وآلاماً جديدة . . . يجب اذن  
ان تظلي الآن مستقلة ، ومن واجبي انا ، من اقدس واجباتي  
انا ، ان أعني بك وان اساعدك وقد ضرع اليّ ألبوشا ان لا  
اتركك وان اكون لك الصديق الوفي . وهناك اشخاص آخرون  
بضمرون لك أعمق الاخلاص . آمل ان تسمح لي بأن  
اقدم لك الكونت ن . . . ان له قلباً نبيلاً رائعاً ، وهو من  
اقاربنا ، بل استطيع ان اقول انه المحسن الى الاسرة كلها .  
لقد خدم ألبوشا كثيراً . وألبوشا يحترمه ويحبه . انه رجل  
واسع السلطان ، كثير النفوذ . . . وهو عجوز جداً ، فلا حرج  
في ان تستقبله فتاة في بيتها . سبق ان حدثته عنك . وهو  
يستطيع ان يوظفك ، بل استطيع ان يجد لك عملاً ممتازاً  
لدى احد اقاربه . لقد بسطت له قضيتنا كلها منذ مدة

طويلة ، بسطتها له بصراحة ، فاستجابت عواطفه الطيبة  
النبيلة كل الاستجابة ، حتى انه طلب اليّ هو نفسه ان اقدمه  
اليك في اقرب فرصة . . . انه رجل يحب كل ما هو نبيل  
جميل ، صدقيني ، انه شيخ محترم كريم ، يعرف كيف  
يقدر الناس حق قدرهم . حتى انه ، منذ مدة وجيزة جداً ،  
تصرف انبل التصرف ، اثناء حادثة وقعت لايبك .  
فنهضت ناناها كأنما لسعتها افعى . انها تفهم الآن  
ماذا يريد ، وصاحت به :  
— دعني ، اذهب عني ، حالا .  
— ولكن لا تنسي يا عزيزتي ان الكونت يمكن ان  
يفيد اباك ايضاً .  
— ابي لن يقبل منكم شيئاً . هل لك ان تذهب ؟  
بهذا صاحت ناناها مرة اخرى ، فقال الامير ، وهو  
ينظر حوله بشيء من القلق :  
— كم انت ريابة حذرة قليلة الصبر !  
واضاف يقول : وهو يخرج من جيبه حزمة كبيرة :  
— على كل حال ، هل تسمحين لي بان اترك لك  
هذا الدليل على ما آتته لك من عاطفة ، وخاصة على ما  
يكته لك الكونت «ن» من عاطفة . . . انه هو الذي حضني  
على القيام بهذا المعنى . . . ان هذه الحزمة تضم عشرة آلاف  
دولار .  
فلما رأى ناناها تنهض غاضبة حائقة استأنف يقول :  
— انتظري يا صديقتي ، اصبري على كلامي حتى  
اتمه . انت تعرفين ان اباك قد خسر دعواه : وهذه الآلاف

العشرة من الروبيلات هي التعويض عن . . .  
— اذهب ، اذهب انت وروبيلاتك . انني اعرفك .  
انت حقير ، حقير ، حقير !  
ونهض الامير وقد امتنع لونه من شدة السخط .  
لقد جاء الامير الى ناتاشا مستكشفا يريد ان يعرف  
وضعها وان يجس نبضها . وكان يعتمد اعتمادا كبيرا على  
ما قد تحدثه هذه الآلاف العشرة من الروبيلات من اثر بعد  
ان هجرها جميع الناس واصبحت بلا مورد . . . لقد سبق  
لهذا المخلوق القدر ان ادى للكونت «ن» العجوز الشهباني ،  
خدمات كثيرة في شئون من هذا النوع . ولكنه كان يبغض  
ناتاشا ، فلما رأى ان الصفقة لم تتم ، غيّر لهجته فجأة ،  
واسرع يهينها ، وهو فرح بذلك فرحا خيثا ، على الاقل  
حتى لا يخرج صفر اليدين .  
قال بصوت يرتجف قليلا من رغبته الجامحة في ان  
يرى اثر اهانتة باقصى سرعة :  
— لا يحسن ان تغضبي يا طفلتي ، لا يحسن ان  
تغضبي ابدا . اتقدم لك الحماية وانتِ تشمخين بانفك .  
ألا تدرين ان عليك ان تشكريني ؟ لقد كان في وسعي ان  
اسوقك الى السجن منذ مدة طويلة ، كأب افسدت اخلاق  
ابنه الشاب وسرقت ماله . . . ومع ذلك لم افعل شيئا من  
هذا . . . هيء هيء هيء .  
ولكننا كنا في هذه اللحظة ندخل البيت . كنت قد  
سمعت صوته ونحن عند المطبخ ، فاستوقفت الطبيب لحظة ،  
واصبغت الى الجملة الاخيرة التي قالها . سمعت ضحكة

شبيعة تدوي في الغرفة ، وسمعت ناتاشا في الوقت نفسه  
تصرخ بائسة «يا رب !» . ففتحت الباب ، وهجمت على  
الامير ، فبصقت في وجهه ، واخذت اصفهه بكل ما أوتيت  
من قوة . وقد أراد أن يهجم عليّ ، لكنه رأى اننا اثنان .  
فهرب بعد ان تناول حزمة الروبيلات من على المنضدة .  
نعم ، لقد فعل ذلك ، رأيتُه بعيني رأسي . فرميت في أثره  
شوبقا تناولته من على مائدة المطبخ . فلما عدت الى الغرفة ،  
كان الطبيب يمسك بناتاشا التي كانت تصارعه مهتاجة وتحاول  
ان تفلت منه كأنها في نوبة هسترية . ولم نستطع ان نهدي  
روعها الا بعد مدة طويلة ، واستطعنا اخيرا ان نمدها على  
سريرها . كانت تهذي .  
سألت الطبيب وانا أكاد اموت ذعرا :  
— ما الذي بها يا دكتور ؟  
فأجابني بقوله :  
— انتظر ، يجب ان الاحظها ايضا ، وان افكر .  
ولكن الامر خطير ، قد ينتهي الى نوبة حمى حارة . على  
كل حال مستخذ الاحتياطات اللازمة .  
الا ان فكرة اخرى كانت قد استولت علي . فنوسلت  
الى الطبيب ان يمكث عند ناتاشا ساعتين او ثلاث ساعات  
ايضا ، وناشدته ان لا يتركها لحظة واحدة ، فوعد بذلك ،  
ولسرعت الى بيتي .  
كانت نللي جالسة في ركن من اركان الغرفة ، قائمة  
مضطربة ، فلما رأيتي نظرت اليّ نظرة غريبة . لا شك ان  
منظري انا كان غريبا ايضا . اخذتها بين ذراعي ، وجلست



على الاربكة ، وأجلستها على ركبتي ، وقبلتها قبلة فيها رقة  
وحنان . فاصطبغ وجهها بحمرة قانية . قلت لها :

— نللي ، ملاكي ، هل لك ان تنقذينا ؟ هل لك

ان تنقذينا جميعا ؟

فنظرت اليّ مرتبكة مشوشة ، واردفتُ اقول :

— نللي ، املنا كله فيك . هناك اب ، اب وأبنة

وتعريفه ، هذا الاب قد لعن ابته ، وجاء امس يريد ان

يضمك اليه بدلا من ابته ، والآن ، ابته تلك ، ناتاشا

(التي قلت انك تحيينها) قد هجرها ذلك الذي كانت تحبه ،

والذي من اجله تركت اباها . انه ابن ذلك الامير الذي

جاء ذات مساء الى هنا ، تتذكرين ذلك ، فوجدك وحده

في البيت ، فهربت حتى لا تريبه ، ومرضت بعد ذلك ،

هل تعرفينه ؟ انه انسان شرير خبيث !

— أعرف .

قالت ذلك ، وارتعدت وامتقع لونها .

— نعم انه انسان خبيث شرير ، يكره ناتاشا ، لان

ابنه ألبوشا كان يريد ان يتزوجها . لقد سافر ألبوشا ، وبعد

ساعة جاء ابوه الى ناتاشا ، فأهانها ، وهددها بزجها في

السجن ، وهزئ بها ، هل تفهمينتي يا نللي ؟

التمعت عينا نللي ، ولكنها خفضتسهما ، وقالت بصوت

لا يكاد يسمع :

— افهم .

— وناتاشا ، الآن ، وحيدة ، مريضة ، تركتها مع  
صاحبنا الطيب ، واسرعت اليك ، اسمعي يا نللي : لنذهب

الى والد ناتاشا ، انت لا تحيينه ، وقد رفضت ان تذهبي

اليه ، ولكن فلنذهب اليه الآن معا ، سأقول له حين ندخل

عليه انك تقبلين ان نجيبني اليه ، وان تكوني بمثابة ابته ،

ان العجوز مريض ، لانه لعن ناتاشا ، ولان والد ألبوشا قد

أهانته في هذه الايام الاخيرة اهانة قاتلة ، انه الآن لا يريد

ان يسمع احدا يحدثه عن ابته ، ولكنه يحبها ، يحبها

يا نللي ، ويتمنى ان يصلحها ، انني اعرف ذلك ، ولا

اشك فيه ، هل سمعيني يا نللي ؟

فقالت نللي بصوت ما يزال منخفضا :

— نعم !

كنت وانا أكلهما اذرف دموعا غزارا . وكانت تلقي

عليّ نظرات خجلى .

— هل تصدقين ما أقوله لك ؟

— نعم .

— اذن سنذهب . سأذهب بك اليهما ، وسوف يستقبلانك

احسن استقبال ، وسوف يغمرانك بملاطفاتهما وسيطرحان

عليك اسئلة كثيرة . ساتولى انا ادارة الحديث بحيث يسألانك

عن ماضيك ، وعن امك ، وعن جدك . فقصي عليهما

كل شيء كما قصصته علي . قولي لهما كل شيء ، ببساطة ،

لا تخفي عنهما شيئا . ستذكرين لهما كيف ان رجلا شريرا

قد هجر امك ، وكيف انها ماتت في قبو عند بونوفا .

وكيف كتما تتجولان في الشوارع انت وامك تطلبان الصدقات

من الناس واذكري لهما ما قالته لك امك وهي تحتضر ،

وما طلبته اليك . حدثيهما ايضا عن جدك . قولي انه كان

## الفصل السابع

بدا لي الطريق طويلا لا ينتهي . ووصلنا اخيرا ، فدخلت الى صديقي العجوزين خائر القلب . كنت لا اعرف كيف سأخرج من هذا البيت ، ولكنني كنت اعرف ان عليّ ، مهما كلف الامر ، ان اخرج منه بالعفو عن ناتاشا ، والصلح معها .

كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، وكان العجوزان وحدهما على عادتهما . كان نيقولاى سرجيتش متعبا مريضا ، كان يستريح على كرسيه الطويل ، شاحب الوجه ، ضعيفا ، على رأسه منديل . وكانت آنا أندريفنا جالسة قربه ، تبلل صدغيه بالخل من حين الى حين ، ولا تنقطع عن النظر اليه متسائلة حزينة . وكان يبدو ان ذلك يقلق الشيخ ويزعجه . كان مصرا على الصمت ، وكانت لا تجرؤ ان تقطع عليه هذا الصمت ، وقد فوجئا كلاهما بوصولنا . حتى لقد خافت آنا أندريفنا حين رأنتني ادخل مع نللي ، وظلت خلال الدقائق الاولى تنظر البنا وكأنها شعرت فجأة بأنها مذنبه .

قلت لها وأنا ادخل :

— اتيكما بنللي . لقد فكرت نللي في الامر . فرأت من تلقاء نفسها ان تجيء اليكما . فاستقبلاها واحباها . نظر اليّ الشيخ نظرة ارتياب . وفهمت من هذه النظرة وحدها انه كان يعرف كل شيء ، انه كان يعرف ان ناتاشا هي الآن وحيدة ، مهجورة ، وربما مهانة . كان يشعر برغبة قوية في اكتناه سرّ مجيئنا : فكان ينظر البنا نظرة متسائلة .

لا يريد ان يعفو عن امك ، وانها ارسلتك اليه قبل ان تموت ليجيء اليها وليغفر لها ، فرفض . . وانها ماتت . قولني لهم كل شيء ، كل شيء . واثناء ذلك ، سيحس العجوز كل ما تقصيه عليه ، سيحس في اعماق قلبه . فهو يعلم ان ألبوشا قد ترك ابنته اليوم ، وانها الآن مذلة ، مهانة ، لا سند لها ولا عون ، ولا من يحميها ويدافع عنها ، وانها معرضة لاهانات خصمه . انه يعرف كل ذلك . نللي ! انقلدي ناتاشا . تعالي معي . هل تريدان ؟

— نعم .

كانت تتنفس بكثير من العناء ، والقت عليّ نظرة غريبة ، طويلة ، فاحصة . كان في نظرتها شيء يشبه ان يكون لوما ، احسست بهذا في اعماق نفسي . ولكنني كنت لا استطيع ان اترك مشروعني . كنت اؤمن به ايمانا قويا .

فأمسكت بيد نللي ، وخرجنا . كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد الظهر . وكانت السماء متلبدة بالغيوم . ان الجو في هذه الايام الاخيرة حار خائق كانت تُسمع من بعيد اولى همهمات رعد الربيع . وكانت الريح تهب على الارض ، فتثير غبار الشوارع .

ركبنا عربة . وظلت نللي ملتزمة الصمت طوال الطريق . وكانت من حين الى حين تلقي عليّ تلك النظرة نفسها ، الغريبة ، التي كأنها لغز . كان صدرها يعلو ويهبط ، وكنت احتضنها ، فأحس قلبها الصغير يخفق بيدي كأنه يريد ان يخرج .



وكانت نللي ترنعث ، ممسكة يدي ، مطرقة الى الارض ،  
وكانت من حين الى حين تلقي على ما حولها نظرات خائفة ،  
كأنها حيوان وقع في الفخ ولكن آنا أندريفنا ما لبثت ان  
فادت الى نفسها ، فاندفعت نحو نللي ، فقبلتها وداعبتها ،  
واخذت تبكي ، واجلستها الى جانبها في كثير من الحنان ،  
دون ان تترك يدها . فكانت نللي تنظر اليها من جانب ،  
بفضول تمازجه دهشة .

ولكن العجوز الطيبة ، بعد ان داعبت نللي واجلستها  
الى جانبها ، لم تعرف ماذا تصنع ، فأخذت تنظر الي  
نظرة انتظار ساذج . وقطب نيقولاى سرجيتش ما بين حاجبيه .  
انه لم يكن بعيدا عن ادراك السبب الذى من اجله جثت  
بنللي . فلما رأى انني الاحظ ما فى وجهه من استياء ،  
وما فى جبينه من هم وقلق ، وضع يده على رأسه وقال  
فجأة :

— بي صداع يا فانيا .  
كنا لا نزال صامتين . وكنت لا اعرف من اين ابدأ .  
ان الغرفة مظلمة . ان سحابة كبيرة تجري فى السماء ، وها  
نحن نسمع صوت الرعد مرة اخرى من بعيد . قال العجوز :  
— لقد بكر الرعد فى هذه السنة . اذكر انه بكر اكثر  
من ذلك سنة سبع وثلاثين .

وتنهدت آنا أندريفنا . وسألت تقترح بوجل :  
— هل أشعل السماور ؟  
ولكن احدا لم يجيبها ، فالتفت نحو نللي تسألها :  
— ما اسمك يا حلوة ؟

فذكرت لها نللي اسمها بصوت منخفض ، وازدادت اطراقا .  
كان العجوز يتفرس فيها .  
فاستأنفت العجوز تقول وقد اشرفت نفسها قليلا :  
— ايلينا ، أليس كذلك ؟  
— نعم .

وساد الصمت مرة اخرى خلال دقيقة . ثم قال نيقولاى  
سرجيتش :

— كان لاختي براسكوفيا أندريفنا ابنة اسمها ايلينا  
وكانوا ينادونها نللي ايضا . اتذكر هذا .  
وعادت آنا أندريفنا فسألتها :  
— اذن ، يا صغيرتي ، ليس لك اب ولا ام ولا  
اقارب ؟

فقدمت نللي تقول بسرعة ، بصوت وجل :  
— لا .

— هذا ما قيل لي . هل ماتت امك منذ مدة طويلة ؟  
— لا ، بل منذ مدة غير طويلة .  
عادت العجوز تقول وهى تنظر اليها نظرة عطف :  
— مسكينة ابنتها الطفلة الحبيبة ، مسكينة ابنتها اليتيمة  
الصغيرة !

وكان نيقولاى سرجيتش ضيق الذرع نافد الصبر ، ينقر  
المائدة باصابعه . واستمرت العجوز تطرح اسئلتها الخجلى .  
— هل كانت امك اجنبية ؟ أهذا ما ذكرته لي يا  
ايفان بروفنش ؟

فنظرت الي نللي بعينها السوداوين نظرة سريعة كأنما

لتدعوني الى نجدتها . كان تنفسها ثقيلًا متفاوتًا فقلست :  
— كانت امها انجليزية الاب ، روسية الام ، والاجدر  
اذن ان نعدّها روسية . وقد ولدت نللي في خارج روسيا .  
— اذن لقد سافرت امها مع زوجها الى الخارج ؟  
قالت العجوز ذلك ، فاذا نللي بحمر وجهها احمرارا  
شديدا على حين فجأة ، فما لبثت آنا آندريفنا ان ادركت  
ان لسانها زل ، فارتعشت من النظرة الغاضبة التي رشقها بها  
زوجها . لقد حذق اليها بنظرة قاسية ، وتحول نحو النافذة .  
ثم قال وهو يلتفت فجأة الى آنا آندريفنا :  
— ان رجلا شريرا جبانًا قد غرر بأمها ، فتركت بيت  
ابويها وسافرت مع عشيقها الى الخارج وعهدت اليه بمال  
ايها . وقد اغتصب العشيق ذلك المال بالحيلة : مضى  
بالفتاة الى الخارج ، وهناك سرقها وهجرها . وكان هناك فني  
شهم بقي الى جانبها ، وساعدها الى ان مات . فلما مات ،  
منذ سنتين ، عادت الى ايها ، أليس هذا ما قصصته  
عليّ يا فانيا ؟  
طرح العجوز عليّ هذا السؤال بلهجة قاطعة ، وكانت  
نللي قد بلغت غاية الاضطراب ، فنهضت وهمت ان تنه  
الى الباب ، فقال لها العجوز وهو يمد يده اليها اخيرا :  
— تعالي الى هنا يا نللي ، اجلسي هنا ، الى جانبي .  
وانحنى فقبلها في جبينها ، وداعب رأسها برفق .  
واخذت نللي ترتعش ، ولكنها سيطرت على نفسها . وكانت  
آنا آندريفنا تنظر الى نيقولاى سرجيتش بلاطف البتيمة ،  
وقد امتلأت نفسها حنانا ، وفاضت بالأمل المشرق . قال

العجوز متفعلا ، وهو ما يزال يدغدغ رأس نللي ، ولا يتردد  
عن ان يقذفنا بهذا التحدي :  
— انا اعرف يا نللي ان ذلك الرجل الشرير ، الذي  
لااخلاق له قد ضيع امك ، واعرف ايضا ان امك كانت  
تحب ابها وتحترمه . . .  
قال ذلك وصعدت الى خديه الشاحبين حمرة خفيفة .  
وكان يتحاشى ان ينظر اليها .  
فقال نللي خجلة ، ولكن على حزم ، وهي تحاول  
ان لا ترى احدا .  
— كانت امي تحب جدي اكثر مما كان جدي يحبها .  
فسألها العجوز بخشونة ، وقد اصبح لا يسيطر على  
نفسه مثل طفل ، وكان كأنه يشعر بخجل من نفاق صبره :  
— كيف عرفت ذلك ؟  
فقال نللي بلهجة متقطعة :  
— انا اعرف ذلك . لقد رفض ان يستقبل امي ،  
و . . . طردها .  
لاحظت ان نيقولاى سرجيتش كان يريد ان يقول  
شيئا ، ان يجيب مثلا بان العجوز اذا رفض استقبال ابته  
فانما كانت تدفعه الى ذلك اسباب هامة . ولكنه نظر اليها  
وسكت .  
وسألته آنا آندريفنا التي اصرت فجأة على الاستمرار  
في الحديث في هذا الاتجاه :  
— وابن سكتما حين رفض جدك ان يراكما ؟  
فقال نللي :



— حين وصلنا اخذنا نبحت عن جدي في كل مكان ،  
ولكننا لم نعثر عليه . وقد قالت لي امي ان جدي كان في  
الماضي غنيا جدا ، وانه كان يريد ان يبني مصنعا . ولكنه  
اصبح الآن فقيرا . لان الرجل الذي سافرت معه امي قد  
اخذ منها ماله كله ولم يرده اليها . ان امي نفسها هي التي  
قالت لي ذلك .

— هم . . .

كان هذا كل ما دمدم به العجوز . وتابعت نللي كلامها  
تقول ، وقد اخذت تتحمس شيئا فشيئا ، وبدا عليها انها  
تريد ان تردّ على نيقولاى سرجييتش مع انها تتوجه بكلامها  
الى آنا آندريفنا ، تابعت كلامها تقول :

— وقالت لي امي ايضا ان جدي كان غاضبا عليها  
اشد الغضب ، وانها مذنبه في حقه ، وانها ليس لها في  
الدنيا غيره . وكانت تبكي وهي تقول لي ذلك . قالت لي  
قبل ان نصل : « انه لن يغفر لي انا ، ولكن قد يحبك  
حين يراك ، فيغفر لي من اجلك . » كانت امي تحبني كثيرا ،  
وكانت تقبلني وهي تقول لي هذا الكلام ، وكانت تخاف  
جدا من الذهاب الى جدي . وقد علمتني ان اصلي من  
اجله ، وكانت نصلي من اجله هي ايضا . وقصت عليّ كيف  
كانت تعيش في الماضي مع جدي ، وكيف كان يحبها  
كثيرا ، اكثر من اي شيء في الحياة . كانت في المساء  
تعزف له على البيانو ، او تقرأ له ، وكان يقبلها ويقدم اليها  
الهدايا ، حتى انهما تخاصما ذات يوم ، وهو يوم عيد شفيح  
امي ، لان جدي كان يظن ان امي لا تعرف الهدية التي

سيقدمها لها ، في حين ان امي كانت تعرفها منذ مدة طويلة :  
كانت امي تريد ان تكون الهدية قرطين ، ولكن جدي تعمد  
ان يوهمها بأن هديته اليها ستكون حلية مما يزين به الصدر ،  
فلما جاءها يوم العيد بالقرطين ، فلاحظ انها كانت تعرف  
ذلك ، زعل منها ، وظل لا يكلمها نصف يوم بكامله .  
ولكنه جاء بعد ذلك من تلقاء نفسه ، فقبلها وطلب منها  
ان تسامحه . انساقت نللي في رواية قصتها ، وصعدت الى خديها  
الشاحين حمرة .

كان واضحا اذن ان الام قد حدثت ابنتها غير مرة  
عن ايامها الخوالي السعيدة . كانت ، وهي جالسة في ركن  
من قبوها ، تعانق ابنتها الصغيرة وتقبلها (وهذه هي السلوى  
الوحيدة التي بقيت لها) وتبكي عليها وكانت لا تقدر الاصداء  
القوية التي تثيرها قصصها في هذا القلب الحساس الى درجة  
المرض ، الناصح قبل الاوان ، قلب طفلتها :

ولكن نللي التي استسلمت لذكراياتها استسلاما تاما  
قادت الى نفسها فجأة ، فألقت حولها نظرة حذرة ، وتوقفت  
عن الكلام . وقطب العجوز ما بين حاجبيه ، وعاد ينقر المائدة  
باصابعه ، وترقرت دمعة صغيرة في عين آنا آندريفنا ،  
فجففتها بمندبيلها في صمت .

واستأنفت نللي تقول بصوت أصم :

— كانت أمي مريضة جدا حين وصلنا الى هنا .  
كانت مريضة في صدرها . وظللنا نبحت عن جدي مدة  
طويلة ، فلم نستطع ان نعثر له على أثر . وكنا قد استأجرنا  
ركنا في قبو .



فهتفت أنا آندريفنا :

— تعيش في ركن من قبو ، وهي مريضة بهذا المرض !  
فأجابت نللي :

— نعم . كنا نعيش في قبو . فقد كانت امي فقيرة .  
ثم اضافت بحماسة :

— وكانت امي تقول لي ان القفر ليس خطيئة ، وانما  
الخطيئة ان يكون المرء غنيا وان يهين الآخرين . . . وان الله  
يعاقبها على ما جنت يداها .

— سكتما في جزيرة فاسيلفسكى عند بونوفا ، أليس  
كذلك ؟

طرح العجوز هذا السؤال ، وهو يلتفت نحوي ويحاول  
ان يتكلم بلهجة لا تدل على شيء من الاهتمام . طرح  
هذا السؤال كما لو كان يزعمه ان يظل جالسا معنا دون ان  
ينطق بكلمة .

فأجابته نللي بقولها :

— ليس هناك . . . بل سكتنا اول الامر في ميشانسكايا  
ثم استأنفت تقول بعد ان صممت لحظة :

— كان المكان مظلما رطبا ، فاشتدت وطأة المرض  
على امي ، ولكنها كانت لا تزال تنهض من فراشها . كنت  
اغسل لها غسيلها . وكانت تبكي . وكان يسكن معنا امرأة  
عجوز هي ارملة ضابط في الجيش ، وموظف محال على  
المعاش يعود الى البيت ثملا فيصرخ ويملا البيت ضجيجا  
كل ليلة . . . كنت اخاف منه جدا ، فكانت امي تأخذني  
الى سريرها ، وتضميني اليها ، وكانت هي نفسها ترتعد من

الخوف حين يعود ذلك الموظف فيأخذ يصرخ ويشتم . وقد  
اراد ذات يوم ان يضرب امرأة الضابط التي كانت عجوزا  
هرمة تتوكأ على عصا ، فأشفقت امي عليها ، ودافعت عنها ،  
فضرب الرجل امي ، فهجمت انا عليه . . .

هنا توقفت نللي عن الكلام . ان هذه الذكرى تهزها  
هزا قويا . واخذت عينها تلتمعان .

صرخت أنا آندريفنا وقد أسررتها هذه القصة وكانت  
لا تتحول ببصرها عن نللي التي كانت تتوجه بالكلام اليها  
خاصة ، صرخت تقول :

— يا رب ، يا رب ! . . .

وتابعت نللي كلامها :

— عندئذ خرجت امي من البيت واخذتني معها .  
كان ذلك اثناء النهار . فظللتا نمشي في الشارع حتى المساء .  
كانت امي لا تنقطع عن البكاء ، وكانت تمسك بيدي .  
تعبت جدا ، لم نأكل طوال هذا اليوم كله وظلت طوال  
الوقت نحدث نفسها ونقول لي : « يجب ان تبقي فقيرة  
يا نللي ، اياك ان تصغي بعد موتي الى احد ، اياك ان  
تصدقني بعد موتي شيئا . لا تذهبي الى احد ، ظلي وحيدة ،  
فقيرة ، واعلمي ، فان لم تجدي عملا ، فنسولي . . . ولكن  
لا تذهبي اليهم ابدا . » وفيما نحن نجتاز احد الشوارع عند  
هبوط الليل ، صرخت امي فجأة : « ازوركا ، ازوركا » ، فاذا  
بكلب كبير أمعط يجري نحو امي نابحا ، ويرتمي عليها .  
اصفرت امي اصفرارا شديدا ، وصرخت ، وركعت على ركبتها  
امام شيخ طويل كان يسير متوكئا على عصاه وهو ينظر في



الارض . كان ذلك الشيخ هو جدي . كان نحيلًا نحولًا شديدًا ، وكان يرتدي اسمالا خلقة بالية . هذه هي المرة الاولى التي رأيت فيها . وقد ذعر هو ايضا ، وامتقع وجهه ، فلما رأى امي راكعة امامه تعانق ساقيه ، خلص ساقيه منها ، ودفعها ، وضرب بعصاه الرصيف ، وابتعد مسرعا . وبقي ازوركا . كان يثن ويلعن وجه امي . ثم ركض وراء جدي وامسكه من طرف رداثه وشده الى وراء ، ولكن جدي ضربه بعصاه . وعاد الينا ازوركا مرة اخرى ، ولكن جدي ناداه ، فمضى اليه وهو ما يزال يثن . ظلت امي على الارض ، كأنها ميتة . واجتمع الناس حولنا ، وجاء رجال الشرطة . كنت انا ابكي واحاول ان انهض امي . ونهضت امي اخيرا ، فالقت من حولها نظرة ، ثم سارت تبعني ، فقدها الى البيت . ولقد ظل الناس مدة طويلة ينظرون الينا وهم يهزون رؤوسهم .

توقفت نللي عن الكلام لتتنفس وتسترده قواها . كانت شاحبة شديدة الشحوب ، ولكن عينيها تلتمعان بعزم قوي . كان واضحا انها قررت اخيرا ان تقول كل شيء . بل لقد كان فيها عندئذ شيء من التحدي .

قال نيقولاى سرجييتش بصوت متعثر مكفهر :  
— لقد اهانت امك اباك ، وكان من حقه ان يرفضها .  
فأجابت نللي بلهجة نافذة :

— ذلك ما قالته امي . . كانت تقول لي ونحن عائدتان الى البيت : « هذا هو جدك يا نللي . . لقد اجرت في حقه ، فلعنني ، والله يعاقبني الآن على ما اقترفت يداي من اثم » .

وظلت امي تردد هذا الكلام طوال ذلك المساء ، وطوال الايام التي اعقبته ، ظلت تردده في كل لحظة . كان يخيل الى المرء حين يسمعها تتكلم انها فقدت عقلها . كان العجوز صامتا لا يقول شيئا .

وسألتهآ آنا آندريفنا التي ما فثت تبكي بكاء صامتا :  
— وبعد ذلك كيف انتقلتما الى المسكن الجديد ؟

— في تلك الليلة اشتدت وطأة المرض على امي . ووجدت لنا امرأة الضابط مسكنا عند بوبنوا ، انتقلنا اليه لتقيم فيه بعد يومين وامرأة الضابط معنا . فلما وصلناه رقدت امي في فراشها ثلاثة اسابيع ، وكنت انا اعنى بها ، ولم يبق معنا شيء من مال ، فساعدتنا امرأة الضابط ، وساعدنا ايفان الكسندرتش .

اضفت موضحا :  
— صانع التوايت .

— وحين نهضت امي من فراشها وبدأت تسير على قدميها ، حدثتني عن ازوركا .

وقطعت نللي كلامها . لقد سر العجوز ان ينصرف الحديث الى ازوركا . فسألها وهو يزيد استلقاه على مقعده كأنه يريد ان يخفي عنا وجهه :

— ماذا قالت لك عن ازوركا ؟  
فأجابت نللي :

— كانت لا تنفك تحدثني عن جدي . كانت وهي مريضة لا تزيد على ان تكلمني عنه ، وكذلك اثناء الهذيان . ولما اخذت تتحسن صحتها ، عادت فقصت عليّ كيف



كانت تعيش في الماضي . . . وروت لي قصة ازوركا فقالت :  
ذات يوم ، في القرية ، رأيت عددا من الصبية يجرون هذا  
الكلب بحبل ليلقوه في النهر . فاعطتهم بعض المال لتفتديه .  
وحين رأى جدي ازوركا ضحك كثيرا . ولكن ازوركا هرب .  
فأخذت امي تكي . وخاف عليها جدي ، فقال انه سيدفع  
مائة روبل لمن يعيد اليه ازوركا . وعادوا اليه بعد يومين بالكلب ،  
فدفع جدي مائة روبل ، ومنذ ذلك اليوم اخذ يحب ازوركا .  
وكانت امي تحب ازوركا حبا شديدا ، حتى انها كانت ترضمه  
اليها في سريرها . وقد قصت عليّ امي ان ازوركا كان في  
الماضي يطوف الشوارع مع ممثلين هزليين ، وانه كان يعرف  
كيف يمشي على قائمته الخلفيتين ، وكيف يحمل على ظهره  
قردا ، وكيف يصوّب بندقيه ، وكيف يقوم بأشياء كثيرة اخرى .  
وحين تركت امي جدي ، احتفظ جدي بازوركا ، فكان  
يجره معه حيثما ذهب ، لذلك حين رأيت امي ازوركا في  
الشارع ايقنت فوراً ان جدي معه .  
كان العجوز يأمل ان يكون الكلام على ازوركا فرصة  
للابتعاد عن الموضوع ، فلما رأى ان ذلك لم يتحقق ،  
ازداد جموداً ولم يطرح بعد ذلك سؤالاً .  
سألته أنا آندريفنا :

— ألم تري جدك بعد ذلك ؟

— بل رأيت . رأيت مرة اخرى حين اخذت تتحسن  
صحة امي . كنت ذاهبة لشراء شيء من الخبز ، فرأيت  
رجلاً يسير مع ازوركا ، فلما نظرت اليه عرفت انه جدي .  
فلطوت بالحائط لادع له ان يمر . فنظر اليّ طويلاً ، طويلاً ،

ونخت منه ، ثم مضى . وقد عرفني ازوركا ، فاخذ يقفز  
من حولي ، ويلحس اصابعي . واشترت الخبز ، وقفلت  
راجعة الى البيت ، وفيما انا التفت الى وراه رأيت جدي  
يدخل دكان الخباز ، فقلت في نفسي : لا شك انه دخل  
اليه ليطرح عليه بعض الاسئلة ، فازداد خوفي وحين وصلت  
الى البيت لم احدث امي بشيء ، مما وقع ، مخافة ان  
تعرض مرة اخرى . ولم اذهب في الغد الى دكان الخباز .  
بل ادعيت اني مصابة بصداع في رأسي . وحين ذهبت  
اليه بعد غد ، لم اصادف احداً ، ولكنني كنت خائفة  
جدا . حتى لقد كنت اركض باقصى سرعة . ذهبت الى  
الخباز في اليوم الذي بعده . ففيما انا انعطف عند الناصية ،  
رأيت جدي وازوركا امامي . فهربت . ومضيت في شارع  
آخر . ودخلت الى الخباز من باب غير الباب الاول . ولكنني  
اصطدمت به مرة ثانية على حين فجأة . فبلغت من شدة  
الخوف اني تسمرت في مكاني لا استطع حراكاً . ووقف  
جدي امامي ونظر اليّ طويلاً كالمرءة الماضية ، ثم داعب  
رأسي . وتناول يدي وسار بي . وتبعنا ازوركا يحرك ذنبه .  
لاحظت عندئذ ان جدي كان لا يقوى على الانتصاب بقامته .  
فكان يتكى على عصا ، وكانت يدها ترتعشان . وقادني الى  
بائع في الناصية يبيع في الشارع حلوى وتفاحاً ، فاشترى لي  
حلوى في شكل ديك وسمكة ، واشترى تفاحة . وحين مد  
يده الى محفظته ليخرج منها النقود كانت ترتجف ارتجافاً  
شديداً ، حتى لقد سقطت من بين اصابعه قطعة خمس  
كوبيكات . فتناولتها من الارض ، ومدتها اليه ، ولكنه



اعطانيها مع الحلوى ، ولعب شعري . . كل ذلك دون ان  
يقول كلمة واحدة . ثم مضى . . .  
فعدت الى البيت ، فقصصت على امي كل شيء ،  
وقلت لها انني خفت من جدي في اول الامر ، وانني كنت  
اختبئ حين اراه . فلم تصدقني امي بادئ ذي بدء ،  
ثم بلغت بعد ذلك من فرط السرور أنها ظلت طوال ذلك  
المساء تطرح عليّ السؤال ، وهي تعانقني وتبكي ، ولما فرغت  
من قص كل شيء عليها ، قالت ان عليّ ان لا اخاف من  
جدي ابدا بعد الآن ، فانه يحبني ، ما دام قد جاء عامدا  
ليراني . وطلبت اليّ ان اكون لطيفة معه ، وان اكله .  
وفي صباح الغد ارسلتني عدة مرات ، رغم انني قلت لها  
ان جدي لا يأتي الا في المساء . وكانت تسير ورائي ،  
وتختبئ عند ناصية الشارع . وفي اليوم الذي بعده قمنا بنفس  
الشيء ولكن لم يأت جدي وكانت السماء تمطر في تلك  
الايام ، فأصاب امي برد لخروجها معي ، واضطرت ان  
تلزم فراشها من جديد .  
وجاء جدي بعد اسبوع . فاشترى لي سمكة وتفاحة  
ايضا ، ولكنه لم يكلمني ابدا . فلما مضى ، تبعته دون  
ضجة ، لانني كنت قررت ان اعرف ابن يسكن ، لاقول  
ذلك لامي . سرت في اثره على الطرف الآخر من الشارع ،  
حتى لا يراني . كان يسكن في مكان بعيد ، لا في ذلك  
المكان الذي انتقل اليه بعد ذلك ومات فيه ، بل في شارع  
جورجوفايا ، في الدور الرابع من بيت كبير . تحريت هذا كله  
وعدت الى البيت متأخرة . فوجدت امي قلقه اشد القلق ،

لأنها لا تعرف اين كنت . فلما قلت لها اين كنت ،  
عادت ففرحت كثيرا ، وقررت ان تذهب اليه في الغد .  
ولكنها فكرت في غد في الامر ، فخافت ان تذهب اليه ،  
وظلت تردد ثلاثة ايام ، نادتني بعدها وقالت لي : « اسمعي  
يا نللي ، انا الآن مريضة ، ولا اقدر ان اخرج من البيت ،  
ولكنني كتبت رسالة الى جدك ، فاذهبي اليه ، وأعطيه  
الرسالة . وراقبيه وهو يقرأ الرسالة ، وانتبهي الى ما سيقوله  
وما سيفعله . ثم اركعي على ركبتك ، وقبله ، واسأله ان  
يغفر لأمك . » . كانت امي تبكي كثيرا وهي تقبلني ، ورسمت  
عليّ اشارة الصليب قبل ان اذهب ، وصلت ، واركعتني  
على ركبتي امام الايقونة معها ، ثم شيعتني الى باب المنزل  
رغم مرضها . وحين التفت الى وراه وجدتها ما تزال عند  
الباب تشيعني بنظراتها .

وصلت الى بيت جدي ، وفتحت الباب . كان المزلاج  
مرفوعا . فرأيت جدي جالسا الى مائدته يأكل  
خبزا وقلبلا من البطاطس ، ورأيت ازوركا الى جانبه  
ينظر اليه ويحرك ذيله . في ذلك المنزل ايضا ، كانت  
التوافذ ضيقة مظلمة ، ولم يكن ثمة الا مائدة وكوسي واحد .  
كان جدي يعيش وحيدا . ودخلت . فبلغ جدي من فرط  
الخوف ان وجهه اصفر اصفرارا شديدا ، واخذ يرتعش . انا  
ايضا خفت ، فلم اقل شيئا ، وانما اقتربت من المائدة ،  
ووضعت عليها الرسالة . فلما رأى جدي الرسالة ، غضب غضبا  
شديدا ، ونهض فجأة ، فتناول عصاه وهزها فوق رأسي ،  
ولكنه لم يضربني . ثم جرتني الى المدخل ، ودفعني الى



خارج فما كدت اهبط بضع درجات من السلم حتى رأيت  
يفتح الباب ، ويقذف إليّ بالرسالة غير مفضوضة .  
عدت الى البيت . وقصصت على امي كل شيء .  
فلزمت فراشها من جديد .

## الفصل الثامن

في تلك اللحظة دوى رعد شديد ، وتساقطت على  
زجاج النوافذ قطرات من المطر ، وغرقت الغرفة في الظلام .  
فرسخت العجوز على نفسها اشارة الصليب كأنها خائفة ، وصمتنا  
جميعا على حين فجأة . قال العجوز وهو يلقي نظرة على النوافذ :  
— سيتقضي الرعد بعد قليل .  
ثم نهض واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا . كانت نللي  
تتابعه يبصرها . وكانت في حالة من الاضطراب الشديد .  
لاحظت عليها ذلك . ولكنها كانت تتحاشى ان تنظر اليّ .  
سألها العجوز وهو يعود فيجلس على مقعده :

— وبعد ؟

فألقت نللي حولها نظرة خائفة .

— ألم ترى جدك بعد ذلك ؟

— بلي ، رأيت .

— اكمل حديثك يا حلوتي ، نعم ، نعم ، اكمل .

فاستأنفت نللي سرد قصتها :

— خلال ثلاثة اسابيع لم ار جدي ، الى ان جاء  
الشتاء . جاء الشتاء ، وهطل الثلج . وحين لقيت جدي

مرة اخرى في ذلك المكان نفسه ، سررت كثيرا . لان  
امي حزنت اشد الحزن لانقطاعه عن المجيء . فلما رأته  
تعمدت ان انتقل الى الرصيف الآخر ، ليرى انني اهرب منه .  
والثفت ورائي فرأيت بحث الخطي ليلحق بي ، ثم اخذ يركض  
صارخا : « نللي نللي » . وكان ازوركا يركض ايضا وراءه . فرق  
قلبي لهذا المشهد ، ووقفت . اقترب جدي وتناول يدي ،  
وسار بي ، فلما لاحظ انني ابكي ، توقف ، ونظر اليّ  
وانحنى عليّ يقبلني . فلاحظ عندئذ ان حداثي باليان ،  
فسألني أليس عندي حذاءان غيرهما . فأسرعت اقول له  
ان امي ليس معها نقود البتة ، وان سكان البيت الذي نحن  
فيه يتصدقون علينا بطعامنا شفقة ورحمة . فلم يقل جدي  
شيئا ، ولكنه قادني الى السوق ، فاشترى لي حذاءين ،  
وامرني ان اتعلمهما فوراً ، ثم اخذني الى بيته في شاع  
جوروخويا . وقد دخل قبل ذلك الى دكان من الدكاكين  
فاشترى لي فطيرة وقطعتين من الحلوى ، فلما وصلنا الى  
البيت ، امرني بان آكل الفطيرة ، واخذ ينظر الي وأنا آكلها ،  
حتى اذا فرغت منها ، اعطاني قطعتي الحلوى . وقد وضع  
ازوركا قائمته على المائدة يريد ان يأكل من الفطيرة ، فاعطيته  
لقمة ، فضحك جدي ، ثم جذبني اليه ، وداعب رأسي .  
وسألني هل تعلمت شيئا ، وما الذي اعرفه فأخبرته بما اعرفه .  
فامرني ان آتي اليه في الساعة الثالثة من كل يوم ، ليعطيني  
دروسا . ثم طلب مني ان انظر من خلال النافذة ، الى ان  
يأمرني بالالتفات ، ففعلت ، ولكنني التفت اثناء ذلك خلسة  
فرأيت يفتق زاوية سادته ويخرج منها اربعة روبلات من الفضة .



ثم جاء بها الي وقال : «هذه لك وحدك» . وهمت ان  
أخذها ، ولكنني فكرت في الامر ، فقلت له . «اذا كانت  
لي وحدي ، فلن أخذها .» فاذا هو يغضب فجأة ويصرخ  
بي : «كما تريدن ، خذها واذهبي» . ولم يقبلني قبل  
ان اذهب .

فلما وصلت الى البيت قصصت على امي كل شيء .  
ولكن صحة امي كانت تسوء شيئا فشيئا . وكان ثمة طالب  
من طلاب الطب يتردد الى صانع التوايت ، فكان يعالج  
امي ، ويجرعها بعض الادوية .

وصرت اذهب الى جدي احيانا كثيرة : فلقد امرتني  
امي بذلك . واشترى جدي نسخة من الانجيل وكتابا في  
الجغرافيا . واخذ يعطيني دروسا . كان يعدد لي بلاد الدنيا .  
ويحدثني عن سكانها . ويذكر لي اسماء البحار . ويقص  
علي احداث التاريخ . ويروي لي كيف غفر لنا المسيح جميعا .  
وكان يسر حين القي عليه بعض الاسئلة فأخذت اطرح عليه  
اسئلة كثيرة . فكان يروي لي كل شيء وكان يكلمني في  
كثير من الاحيان عن الله . وكنا في بعض الاحيان نلاعب  
آزوركا بدلا من ان ندرس . وكان آزوركا قد اخذ يحبني كثيرا .  
حتى لقد علمته كيف يقفز فوق عصا فكان جدي يضحك  
ويداعب شعري . كان جدي لا يضحك الا نادرا وكان في  
بعض الايام يتكلم كثيرا . ثم بصمت فجأة . ويظل جالسا  
كأنه نائم ، مع بقاء عينيه مفتوحتين . وكان يبقى على هذه  
الحال حتى المساء . وكان وجهه يتبدل في المساء تبدا  
غريبا ، فيصبح مخيفا ، ويظهر فيه هرم شديد . وكنت

اصل في بعض الاحيان فأراه جالسا على كرسية يفكر ، ولا  
يسمع شيئا ، وقد رقد آزوركا قربه . فكنت انتظر وانتظر ،  
ثم اسعل ، فما ينظر الي فأمضي عائدة ، وكانت امي تنتظرنني  
في البيت على سريرها . وكنت اقص عليها كل شيء واظل  
اقص عليها الى ان يهبط الليل . وتظل هي تصغي الى ما  
احدثها به عن جدي : ما فعله في ذلك اليوم ، الحكايات  
التي رواها لي ، الدرس الذي اعطانيه . وحين كنت اذكر  
لها انني جعلت آزوركا يشب فوق العصا وان جدي ضحك ،  
كانت تأخذ تضحك هي ايضا ، وتظل تضحك مدة طويلة ،  
فرحة كل الفرح حتى لقد كانت تستعيدني ما قلت . ثم  
تأخذ تصلي وكنت أتساءل دائما : «كيف يمكن ان تحب  
امي جدي ، وان لا يحبها هو .» وحين ذهبت الى جدي  
في المرة التالية ذكرت له كيف ان امي تحبه كثيرا . فأصغى  
الى كلامي حتى النهاية ، غاضبا مقطبا ، دون ان يقول  
شيئا . ثم سألته لماذا تحبه امي كل هذا الحب ، ولماذا  
تسألني دائما عنه ، في حين انه لا يسألني هو عنها ابدا ،  
فغضب جدي ، وطردني ، فلبثت لحظة وراء الباب ، فاذا  
الباب يفتح ثانية ، واذا جدي يناديني اليه . ولكنه ظل  
غاضبا لا يقول شيئا . فلما اخذنا نقرأ في الانجيل ، عدت  
فسألته مرة اخرى لماذا لا يريد ان يعفو عن امي مع ان  
المسيح يقول : «احبوا بعضكم بعضا ، واغفروا الاساءات» .  
فنهض فجأة ، واخذ يصرخ قائلا ان امي هي التي علمتني  
ان اقول هذا الكلام ، ثم دفعني خارج الغرفة مرة ثانية وهو  
يأمرني ان لا اعود اليه بعد اليوم ابدا . فقلت له انني انا



ايضا لا احب ان اعود اليه ، ومضيت . . وفي اليوم التالي  
ترك جدي مسكنه وانتقل الى مسكن آخر .

قال نيقولاى سرجييتش وهو يلتفت نحو النافذة :

— ألم اقل ان المطر سينقطع ؟ هو ذا انقطع ، وها  
هي ذى الشمس تظهر ، هل ترى يا فانيا ؟

فنظرت اليه آنا آندريفنا نظرة مترددة ، ثم التمع الاستياء  
فجأة فى عيني العجوز الطيبة ، وكأنت الى ذلك الحين ناعمة  
جافلة . وتناولت يدي نللي دون ان تنبس بكلمة واجلس  
الفتاة الصغيرة على ركبتيها .

ثم قالت لها :

— تكلمي يا ملاكي ، قصي عليّ ، سأصغي اليك .  
اما الذين قست قلوبهم . . .

ولم تنه جملتها ، بل اخذت تبكي . فألقت السيّ  
نللي نظرة سائلة ، وبدت حائرة مذعورة . ونظر اليّ العجوز ،  
وهز كفيه ، ثم تحول عني فورا .  
قلت :

— اكلمي يا نللي .

— خلال ثلاثة ايام ، لم اذهب الى جدي . وفي  
اثناء ذلك ساءت صحة امي وفرغت ايدينا من اى مال ،  
وعجزنا عن شراء الادوية ، واصبحنا لا نأكل شيئا ، لان  
السكان فرغت ايديهم ايضا ، واخذوا يأخذون علينا اتنا  
نعيش عائلة عليهم . فى اليوم الثالث نهضت من فراشي ،  
وارتديت ملابسي ، فسألتنى امي الى اين اذهب ، فقلت  
لها انني ذاهبة الى جدي اطلب منه بعض المال ، فسرت

امي ، لانني كنت قد ذكرت لها ان جدي طردني وقلت  
لها انني لن اعود اليه بعد الآن ، فبكت وتوسلت اليّ ان  
اعود فأزوره . عندما جئت قبل لي ان جدي انتقل من مسكنه ،  
فذهبت ابحت عن مسكنه الجديد . فلما دخلت عليه ،  
نهض فجأة وهجم عليّ . وضرب برجليه الارض . ولكنني  
قلت له ان امي مريضة جدا وانا فى حاجة الى خمسين  
كوبيك ثمن الدواء . وليس فى بيتنا ما نأكله . فأخذ  
جدي يصرخ . ودفعني الى السلم واغلق الباب . ولكنني  
قلت له وهو يدفعني انني سأبقى على السلم لا ابارحه قبل  
ان يعطيني المبلغ . وجلست على السلم . فما هى الا دقيقة  
حتى فتح الباب فرأى انني ما زلت جالسة . فعاد يغلق الباب  
وانقضت على ذلك فترة طويلة فتح بعدها الباب ثم اغلقه  
ثانية حين رأيّ . وكرر ذلك عدة مرات . واخيرا خرج مع  
آيوكا . واغلق الباب . ومر امامي دون ان يخاطبني بكلمة .  
فلم اكلمه انا ايضا . بل بقيت فى مكاني حتى المساء .  
صاحت آنا آندريفنا :

— ولكن يا صغيرتي البائسة ، لا بد ان الجو كان  
باردا وانت على السلم .  
— كنت ارتدي معظفي .

— ما قيمة المعطف فى مثل ذلك الجو البارد ! ما  
اكثر ما تحملت يا صغيرتي التعيسة ! ثم ماذا فعل جدك ؟  
اخذت شفتنا نللي ترتعشان . ولكنها بذلت جهدا جبارا  
من اجل ان تسيطر على نفسها . واردفت تقول :

— عاد فى المساء بعد ان ساد الظلام . فلما همّ



ان يدخل بيته ، اصطدم بسي . فصرخ قائلا : «من هنا ؟»  
فاجبته «انا» . كان يعتقد انني انصرفت منذ مدة طويلة .  
فلما رأى انني ما زلت واقفة ، دهش كثيرا ، وظل واقفا  
امامي مدة طويلة . وفجأة ، ضرب السلم بعصاه . واسرع  
يفتح الباب . ثم عاد بعد دقيقة يحمل نقودا من نحاس  
كانت كلها قطعاً من ذات الخمس كويكات ، فلقاها على  
السلم ، وهو يقول لي : «خذي ! هذا كل ما بقي لي .  
وقولي لأمك انني عنها» . ثم اغلق الباب . تدهجرت قطع  
النقود على السلم ، فأخذت ابحت عنها في الظلام ، ولا  
شك ان جدي ادرك ان النقود قد تبعثرت وانني اتكلفت كثيرا  
من العناء لالتقاطها ، ففتح الباب وجاءني بشمعة فوجدت  
النقود بسهولة ، وساعدني جدي في التقاطها ، وقال لي ان  
مجموعها يجب ان يكون سبعين كويك ، ثم مضى . فلما  
عدت الى البيت اعطيت النقود لامي ، وحكيت لها كل شيء ،  
فازدادت صحتها سوا ، ومرضت انا ايضا طوال الليل ،  
وانتابتني الحمى في الغد ، ولكنني كنت لا افكر الا في شيء  
واحد ، لانني كنت حانقة على جدي ، فلما نامت امي  
خرجت ، وسرت في طريقي الى بيت جدي . ولكنني توقفت  
عند الجسر وفي تلك اللحظة انما مر ذلك الرجل .

قلت :

— هو ارخيوف . سبق ان حدثتك عنه يا نيقولاى سرجييتش :  
ذلك الذي كان مع البائع عند بونوفا ، وكبيلت له الضربات .  
كانت تلك اول مرة تلقاه فيها نللي . تابعي قصتك .  
واستأنفت نللي تقص حكايتها :

— فاستوقفته . وسألته ان يعطيني روبل فضة . فنظر  
اليّ وسألني : «روبل فضة ؟» فقلت : «نعم» ، فأخذ  
بضحك وقال لي : «تعالى معي» . لم أكن اعرف هل  
يجب ان اذهب معه او لا . وفجأة اقترب عجوز قصير يضع  
على عينيه نظارتين ذهبيتين ، وكان قد سمع انني اطلب روبل  
فضة ، فانحنى عليّ وسألني لماذا اطلب هذا المبلغ . فقلت  
له ان امي مريضة ، وانها في حاجة الى هذا المبلغ لتشتري  
دواء . فسألني اين نسكن ، وسجل العنوان ، واعطاني ورقة  
روبل . اما الآخر ، فانه حين رأى العجوز القصير ، مضى  
في سبيله ، ولم يطلب مني بعد ذلك ان اذهب معه .  
فدخلت احدى الدكاكين ، وابدلت الروبل قطعاً نحاسية ،  
لففت ثلاثين كويك منها بورقة ، محتفظاً بها لامسي ،  
وتركت السبعين الاخرى بيدي ، وذهبت الى جدي . فلما  
وصلت فتحت الباب . ووقفت في العتبة وهزرت يدي . ورميت  
له القطع . فندحرجت على ارض الغرفة . ثم قلت له :  
«هذه نقودك . ان امي ليست في حاجة اليها ما دمت تلعنها» .  
ثم صفقت الباب ووليت هاربة .

كانت عينا نللي تلتمعان . ورشقت العجوز بنظرة متحدية .  
قالت آنا آندريفنا ، دون ان تنظر الى نيقولاى سرجييتش ،  
وهي تشد نللي الى صدرها :

— ذلك ما كان يجب ان تفعله . . ذلك ما كان  
يجب ان تفعله : لقد كان جدك امراً شريراً قاسياً .  
همهم نيقولاى سرجييتش :

— هم . .



وسألته أنا آندريشنا ، نافدا صبرها :

— وبعد ذلك . وبعد ذلك ؟

— بعد ذلك لم اذهب الى جدي ولا جاء هو لبراني .

— وما الذى حدث لكما انت وامك ؟ آه يا رب .

ما اشقاها !

— كانت صحة امي تزداد سوءا . واصبحت لا تنهض

من فراشها الا نادرا .

قالت نللي ذلك واخذ صوتها يرتعش ، ويتكسر ، ثم

تابعت حديثها :

— لم يبق في ابدنا نقود ، فاخذت اتسول مع امرأة

الضابط . كانت تمضي من بيت الى بيت ، وتستوقف الناس

في الشارع ، تسألهم صدقة هكذا كانت تعيش . وكانت

تقول لي انها ليست شحاذاة ، وان في يديها اوراقا ذكرت

فيها رتبة زوجها وذكر فيها انها فقيرة ، فكانت تبرز هذه

الاوراق للناس ، فيتصدقون عليها . وكانت تقول لي ايضا

انه ليس عارا ان يستجدي المرء جميع الناس . كنت اذن

اذهب معها ، وكان الناس يتصدقون علينا ، وهكذا كنا

نعيش . وقد علمت امي بذلك ، لان السكان عبروها بأنها

شحاذاة ، ولان يوبنوبا جاءت تقول لها ان من الافضل ان

ترسلني اليها بدلا من ان اتسول . كانت قد جاءت قبل

ذلك تحمل الى امي بعض المال ولكن امي رفضت المال ،

فاستغربت يوبنوبا هذه الكبرياء ، وارسلت الى امي طعاما ،

حتى اذا حدثتها عني بذلك في هذه المرة اخذت امي

تبكي وخافت خوفا شديدا ، فأخذت يوبنوبا تكيل لها الشنائم .

لانها كانت سكرانة . قالت لامي ان ابنتها شحاذاة ، انها

تسول مع امرأة الضابط . وفي ذلك المساء نفسه طردت

يوبنوبا امرأة الضابط . واخذت امي تبكي حين علمت بكل

ذلك . ثم نهضت فارتدت ملابسها ، وامسكت بيدي ،

وسارت بسي . وحاول ايفان الكسندروفنش ان يمنعها من

الخروج ، فلم تطعه ، وخرجنا . كانت امي لا تكاد تقوى

على السير ، فكانت تجلس في كل لحظة ، وكنت اسندها .

وطلبت اليّ ان امضي بها الى بيت جدي . كان الظلام

قد خيم منذ مدة طويلة ، ووصلنا فجأة الى شارع كبير .

كانت عربات تتوقف امام بيت جميل ، فينزّل منها الناس .

وكانت نوافذ البيت تسطع بالانوار ، وتخرج منها موسيقى .

فوقفت امي ، وامسكتني ، وقالت لي : « نللي ، ابقي فقيرة ،

ابقي فقيرة مدى الحياة ، ولكن لا تذهبي اليهم ، كائنا من

كان الشخص الذى قد يدعوك او يبحث عنك . انت ايضا

في وسعك ان تكوني هناك ، غنية ، بثوب جميل . ولكنني

لا اريد ذلك . انهم شريرون قساء ، اليك ما أمرك به :

ظلي فقيرة ، اعلمي ، اطلبني الصدقة ، فاذا جاءك احد

يريد ان يأخذك اليه ، فقول لي له : لا اريد ان اذهب اليك . » .

هذا ما قالته لي امي حين كانت مريضة . واريد ان اطيعها

مدى الحياة (اضافت نللي هذا الكلام وهي ترتعش من فرط

الانفعال ، وقد احمر وجهها حتى صار بلون الارجوان) سأظل

طوال حياتي اخدم واعمل . انني اجيء اليكما الآن لآخدم

واعمل ، ولا اريد ان آكون ابنتكما .

صاحت العجوز وهي تشد نللي الى صدرها :



— كفى كفى يا صغيرتي ، كفى . لقد كانت امك مريضة حين قالت لك هذا الكلام .

وعقب العجوز يقول بلهجة خشنة :

— كانت مجنونة .

فأجابت نللي بحرارة :

— يجوز انها كانت مجنونة ، ولكن هذا ما امرتني

به ، وهذا ما سأفعله ما حييت . وبعد ان قالت لي ذلك ، سقطت مغشيا عليها .

صاحت آنا آندريفنا :

— يا رب يا رب . . مريضة ، في الشارع ، شتاء .

— وارادوا ان يقودونا الى قسم الشرطة ، ولكن رجلا

من العمارة تدخل في الامر ، وسألني اين نسكن ، واعطاني

عشرة روبلات ، وامر سائقه ان يوصلنا الى بيتنا . وبعد ذلك

اليوم ، لم تنهض امي من فراشها ابدا ، وماتت بعد ثلاثة

اسابيع .

صاحت آنا آندريفنا :

— وابوها ؟ ألم يغفر لها ؟

فأجابت نللي ، وكانت تسيطر على نفسها ولكن في

كثير من العذاب :

— لا . نادتني امي قبل موتها بأسبوع واحد ، وقالت

لي : « اذهبي الى جدك مرة اخيرة ، واطبسي اليه ان يجي »

ليراني ويغفر لي . قولي له انني سأموت خلال بضعة ايام ،

وانني اتركك للعالم وحيدة ، وقولي له ايضا انني بحزني

ان اموت . . . فذهبت اليه ، فطرقت الباب ، ففتح ،

فلما رأني اراد ان يغلق الباب رأسا ، ولكنني تشبثت به

بكلتا يدي ، وصحت : « امي تموت وهي تطلبك ، تعال . »

ولكنه دفعني ، وصفق الباب . فعدت الى امي ، ووقدت

الي جانبها ، واحطتها بذراعي ، ولم اقل لها شيئا . واحاطتني

امي بذراعها ايضا ، ولم تسألني عن شيء .

وفي هذه اللحظة اسند نيقولاى سرجييتش يده على

المائدة ، ونهض ثقيلًا ، ولكنه بعد ان شملنا جميعا بنظرة

غريبة مضطربة ، هوى على مقعده كمن خارت قواه . وكانت

آنا آندريفنا لا تنظر اليه ، وكانت تشد نللي الى صدرها ناشجة .

— وفي اليوم الاخير ، قبل ان تموت ، وكان ذلك

في المساء ، نادتني امي وامسكت يدي ، وقالت لي :

« سأموت اليوم يا نللي » ، وارادت ان تقول شيئا آخر ، ولكنها

لم تستطع . ونظرت اليها ، فخيل الي انها اصبحت لا

تراني ، ولكنها كانت لا تزال تشد على يدي بيديها ، فسلت

بدي برفق ، وخرجت اركض ، وظللت اركض طوال الطريق

حتى وصلت الى جدي . فلما رأني نهض رأسا ونظر الي ،

فبلغ من شدة الرعب انه اصفر اصفرارا شديدا ، وأخذ يرتعش .

تناولت يده ولم استطع ان اقول له سوى هذه الكلمة « تموت » .

فجن جنونه فجأة ، واخذ عصاه ، وركض ورائي ناسيا قبته ،

وكان الجو باردا ، فتناولت انا قبته ووضعته على رأسه وخرجنا

نعلم . كنت استحثه على الاسراع ، وطلبت اليه ان يستأجر

عربة لان امي يمكن ان تموت من لحظة الى اخرى ، ولكن

لم يكن معه الا سبعة كويكات . فاستوقف السائقين وساومهم ،

فكانوا يضحكون منه ، وبهزأون ايضا بأزوركا . لقد ركض



آزوركا وراهنا . وواصلنا الركض مسرعين . وقد تعب جدي ، فكان يلهث لهاثا شديدا ، ولا يكاد يستطيع ان يتنفس ، ولكنه ظل رغم ذلك يركض . وفجأة وقع على الارض وتدرجت قبعته . فانهضته واعدت القبعة الى رأسه ، وامسكت يده اقوده . . ووصلنا قبيل الليل . . ولكن امي كانت قد ماتت . . فلما رآها جدي ميتة ، ضرب كفا بكف ، وأخذ يرتعش ، وظل الى جانبها دون ان يقول شيئا . عندئذ اقتربت من امي الميتة وتناولت يده ، وصحت به قائلة : « انظر ايها الانسان الشرير ، ايها الانسان القاسي ، انظر الآن ، انظره . فأخذ يصرخ ، وسقط على الارض كالميت .

فرغت نللي من رواية قصتها ، ثم وثبت من مكانها تملص من عناق آنا آندريفنا ، ووقفت بيننا ، شاحبة الوجه خائرة القوى ، قد بلغت غاية العذاب . ولكن آنا آندريفنا هرعت اليها ، وضمتها مرة اخرى بذراعيها ، وأخذت تصيح كأنما يوحى اليها :

— سأكون انا امك الآن يا نللي ، ستكونين ابنتي يا نللي ! نعم يا نللي ، فلنذهب ، ولنذهب جميعا هؤلاء القساء ، هؤلاء الشريرين ! فليعبثوا بالناس ماشاءوا ، حسابهم عند الله ! . . تعالي يا نللي ، فلنذهب ، فلتترك هذا المكان . لم ارها في مثل هذه الحالة يوما ، وما كنت لاصدق انها يمكن ان تفعل هذا الانفعال كله . فنهض نيقولاى سرجييتش عن مقعده ، وسألها بصوت متقطع :

— الى اين تذهبين يا آنا آندريفنا ؟

— اذهب اليها ، الى ابنتي ، الى ناتاشا .

قالت ذلك وهي تجر نللي نحو الباب .

— انتظري ، قفي .

— لا فائدة من الانتظار ، يا من قلبه من صخر .

لقد انتظرت طويلا ، وانتظرت هي ايضا طويلا . وداعا !

قالت العجوز ذلك ، ثم استدارت ، والقت نظرة على

زوجها ، فتوقفت مشدوهة لقد رأت نيقولاى سرجييتش امامها ،

قد وضع قبعته على رأسه ، وراحت يده الخائرتان الضعيفتان

تسربلانه بمعطفه بسرعة .

— وانت ايضا . وانت ايضا . تأتي معي !

صاحت واضعة يديها على صدرها في ضراعة ونظرت

اليه في شك كأنها لا تجرؤ ان تصدق هذه السعادة .

— ناتاشا ، اين ابنتي ناتاشا ؟ اين هي ؟ اين ابنتي ؟

اعيدوا اليّ ناتاشا . اين هي ؟

بهذا هتف صدر الشيخ اخيرا . ومددت اليه عصاه ،

فتناولها ، وأسرع نحو الباب .

صاحت آنا آندريفنا :

— لقد غفر لها ، لقد عفا عنها !

ولكن الشيخ لم يصل الى العتبة . ذلك ان الباب فُتح

فجأة واذا ناتاشا تدخل راكضة . . شاحبة ، متقدة العينين ،

كأن بها حمى . كان ثوبها متجعدا بلله المطر ، وكان المنديل

الذي اسبلته على رأسها قد انزلق الى قفاها . . وعلى خصلات

شعرها المنفوشة الكثيفة كانت تلتصق قطرات كبيرة من ماء

المطر . دخلت راكضة ، فلما رأت اباه ، ركعت امامه ،

مدودة الذراعين اليه .



ولكنه تلقاها بذراعيه !  
 أمسك بها ، وأنفضها كطفل ، وحملها الى مقعده ،  
 اجلسها ثم هوى امامها على ركبته . كان يقبل يديها ،  
 ويرجليها ، ويسرع في ثقيلها ، ويلتحمها التهاما ، كأنه لم  
 يصدق بعد انها معها ، وأنه يراها ويسمعها ، هي ، ابنته ،  
 ناتاشا . وعانقت آنا آندريفنا ابنتها وهي تبكي . وحضنت  
 رأسها بصدرها ، وكانت تبدو كمن يوشك ان يغمى عليه  
 في هذا العناق ، ونخارت قواها فما تستطيع ان تنطق بكلمة .  
 — صديقتي ! . حياتي ! . فرحتي ! .

بهذا كان يهتف الشيخ بصوت متقطع . كان يمسك  
 بيد ناتاشا ، وكعاشق كان يتأمل وجهها الشاحب ، النحيل ،  
 الجميل ، الساحر ، ويتأمل عينيها اللتين تلتحم فيهما الدموع .  
 وكان يردد هتافه «فرحتي ! . ابنتي ! .» ثم يسكت من جديد ،  
 ويأخذ يتأملها كالسكران من النشوة . وقال لنا وهو يبتسم  
 ابتسامة سريعة طفولية وهو ما يزال راكعا امامها :

— من قال لي انها نحلت ؟ انها نحلت ، صحيح ،  
 انها شاحبة ، صحيح ، ولكن انظروا اليها قليلا ! هل ترون  
 ما اجملها ! انها اجمل مما كانت ايضا ، نعم ، اجمل  
 مما كانت ايضا !

قال جملته الاخيرة هذه ، واضطر أن يسكت رغم  
 أنفه ، تحت وطأة هذا الألم ، النابع من الفرح ، الذي  
 كان يحس انه سيحطم قلبه نصفين .

— انهض يا أبت ، انهض يا أبت . انا ايضا اريد  
 ان اقبلك . . .

— يا حبيبي ، يا حبيبي ، يا حبيبي ! هل سمعت  
 يا آنا كيف تتكلم بلطف !

قال ذلك ثم لفها بذراعيه ، وهو يرتعش . وأضاف :

— لا يا ناتاشا ، انا الذي يجب ان ابقى عند قدميك ،  
 الى ان يحس قلبي انك غفرت لي . انني لا استحق ابدا

مغفرتك يا ناتاشا . لقد طردتك يا ناتاشا ، ولعتك ، هل  
 تسمعين يا ناتاشا ؟ لقد لعتك ، استطعت ان ألعنك !

وأنت يا ناتاشا ، كيف صدقت أنني لعتك ، كيف صدقت  
 ذلك ؟ كان يجب ان لا تصدقي ذلك ، ان لا تصدقي

وحب ، ابنتها القلب الصغير القاسي ! لماذا لم تجيئي  
 الي ؟ انك لتعرفين حق المعرفة كيف يمكن ان استقبلك . .

آه يا ناتاشا . . هل تتذكرين كم كنت أحبك ؟ اذن فاعلمي  
 أنني أحبك الآن وأنتي ظللت أحبك طوال هذه المدة ،

ضعفين . . ألف ضعف . . كان حبك في دمي ! كان يمكن  
 ان انتزع قلبي من صدري ، وان القيه بين قدميك ! آه  
 يا فرحتي !

— قبلني اذن ، أيها القاسي ، في شفتي ، في وجهي ،  
 كما تفعل امي .

هكذا صاحت ناتاشا بصوت ضعيف اليم تحجبه دموع  
 الفرح .

— وفي عينيك ايضا ، في عينيك ايضا ، هل تتذكرين  
 كيف كنت اقبلك في عينيك يا ناتاشا ؟

ردد العجوز هذا ، بعد عناق طويل عذب . ثم اردف يقول :

— هل كنت تحلمين بنا احيانا يا ناتاشا ؟ اما انا فكنت احلم بك كل ليلة تقريبا . كنت تجيئين اليّ كل ليلة ، وكنت ابكي عليك . وفي ذات مرة ، رأيتك في المنام صغيرة جدا ، كما كنت في العاشرة من عمرك ، ايام بدأت تتعلمين البيانو : كان لك ثوب صغير قصير ، وحذاءان صغيران جميلان ، كان لها يدان ووديتان صغيرتان . هل تتذكرين يا آنا ؟ جئت اليّ ، وجلست على ركبتني ، واحطنتني بذراعيك . كيف ظننت ابنتها الطفلة الشريرة انني لعتك ، وانني لن استقبلك اذا جئت ؟ ولكن . . اسمعي يا ناتاشا ، لقد ذهبت نحو بيتك مرات كثيرة . . أمك لم تعلم بذلك ، ولا علم به احد . . كنت ابقى تحت نوافذ بيتك احيانا ، وكنت احيانا اخرى انتظر . وفي بعض المرات انتظرت نصف يوم بكامله ، في الشارع ، في اى مكان ، قرب بابك . . قائلا لنفسى : لعلها تخرج بعد قليل ، فأراها من بعيد . وفي المساء ، يكون في نافذتك شمعة مشتعلة غالبا ، فما اكثر ما ذهبت الى هناك ، لا لشيء الا لأرى الشمعة ، لا لشيء الا لألمح خيالك ، فأباركك مباركة المساء . وانت يا ناتاشا هل باركتني مرة مباركة الليل ؟ هل كنت تفكرين فيّ ؟ هل كان قلبك الصغير يحس انني هناك ، تحت النافذة ؟ وما اكثر ما صعدت السلم شتاء ، في ساعات متأخرة من الليل ! . فكنت ابقى وراء الباب في الظلام ، وارهدف اذني ، عسى ان اسمع صوتك ، او ضحكك . . هل يمكن ان ألعنك ،

وتلك كانت حالتي ؟ وفي ذات مساء ، ذهبت اليك ، وارتدت ان اغفر لك ، ولم انكص على عقبي الا عند الباب . . آه . يا ناتاشا !  
قال ذلك ثم وقف ، فأنهضها عن المقعد ، وحضنها الى قلبه . وقال :

— انها هنا ، من جديد ، على قلبي . احمدك اللهم على كل شيء ، على غضبك وعلى رأفتك ! . احمدك اللهم على الشمس التي تضيئنا الآن جميعا بعد العاصفة . احمدك اللهم على هذه اللحظة كلها . اللهم انهم قد أذلونا وأهانونا ، ولكن ها نحن اولاء عدنا فالتقينا . ألا فليظفر الآن اولئك العتاة المتغطرسون الذين حقرونا واهانونا ! ألا فليرجعونا بالحجر ! لا تخشي شيئا يا ناتاشا ! سأمضي اليهم ، واضعا يدي بيدك ، وسأقول لهم : « هذه ابنتي الغالية ، هذه ابنتي الحبيبة ، هذه ابنتي البريئة ، التي اهتموها وأذللتموها . . ولكنتي احبها ، انا ، احبها وباركها الى الابد . »  
قالت ناتاشا بصوت ضعيف وهي تمد الي يدها بينما كان ابوها يحضنها :

— فانيا ، فانيا !  
لن انسى ما حييت انها تذكرتني في تلك اللحظة ونادتني .

وقال الشيخ وهو ينظر حوله :

— اين نللي ؟

وصاحت العجوز :

— نعم اين نللي ؟ لقد تركناها ، هذه الصغيرة العزيزة .



ولكن نللي لم تكن هناك . لقد تسللت خلسة الى  
حجرة النوم . ذهبنا الى هناك جميعا ، فرأيناها في ركن  
وإزاء الباب ، مخفية على خوف .

صاح العجوز :

— ما بك يا ابنتي ؟

وكان يريد ان يتناولها بذراعيه ، ولكنها التفت عليه  
نظرة طويلة ، ثم قالت كالغائبة عن نفسها :

— امي ، اين امي ؟

ثم صرخت وهي تمد اليها ذراعيها المرتجفتين :

— اين امي ؟

ثم اذا بصرخة فظيمة ، رهيبة ، تخرج من صدرها  
وتشج وجهها ، وسقطت على الأرض فريسة نوبة مرعبة .

## خاتمة

ذكريات اخيرة

كنا في منتصف حزيران . الجو حار خانق . يستحيل  
على المرء ان يبقى في المدينة مع الغبار ، والكلس ، والبيوت  
التي تبنى ، والبلاط المحرق ، والهواء المسمم بالروائح .  
ولكن ، يا فرحتنا ! ، هذا هو الرعد يدوي . واظلمت السماء  
شيئاً بعد شيء . وهبت الريح زوايع ذات عجاج وهظلت  
قطرات كبيرة من المطر على الأرض ثقيلة . وما هي الا لحظة ،  
اذا السماء كأنها تنشق ، واذا الامطار تنزل على المدينة كأنها

السبل حتى اذا اشرفت الشمس بعد نصف ساعة ، فتحت  
نافذة غرفتي الصغيرة ، وتنشقت الهواء الطرى ملء رئتي ،  
ففاضت نفسي نشوة ، فأردت ان ادع قلبي ، واعمالي  
وناشري ايضا ، وان اسرع الى اصحابي هناك في جزيرة  
فاسيلفسكي ولكنني استطعت ان انتصر على نفسي رغم شدة  
الاغراء ، فعدت الى اوراقى بعنف : يجب ان انجز عملي  
مهما كلف الأمر . ان ناشري يطالبني بذلك والآن لن يدفع  
لي مالا ، ما لم انجز عملي . انهم ينتظرونني هناك ، ولكنني  
في مساء هذا اليوم سأكون حراً ، حراً كالهواء ، وستعوضني  
هذه السهرة عما لقيت من عناء في اليومين الاخيرين والليلتين  
الاخيرتين اذ كتبت خلالها ثلاث ملازم ونصف .

وهاءنذا انجز عملي اخيراً ، فأرمني قلبي ، وانهض .  
انني احس بألم في ظهري وفي صدري ، وان بي لصداعاً .  
اعرف ان اعصابي في هذه اللحظة مهتزة اشد الاهتزاز .  
وخيل الي انني ما زلت اسمع الكلمات الاخيرة التي قالها  
لي صاحبي الطيب « لا ، لا ، ما من صحة يمكن ان تحمل  
هذا التوتر كله . . . مستحيل . » ومع ذلك لم يكن ذلك  
مستحيلاً حتى الآن . ان رأسي يدور ، ولا أكاد اقوى على  
الوقوف . ولكن فرحاً عظيماً ، فرحاً لا نهاية له ولا حدود  
له ، يملأ قلبي . لقد انجزت قصتي انجازاً كاملاً . وناشري ،  
رغم انني مدين له بمال كثير ، سوف يعطيني شيئاً على كل  
حال ، حين يمسك فريسته بين يديه ، سوف يعطيني ولو  
خمسين روبلاً وانا لم احمل مثل هذا المبلغ منذ مدة طويلة .  
لسوف استمتع بالحرية والمال معاً ! وفاضت نفسي حماسة ،



فتناولت قبعتي ، وتأبظت مخطوطتي ، ومضيت مسرعاً ،  
عسى ان اجد عزيزنا الكسندر بتروفنش في بيته .  
ووجدته . ولكنه كان يوشك ان يخرج . لقد عقد  
منذ لحظة اتفاقاً لاشأن له بالأدب ، ولكنه يدر عليه ربحاً  
وفيراً ، فلما فرغ من تشييع اليهودي القصير الاسمر الذي  
كان قد مكث معه في حجرته ساعتين كاملتين ، مدّ الي  
يده هاشأً باشأً ، وسألني بصوته الرخو الأجلش عن صحتي ،  
واظهر قلقه عليها . انه احسن الناس طراً ، ولست امزح  
اذا قلت ان له عليّ فضلاً . هل ذنبه انه لم يكن في الأدب  
خلال حياته كلها الا رجلاً من رجال الأعمال ؟ لقد فهم  
ان الأدب في حاجة الي رجال الاعمال ، وادرك ذلك في  
الوقت المناسب . له العزة والمجد ، من ناحية الاعمال  
طبعاً .

وابتسم ابتسامة عذبة حين علم ان قصتي قد انتهت .  
وان الباب الرئيسي في العدد القادم من مجلته قد هيء اذن .  
وأدهشه انني استطعت ان أنجز شيئاً . واخذ ينكت ويمزح  
بهذا الصدد . ثم مضى الي صندوقه الحديدي لبأبيني بالخمسين  
روبلاً ، وناولني خلال ذلك نسخة من مجلة تناصب مجلته  
العداء ، مجلة سميكة ثخينة ، ودلني على بضعة اسطر في  
فصل النقد منها ، تتحدث عن قصتي الاخيرة .  
ونظرت قرأيت ان المقالة له «الناسخ» . انه لا يسني  
في هذه المقالة ولكنه لا يغمزني ايضاً بالازهار : فسرت  
كل السرور . غير ان «الناسخ» يقول فيما يقول : ان المرء  
يشم في مؤلفاتي «رائحة العرق» ، يعني ان العرق يتصبب

مني حين اكتب ، وانني اتكلف جهداً كبيراً ، وانني اسرف  
في الصقل والصنعة اسرافاً يغدو منفراً .  
فضحكنا انا والناشر ضحكاً شديداً ، واعلمته ان قصتي  
السابقة قد كتبت خلال ليلتين ، وانني كتبت قصتي هذه  
خلال هذين اليومين وهاتين الليلتين . لو علم بهذا ذلك «الناسخ»  
الذي يأخذ عليّ افراطي في التدقيق ويطئي ! . . .  
— ولكن هذا خطأ منك ايضاً يا ايفان بتروفنش ،  
لماذا تتأخر كل هذا التأخر حتى تضطر الي العمل ليلاً ؟  
صحيح ان الكسندر بتروفنش اطرف الناس طراً ، الا  
ان فيه ضعفاً : هو انه يتباهى بأحكامه الأدبية امام اناس  
يقدر هو نفسه انهم يعرفونه حق المعرفة ، ولكنني لا احب  
أن اناقشه في الأدب ، فتناولت المال وقبعتي ، ونهضت .  
كان الكسندر بتروفنش ذاهباً الي بيته الريفي الجميل في الجزر ،  
فلما علم انني ذاهب الي جزيرة فاسيلفسكي ، تلطف فاقترح  
ان يوصلني الي هنالك في عربته .  
— هل تعلم انني اشترت عربة جديدة ؟ انك لم  
ترها بعد . انها جميلة جداً .  
ونزلنا . حقاً ان العربة جميلة جداً والكسندر بتروفنش  
في الأيام الأولى من امتلاكه هذه العربة فرح بها كل الفرح ،  
حتى انه ليشر بنوع من الحاجة الي ان يركب اصدقاءه فيها .  
واسترسل الكسندر بتروفنش اثناء الطريق ، عدة مرات .  
في الحديث عن الأدب المعاصر . انه لا يتحرج امامي ،  
بل يردد بكل هدوء الآراء التي سمعها مؤخراً من هذا او  
ذلك من الكتاب الذين يثق بهم ويحترم احكامهم . ويجب



ان اذكر في هذه المناسبة انه يتفق له في بعض الاحيان ان يحترم اشياء غريبة . ويتفق له كذلك ان يفسد رأياً ينقله ، او ان يضعه في غير موضعه : فتخرج من ذلك بلبلة ما بعدها بلبلة . وكنت اجلس واصغي اليه دون ان انبس بكلمة ، وأعجب للأهواء الانسانية ما أكثر تنوعها وما أشد غرابتها ، قائلاً لنفسي : «هذا الانسان مثلاً كان ينبغي ان يكفيه جمع المال ، بهدوء . ولكن لا . انه يريد لنفسه المجد ايضاً ، المجد الأدبي ، يريد ان يشتهر بأنه ناشر ممتاز ، بأنه ناقد جيد .»

لقد حاول في هذه اللحظة ان يعرض عليّ بالتفصيل رأياً سمعه مني منذ ثلاثة ايام ، وتناقشنا فيه . وهاهوذا الآن يعرضه عليّ رأياً من آرائه : الا ان نسياناً من هذا القبيل كان يتفق لالكسندر بتروفنش في كل لحظة ، وجميع اصدقائه يعرفون فيه هذا الضعف البريء . ما اعظم سروره الآن ، وهو يخطب ويعظ في عربته ، ما اعظم رضاه عن وضعه ! ما اعظم بشاشته ! انه يدير حديثاً ادبياً علمياً وان صوته الاجش العذب الهادئ يساهم في اصفاء صفة العلم على كلامه وشيئاً فشيئاً ، انتقل الى لهجة حرة طليقة ، فعبر عن اقتناعه الرئيسي البريء بان ادبنا ، وكل ادب بوجه عام ، لا يملك احد من اصحابه شيئاً من الاستقامة او التواضع ، وانه لم يبق ثمة الا تبادل لطم ولكم خاصة في بداية عملية الاشتراك في المجلات . وقدرت بيني وبين نفسي ان الكسندر بتروفنش يعيل حتى الى اعتبار كل كاتب مستقيم صادق شخصاً غيباً ان لم يكن معتوهاً ، لاستقامته وصدقه . بديهي ان هذا

الرأي ناشئ عن ان الكسندر بتروفنش بريء الى اقصى حدود البراءة .

ولكنني لم اصغ اليه . وانزلني في جزيرة فاسليفسكي . فأسرعت امضي الى اصدقائي . هذا هو الشارع الثالث عشر ، هذا هو بيتهم الصغير . فلما رأيتني آنا آندريفنا لوحت لي باصبعها تسكتني ، وحركت ذراعها نحوي ، قائلة «هش» ، وذلك حتى لا يحدث ضجة . وسرعان ما همست قائلة : — لقد نامت نللي المسكينة منذ لحظة ، فأناشدك الله لا توقظها ! انها ضعيفة جداً . ونحن قلقون عليها . قال الطبيب لا خطر عليها الآن . ولكن هيا حاول ان تحصل على كلام معقول من صاحبك هذا الطبيب . الا تستحي يا ايفان بتروفنش ؟ لقد انتظرنك على العشاء . بعد ان مضى على غيبابك يومان ! — قلت لك اول امس انني لن اجيء الا بعد يومين ، لأن هناك عملاً كان عليّ ان انجزه .

— ولكنك وعدتنا بان تتعشى اليوم معنا ، فلماذا لم تجيء ؟ لقد نهضت نللي من فراشها خصبصاً ، يا لها من ملاك ! فحملناها الى الكرسي الطويل ، واخرجناها الى غرفة الطعام للغداء وكانت تقول : «اريد ان انتظر فانيا معكم» ولكن صاحبنا فانيا لم يظهر ! الساعة تقترب من السادسة اين كنت تتسكع ؟ اه منكم ايها الغاوون ! كانت المسكينة محطمة ، لم اعرف كيف ابث فيها شيئاً من القوة . ومن حسن الحظ انها نامت ، هذه الطفلة العزيزة . ثم ان نيقولاي سرجينتش قد نزل الى المدينة ، وسيعود وقت الشاي وبقيت



وحددي معها . لقد عُرض عليه عمل يا ايفان بتروفنش .  
ولكن مجرد التفكير في ان هذا العمل سيكون في برم يجمد  
قلبي .

— ابن ناتاشا ؟

— في الحديقة يا عزيزي . اذهب اليها . انها هي  
ايضاً غريبة . لا افهم ماذا بها . آه ما اشد عذابسي يا  
ايفان بتروفنش . انها تؤكد لي انها سعيدة مسرورة ، ولكنني  
لا اصدق هذا الكلام . اذهب اليها ، يا فانيا ، وستقص  
عليّ بعد ذلك ما بها ، سرّاً . اليس كذلك ؟

فهرعت الى الحديقة قبل ان تنهي آنا آندريفنا كلامها  
هي حديقة صغيرة وتابعة للبيت ، يبلغ طولها خمساً وعشرين  
قدماً ، وكذلك عرضها تقريباً ، مخضوضرة في كل جانب  
منها : فيها ثلاث شجرات واسعة الفروع ، وبضع شجرات بتولا فنية  
وغياض من الليلك وزهر الجبل ، وشجرة من اشجار التوت  
الشوكي في ركن صغير ، وطريدتان زرعتا بتوت الفراولة ،  
ولها ممران متعرجان ، طولاً وعرضاً . ان العجوز يحب هذه  
الحديقة الصغيرة حب العباداة ، ويؤكد ان الفطر لن يلبث  
ان ينبت فيها . ونللي خاصة ، احبت هذا المكان ، فكانوا  
يحملونها اليه على مقعدها في كثير من الاحيان ، اذ لقد  
اصبحت معبودة البيت كله . ها هي ذي ناتاشا : انها تقبل  
عليّ بابتسامة فرحة ، مادةً اليّ يدها . ما اشد هزالها وشحوبها !  
انها هي ايضاً لم تكد تخرج من المرض .

— هل انجزت عملك انجازاً تاماً يا فانيا ؟

— نعم . وانا الليلة حر تماماً .

— الحمد لله ! هل تعجلت الكتابة ؟ هل اساء هذا  
التعجل الى القصة ؟

— ما حيلتي ؟ على كل حال ، لا ضير ! انني حين  
اعمل وانا في مثل هذا التوتر النفسي ، اصل الى حالة خاصة ،  
فيكون ذهني اصفى ، ويكون احساسني اعنف واعمق ،  
واكون سيد اسلوبسي . ان التوتر يحسّن كتابتي . كل شيء  
على ما يرام .

— فانيا ، فانيا .

لقد لاحظت ان ناتاشا اصبحت في الايام الاخيرة  
شديدة الاحتفال بما احقق من نجاح ادبي ، وبما اصيب  
من شهرة . انها تقرأ كل ما نشرته منذ عام ، وتسالني في  
كل لحظة عن مشاريعي المقبلة ، وتتابع ما يكتب من نقد  
يتناول آثارني ، فيغضبها بعض هذا النقد ، وتصر على ان  
ابلغ مكانة رفيعة في الأدب . وقد انكشفت رغباتها هذه  
قوية عنيفة فلم يسعني ازاءها الا ان ادعش لهذا الميل الجديد .  
قالت لي :

— انت ترهق نفسك يا فانيا ، انت ترهق نفسك ،  
وتحملها فوق طاقتها . ثم انك تهدم صحتك . انظر الى من .  
انه افق سنتين في كتابة قصة واحدة . وانظر الى ن . . انه  
لم ينشر الا رواية واحدة خلال عشرة اعوام . ولكن كتابتهما  
مصقولة كاملة ، لا يجد المرء فيها اهمالاً واحداً . .

— نعم ، ولكن حياتهما مؤمنة ، وليس في حاجة  
الى ان يكتبها في موعد معين ، اما انا . . فحضان عربية !  
على كل حال ، ليس هذا كله الا سخافات . دعينا من



هذه الامور ، يا صديقتي . . والآن ، هل من جديد ؟

— نعم ، اولاً : رسالة منه .

— ايضاً ؟

— نعم .

قالت ذلك ومدت اليّ رسالة من اليوشا . انها الرسالة الثالثة منذ افترقا . اما الاولى فقد وصلت من موسكو ، ويظهر انه كتبها وهو في حالة عصبية ، وفيها يقول ان الظروف تمنعه من العودة الى بطرسبرج كما كان ينوي . واما الثانية فيعلن فيها انه عائد قريباً للزواج بناتاشا ، وان هذا قد قرّر ، وانه ما من قوة في العالم يمكن ان تحول دونه . ومع ذلك كان واضحاً من لهجة رسالته كلها انه بائس ، وانه يرزح تحت عبء تأثيرات اخرى ، وانه يشك منذ الآن في نفسه . وقال فيما قال ان كاتيا هي التي تشد ازره وانها سلواه الوحيدة وسنده الوحيد .

وأسرعت ففضضت الرسالة الثالثة . هي صفحتان كتبنا بخط متعثر ، مشوش ، متعجل ، لا يكاد يقرأ . . وعليها بقع حبر ودموع . ان اليوشا يعلن منذ البداية انه يعدل عن ناتاشا ، وينصحها بأن تنساه ، ويحاول ان يبرهن لها ان زواجهما مستحيل ، وان هناك مؤثرات غريبة معادية اقوى من كل شيء ، وانه هكذا يجب ان يكون وانهما اخيراً لن يكونا معاً الا شقيين لانهما لا يصلح احدهما للآخر . ولكن اليوشا لم يستمر على هذه النعمة ، فاذا هو فجأة يترك نظرياته وبراهينه بلا لف ولا دوران ، وبدلاً من ان يمزق الرسالة وان يهمل هذا القسم الاول منها ، يتابع كلامه قائلاً

انه مجرم في حق ناتاشا ، وانه رجل ضائع ، لم يملك من القوة ما يقاوم به ارادة ابيه الذي وصل اليهم منذ مدة قصيرة ، وانه لا يستطيع وصف الآلام التي يعانيتها وانه يشعر بأنه قادر على اسعاد ناتاشا ، ويصرح فجأة بأن كلا منهما قد خلق للآخر حتماً ، ويأخذ يفند حجج ابيه في عناد واصرار . ثم يرسم ، يائساً ، صورة السعادة التي كان يمكن ان تكون نصيبهما كليهما لو تزوجا ، ويأخذ يلعن نفسه لما يتصف به من جبن . ثم يودع ناتاشا الى الابد .

واضح ان كتابة هذه الرسالة كانت عذاباً له . الظاهر انه كان خارجاً عن طوره وهو يكتبها . واغرورت عيناي بالدموع ، ومدت اليّ ناتاشا رسالة اخرى ، من كاتيا . لقد وصلت رسالة كاتيا مع رسالة اليوشا في ظرف واحد ، ولكنها كانت مودعة في غلاف مستقل . وفي هذه الرسالة تقول كاتيا ان اليوشا كان حزيناً حقاً ، وانه كان يبكي كثيراً ، وانه كان يائساً ، حتى انه مرض قليلاً ، ولكنها هي معه ، وسيكون سعيداً ، وحاولت كاتيا ان تشرح لناتاشا ان عليها ان لا تظن ان اليوشا سيسلوها بسهولة ، وان لوعته شيء يسير : وانه لن ينسك ابدأ . لن يستطيع ابدأ ان ينسك ، فأنت تعرفين قلبه . انه يحبك حباً لا حدود له ، وسيظل يحبك مدى الحياة . ولو سلاك ، لو اصبح يوماً لا يتألم لذكراك ، فلن احبه انا بسبب ذلك .

اعدت الرسالتين الى ناتاشا وتبادلنا نظرة صامتة . وهذا ما حدث للرسالة الاولى فالرسالة الثانية . لقد اصبحنا نتحاشى الحديث عن الماضي ، كأننا اتفقنا على ذلك ، كانت



تتعذب عذاباً لا يطاق ، كنت ارى ذلك ، ولكنها لا تريد ان تتحدث في هذا امامي . انها حين عادت الى بيت ابيها ظلت طريحة الفراش ثلاثة اسابيع ، فكانت تعاني من الحمى ولا تكاد تشفى الآن . وكنا لا نتحدث كذلك الا نادراً عن التغيير الذى سيطراً ، رغم انها تعرف ان اباها قد وجد عملاً ، وان علينا ان نفترق في القريب . ورغم الحنان والوان الرعاية التي كانت تعمرني بها طوال هذه المدة ، ورغم اهتمامها بكل ما كان يتصل بسي من قريب او بعيد ، ورغم اصغائها الشديد الى كل ما كان عليّ ان اقوله لها من تلقاء نفسي (وكان يثقل عليّ ذلك في اول الأمر) ، فقد كنت اشعر انها تريد ان تعوضني عما لقيت من عذاب ، لا اكثر من ذلك ولا اقل . غير ان هذا الشعور المؤلم لم يلبث ان زال . ولم البث ان فهمت ان لها رغبة اخرى ، لم البث ان فهمت انها تحبني ، تحبني بكل بساطة ، تحبني حباً لا حد له ، وانها لا تستطيع ان تعيش بدوني ، لا تستطيع ان تعيش دون ان يقلقها كل ما يتصل بسي من امر . يقيني انه ما من اخت احبب اخاها يوماً كما تحبني ناتاشا . كنت اعرف ان فراقنا القريب يسحق قلبها سحقاً ، وانها تتألم اشد الالم . وكانت تعلم هي ايضاً اني لا استطيع ان اعيش بدونها . ولكننا كنا لا نتحدث في هذا ، رغم اننا تحدثنا تفصيلاً عن الاحداث التي تتهياً .

سألتها عن ابناء نيقولاى سرجيتش ، فأجابتنى :  
— اظن انه عائد بعد قليل ، فلقد وعد بأن يكون هنا في موعد الشاي .

— الا يزال يقوم بمساع للحصول على ذلك المركز ؟  
— نعم . وسيحصل عليه من غير شك .  
ثم اضافت حالمة :  
— لم يكن اليوم في حاجة الى الخروج . . . كان يمكنه ان يرجئ ذلك الى الغد .  
— فلماذا خرج اذن ؟  
— لأننى تلقيت هذه الرسالة . . .  
وأضافت بعد صمت :  
— انه مريض بسببي انا يا فانيا ، وهذا يؤلمني . يقيني انه لا يحلم الا بسي . يقيني انه لا يهتم الا بشيء واحد : ما يحدث لي ، ما افكر فيه . كل همّ من همومي ترجع اصداؤه في نفسه انه في بعض الاحيان يحاول السيطرة على نفسه ، ولكن في غير طائل . يحاول ان يتظاهر بأنه غير قلق ، بأنه مرح ، يحاول ان يضحك وان يضحكنا . وامى ايضاً بتبدل في مثل تلك اللحظات . انها لا تصدق هذه الحماسة في ابي ، فتأخذ تنهد . يا لها من خرقاء ! انها مستقيمة مسرقة في الاستقامة (قالت ناتاشا ذلك وهي تضحك) . وهكذا ، حين تلقيت هذه الرسالة اليوم ، احسّ ابي بحاجة ملحة الى الخروج ، وذلك حتى لا يلتقي نظره بنظري . . . انني احبه اكثر من نفسي ، احبه اكثر من اي شيء في العالم ، احبه يا فانيا . حتى اكثر مما احبك . (قالت عبارتها الاخيرة هذه وهي تغض طرفها ، وتشد على بدي)

ودرنا الحديقة مرتين قبل ان تستأنف ناتاشا كلامها .



قالت : — زارنا اليوم ماسلوبوف . وكان عندنا امس ايضاً .  
— نعم ، لقد تعود في هذه المدة الاخيرة ان يزوركم .  
— وهل تعلم ، هل تعلم لماذا يجيء الينا ؟ ان  
امي تثق به ثقة مطلقة . انها تعتقد انه من العلم بكل شيء  
(بالقوانين وسائر الامور) بحيث يستطيع ان ينجح في حل أية  
قضية من القضايا . هل تعرف ما الذي يصدع رأسها الآن ؟  
انها في أعماق نفسها يؤسفها انى لم اصبح اميرة . وهي  
من حزنها على كل ذلك لا تنام . واغلب ظني انها فانتحت  
ماسلوبوف في هذا الأمر . انها لا تجرؤ ان تتحدث في  
هذا الموضوع الى ابي ، وهي تعتقد ان ماسلوبوف يستطيع  
ان يساعدها باللجوء الى القانون . وماسلوبوف لا يعارضها  
طبعاً ، فتدله بالشراب (أضافت ناتاشا ذلك وهي تطلق  
ضحكة صغيرة) .

— لا أستغرب ذلك على هذا المحنال ! ولكن كيف  
عرفت كل ذلك ؟  
— امي نفسها ألمحت اليه .  
— ونللي ؟ كيف حالها ؟  
— استغرب يا فانيا انك لم تسألني عن ابائنا الى  
الآن !  
قالت ناتاشا ذلك بلهجة اللوم .  
كانت نللي معبودة البيت كله . كانت ناتاشا تحبها  
كثيراً ، وكانت نللي قد فتحت قلبها لها اخيراً . مسكينة  
هذه الطفلة . انها لم يدر في خلدتها يوماً انها ستلقى مثل  
هؤلاء الناس ، وانها ستجد كل هذا الحب ! كنت الاحظ ،



الاحيرة . والشيء الغريب ان نللي كانت تزداد نعومة ورقة  
وحناناً وثقة في معاملتنا ، كلما الح عليها المرض .

لقد مررت بالقوب من سريرها الصغير منذ ثلاثة ايام ،  
فاذا هي تتناول يدي وتجذبني اليها . كنا وحدنا في الغرفة  
وكان وجهها يحترق من شدة الحمى (ولقد هزلت هزالاً رهيباً) ،  
وكانت عينها تتقدان . تطاولت نحوي بحركة عنيفة جامحة ،  
حتى اذا انحنيت عليها احاطتني بذراعيها الصغيرين الاسمرين  
الناحليين ، وقبلتني بحرارة .. ثم ما لبثت ان طلبت ناتاشا ،  
فناديتها . كانت نللي تصر على ان تجلس ناتاشا على سريرها  
وان تنظر اليها . قالت لها :

— انا ايضاً احب ان انظر اليك . لقد حلمت بك  
امس ، وسأحلم بك الليلة . اننى احلم بك كثيراً ، كل ليلة .  
كان واضحاً انها تريد ان تفصح عن شيء ، ان تفضي  
بعاطفة تنوء بحملها ، ولكنها كانت لا تفهم ما تحسه ،  
ولا تعرف كيف تعبر عنه .

وكانت نللي تحب نيقولاى سرجينتش أكثر من اى شخص  
آخر بعدي انا . ويجب ان نذكر ان نيقولاى سرجينتش  
بمحضها من الحب مثل ما بمحض ناتاشا تقريبا . وكان  
يملك قدرة مدهشة على افراحها واضحاكها ، فما يكاد يدخل  
غرفتها حتى يبدأ الضحك والعبث . كانت المريضة الصغيرة  
تضحك كطفلة ، وتعاث العجوز ، وتهزأ به ، وتقص عليه  
احلامها ، وتخترع وتلفق ، ثم تجبره على ان يحكي هو  
ايضا ، وكان الشيخ يبلغ من الفرح والسرور وهو ينظر الى ابنته  
الصغيرة نللي ان نشوته بمجالستها كانت تزداد يوماً بعد يوم .

قال لى مرة وهو يترك نللي بعد ان رسم عليها اشارة  
الصليب في الليل على عادته :

— ان الله هو الذي بعث بها الينا تعويضاً عما لقينا  
من آلام . . .

كنا في المساء نجلس جميعاً (وكان ماسلوبوييف يأتي  
ايضاً ، كل مساء تقريباً) ، وكان الطبيب العجوز الذى تعلق  
بأسرة اخمينيف تعلقاً شديداً ينضم اليها في بعض الاحيان .  
كنا نحمل نللي على مقعدها الى قرب المائدة المستديرة ونفتح باب  
الشفرة ، فنظل على الحديقة الصغيرة كلها وقد أغرقتها أشعة  
الشمس الغاربة . وكانت رائحة الخضرة الطرية والليلك المتفتح  
تنعش صدورنا . كانت نللي تنظر اليها جميعاً من على مقعدها ،  
وتصغي الى حديثنا ، وقد فاض وجهها عاطفة وحناناً . وكانت  
تحمس من حين الى حين فتقول بضع كلمات . . . ولكننا  
كنا نصغي الى كلامها قلبيين ، لأن في ذكرياتها أموراً يجب  
ان لا نُنس . . . وكنا نشعر ، أنا وناتاشا والعجوز واخمينيف ،  
اننا أذنبنا في حقها كثيراً يوم حملناها على ان تروي لنا حياتها  
كلها ، وهي ترتعش متعبة مرهقة . وكان الطبيب خاصة يعارض  
في ايقاظ هذه الذكريات فكنا نحاول عادة ان نغير مجرى  
الحديث . وكانت نللي تحاول ان تخفي انها تلاحظ جهودنا ،  
وتأخذ تضاحك الدكتور او نيقولاى سرجينتش . . .  
وبرغم ذلك كانت صحتها تزداد سوءاً . واصبحت سريعة  
التأثر الى أقصى الحدود . فكان قلبها يخفق خفوقاً غير مطرد .  
حتى لقد قال لى الطبيب انها قد تموت قريباً جداً .  
لم اخبر العجوزين بذلك حتى لا افزعهما . وكان



نيقولاى سرجيتش يعتقد انها ستشفى قبل السفر .

— هذا ابي قد رجع ، فلنعد يا فانيا .

ذلك ما قالته لي ناتاشا ، وقد سمعت صوت ابيها .

• • •

ما كاد نيقولاى سرجيتش يجتاز العتبة حتى اخذ يتكلم بصوت عال ، على عادته . فلوحث له آنا آندريفنا بذراعيها ، فما لبث ان هدا ، حتى اذا لمحنا انا وناتاشا اخذ يقصر علينا نتيجة مساعيه بصوت منخفض واهتمام كبير : ان المركز الذي يسعى الى احتلاله قد ضمن له ، وهو سعيد بذلك كل السعادة . قال وهو يفرك يديه ويلقى على ناتاشا نظرة قلقة : — نستطيع ان نسافر بعد خمسة عشر يوماً .

ولكن ناتاشا اجابته بابتسامة وقبلته ، فتبددت شكوكه فوراً . قال فرحاً :

— فلنسافر ، يا اعزائي ، فلنسافر . لا تشق عليّ مفارقة احد غيرك يا فانيا .

(يجب ان الالحظ ان نيقولاى سرجيتش لم يقترح عليّ مرة واحدة ان اصحبهم . وهذا امر ما كان ليفوته ان يفعله ، بحكم طبعه ، في ظروف اخرى ، اي لو لا انه علم بحبي لناتاشا) . ولكن ما العمل ، يا اعزائي ، ما العمل ؟ ان فراقك يحز في نفسي يا فانيا . ولكن تغيير مكان الإقامة سيرد الينا الحياة جميعاً . من غير بلده فقد غير كل شيء في حياته .

قال عبارته الاخيرة هذه وهو ينظر مرة اخرى الى ابته .

كان يؤمن بهذا وكان يسعده ان يؤمن به .

قالت آنا آندريفنا :

— ونللي ؟

— نللي ؟ انها مريضة الآن قليلاً ، ولكنها ستشفى

قبل ان نسافر . صحتها قد تحسنت منذ الآن ، الا ترى ذلك يا فانيا (قال ذلك وقد ظهر في وجهه الرعب ، والقي عليّ نظرة قلقة ، كأن عليّ انا ان ابدد مخاوفه) كيف هي الآن ؟ هل نامت نوماً هادئاً ؟ ألم يحدث شيء ؟ لا بد انها استيقظت . آنا آندريفنا : سنضع المائدة على الشرفة ، ونأتوننا بالسماور ، ويجيء اصدقائنا ، ونجلس هناك جميعاً ، ونأتي نللي أيضاً . . . هذه فكرة حسنة . ولكن ألم تستيقظ ؟ سأرى . سأنظر اليها فقط . . . لن اوقظها . . . لا تقلقى ! (اضاف ذلك اذ رأى آنا آندريفنا عادت تلوح له) .

كانت نللي قد استيقظت . وما هي الا ريع ساعة حتى كنا نجلس جميعاً قرب سماور المساء على عادتنا . حُملت نللي على مقعدها . وجاء الطبيب . ووصل ماسلوبويف وقد وصل يحمل باقة كبيرة من اللبلك لنللي ، ولكن وجهه كان يدل على هم وكدر .

يجب ان اذكر بهذه المناسبة ان ماسلوبويف كان يأتي كل يوم تقريباً . وقد سبق ان ذكرت انهم احبوه جميعاً ، ولا سيما آنا آندريفنا ، ولكن احداً ما كان يتحدث صراحة عن الكسندرا سيمينوفنا وماسلوبويف نفسه ما كان يذكر اسمها . ان آنا آندريفنا ، حين علمت مني ان الكسندرا سيمينوفنا لم تظفر بعد بأن تصبح زوجته الشرعية ، قد رأت بينها وبين نفسها ان من الواجب ان لا تستقبل وان لا يذكر اسمها .



وقد طبقنا جميعاً هذا القرار ، وعلى رأسنا آنا أندريفنا . ولكن  
يجب ان اشير الى ان آنا أندريفنا ما كانت لتتزم هذا  
التزمته كله لو لم تكن نانا هنا ، ولو لم يقع ما وقع .  
كانت نللي تبدو في ذلك المساء اشد حزناً وقلقاً .  
لكأنها رأت حلاماً سيئاً ما تزال تفكر فيه . ولكنها سرت  
كثيراً بهدية ماسلوبوف ، فكانت تتأمل الازهار التي وضعت  
في آنية الى جانبها ، فرحة بها . قال العجوز :  
— انت تحبين الازهار كثيراً يا نللي ، اليس كذلك ؟  
ثم اضاف بحرارة وحماسة :  
— انتظري . . . غداً . . . ترين ! . . .

اجابته نللي بقولها :

— نعم احبها ، واذكر اننا قدمنا في ذات مرة ازهاراً  
الى امي . كنا يومئذ هناك (اصبحت كلمة هناك تعني الخارج) ،  
وكانت امي مريضة خلال شهر بكامله ، فقررنا انا وهنريخ  
ان نزين جميع الحجرات بالازهار متى نهضت من فراشها  
اول مرة وخرجت من غرفتها بعد ان اقامت فيها لا تبرحها  
مدة شهر كامل . وهذا ما فعلناه . قالت لنا امي ذات مساء  
انها ستتناول طعام الافطار معنا في الغد من كل بد ، فاستبقطنا  
في غد مع الفجر ، ومضى هنريخ فجاء بأزهار كثيرة ، فزينا  
الغرفة بأوراق خضر وأكاليل : كان هناك لبلاب ، وأوراق  
عريضة نيت الآن اسمها ، وأوراق اخرى تثبت بكل  
شيء ، وازهار كبيرة بيضاء ، ونرجس (والنرجس احب الازهار  
الي) ، وورود ، وورود رائحة ، وكثير جداً من الازهار الاخرى :  
علقناها كلها اكاليل اكاليل ، وربناها في آنية . وكان هناك

أيضاً أزهار تشبه ان تكون اشجاراً ، في صناديق كبيرة :  
وضعناها في اركان الغرفة وقرب مقعد امي . فلما خرجت  
امي من غرفتها دهشت ، وسرها هذا ، وسر هنريخ اذكر  
ذلك .  
كانت نللي في ذلك المساء قد ازدادت ضعفاً ، وازدادت  
عصية . فكان الطيب ينظر اليها قلقاً . ولكنها كانت تشتهي  
كثيراً ان تتكلم . فظلت مدة طويلة ، حتى الليل ، نحدثنا  
عن حياتها هناك . ولم نقاطعها . لقد قامت هناك ، مع  
امها وهنريخ ، بأسفار كثيرة . وذكرياتها تستيقظ الآن واضحة  
زاهية . حدثتنا بحرارة عن السماء الزرقاء ، عن الجبال الشاهقة  
التي تغطيها الثلوج ، عن كتل الجليد التي رأتها واجتازتها ،  
عن الشلالات في الجبال عن بحيرات ايطاليا ووديانها ،  
عن الازهار والأشجار ، عن سكان القرى ، عن ملابسهم ،  
عن وجوههم السمراء وعيونهم السوداء ، عن الاشخاص الذين  
لتقوهم ، عن الحوادث التي وقعت لهم . ثم وصفت المدن  
الكبرى ، والتصور ، وكنيسة ذات قبة تشتعل فجأة بنيران  
من كل لون ، ثم وصفت مدينة حارة من مدن الجنوب ،  
سماؤها زرقاء ، والبحر قربها ازرق . . . لم نقص علينا نللي  
ذكرياتها بمثل هذا التفصيل قبل اليوم . وكنا نصغي اليها  
باتباه شديد . كنا حتى تلك اللحظة لا نعرف الا ذكرياتها  
الاخرى ، تلك التي بقيت لها من مدينة مظلمة كالحمة ،  
ذات قصور ثمينة موسخة بالوحل ، وشمس كايبة بخيلة ،  
وسكان اشرار اشباه مجانين ، كنا لا نعرف الا ذكرياتها  
عن هذه المدينة التي تألمت فيها هي وامها كثيراً . وكنت



انصوريهما كلتيهما في قيوهما الوسخ ذاك ، ذات مساء مظلم  
رطب ، قابعتين على سريرهما الرديء وقد تشبثت كل منهما  
الاخري ، وراحتنا نتذكران الماضي ، هنريخ الذي مات ،  
وعجائب البلاد الاخرى . وكنت ايضاً انصوري نلسلي ،  
وهي تستعيد هذه الذكريات كلها ، وحيدة بلا ام ، عند  
بوبنوا التي كانت تريد بالضرب والصفع والقسوة الحيوانية ان  
تجهز عليها ، وان تكرهها على سبب الأعمال . . .  
وسامت حالة نلسلي اخيراً ، فحملوها الى سريره . وذعر  
العجوز ، وندم على أنها تركت تتحدث هذا الحديث الطويل  
كله . وباغتتها نوبة هي نوع من الاعماء . . لقد وقع لها  
ذلك قبل الآن عدة مرات . فلما صحت طلبت ان تراني  
على انفراد . كان في صدرها شيء تريد ان تفضي به الي ،  
وبلغت من الالحاح في طلبها ان الطيب نفسه امر في هذه  
المرّة بتليته ، فخرجوا جميعاً ، وبقيت معها وحدي ، فقالت  
لي :

— فانيا ، أعرف انهم يظنون أنني سأسافر معهم ،  
ولكنني لن أسافر ، لأنني لا أستطيع ذلك : سأبقى معك . .  
هذا ما أردت ان اقله لك .

فأخذت أقنعها بضرورة سفرها قائلاً انهم يحبونها جميعاً ،  
وان العجوزين يعدانها ابنة لهما ، وانهما سيتألمان كثيراً اذا  
هي رفضت ان تصحبهم في سفرهم ، وان الحياة معي  
ستكون شاقة ، وان علينا ان نفرق رغم كل ما احمل لها  
من عاطفة . فأجابتنى بلهجة جازمة تقول :

— لا ، هذا مستحيل . انني أرى أمي كثيراً في المنام ،

وهي تطلب الي في كل مرة ان لا اذهب معهم ، وان ابقى  
هنا ، وتقول لي انني اترفت اثمأ كبيراً بترك جدي وحده ،  
وهي تقول ذلك باكية . أريد ان ابقى هنا وأن أعني بجدي  
يا فانيا .

فقلت لها دهشاً :

— ولكنك تعلمين ان جدك مات .  
فشرد فكرها ونظرت الي نظرة ثابتة ، ثم قالت :  
— حدثني مرة اخري كيف مات . قصص علي كل  
شيء ، ولا تغفل شيئاً .

شدهت من هذا الطلب ، ولكنني اخذت اقصر عليها  
الحادث تفصيلاً . كنت أعتقد أنها تهذي ، أو أنها على  
الأقل لم تسترد صفاء عقلها بعد نوبتها الاخيرة .

كانت تصغي الي بانتباه ، وأذكر الآن ان عينيها السوداوين  
الملتصعتين يبريق المرض والحمى كانتا لا تفارقاني لحظة  
طوال مدة الحديث . وكانت الغرفة قد أظلمت . قالت لي  
بلهجة قاطعة بعد ان اصغت الي حديثي حتى النهاية ،  
وبعد ان فكرت لحظة ايضاً :

— لا يا فانيا ، انه لم يموت . ان امي تحدثني دائماً

عن جدي ، وحين قلت لها امس ان جدي مات ، احزنها  
ذلك كثيراً ، واخذت تبكي ، وقالت ان هذا غير صحيح ،  
وانه قيل لي عمداً ، وان جدي ما يزال يعيش ، وانه يتجول  
في الشوارع يستجدي الناس «كما كنا نستجدي ، أنا وانت  
في الماضي ، وانه يعود الى المكان الذي لقيناه فيه اول مرة ،  
حين جثوت بين قدميه ، فعرفني ازوركا» .



قلت لها :

— يا نللي ، هذا حلم ، هذا حلم مريض . . انك ما زلت مريضة يا نللي !  
— انا أيضاً قلت لنفسي ان هذا حلم ، فلم احدث به احداً . كنت اريد ان لا اقص شيئاً من هذا كله الا عليك . ولكنني اليوم ، حين نمت ، لانك لم تأت ، رأيت جدي أيضاً . كان جالسا في غرفته ينتظرني ، وكان مخيفاً جداً ، كان نحيلاً نحولاً رهيباً . قال لي انه لم يأكل شيئاً منذ يومين ، ولا اكل ازوركا شيئاً أيضاً . غضب مني ، وانحى عليّ باللائمة — وقال لي ايضا ان تبغه الذي يتشقه قد نفذ ، وانه لا يستطيع ان يعيش بدون هذا التبغ . وهذا صحيح يا فانيا ، لقد قال لي ذلك مرة قبل موت امي ، في يوم ذهبت فيه اليه . كان يومئذ مريضاً تماماً ، لا يكاد يفهم شيئاً . فلما سمعته يقول هذا الكلام اليوم قلت لنفسي : «سأذهب الى الجسر اطلب الصدقة ، ثم اشترى له شيئاً من الحبز وسلوق البطاطس والتبغ» . «وخيل اليّ انني ذهبت الى هناك ، وتسولت ، وان جدي كان ينتظرني غير بعيد عني ، ثم جاء اليّ ، فرأى كم جمعت ، فأخذ ما جمعته قائلاً : «هذا للخبز ، فاجمعي الآن شيئاً للتبغ» . ففعلت ما امرني به ، فجاء واخذ ما جمعته . فقلت له انه لا حاجة به الى ذلك ، فسأعطيه كل شيء ، ولن احتفظ لنفسي بشيء . فأجابني بقوله : «بل انت تسرقينني . فقد قالت لي بوبنوبا انك سارقة ، ولهذا لن آخذك أبداً اليّ . ابن وضعت قطعة الخمس كوييكات ؟» ، فأخذت ابكي لانه لا يصدقني ،

ولكنه لم يصغ اليّ بل استمر بصرخ قائلاً «سرقتي مني خمس كوييكات !» واخذ يضربني على الجسر ضرباً موحعاً . لقد بكيت كثيراً ، لذلك اعتقد الآن انه ما يزال حياً ، وانه يتجول في مكان ما ، وانه ينتظرني . . . . .  
حاولت مرة اخرى ان ارجعها الى صوابها ، وان اردتها عن اوهامها . وخيل اليّ انني نجحت في ذلك . قالت لي انها تخاف ان تنام ، لانها ستري جدها مرة اخرى . واخيراً احاطتني بذراعيها ، وقالت وهي تضع خدها على خدي :

— ومع ذلك لا استطيع ان اتركك . . . . . ليكن ان جدي مات ورغم ذلك سأبقى معك الى الأبد . . . . .  
ذعر جميع من في البيت من النوبة التي اصابته نللي . وقصصت على الطبيب اخلام الطفلة همساً ، وسألته عما يظن عن مرضها . فقال لي شارده الفكر :

— لا اعرف شيئاً بعد . انني احاول ان اعرفه ، انني افكر ، والاحظ ، وازاقب ، ولكنني لم اعرف شيئاً بعد . وعلى كل حال ، يستحيل ان تشفى . انها ستموت . لقد اوصيتني بان لا اقول لهم ذلك فعملت بوصيتك ، ولكن هذا يؤلمني ، وسأقترح عليهم غداً استشارة احد الاطباء . مسكينة هذه الطفلة ، انني اشفق عليها كأنها ابنتي . . ما اروعها ، ما أطف روحها الفكهة ! . . . . .  
وكان نيقولاوي سرجيتش متأثراً اشد التأثر . قال :

— تراودني فكرة يا فانيا ، انها تحب الأزهار كثيراً ، فلنهي لها غداً ، عند الصباح ، مفاجأة كالتي هيأتها لامها



مع هتريخ ، كما حدثنا بذلك اليوم . لقد قصت علينا  
هذا منغلة .

— نعم ، منغلة ولكن الانفعالات تؤذيها الآن .  
— صحيح ، غير ان الانفعالات الفرحة شيء آخر .  
صدقني يا عزيزي ، انني اعرف بالتجربة ان الانفعالات  
الفرحة لا تضر ، حتى لقد تحسن الى صحتها ، فتشفيها .  
والخلاصة انه بلغ من فرط الافتتان بفكرته أن الحماسة  
استبدت به ، فلا سبيل الى كبحها . لم اقول على الاعتراض .  
واستشرت الطبيب . . ولكن ما ان اخذ الطبيب يفكر في  
الامر ، حتى كان العجز قد تناول قبته وخرج لتنفيذ ما  
عقد النية عليه . قال لي وهو يذهب :

— ليس المكان بعيداً . ها هنا مزوعة رائعة . تباع  
ازهارها باسعار زهيدة جداً . . اسعار زهيدة تبعث على الدهشة ! . .  
قل كلمتين في هذا لآنا آندريفنا ، حتى لا يسيئها هذا  
الانفاق . . اتفقنا . . ها ، نعم . . . كنت اريد ان اسألك  
يا صديقي العزيز ، الى اين انت ذاهب الآن ؟ لقد فرغت  
من عملك ، لقد انجزت عملك ، ولا شيء يستحقك على  
العودة الى بيتك . ابق هنا هذه الليلة . سنضعك فسوق ،  
في الغرفة التي تحت السقف ، كما في الماضي ، هل تذكر ؟  
سريرك لا يزال في مكانه ، لم يمسه احد . مستريح .  
كملك . اتفقنا ؟ تبقى ؟ وسنتيقظ غداً .  
فتعاون على تزيين الغرفة في الساعة الثامنة . وستساعدنا ناتاشا  
ايضاً : ان ذوقها احسن من ذوقنا . . موافق ؟ تقضي الليلة هنا ؟  
وكان للعجز ما اراد ، فقرروا أن ابقى . استأذن الطبيب

وماسلوبوف بالانصراف ، وانصرفا . كان من عادة اسرة  
اخمينيف ان لا تتأخر في السهر ، فهي تنام في نحو الساعة  
الحادية عشرة . وبدا على ماسلوبوف ، حين ذهب ، ان  
في ذهنه شيئاً كان يريد ان يفضي به الي ، ولكنه ارجأ  
ذلك الى مرة اخرى . وصعدت الى غرفتي التي تحت السقف  
بعد ان حييت اصدقائي تحية المساء ، فما كان اشد انشدهاي  
حين وجدت فيها ماسلوبوف . قال لي :

— عدت ادراجي يا فانيا لانني اريد ان اتحدث  
اليك حالاً . انها قصة غيبية ، ومؤسفة .

— ما هو الأمر ؟  
— صاحبك الأمير الوغد هو الذي اثار حنقي منذ خمسة  
عشر يوماً ، وما زلت الى الآن حانقاً . . .  
— كيف هذا ؟ اما زلت على صلة به ؟  
— هو . . . نظل تسأل «كيف هذا» كأنني قد اقررت  
لا ادري أي اثم . . . انك مثل الكسندرا سيمينوفنا تماماً . . .  
ومثل جميع هاته النسوة اللواتي لا يحتملن . . انني لا اطبق  
النساء . . يكفي ان يسمعن نعيق غراب حتى يأخذن يسألن :  
«ما هذا ، ولماذا ؟»

— لا تزعل .  
— لست ازعل ، ولكن يجب ان ينظر الى الامور  
بالمنظار الصحيح . . فما تضخم . . هذا كل شيء .  
وسكت لحظة ، كأنه لا يزال غاضباً مني ، فلم اقطع  
عليه سكوته ، فاستأنف يقول :

— اسمع يا فانيا ، لقد وقفت على سر . . أو قل انني



لم اقف على سر . . . بل تخيلت انه . . . ولكنني استتجت  
من بعض الامور ان نللي . . . ربما كانت . . . الابنة الشرعية  
للأمير . . .

— ماذا تقول ؟

— هوه ! . . . عدنا الى اسئلتك «ماذا تقول ، ماذا  
تقول ؟» ان من المستحيل حقاً ان يتحدث المرء مع هؤلاء  
الناس ! هل ذكرت لك هذا على انه حقيقة لا سبيل الى  
الشك فيها ؟ . . . هل قلت لك ان من الثابت انها الابنة  
الشرعية للأمير ؟ ما هذا الطيش ! . . .  
بهذا صاح منزعجاً وملوحاً بيده بشدة ، فقاطعته وقد  
اضطربت اظطراباً شديداً :

— اسمع يا عزيزي . ناشدتك الله لا تصرخ . واشرح  
ما عندك شرحاً واضحاً . اؤكد لك انني سأفهمك ، ولكن  
تذكر خطورة الموضوع وتصور النتائج التي تترتب . . .

— نتائج ماذا ؟ اين البراهين ؟ ان الامور لا تعالج بهذه الطريقة ،  
وانا اقول لك الآن هذا الكلام على انه سر يجب ان لا  
يُفشى ، سأشرح لك فيما بعد ما قصدت اليه من مواجهة  
هذا الموضوع . كان لا بد من ذلك . اسكت الآن ، واصغ  
الي ، ولا تنس ان هذا كله سر . اليك ما حدث . في  
هذا الشتاء ، قبل موت سميت ، ما كاد الامير يعود من  
فارسوفيا ، حتى بدأ يتابع القضية . . . الحق انه كان يتابعها  
منذ مدة طويلة ، منذ السنة الماضية . ولكنه كان يومئذ  
يلاحق هدفاً ، وهو اليوم يلاحق هدفاً آخر . المهم انه قد  
فقد الخيط الذي كان يمسك به . لقد ترك ابنة سميت بباريس

منذ ثلاثة عشر عاماً ، ولكنه ظل يراقبها طوال ذلك الوقت .  
فكان يعرف انها تعيش مع هنريخ الذي جاء ذكره اليوم ،  
وكان يعرف انها ولدت نللي ، وانها مريضة . اي كان يعرف  
كل شيء ، ولكنه فقد الخيط فجأة . وقد فقدته بعد موت  
هنريخ بقليل فيما اعتقد ، اي حين ارادت ابنة سميت  
ان ترجع الى بطرسبرج . كان في وسعه ان يعثر عليها ببطرسبرج  
بسرعة ، مهما يكن الاسم الذي انتحلته عائدة الى روسيا ،  
ولكن جواسيسه في الخارج بعثوا اليه بتقارير خاطئة . لقد  
أكدوا له انها تعيش في مدينة صغيرة مجهولة بجنوب المانيا .  
وكانوا يعتقدون هم انفسهم بذلك ، نتيجة اهمال ، فقد  
تشابهت عليهم مع امرأة اخرى . وانقضى على ذلك عام  
او يزيد . وبعد انقضاء هذه السنة ساورت الأمير شكوك :  
وكان قد تراءى له قبل ذلك من بعض الدلائل ان تلك  
التي يراقبونها امرأة اخرى . فساءل عندئذ : ترى اين هي  
ابنة سميت الحقيقية ؟ وخطر بباله (هكذا ، دون الاستناد  
الى اية معلومات) انها ببطرسبرج . فكلف بعضهم باجراء  
تحقيق في الخارج ، وبدأ باجراء تحقيق آخر هنا . ما كان  
يريد ان يقوم بالتحريات بالطريقة الرسمية . فتعرف الي ،  
لانني زُكيت له ، وقبل له انني اعني بمثل هذه الامور ،  
وانني من هوانها وانني كيت وكيت . . .

فعرض علي القضية ، ولكنه عرضها عرضاً غامضاً  
مظلماً ملتبساً ، هذا الشيطان ابن الشيطان . وكان يخطئ ،  
ويكرر عرض الاحداث عدة مرات ويصور الامور بأشكال  
مختلفة في آن واحد . ان الانسان مهما يمكر ، لا يستطيع



اخفاء جميع الخيوط ، هذا امر مسلم به ! فاندفعت في خدمة الأمير بكل ما في نفسي من سداجة ، واخلصت له اخلاص العبد لسيدته . ولكنني ، وفقا لقاعدة كنت قد اخذت بها الى الابد ، ووفقا لقانون من قوانين الطبيعة ايضا (ذلك ان هذا قانون من قوانين الطبيعة) تساءلت اولاً : هل الامر الذى حدثني فيه الأمير هو ما يحتاج اليه حقاً ، وثانياً : الا تخفي وراء هذه الحاجة التي افصح عنها حاجة اخرى لم يكشف الا عن جزء منها . ذلك ان الامير ، ان صح ان هنالك حاجة اخرى ، وانت تفهم هذا من تلقاء نفسك ما دمت تملك دماغ شاعر ، يكون قد سرقني : فاذا كان اجر حاجة من الحاجات روبلاً واحداً مثلاً ، وكان اجر حاجة اخرى اربعة روبلات ، فانى أكون بهيما لو أعطيت بروبل واحد ما يساوي اربعة روبلات . لذلك اخذت اتعمق الموضوع ، واتقصى وانبش ، الى ان وقعت على عدة امور : الامر الاول اكتشفته بواسطته هو نفسه والثانى بواسطة شخص آخر لاشأن له بالقضية ، والثالث وصلت اليه بذكائي وحده . فاذا سألتني كيف خطر ببالي ان اتصرف في الأمر هذا التصرف ، اجبتك بأن السبب الوحيد الذي دفعني الى ذلك هو ما لاحظته في الأمير من اضطراب شديد وقلق عميق . فتساءلت : ما الذي يخشاه الأمير ؟ لقد انتزع ابنة من ايها ، ثم حملت ، ثم هجرها . . اى غرابة في هذا . انها شطارة ونزوة لطيفة لا أكثر من ذلك ولا أقل . ان امرءاً كالأمير لا يمكن ان يضطرب هذا الاضطراب كله لامر تافه كهذا . أما طالما ان حائف ، فلا بد ان يكون ثمة امور اخرى . هكذا راودتني

الشكوك ، فمضيت ابحث ، حتى عثرت على آثار هامة ترجع الى هنريخ . لقد مات هنريخ طبعاً ، ولكن احدى قريباته (وهي الآن زوجة خباز هنا بيطرسبرج) وكانت تحبه في الماضى حباً جامحاً ، وظلت تحبه خلال خمسة عشر عاماً ، رغم خبازها السمين الذي انجبت منه ثمانية اولاد دون ان تنتبه الى ذلك ، اقول ان قريسته هذه قد كشفت لي ، بعد مداورات كثيرة متنوعة من جهتي ، عن امر هام . لقد كان هنريخ يكتب اليها ، على عادة الالمان ، وكان يبعث اليها يومية . وقبل موته بمدة قصيرة ارسل اليها بعض الاوراق . لم تفهم الحمقاء قيمة هذه الاوراق ، وكانت لا تعنيها فيها الا الفقرات التي يدور فيها الحديث على القمر وما الى ذلك . . اما انا فقد عثرت في هذه الاوراق على معلومات كنت في حاجة اليها ، واطلعتني هذه الرسائل على امور جديدة . عرفت ، فيما عرفت ، وجود سميت ، ورأس المال الذي سرقته منه ابنته ، وعرفت ان الأمير استولى على المال ، ولمحت اخيراً من خلال كثير من اشارات التعجب ومن اللف والدوران والتلميحات والرموز ، لمحت في هذه الرسائل الجوهر الحقيقي في هذه القضية : ولكن ، افهمنى حق الفهم يا فانيا ، لست ادعى ان ما لمحت هو الحقيقة الثابتة التي لا شك فيها . . لقد كان هذا السخيف يتعمد الاخفاء ويكتفى بالاشارات ، ولكن ما يتراءى لي من هذه الاشارات ومن كل هذه الاشياء ، ينسجم في نظري انسجاماً تاماً ، ويدل على ان الأمير قد تزوج ابنة سميت . فاذا سألتني اين تم ذلك الزواج ، ومتى تم ؟ هل تم في الخارج



ام تم في بطرسبرج ؟ واين هي الوثائق التي تثبته ؟ لم استطع ان اجيبك بشيء . . . يستحيل ان تعرف هذه الامور . . . لقد بحثت يا عزيزي فانبا ، ثم بحثت ، ليل نهار ، فلم اعثر على شيء ، فكننت اشد شعري حسرة وأسفا .

واكتشفت سميت اخيراً ، ولكنه مات فجأة . حتى انني لم استطع ان اراه حياً . ثم علمت صدقة ، ان امرأة كانت تحوم حولها شكوكي ، قد ماتت في جزيرة فاسيليفسكي . فهرعت الى هناك ، وكان ذلك في اليوم التي لقبثك فيه ، هل تتذكر ؟ واكتشفت يومئذ اشياء كثيرة . وواجز فأقول ان نللي قد ساعدتني في هذا الأمر مساعدة كبيرة .

— اسمع ، هل تعتقد ان نللي تعرف . . .

— ماذا ؟

— انها ابنة الأمير ؟

— انك تعرف انها ابنة الامير ، فلماذا تسألني هذه

الاسئلة الزائدة ، ايها الطائش ؟

قال لي ذلك وهو ينظر اليّ نظرة لوم مأكرة . ثم اضاف يقول :

— المهم ليس هذا . . . المهم هو ان نللي ليست

ابنة الأمير فحسب ، بل هي ابنته الشرعية ايضاً . . . هل تفهم ؟

فصرخت قائلاً :

— هذا مستحيل !

— انا ايضاً كنت في اول الأمر اقول لنفسي «هذا

مستحيل !» وما زلت الى الآن اقول لنفسي احياناً «هذا

مستحيل» ، ولكن الواقع هو ان ذلك ليس مستحيلاً ، بل اغلب الظن انه هو الواقع .

— لا ، يا ماسلوبوف ، لا ، انك تذهب بعيداً

جداً . . . انها لا تجهل ذلك فحسب ، بل هي في الواقع

ابنة غير شرعية . والا ، فكيف كان يمكن ان تحصل

امها ذلك المصير القاسي الذي عاشته ببطرسبرج ، لو كانت

تملك اي وثيقة ، وكيف كان يمكن عدا ذلك ان تترك

ابنتها على هذه الحالة ؟ انت تمزح يا ماسلوبوف . هذا

مستحيل .

— انا ايضاً خطر بيالي ذلك ، وما زالت الشكوك

تراودني الى اليوم . ولكن مما لا شك فيه ان ابنة سميت

كانت امرأة مجنونة لا تضارعها في جنونها امرأة كانت غريبة

الاطوار للغاية . فكّر قليلاً في الظروف والملابسات : لقد

كانت حياتها رومانسية عجيبة . . . ان اخيلتها وشذوذها ونهاويلها

قد بلغت حدوداً غريبة لا تصدق . فكر في هذا فقط :

لقد كانت تحلم ، من البداية ، بنوع من الجنة على الأرض ،

كانت تحلم بملائكة ، ثم احبت حباً جامحاً محموماً ،

واولت ذلك الذي احبته ثقة ليس لها حدود ، وانا على يقين

من انها جنت لا لانه اصبح لا يحبها ، ولا لانه هجرها ،

بل لانها خدعت في امره ، لانه كان قادراً على ان يخونها

وان يهجرها ، لان ملاكها قد استحال وحلا ، فلطخها

وسخها . ان روحها الرومانسية الطائشة لم تستطع ان تطبق

هذه الاستحالة . وهناك فوق ذلك كله الاهانة : هل تفهم

اية اهانة ؟ انها ، في سورة من حنقها ومن كبريائها خاصة ،



قد انصرفت عنه باحتقار شديد ، فحطمت جميع الصلوات ،  
ومزقت جميع الاوراق ، واستخفت بالمال ، حتى لقد نسبت  
انه ليس ما لها بل مال ايها ، ورفضته كأنه تراب او وحل ،  
كل ذلك من اجل ان تسحق هذا الذي اغواها ، ان تسحقه  
بأنفتها وشممها ، من اجل ان تستطيع اعتباره لصاً ، من  
اجل ان يحق لها احتقاره مدى الحياة . ولا شك انها رأت  
في تلك اللحظة ان من العار عليها ان تدعى زوجته . ان  
الطلاق عندنا لا وجود له ، ولكنها طلقته عملياً . فكيف  
يمكن ، والحالة هذه ، ان تطلب المعونة منه ؟ تذكر ما  
قالته هذه المجنونة لابنتها وهي على فراش الموت : «لا  
تذهبي اليهم ، اعلمي ، واهلكي ، ولكن لا تذهبي اليهم ،  
كائناً من كان الشخص الذي يدعوك» . (كانت تتوقع اذن  
ان يدعوها احد ، وان يتاح لها ان تتقم مرة اخرى ، وان  
تسحق بالاحتقار ذلك الذي سيدعوها . والخلاصة انها كانت  
تتغذى بأحلام الانتقام ، بدلاً من الخبز) . لقد امدتني نللي  
بمعلومات كثيرة . وما ازال استمد منها بعض المعلومات من  
حين الى حين . لقد كانت امها مريضة ، مريضة بالسل .  
وهذا المرض يجعل المريض به شديد التأذى ، ويولد فيه  
جميع انواع السخط والغيط والحنق . ومع ذلك فأنا اعلم  
علم اليقين ، بواسطة اشيبنة بوبنوبا ، انها كتبت الى الأمير ،  
نعم ، الى الأمير نفسه ! .

فصرخت نافذ الصبر :

— صحيح ؟ وهل وصله كتابها ؟

— لا اعرف هل وصله ام لا . ولكنني اعرف ان

ابنة سميث قد اتفقت مع اشيبنة بوبنوبا (الا تتذكر تلسك  
المرأة المهرجة التي رأيتها عند بوبنوبا ؟ انها الآن في السجن)  
على أن تحمل اليه الرسالة : وكتبت الرسالة ولكنها لم تدعها  
لها ، بل استردتها منها ، وقد حدث هذا قبل ثلاثة اسابيع  
من موتها وهذه الواقعة ذات دلالة : اذا كانت قد قررت  
ارسال الرسالة ، فليس بضمير انها استردتها . . اذ يمكن ان  
تكون قد ارسلتها بعد ذلك . ولكنني لا أعرف هل ارسلتها  
أو لا . ومن حقنا أن نقدر أنها لم ترسلها ، لأن الأمير لم  
يعلم بوجود ابنة سميث في بطرسبرج بصورة أكيدة وبمكان  
وجودها بالضبط الا بعد موتها . ولا شك ان ذلك سره كثيراً .  
— نعم أتذكر ان اليوشا قد حدثني عن رسالة سرته  
كثيراً . . . ولكن ذلك حدث منذ وقت غير بعيد ، منذ شهرين  
او ثلاثة اشهر في اكثر تقدير . طيب ، وبعد ، ما أنت صانع  
بالأمير ؟

— انا ؟ اسمع . انني في قرارة نفسي متيقن كل  
التيقن . ولكن ليس ثمة برهان قاطع : ليس ثمة أى برهان ،  
رغم كل ما أنفقت من جهد ، وتحملت من عناء . ان الموقف  
حرج . ينبغي القيام ببعض التحريات في الخارج . ولكن  
أين ؟ ما من احد يعرف . لقد قدرت طبعاً انه يتعين عليّ  
ان اخوض ضده معركة وان كل ما استطيعه هو ان اخيفه  
ببعض التلميحات ، وان انتظر بمعرفة اشياء لا أعرفها في  
الواقع ! !

— ثم ؟

— لم يقع في القبح . ولكنه ، من جهة اخرى ،



خاف كثيراً ، خاف خوفاً شديداً ما يزال يرتجف منه الى اليوم . التقينا عدة مرات ، فكان يصطنع مظهر من يستحق أن يرثى لحاله ، وفي ذات مرة ، اخذ يقص عليّ من تلقاء نفسه كل شيء ، كصديق ، وذلك حين كان يظن انني اعرف كل شيء . كان يتحدث حديثاً بارعاً ، لا يخلو من لهجة العاطفة والصدق . ولكنه كان يكذب طبعاً . عندئذ ادركت مدى خوفه مني . اصطنعت امامه ، خلال لحظة من اللحظات ، وضع شخص غر يتظاهر بالمكر ، وتعمدت الغباء في تخوفه . واغلظت له القول بعد ذلك عن قصد . واخذت اهدده كل ذلك من اجل ان يعدني غيباً ابله ، وان يلقي بما عنده . ولكن الوغد ادرك ما ارمي اليه وفي مرة تظاهرت بالسكر فلم يفلح ذلك ايضاً . انه خبيث . هل تستطيع ان تفهم هذا يا فانيا : كنت اريد ان اعرف اولاً مدى خوفه مني . وان اشعره ثانياً بانني واقف على امور لست واقفا عليها في الواقع .

— والى اي شيء انتهيتما ؟

— لم ننته الى شيء . كنت في حاجة الى براهين ، ولم يكن لدي اي برهان . كل ما رآه هو انني استطيع ان افصحه . هذا هو الشيء الوحيد الذي يخشاه . خاصة وانه بدأ يعقد هنا صلات . هل تعرف انه سيتزوج ؟

— لا .

— سيتزوج في السنة القادمة . لقد اختار خطيبة منذ عام . لم يكن سنها في العام الماضي الا اربعة عشر عاماً ، وهي الآن في الخامسة عشرة . اعتقد انها ما تزال في «المريلة» ،

هذه الطفلة الشقية . وابوها مفتونان بالمخطبة ! الآن تفهم كم كان في حاجة الى ان تموت زوجته . ان الفتاة ابنة جنرال . انها تملك مالاً كثيراً ، كثيراً جداً ، لا انا ولا انت يمكن ان تتزوج زوجاً كهذا . ولكن الشيء الذي لن اغفره له مدى الحياة ، هو انني وقعت في احاييله منذ خمسة عشر يوماً ، هذا الوغد الحثير .

قال ماسلوبوف جملته الاخيرة وهو يضرب المائدة بقبضة يده ضربة قوية .

— كيف كان ذلك ؟

— هكذا : لاحظت انه فهم انني لا املك شيئاً راهنا دامعاً ، وشعرت اخيراً انه سيدرك عمجزي اذا طال الامر ، فقبلت منه القمي روبل .

— قبضت منه القمي روبل ؟

— روبل فضة ، يا عزيزي . اخذتها منه وانا اشد على اسناني من الحق . القمي روبل من اجل قضية كهذه ؟ يا له من ذل . . . لكأنه اغرقني بالبصاق ! قال لي : «انني لم ادفع لك بعد اتعابك يا ماسلوبوف (وكان قد اعطاني مائة وخمسين روبلاً ، مقدماً ، حسب الاتفاق) ، وانا الآن مسافر ، فاليك هذين الالفين . ارجو ان تكون قضيتنا قد انتهت تماماً» . فأجبتة بقولي : «نعم لقد انتهت تماماً ايها الامير» . حتى انني لم اجرؤ ان انظر الى وجهه ، قائلاً لنفسي : انني لو نظرت الى وجهه لقرأت فيه قوله : «هاأنت ذا تقبض المبلغ الضخم ، ولكنني لا اعطيك هذا المبلغ الا رافة بك ايها الغبي» . ولا اذكر الآن كيف خرجت من عنده !



صحت قائلاً :  
— ولكن هذا جبن يا ماسلوبوف . ما انت صانع  
بنللي ؟  
— ليس هذا جبناً فحسب ، بل هو حقارة يستحق  
صاحبها الشنق . . . هذا . . . هذا . . . ما من كلمة يمكن  
ان يوصف بها هذا العمل . . .  
— رحماك يا رب ! ولكن كان يجب على الأقل ان  
يؤمن مصير نللي ! . . .  
— نعم ، كان يجب . . . ولكن كيف تجبره على ذلك ؟  
بتخوفه ؟ لا يمكن ان ينجح التخويف . . . لقد قبلت المال  
انا نفسي اعترفت بأن كل الخوف الذي يمكن ان ابته فيه لا  
يساوي أكثر من القوي روبل . انا نفسي قدرت نفسي بهذا الثمن !  
فكيف تريد ان تخوفه الآن ؟  
فصحت ، شبه يائس :  
— هل يمكن ان تكون قضية نللي خاسرة ؟  
فهتفت ماسلوبوف فائراً محتثداً وهو يرتعش من قمة رأسه  
الى أخمص قدميه :  
— ابدا ! لن ادع الامور تمر هكذا . سأشرع في عمل  
آخر يا فانيا ، لقد قررت ذلك . لا ضير في اني قبضت  
القوي روبل . اني لا أقيم وزناً لهذا . لقد اعتبرت المبلغ اهانة ،  
لقد عبث بي هذا الحقيير ، لقد سخر مني . انه يخدعني ،  
ثم يستخف بي . لا ، لا ، اني لا اسمح له ان يسخر  
مني ! . . . ونللي هي التي سأبدأ بها الآن . . . اني مقتنع اقتناعاً  
تاماً ، على اساس بعض الملاحظات التي لاحظتها ، انها هي

التي ستحل العقدة . انها تعرف كل شيء ، كل شيء . . . لقد  
قصت عليها امها كل شيء . قصت عليها ذلك اثناء الحمى  
اثناء الهذيان . . . لم يكن هناك احد تشكو اليه أمرها . لم  
يكن هناك الا نللي ، فافضت اليها بأسرارها . حتى لقد نجد  
بعض الاوراق (قال هذا وهو يفرك يديه تهلاً وطرباً) . هل فهمت  
الآن لماذا احوم هنا ؟ اولا للصدقة التي بيني وبينك طبعاً .  
ولكن ثانياً وخاصة لألاحظ نللي ، وثالثاً ، يا صديقي ، يجب  
عليك ان تساعدني ، شئت ام ايت ، لان لك سلطاناً على  
نللي !

فهتفت اقول :

— طبعاً سأساعدك ، اقسم لك بذلك ، ولكن ارجو يا  
ماسلوبوف ان تستهدف من كل هذا مصلحة نللي ، هذه  
البيمة الشقية المهانة ، لا أن تستهدف مصلحتك انت وحدها .  
— ما شأنك انت من اجل مصلحة من ابذل جهدي ،  
ابها الرجل الساذج ! المهم ان نصل الى غايتنا ، لا شك ان  
الصغيرة هي اهم ما في الأمر ، فالانسانية تقضي بذلك ،  
ولكن لا نحكم عليّ حكماً قاطعاً غير قابل للاستئناف اذا رأيتني  
اهتم قليلاً بنفسي ، يا صغيري فانيا . انا رجل فقير ، ولا  
يخطرن ببال ذلك الوغد ان يهين الفقراء ! لقد انتزع نصيبي  
وعدا ذلك خدعني هذا الوغد . هل تعتقد ان عليّ ان اسكت  
على ذلك ؟ مستحيل ! . . .  
لم ينجح عيد الأزهار الذي هيأناه للغد ، ذلك ان حالة  
نللي ساءت فلم تستطع ان تخرج من غرفتها .  
واصبحت لا تخرج منها ابداً .



وماتت بعد ذلك بخمسة عشر يوماً ! وخلال هذين  
الاسبوعين اللذين استغرقهما الاحتضار لم تستطع ان تعود الى  
صوابها مرة واحدة ، ولا ان تنخلص من اخبثتها الغريبة . كان  
يبدو ان عقلها اختل . ظلت مقتنعة اقتناعاً جازماً ، الى ان  
ماتت ، بأن جدها يدعوها ، بأنه حائق عليها لتأخرها عنه ،  
بأنه يضرب الأرض بعصاه ، ويأمرها ان تذهب في طلب  
الصدقة ليشتري خبزاً وتبغاً . وكثيراً ما كانت تبكي اثناء النوم ،  
حتى اذا استيقظت ذكرت أنها رأت أمها .

وفي بعض الاحيان كان يبدو ان عقلها عاد اليها . ففي  
ذات مرة كنا وحدنا ، فانحنت عليّ ، وتناولت يدي بيدها  
الهزيلة المحترقة بالحمى ، وقالت لي :  
— حين اموت يا فانيا ، تزوج ناتاشا .

بخيل الي ان هذه الفكرة كانت تحاصرهما منذ مدة طويلة .  
فابتسمت لها دون ان اجيب ، فابتسمت هي ايضاً ، ولوحت  
لي باصبعها الصغيرة المعروفة مهددة ، ونظرت اليّ نظرة متخابثة ،  
وقبلتني .

وقبل موتها بثلاثة أيام ، وكان ذلك في مساء جميل من  
ايام الصيف ، أمرت بازاحة الستارة وفتح النافذة التي تطل على  
الحديقة ، ونظرت طويلاً الى الخضرة الكثيفة ، والى أشعة  
الشمس الغاربة ، ثم طلبت فجأة ان يتركونا وحدنا ، انا وهي .  
قالت لي بصوت لا يكاد يسمع لانها كانت ضعيفة جداً :  
— يا فانيا ، ساموت قريباً ، قريباً جداً . وقد اردت  
ان أطلب منك ان لا تنساني . وهذا ما اتركه لك على سبيل  
الذكرى (قالت ذلك وارثني كيساً صغيراً كان يتدلّى من عنقها

مع صليبيها) . لقد تركت لي امي هذا وهي تموت . فاذا مت  
انا ، فاخلع هذا الكيس ، وخذه لك ، وستقرأ ما فيه .  
سأقول لهم اليوم ان لا يعطوا الكيس لاحد غيرك . حتى اذا  
قرأت ما هو مكتوب في الكيس ، فأذهب اليه ، وقل له انني  
مت ، وانني لم اغفر له . وقل له ايضاً انني قرأت الانجيل  
منذ مدة قصيرة ، وفيه يقول المسيح «اغفروا حتى لاعدائكم» ،  
قل له انني قرأت هذا الكلام ، ومع ذلك لم اغفر له ، وان  
الكلمات الاخيرة التي نطقت بها امي قبل ان تموت ، قبل ان  
تعجز عن الكلام هي : «اننى العنه» . وقل له اننى العنه أنا  
ايضاً ، لا من اجلي ، بل من اجل امي . اذكر له كيف ماتت  
امى ، وقص عليه كيف بقيت وحدي مع بونوفا . اخبره بأنك  
رأيتني عند بونوفا ، أنبه بكل شيء ، بكل شيء ، وقل له  
انني آثرت ان ابقى عند بونوفا على ان اذهب اليه .

قالت نللي ذلك ، واصفرو وجهها اصفراراً شديداً ، واتقدت عينها ،  
واخذ قلبها يخفق خفقاناً قويا حتى انها هوت على الوسائد وظلت  
بضع دقائق لا تستطيع ان تقول شيئاً .  
قالت اخيراً بصوت ضعيف :

— نادهم يا فانيا ، اريد ان اودعهم جميعاً ، وداعاً يا  
فانيا !  
وشدنتي بذراعيها شداً قوياً ، مرة اخيرة الى الابد . ودخل  
اصداقونا جميعاً . كان العجز لا يستطيع ان يصدق انها تحتضر .  
كان لا يستطيع ان يسلم بهذه الفكرة . وظل الى آخر لحظة  
بتشاجر معنا في هذا ، ويؤكد انها ستشفى لا محالة . لقد  
اضواه القلق ، وكان يقضي اياماً برمتها امام سرير نللي . وفي



الليالي الاخيرة ، لم يغمض له جفن . . اقول لم يغمض له جفن ، واعني ذلك حرفاً حرفاً . كان يسارع تحقيق ايسر نزوة من نزواتها ، وابسر رغبة من رغباتها . . وكان اذا خرج من عندها ، يبكي بكاء مرأ . ولكنه ما يلبث بعد دقيقة ان يسرد آماله ، فيؤكد انها مستعيد صحتها . لقد ملأ غرفتها بالأزهار . وفي ذات يوم ، اشترى لها باقة ضخمة من اروع الورود البيضاء والحمراء ، ذهب يشترىها من مكان بعيد ليقدمها هدية الي صغيرته نللي . . وكان هذا كله يحدث في الطفلة اضطراباً كبيراً . كان لا يمكنها ان لا تستجيب من اعماق قلبها لهذه العاطفة التي يحيطها بها كل من في البيت . وفي ذلك المساء ، في ذلك المساء الذي ودعنا فيه ، لم يشأ الشيخ ان يكون ذلك هو الوداع الاخير . فابتسمت له نللي ، وحاولت طوال السهرة ان تبدو مرحة ، فكانت تمازجه ، حتى لقد كانت تضحك . . . وحين تركناها ، كان تحرك فينا شيء من الأمل ، ولكنها اصيحت في الصباح ، فاذا هي عاجزة عن الكلام . وماتت بعد يومين .

ما زلت الى الآن ارى العجوز وهو يزيرن تابوتها الصغير بالأزهار ، وينظر ، وقد هذه اليأس ، الى وجهها الهزيل الذي لا حياة فيه والى ابتسامتها الجامدة ، والى يديها المتصالبتين فوق صدرها . لقد بكها كما يبكي اب ابته . وحاولنا ، انا وناتاشا والجميع ، ان نواسيه ، ولكن لم يكن ثمة سبيل الى مواساته ، حتى لقد مرض بعد دفن نللي مرضاً خطيراً . اعطنتي آنا آندريفنا الكيس الصغير الذي انتزعته من عنق نللي . كان الكيس يحتوي على الرسالة التي كتبها ام نللي الى

الأمير . وقد قرأتها يوم موت نللي ، فرأيتها تلعن الأمير ، وتقول انها لا تستطيع ان تغفر له ، وتصف له الفترة الاخيرة من حياتها ، تكتب عن الكوايس الرهيبة التي تترك فيها نللي ، وتتوسل اليه ان يعمل شيئاً من اجل نللي . «هذه ابنتك ، هذه ابنتك ، وانت تعلم انها ابنتك حقاً . لقد قلت لها ان تذهب اليك بعد موتي ، وان تعطيك هذه الرسالة . فاذا انت لم تطرد نللي ، فقد اغفر لك هناك ، في العالم الآخر ، يوم الحساب الكبير . سأقف يومئذ امام عرش الله اتوسل الي عدالته الالهية ان تذهب عنك خطاياك . ان نللي تعرف ما في هذه الرسالة . لقد قرأتها لها ، وقصصت عليها كل شيء ، كل شيء . . »

ولكن نللي لم تنفذ وصية امها . كانت تعرف كل شيء ، ولكنها لم تذهب الى الامير وماتت دون ان تصالحه .

حين فرغنا من دفن نللي ، مضيت الى الحديقة مع ناتاشا . كان يوماً حاراً مضيئاً . سيسافرون بعد اسبوع . القت علي ناتاشا نظرة طويلة غريبة . وقالت :

— فانيا ، فانيا ، كان هذا كله حلماً ، اليس كذلك ؟  
— ما الذي كان حلماً ؟

— كل شيء ، كل شيء ، كل شيء حدث في هذه السنة ، يا فانيا ، لماذا هدمت سعادتك ؟  
وقرأت في عينيها :

«كان يمكن ان نسعد معاً الى الأبد .



رومانسي ألماني تميزت كتاباته بالخيال الغريب . وبول جافارني  
(١٨٠٤ - ١٨٦٦) مصور رسام فرنسي اكتسب شعبية في الفترة  
بين ثلاثينات وخمسينات القرن الماضي ، وخاصة لتصويره مؤلفات  
الكتاب الرومانسيين . وفي عام ١٨٤٦ ظهر في باريس كتاب  
«روايات هوفمان الخيالية» في ترجمة فرنسية ومزينا برسوماته .

ص ١٨

... كنت تسمع اغنية «حبيبي افجوستين» ...  
المقصود هنا الأغنية الالمانية الذائعة «عزيري افجوستين»  
على موسيقى الفالس والتي اعتبرها دوستوفسكي تعبيرا نموذجيا  
عن الروح البرجوازية الالمانية الضيقة الافق ذات العاطفية المبتذلة .

ص ١٩

Dorfbarbier

مجلة فكاهية ألمانية كانت تصدر في لبيدج من ١٨٤٤ .  
وابتداءً من عام ١٩٥٢ صدرت بعنوان «حلاق القرية المصور»

ص ٢٦

جزيرة فاسيليفسكي هي احدى الجزر التي قامت عليها  
بطرسبرج (لينينغراد حاليا) ، وهي حي مزدحم من احياء المدينة .  
والشوارع في هذا الحي تسمى خطوطا .

ص ٢٩

... حين يضع أطر الشتاء ...  
في المناطق الشمالية والوسطى من روسيا يضعون اطارت

## حواش

ص ١١

... ان تكون الشقة ليس من الباطن ...  
في روسيا القرن الماضي كثيرا ما كان السكان الذين  
يستأجرون شققا كبيرة يقومون بتأجير بعض هذه الغرف او اجزاء  
(زوايا) من الغرفة للمحتاجين الى السكن ، فيما يعرف باسم  
الايجار من الباطن .

ص ١٢

... اخذت مصاييح الغاز تتلأأ ...  
كانت الشوارع والمتاجر في بطرسبرج في أواسط القرن التاسع  
عشر تضاء بمصاييح الغاز .

ص ١٥

... لا بد ان يكون هو الشيطان ...  
في مأساة «فاوست» للشاعر الالمانى العظيم يوهان فولفجانج  
جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) يظهر ميفيستوفل (الشيطان) للبطل لاول  
مرة في صورة كلب اسود .

ص ١٦

... صفحات كتاب هوفمان الذي صورّه جافارني ...  
إرنست تيودور أماديّ هوفمان (١٧٧٦ - ١٨٨٢) كاتب



اضافية (شتوية) للتوافذ في المنازل القديمة في فترة الشتاء لمزيد من الدفء . . .

ص ٣١

. . . كتاب «قراءة الطفل» . . .  
المقصود اول مجلة روسية للاطفال اصدرها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر المنور الروسي والكاتب والشخصية التقدمية نيكولاي نوفيكونوف (١٨٤٤ - ١٨١٨)

ص ٣١

. . . نقرأ اسطورة «ألفونس وداليندا» . . .  
«ألفونس وداليندا» ، او سحر الفن والطبيعة» قصة على صورة حكاية عاطفية وعظمية للاطفال صدرت في مجلة «قراءة الطفل» (عام ١٧٨٧)

ص ٣٧

. . . «بشحاذ سليل اسرة عريقة» . . .  
بيت من قصيدة «الاميرة» للشاعر الروسي نيكولاي نيكراسوف (١٨٢١ - ١٨٧٧)

ص ٤٧

. . . ما كان اشد فرحة «ب» . . .  
شخصية ايفان بتروفنش في الرواية تحمل بلا شك سمات السيرة الذاتية للمؤلف . وكل ما ذكر عن النجاح الادبي لايفان

بتروفنش هو وصف لمشهد من السيرة الادبية لدوستوفسكي نفسه ، ذلك ان رواية الاولى «المساكين» استقبلت بالاعجاب الشديد من الناقد الروسي العظيم ييلينسكي (١٨١١ - ١٨٤٨) .

ص ٤٨

. . . نوادر عن سوماروكوف . . .  
الكسندر سوماروكوف (١٧١٧ - ١٧٧٧) اديب روسي صاحب اشعار ومسرحيات ، كان يحمل رتبة مستشار الدولة التي تعادل رتبة الجنرال في السلك العسكري . جافريلا درجافين (١٧٤٣ - ١٨١٦) شاعر روسي حصل من الامبراطورة ايكاترينا الثانية على علبة تبغ ذهبية مرصعة بالجواهر و٥٠٠ قطعة ذهبية مكافأة على قصيدته «الى فيليسا» وميخائيل لومونوسوف (١٧١١ - ١٧٦٥) اول عالم روسي في العلوم الطبيعية من المستوى العالمي وشاعر وواضع اسس اللغة الروسية الادبية الحديثة . ونيكولاي جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢) كاتب روسي كبير . والكسندر بوشكين (١٧٩٩ - ١٨٣٧) شاعر روسي عظيم .

ص ٥١

. . . على طراز روسلافليف . . .  
الاشارة هنا الى ابطال روايتي الكاتب الروسي ميخائيل زاجوسكين (١٧٨٩ - ١٨٥٢) التاريخيتين : «روسلافليف او الروس عام ١٨١٢» و«بوري ميلوسلافسكي او الروس عام ١٦١٢» .

ص ٥١

. . . موظف صغير هين الشأن . . .



المقصود مكار ديفوشكين ، البطل الرئيسي لاولى روايات  
دوستوفسكي «المساكين» .

ص ٥٢

«ان . ألكسندر المقدوني بطل بالطبع ، ولكن ما الداعي  
لتحطيم الكراسي ؟» . . . هو استشهاد صار مضرب الامثال من  
ملهاة «المفتش العام» للكاتب نيكولاي جوجول ، حيث يتحدث  
احد ابطال الملهاة عن مدرس التاريخ في المدرسة المحلية الذي  
يملكه الهياج العنيف عندما يقص عن الاحداث التاريخية .

ص ٥٣

... هناك في مكتبي كتاب «تحرير موسكو» . . .  
الاشارة الى رواية «الامير بوجارسكي والمواطن مينين من  
مدينة نيجنى نوفجورود او تحرير موسكو عام ١٨١٢» للكاتب  
جلوخاريف وهي رواية مغامرات ذات موضوع يدعى التاريخية .

ص ٥٣

... لقد ذكرت لي ان جوجول . . .  
كان الاديب نيكولاي جوجول الذي عاش في ايطاليا في  
اواخر ايامه قد تلقى اعانة مالية من القيصر نيكولاي الاول قيمتها  
٣٠٠٠ روبل (بمعدل الف روبل في السنة) .

ص ٥٦

... قرأت هذا في كتاب «آبادونا» . . .  
رواية نيكولاي بوليفوي (١٧٩٦ - ١٨٤٦) وبطلها فيلهيلم

ريخينباخ ذو ملامح تنفق والتصوير القالبي لدى الرومانسيين عن  
الشاعر الحالم الذي لا يخطئ باعجاب الجماهير .

ص ٥٧

... يكتبون في جريدة «يعسوب الشمال» . . .  
هكذا سمي دوستوفسكي ساخراً مجلة «نحلة الشمال»  
ذات الاتجاه الرجعي والتي كانت تصدر في بطرسبرج ما بين  
عشرينات وستينات القرن التاسع عشر .

ص ٨٦

... لقد اقتبست الموضوع من ملهاة سكريب . . .  
اوغسطين ايجين سكريب (١٧٩١ - ١٨٦١) - مسرحي  
فرنسي ، مؤلف غزير الانتاج في لون الملهاة والفودفيل ، واستاذ  
في فن الهجاء المسرحي .

ص ١٠٢

... لقد مات مصدورا . . .  
مات ييلينسكي بالسل في ٢٨ مايو ١٨٤٨ وبقيت عائلته  
دون موارد على الاطلاق .

ص ١٠٣

... وراءه تقوم كاتدرائية القديس ايساكي . . .  
كاتدرائية ايساكي في بطرسبرج شيدت في الفترة من ١٨١٨  
الى ١٨٥٨ ، وهي كاتدرائية ضخمة يبلغ ارتفاعها حوالي ١٠٢  
متر .

ص ١١٥  
... منذ عهد ايفان الرهيب ...  
ايفان الرهيب (١٥٣٠ - ١٥٨٤) اول قيصر روسي .

ص ١١٥  
... ويشير الى ذلك تاريخ كرامزين ...  
المقصود هنا مؤلف «تاريخ الدولة الروسية» في اثني عشر مجلدا  
من وضع الكاتب والمؤرخ الروسي المعروف نيكولاي كرامزين  
(١٧٦٦ - ١٨٢٦) .

ص ١١٥  
... ويقال انه دخل رهبانية اليسوعيين ...  
اليسوعيون هم رهبانية رجعية تأسست عام ١٥٣٤ وعملت  
«لمجد» الكنيسة الكاثوليكية بأساليب الدسائس الخفية والدعاية  
الماهرة . وفي عام ١٨٢٠ حظر نشاط اليسوعيين في روسيا .  
وكان تبنى الكاثوليكية بتأثير الدعاة اليسوعيين منتشرا في اوساط  
الارستقراطية الروسية في ثلاثينات واربعينات القرن التاسع عشر .

ص ١٣٥  
«... على المائدة المصنوعة من شجر السنديان» ...  
من قصيدة «الجرس» للشاعر الروسي ياكوف بولونسكي  
(١٨١٩ - ١٨٩٨)

ص ١٥٦  
... ان يتحقق الأمر على غير ما يريد ...

ص ١٥٦

الاشارة الى زلزال لشبونة الذي وقع عام ١٨٥٥ ودمر ثلثي  
المدينة . وخلال خمس دقائق لقي مصرعهم حوالي ٦٠ الف  
شخص .

ص ١٥٣  
... مثل ضابط الصف البحري في كوميديا جوجول ...  
ان احدى شخصيات مسرحية جوجول «الزواج» يتحدث  
عن احد معارفه وهو صف الضابط البحري يتوخوف الذي كان  
يتميز بميله القاتق للضحك .

ص ١٦٣  
... كتب شيئا يشبه كلمة «تبلل» ...  
في المقطع الدرامي «المشاحنة» لجوجول يروي احد الابطال  
ان قرية مريضة من قريباته وقعت على وصيتها لا باسم عائلتها  
بل بكلمة «تبلل» .

ص ٢١٤  
... في مطعم دوسو ...  
دوسو - صاحب مطعم فرنسي فاخر في بطرسبرج

ص ٢١٥  
... انه يهوذا وفالستاف ...  
يهوذا الاسخريوطي - احد حواربي المسيح المقربين وهو  
الذي خانته واسلمه .



ص ٢١٥  
فالتأف— شخصية فكاهية في مسرحيات الكاتب  
البريطاني العظيم وليام شكسبير (١٥٦٤—١٦١٦) ، عرييد  
شره ، يهوى المرح .

ص ٢١٦  
... وهو يبدو في معظمه المخملي من احياء السلافية ...  
احياء السلافية (السلافيانوفيلون)— انصار احد الاتجاهات  
في الفكر الاجتماعي الروسي في القرن التاسع عشر ، وكانوا  
يؤكدون على طريق تطور روسيا المتميز عن اوروبا الغربية .

ص ٢١٦  
... الى النادي الانجليزي ...  
النادي الانجليزي— اسم كان يطلق على نوادي النبلاء  
في موسكو وبطرسبرج التي كانت محدودة العضوية وتضع شروطا  
صعبة للانضمام اليها .

ص ٢١٧  
... كنا نقرأ معا كورنيليوس نيبوت ...  
كورنيليوس نيبوت (حوالي سنة ٩٩ — بعد سنة ٣٢ ق . م مؤرخ  
روماني كانت مؤلفاته تستخدم في تدريس اللاتينية في المدارس  
الروسية .

ص ٢١٩  
... فأراني هوميروس ...

هوميروس— شاعر ملحمي اسطوري اغريقي ينسب اليه  
تأليف ملحمتي الايلاذة والاوديسا .

ص ٢١٩  
دانتي أليجييري (١٢٦٥—١٣٢١) شاعر ايطالي كبير ،  
مؤسس اللغة الايطالية الحديثة ، صاحب «الكوميديا الالهية» .

ص ٢١٩  
فريدريك برباروسا (١١٢٣—١١٩٠)— امبراطور ألماني  
احاطت باسمه الاساطير في العصور الوسطى .

ص ٢٢١  
... اشبه موليير ...  
موليير (١٦٢٢—١٦٧٣) مؤلف كوميدي فرنسي وممثل  
ومجدد في الفن المسرحي .

ص ٢٢١  
... انني دون كيشوت ...  
دون كيشوت— بطل رواية الكاتب الاسباني ميغيل سرفانتس  
(١٥٤٧—١٦١٦) التي تحمل نفس الاسم ... مدافع نزيه  
متفان عن العدالة .

ص ٢٤٥  
... صليب القديس ستانيسلاف ...  
وصام القديس ستانيسلاف من الطبقة الثانية— وصام من

أدنى الأوسمة المدنية والعسكرية في روسيا القيصرية ، وكان  
يعلق في العنق .

ص ٢٧٣

... سارت بعربتها على جثة ايها ...

مشهد من كتاب المؤرخ الروماني تيت ليفي (٩٠ ق . م —  
١٧ ب . م .) بروي مصرع القيصر الروماني سرفي تولي على يد  
تاركويني الذي اطاح به . وقد القيت جثة سرفي تولي على الطريق  
ومرت عليها بالعجلة الحربية ابنته — زوجة تاركويني — وهي في  
طريق عودتها من الحفل الذي نصب زوجها قيصرا .

ص ٣٣٨

... من عند بليسييف ...  
بليسييف — كان صاحب أكبر متاجر المواد الغذائية والخمور  
في موسكو وبطرسبرج .

ص ٣٧٠

... سأكشف لك عن اسرار باريس ...  
كانت رواية الكاتب الفرنسي اجين سو (١٨٠٤ — ١٨٥٧)  
«أسرار باريس» ذائعة الصيت في روسيا في اواسط القرن التاسع  
عشر .

ص ٣٧١

... وهو شاب مثالي شاعر مثل شيللر ...  
يوهان فريدريك شيللر (١٧٥٩ — ١٨٠٥) شاعر الماني

ومؤلف مسرحي وصاحب آراء في نظرية الفن . كان يؤكد في  
اعماله على المثل الاخلاقية والاجتماعية العليا .

ص ٣٧٣

... فما عساها تقول الكونتيسة خليستوفا ...  
الإشارة هنا الى شطر بيت من مسرحية «وذو العقل  
يشقى» . الكوميديا للشاعر الروسي الكسندر جريويدوف  
(١٧٩٥ — ١٨٢٩) والذي يقول : «يا الهى ، ماذا ترى ستقول  
الاميرة ماريا اليكسيفنا ؟» وقد اصبح مثلا سائرا . وخليستوفا  
اسم عائلة احدى شخصيات المسرحية .

ص ٣٧٣

... وما عساه يقول البارون بومويكين ...  
بومويكين مشتقة من الكلمة الروسية «بومويكا» التي تعني  
«كومة زباله» . يسخر دوسوفسكي من عادات المجتمع الراقي  
في روسيا آنذاك .

ص ٣٧٤

فكان يسيل على شاربي ولا تدخل منه في فمي قطرة .  
نهاية تقليدية للحكايات الشعبية الروسية .

ص ٣٩٠

... والاصلاحات التي شرع فيها ...  
كانت سنوات الستينات من القرن التاسع عشر في روسيا



وافتره اعداد واقرار عدد من الاصلاحات الكبرى وفي مقدمتها  
الغاء نظام القنائة (عام ١٨٦١) والاصلاح القضائي (١٨٦٤)  
والاصلاح الاداري المحلي (الزيمستفو) (١٨٦٤) الذي ادخل  
نظام الادارة المحلية ذات الصلاحيات المحدودة في القسم  
الاطول من روسيا .

ص ٤١٠

... خذنا الى مورسكايا ...  
المقصود هنا مطعم بوريل في بطرسبرج .

ص ٤١١

... انكم لا تتحدثون الآن الا عن البؤس والمعاطف  
الضائعة ...  
الاشارة هنا الى رواية جوجول القصيرة «المعطف» وبطلها  
الموظف الصغير الفقير والى كوميديا جوجول ايضا «المفتش العام»  
التي سخرت بشدة من حكم الموظفين في روسيا آنذاك .

ص ٤٣٠

... بحيث ان المركيز دي ساد ...  
المركيز دي ساد — اسم ادبي مستعار للكونت دوناميين  
دي ساد (١٧٤٠ — ١٨١٤) الكاتب الفرنسي مؤلف الروايات  
الفرنسية الخليعة حيث يصور الفجور مقرونا بالقوة .

ص ٤٣٨

... تاليران ، لا اكثر ولا اقل ...

شارل موريس تاليران (١٧٥٤ — ١٨٣٨) دبلوماسي فرنسي ،  
حاذق في تدبير المكائيد الدبلوماسية .

ص ٤٤٦

... وكنا يومئذ في الاسبوع المقدس ...  
اسبوع الآلام (الاسبوع المقدس) آخر اسبوع في الصيام  
الكبير عند المسيحيين الارثوذكس الذي يستمر سبعة اسابيع ويتبعه  
عيد الفصح .

ص ٤٧٤

... بعد غد عيد الفصح ...  
عيد الفصح — من اكبر الاعياد المسيحية ويرتبط باسطورة  
قيام المسيح ، ويوافق اول احد بعد اكتمال القمر الربيعي (من  
٢٢ مارس الى ١٥ ابريل حسب التقويم القديم) .

ص ٥٦١

... كان ألكسندر بتروفتش ذاهبا الى بيته في الجزر ...  
في مصب نهر النيفا ، غير بعيد عن بطرسبرج توجد عدة  
جزر كانت تقوم عليها في القرن التاسع عشر وبداية العشرين بيوت  
صيفية لاثرىاء المدينة .

